دراسات في تاريخ العراق وحضارته

العراق في موكب الحضارة

الاصالـة ـ والتأثـير

الجزء الثالث

نخبة من أساتذة التاريخ

١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م

بغـــداد

العراق في موكب الحضارة

الاصالة ـ التأثير

الفصـــل الثامـــن

المبحث الثاني

التأثيرات اللغوية والادبية العراقية في المشرق

الدكتور حسين علي محفوظ
الاستاذ في كلية الآداب / بغداد

الدكتور امين علي سعيد
الاستاذ في كلية الآداب / بغداد

مما لا شك فيه أن اللغة العربية وهي « لغة القرآن الكريم » كانت لغة متطورة وناضجة منذ القدم والدليل على ذلك ما نراه بين ايدينا من الاشعار والاقوال والامثال من العصر الجاهلي اي قبل الاسلام • حيث أن المعلقات السبعة واشعار فطاحل شعراء الجزيرة العربية وسوق عكاظ الذي كان بمثابة مهرجان شعري وادبي قديما لدليل على رقي وامكانية وفاعلية هذه اللغة العريقة • لذلك نزل القرآن الكريم على خاتم الانبياء والرسل محمد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ، بهذه اللغة •

ولولا متانتها وقدرتها على الاداء اللازم ولولا وجود عوامل لغوية ممتازة لما انزل الله سبحانه وتعالى كتابه العظيم بهذه اللغة • يقول الاستاذ زكي مبارك : « فليعلم القارىء أن لدينا شاهدا من شواهد النثر الجاهلي يصح الاعتماد عليه وهو القرآن • ولا ينبغي الاندهاش في عد القرآن اثرا جاهليا ، فانه من صدر العصر الجاهلي : اذ جاء بلغته وتصوراته وتقاليده وتعابيره ، وهو ـ بالرغم مما اجمع عليه المسلمون من تفرده بصفات أدبية لم تكن معروفة في ظنهم عند العرب ـ يعطينا صورة للنثر الجاهلي ، وان لم يمكن الحكم بأن هذه الصورة كانت مماثلة تمام المماثلة للصورة النثرية عند غير النبي من الكتاب والخطباء »[1]

وفي هذا القول ما يثبت من أنه كان للعرب قبل الاسلام نثر فني يتناسب مع صفاء أذهانهم ... حيث يرد على رأي « مسيو مرسيه » الذي يقول ان النثر الفني العربي يبتدىء « بابن المقفع »[1] وهو رأي باطل . وهذا يدحض ما ذهب اليه « طه حسين » في نفس الاتجاه[2] . نعم لقد انزل الله سبحانه وتعالى القرآن بهذه اللغه « انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » الآية «٢» سورة يوسف . وفي ذلك دليل على أن اللغة العربية كانت ذات شأن وقوة ونضوج تجعلها اللغة الوحيدة من بين لغات العالم . لقد خاطب الله « سبحانه وتعالى » رسوله وأمينه من خلال القرآن الكريم .

ان تطور هذه اللغة وامكانياتها اللغوية والادبية الواسعة ، وما كتب بها من تراث ادبي شعرا وحديثا واقوالا وحكما وخطبا وامثالا وقصصا ، اضافه الى القرآن المجيد ، وكذلك ما كتب وألف بها من كتب ورسائل علمية وادبية وما ترجم منها واليها من الكتب في الفلسفة والمنطق والطب والصيدلة والحساب والنجوم والموسيقى وغيرها من العلوم جعل لها الصدارة بين اللغات كافة في صدر الاسلام وبعد انتشار العربية وتكوين الحكومة الاسلامية ، لما توجه المسلمون لخارج الجزيرة العربية وبدأوا بالفتوحات لاجل نشر الدين الاسلامي الحنيف .

يقول المستشرق الالماني تيودور نولدكه [أن العربية لم تصر حقا لغة عالمية الا بسبب القرآن والاسلام ، اذ تحت قيادة القرشيين فتح البدو ، وسكان الواحات نصف العالم لهم وللايمان ، وهكذا صارت العربية لغة مقدسة أيضا ...][4] .

فعندما توجه المسلمون نحو المشرق وفتحوا بلاد فارس في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) عنه ، ودخلت شعوب هذه المناطق الدين الاسلامي وتركوا دياناتهم القديمة في اكثر الانحاء طوعا [ان هذه الحروب

كانت تسفر عن انتشار الاسلام انتشارا سريعا بين الفرس الذين اسلم عدد كبير منهم عن طواعية واقتناع][٥] • وذلك لما احتوى هذا الدين من السمو وروح الاخوة والمسامحة وعدم التفريق بين الفقير والغني والعبد والسيد والعرب والعجم • يقول « سبحانه وتعالى » في حكم كتابه (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) الاية ١٣ سورة الحجرات ، كذلك ما في القرآن من القوانين والتعليمات الاجتماعية والاخلاقية التي تؤكد تنظيم المجتمع وتثبيت الامور الحياتية علاوة على ما يحتويه من الاشارات والتأكيدات حول الصلح والسلام والاخوة وتنظيم العلاقة بين الناس وخاصة الحياة الزوجية التي هي اساس تكوين العائلة ومنها المجتمع ، اضافة الى كثير من امور الهداية والنجاح •

كانت لغات المشرق بصورة عامة واللغة الفارسية بصورة خاصة في حالة تطور بطيء نسبيا وليس على غرار اللغة العربية السريع القوي المستمر •

اختلطت هذه اللغات باللغة الجديدة وهي لغة الدنيا والدين ، لغة القرآن الكريم والشريعة السمحة ولم تكن العربية جديدة بالنسبة للمناطق المتاخمة لحدودهم الغربية ، حيث كان التاثير والعلاقة بين العربية وتلك اللغات موجودا الى حد ما ، فعلى سبيل المثال لا الحصر أن نشأة « بهرام گور الساساني » من كنف « النعمان بن المنذر حاكم الحيرة » حيث ارسله ابوه ليتأدب بآداب العرب ولغتهم ، حتى اجاد العربية وقام بنظم الشعر العربي • وكذلك دور اليمن حيث علاوة على وجود نفوذ شرقي ، كانت مركزا تجاريا هاما بين الشرق والغرب • وكانت الحجاز ايضا على صلة مستمرة بالمشرق ، فالقوافل كانت تمر غربا تحت حراسة العرب ولاسيما لطائم كسرى •

ان اللغات التي تأثرت بالعربية تأثيرا كبيرا بعد الفتح الاسلامي في المشرق ، هي اللغات الايرانية خاصة • اما اللغة الكردية ، التي تقع في

الشمال الشرقي من العراق فقد ظهر تاثير العربية بعد دخولهم في الاسلام ـ ويعتقد اكثر المؤرخين أن الاكراد دخلوا الاسلام طوعا ومن دون حرب ـ وكان تاثير العربيه في الكرديه عن طريق اخواتها اللغات الايرانية الاخرى خاصة .

لقد اختلطت وامتزجت لغات المشرق واخص بالذكر الفارسية والتركية، وقد بدأ هذا التأثير في اول يوم وطئت فيه جيوش المسلمين بلاد المشرق . وفي بدايات تطبيق الدين الاسلامي الحنيف وقوانين القرآن المجيد .

يقول الدكتور ذبيح الله صفا [ان اللغة الپارسية الدرية بعد ان اصبحت لغة رسمية في القرن الثالث الهجري في المشرق ، امتزجت بسرعة مع اللغة العربية وفي البدء ما كان هذا الامتزاج والاختلاط يتعدى سوى المفردات اللغويه وذلك لرفع حاجاتهم الدينيه والسياسية والعلمية ولكن بالتدريج اصبح تأثير ودخول اللغة العربية في الپارسية ـ بسبب تفنن الكتاب والشعراء ـ بدرجه انها وصلت الى حد بعض القواعد الصرفية والنحوية العربية مع المفردات والتراكيب والعبارات العربية][1] .

ان تأثير لغه قوية ذات كيان وادب شيء طبيعي بسبب قوتها ونضجها اللغوي ، اضافة الى وجود السيادة السياسية . وقد كانت اللغة العربية علاوة على ذلك لغة الدين الاسلامي هذا الدين الذي ارسل بالهدى ودين الحق وظهر على الدين كله . « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » الاية ٣٣ سورة التوبة وهذه قاعدة علمية ثابتة من قواعد علم اللغة فان لهذه العوامل تأثيرا كبيرا في نشر لغة ما او تأثير لغة ما على اللغات الاخرى .

ان لغات المشرق واخص بالذكر الفارسية منها ـ اذ كان لها بالنسبة لسائر اللغات الشرقية الاخرى حظ من الظهور . كان لاهلها مقاليد الحكم

في بعض البلاد ، وكانوا مسيطرين على اجزاء من شعوب المشرق وكان لهم في السياسة والادارة دور وكانت لهم لغة معروفة ومع هذا لم تكن لها ابجدية دقيقة محكمة ذات قابلية للكتابة ولم يكن بامكانها اعطاء كل صوت من اصوات اللغة ، شكلا « حرفا » يؤدي المقصود ويفي بالابانة وقد كانت تلك الأبجدية غير متكاملة وتفتقر الى الوفاء والكفاية ، ثم انها كانت مقتبسة من احدى اللغات الجزرية مأخوذة من اللغة الارامية ، وكان الاراميون هم الكتاب في البلاط الاخميني والبلاط الساساني • لذلك نرى تأثير اللغات الجزرية قديما يرجع الى ما قبل الاسلام ونرى كثيرا من الكلمات الارامية والسريانية والعربية القديمة في كتابات ونقوش الاخمينيين والساسانيين حيث كان الكاتب الارامي يكتب الكلمة او المصطلح بالحروف الارامية « اي الابجدية المستعملة في الكتابة البهلوية » باللفظ الارامي او العربي القديم في النص البهلوي • فمثلا كان الكاتب الارامي عندما يكتب نصا بهلويا معينا يكتب اللفظ العربي او السرياني بالابجدية المستعملة ويقرؤونه بما يقابل الكلمة في البهلوية من لفظ فكانوا يكتبون كلمة « ليلا » بالحروف البهلوية ويقرؤونها « شب » ويكتبون « لهما » ويقرؤونها « نان » وقد اشار الى هذه العملية مؤرخو وكتاب المسلمين ويعبر عن هذا في علم اللغات الشرقية بـ « هزوارش » وقد اشار الى ذلك ابن النديم في الفهرست في القسم الاول من المقالة الاولى في الكلام عن القلم الفارسي وعبر عنه بكلمة « زوارشن » •

كانت لغات المشرق عند مجيء الاسلام ودخول الناس في الدين في حالة عدم استقرار ولم تكن هنالك لغة مشتركة واحدة ، فقد كانت لغة البلاط « الدرية » ولغة النقوش ولغة الكتابات الدينية مع اختلاف في الابجدية من حيث الشكل : [قال ابن النديم نقلا من خط الجهشياري في كتاب الوزراء : « ولم يكن لهم اقتدار على بسط الكلام واخراج المعاني

بتصحيح الالفاظ » ونقل قول ابن المقفع : « للفرس سبعة انواع من الخطوط منها كتابة الدين ، وكتابه اخرى •• وهي ٣٦٥ حرفا يكتبون بها الفراسة والزجر •• وكتابة اخرى •• يكتب بها العهود••والقطائع• وبهذه الكتابة كانت نقوش خواتم الفرس وطرز ثيابهم وفرشهم وسكة دراهمهم •• وكتابة اخرى يكتب بها الطب والفلسفة وكتابة اخرى كانت ملوك الأعاجم يتكاتبون بها فيما بينهم دون العوام ، ويمنع منها سائر اهل المملكة حذرا من ان يطلع على اسرار الملوك من ليس بملك •

ويكتب بعضها بلغة السريانية الاولى •• وتقرأ بالفارسية •• وهي لسائر اصناف المملكة خلا الملوك •

وكتابة اخرى •• كانت الملوك تكتب بها الاسرار مع من يريدون من الامم • ولهم كتابة اخرى يكتب بها المنطق والفلسفة](٧) •

وعندما انتشر الدين الاسلامي الحنيف في المشرق واستقرت الدولة الاسلامية وكانت تدار من المركز من الشام او بغداد ، اصبحت اللغة العربية لغة الادارة والكتابة والعلوم والاداب « شعرا ونثرا » في المشرق • ومضى عليها ثلاثة قرون وبقيت اللغات واللهجات الموجودة في المشرق لغة التخاطب والامور اليومية الاعتيادية ، وكانت العربية ضرورية لكل متعلم وأديب وشاعر وكاتب فكانوا يحفظون الشعر العربي وربما نظمه بعضهم بالعربية اذا اراد أن يدعي الفضل واذا اراد ان يقول انه شاعر يقول في هذا الموضوع احمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي [ولا يبلغ كلام الكاتب هذه الدرجة حتى ينال من كل علم نصيبا ، ويأخذ عن كل استاذ نكتة « دقيقة » ، ويسمع من كل حكيم لطيفة ويقتبس من كل ادب طرفة ، فعليه ان يجعل ديدنه قراءة كلام رب العزة واخبار المصطفى وأثار الصحابة وامثال العرب ••• ومطالعة كتب السلف والاضطلاع ومناظرة صحف الخلف مثل ترسل الصاحب بن

عباد والصابي وقابوس والفاظ الحمادي والامامي وقدامة بن جعفر ومقامات البديع والحريري .. ومن دواوين العرب ديوان المتنبي والابيوردي][8] .

هذا من جهة ومن الناحية الاخرى ـ وقد دخلوا الدين الجديد ـ فعليهم معرفة تعاليم الدين واصوله ومعرفة قراءة القرآن الكريم قـراءة صحيحـة وفهم تفسيره لذلك بدأوا بدراسة وتعلم اللغة العربية وبذلوا الجهد لاجـل فهم العربية قراءة وكتابة ومعنى وشرحا لذلك نرى بينهم بعـد فترة لغويين وكتاب وشـعراء ومترجمين في اللغتين .

ويقول الدكتور عبدالنعيم حسنين فيمحاضرته بمناسبة الموسم الثقافي [عني العرب منذ اقدم العصور بلغتهم عناية فائقة وازدادت عنايتهم بها لان الله تعالى قد خاطبهم بها على لسان رسولهم الكريم محمد « صلى الله عليه وسلم » ثم ان هذه اللغة اصبحت لكل من آمنوا بكتاب الله ورسوله شيئا مشتركا فيما بينهم وانها اصبحت الرباط الوحيد الذي استطاع أن يربط كل عناصر الامة بتقاليدها المختلفة في وحدة لا تنفصم وان لم تكن لغة ابائهـم اجمعين ، ظهر ذلك بأجلى صورة في العراق ...][9] .

ويقول الدكتور عبدالنعيم حسنين في محاضرته بمناسبة الموسم الثقافي في القاهرة [وقد ادى اعتناق الفرس الاسلام الى انتشار العربية في ارجـاء ايران ، فقد وجد الفرس الحاجة الماسة الى اتقان هذه اللغة حتى يدرسـوا القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة واحكام دينهم وكـان الفارسـي المتعلم حتى الزمن المتأخر يباهي بالكتابة بالعربية يثبت تضـلعه في هـذه اللغة مما يرفع منزلته ويذيع شهرته][10] .

ويقول في هـذا الباب المستشرق الانكليـزي ادوارد براون ما يلي : [الصلاة التي فرض على كل مسلم أن يؤديها خمس مرات يوميا وكذلك كلمة الشهادة وبقية العبادات وبقية الكلمات والالفاظ الدينية التي تجري علـى

لسان كل مسلم مؤمن – ايرانيا كان ام تركيا او هنديا او افغانيا او ماليزيا – يجب ان تؤدى باللغة العربية ، لذلك على كل مسلم أن يكون له معرفة ولو قليلة باللغة العــربية ...][11] .

عندما ظهرت في ايران دويلات وحكومات محلية بدأ الامراء بتشجيع شعرائهم وكتابهم بالكتابة بالفارسية اضافة الى العربية وقد كانت الفارسية قد طعمت بالعربية واصبحت لغة غنية بفضل العربية ، قــام الفرس بأخــذ واقتباس ما هو موجود في العربية من مختلف العلوم والفنون ، وهذا ادى الى اغناء لغتهم وهو من اسباب تكوين لغتهم الحديثة « الفارسية الاسلامية ».

يقول الدكتور طه ندا : [لم تصلح البهلوية لغة للفرس بعد الاسلام ، وقد قلنا فيما سبق بأنها ارتبطت في أذهان الفرس المسلمين بالديانة الزردشتية فنفروا منها ، هذا بالاضافة الى أن الكتابة البهلوية لم تكن شائعة بين الفرس انفسهم اذ كانت محصورة في طبقة خاصة هي طبقة « الكتاب » مما ســهل على الفرس أن يهجروها الى الكتابة العربية الجديدة ثم ان البهلوية تكتــب بحروفها الخاصة التي تحتاج الى تعلم ودرس خاص ولم يكن الفارسي المسلم مستعدا لبذل هذا الجهد في تعلم البهلوية وامامه الحــروف العربية ســهلة رائجة . وكان من سوء حظ البهلوية أنها لغة المناطق المتاخمة للبلاد العربية وكانت هذه المناطق دائما في طريق الغزوات والهجمات العربية المختلفة نحو المشرق . ولهذا كان اثر الفتوح العربية الاسلامية شديدا على هذه اللغــة وكتابتها وكانت وطأة العربية عليها ثقيلة بحيث لم يعد لها كيان][12] .

كانت مراكز التعليم والتدريس بعد الاسلام في بلاد المشرق المساجــد والجوامع فان [احد قواد العرب في سيستان كان اســمه « عبدالرحمــن بن سمرة » عاش في القرن الاول الهجري ، بنى مسجدا للجمعة ، المســجد الذي اشتغل فيه العالم الديني « حسن البصــري » « القرن الاول والثاني الهجري » مدة بالتدريس وتعليم المسائل الدينية][13] .

وكان يستفاد من عدد من المساجد في مدينة « بخارى » المدينة المشهورة بـ « قبة الاسلام » لاجل تعليم العلوم الشرعية ، ويذكر ابن الفقيه مساجد كثيرة في سيستان وبلخ وهرات ، المساجد التي كان يحضر فيها الفقهاء لاجل التعليم(١٤) ، وكانت هنالك حلقات للتدريس في المسجد الجامع « العتيق » في فارس(١٥) .

لهذا نرى تأثر المشرق بالعربية تأثرا كاملا من كل النواحي وبدأ المشرق واخص بالذكر الفرس منهم بالاقتباس والاخذ المستمر من العربية وآدابها وعلومها .

١ ـ الأبجدية : ـ

ما كان للفرس ابجدية شاملة كاملة ثابتة ، تتمكن من أن تقدم لكل صوت من اصوات اللغة ، صورة واضحة « حرفا » وكانت الابجدية المستعملة قبل الاسلام وأبان الفتح الاسلامي أبجديه مقتبسة من الابجدية الارامية . ولم تكن صالحة لكتابه لغتهم بعد ان تطورت بسبب التقائها بالعربية ونموها بسببها وكان هذا التطور سريعا بسبب اللغة العربية حيث دخلت الى الفارسية عشرات بل مئات من الكلمات والمصطلحات العربية في مختلف المواضيع . وكانت الابجدية المستعملة عبارة عن (٣٢) حرفا وكان بعض الحروف متشابها وكان تشخيص الصورة مقابل الصوت ، امرا صعبا جدا .

يقول درس راستار گويوا تحت عنوان خصائص الفباء البهلوية [ان الاثار المكتوبة في العصر الساساني كانت الالفباء الارامية المحرفة ، وهذا الالفباء كانت عبارة عن (٢٢) حرفا ، في النقوش الاولية في العصر الساساني ولكن بمرور الزمن ، مثلما يظهر على المسكوكات ، ظهرت ابجدية بصورة مكسرة ومحرفة للكتابة وذلك بسبب التحريف ، واصبح عدد من الحروف

في صور واحدة اي بنفس الصـورة وصـار الذي يمكـن تشـخيصه (١٥) حرفـا][١٦] •

استعملت اللغة الفارسية ــ قديما ــ ثلاثة انواع من الخطوط ، هي الخط المسماري ، والخط الافستائي ، والخط البهلوي •

اما الخط المسماري : فقد نقش في الاثار والاحجار • واما الخـط الافستائي فقد دونت به الكتب المقدسة والمأثورات الدينية القـديمة • ثم استعمل الخط البهلوي وكتبت به الوثائق والشروح والنصوص وضربـت به النقود وظل مستعملا حتى ظهر الاسلام فدخل الناس في دين الله وآمنت الامم بالرسـالة في زمن الفتوح •

فقد بلغ العرب الصين ووصـلوا الى اوربا ودخلوا الهنـد يحملون الهداية واللغة والخط فكتبت الفارسية بالخط العربي واستطاع هذا الخط الاصيل الجميل ان يحمل مواريث الامم كافة وتراث جميع البلدان ولاسيما بلاد فارس فلقد دخلت اللغة العربية ــ مع العرب ــ بلاد ايـران وامـدت الفارسية بالوف الالفاظ العربية في التعبير والتحرير حتى بلغت عدة الكلمات العربية المستعملة في الفارسية اضعاف ما فيها من الفارسي الاصيل •

هذا وقد احتاجت الفارسية في ضبط اصواتها الى حـروف لاتوجـد في العربية فابتكر علماء الخط زيادة بعض النقاط على اشكال الحروف القريبة منها وهـذه الحـروف هي :

١ ــ الباء المنقوطة بثلاث نقط (پ / P)
٢ ــ الجيم المنقوط بثلاث نقط (چ / ch)
٣ ــ الزاي المنقوط بثلاث نقط (ژ / J « الفرنسية »)
٤ ــ الكاف الفارسية ذات الخط المضاعف (گ / G)

واستعملت الواو للفظ الحرف « V » وكتبت به الكلمات الاجنبية المنقولة الى الفارسية من اللغات الاوربية مثل : نوول ، وارياسيون ، واريس، وازلين ، والسن ، واكسيل ، واكسيناسيون ، ولانس ، والس ، والور ، وانيل ، وايداسكرين ، ودويل ، ورستاد ، ورموت ، ورنى ، وريسم ، ولتمتر ، ونوس ، وتيامين ، ويترين ، ويرگول ، ويروس ، ويزا ، ويزيت ويستاويزن ، ويشنو ، ويلا ، ويوريسم ، ويولا ، ويولون ، تلويزيون .

كما كتبوا به الحرف W في الكلمات المنقولة من اللغات الاجنبية مثل : وات ، واتربروف ، واگن ، ويست ... الخ .

ثم استعملوا الهاء الخفيفة غير الملفوظة في اواخر الكلمات المفتوحة لبيان الفتحة وللدلالة عليها فيما هو مفتوح الاخر من الالفاظ فأن الكلمات الفارسية ساكنة الاواخر عادة الا ما كان منها مختوما بالهاء المخفية .

ولقد حاول بعض الباحثين تتبع قواعد الاملاء والهجاء والكتابة في النصوص والمخطوطات والاصول واستطاع عدد منهم أن يدون من الضوابط ما يمكن أن يعتمد في الكتابة . وما زال الخلاف قائما في عدة امور . والاختلاف موجود في جملة من المسائل . وللمجمع اللغوي ، وافاضل الكتاب والمحققين آراء في الرسم منتشرة في المجلات ومجاميع الابحاث .

وقد عولت الفارسية على الاملاء العربي في الكلمات المستعارة من العربية خاصة وخالفت القواعد العربية في بعض المسائل والالفاظ .

٢ ـ الكلمات والمصطلحات العربية :

كانت اللغة العربية ، لغة الدين والعلوم والاداب والادارة والسياسة في الدولة الاسلامية التي كانت رقعتها تمتد من بلاد الاندلس وشواطىء الاطلس غربا الى حدود الصين شرقا ، والى بحر ايجة وقبرص وصقلية

والقفقاس شمالا الى البحر العربي وسواحل شبه القارة الهندية جنوبا • وقد كان المشرق ومن ضمنه بلاد فارس في اطار الدولة الاسلامية الكبرى • وكانت البلاد والممالك والاقاليم تدار من مركز الدولة الاسلامية من قبل الامراء والحكام الذين يعينهم الخليفة • وكانت العربية لغة الادارة والسياسة والحكم فضلا عن العلم والدين • ولهذا السبب كان على الناس معرفة العربية وتعلمها واتقانها فدخلت في الفارسية افواج من الكلمات والمصطلحات العربية وما تم اقتباسه من قبل شعوب المشرق لا يحصى ولا يعد •

يقول الدكتور عبدالمنعم محمد حسنين [ودخل الفارسية كثير من الالفاظ العربية وصارت هذه الالفاظ تشكل جزءا كبيرا من مفردات اللغة الفارسية وبدت الفارسية في ثوب عربي لانها كتبت بالحروف العربية ولاتزال في هذه الصورة الى الوقت الحاضر](١٧) •

يمكن تقسيم هذه الالفاظ والمصطلحات العربية التي دخلت الفارسية على النحو التالي :

١ ـ الكلمات والمصطلحات الدينية :

يقول الدكتور محمد نورالدين عبدالمنعم [فقد اخذت الفارسية كثيرا من اللغة العربية ذلك أن الاخيرة كانت لغة الدين الاسلامي الذي اعتنقه الفرس ، فاصبحوا ينظرون اليها نظرة مقدسة بصفتها لغة القرآن والدين الجديد ، فكان لابد لهم من اقتباس كثير من المصطلحات الدينية لحاجتهم اليها](١٨) •

ويقول الدكتور ذبيح‌الله صفا حول هذا الموضوع [ان الكلمات العربية كانت في بعض الاحيان اسهل بكثير من الكلمات الايرانية القديمة وكذلك استعمل اللغويون الايرانيون بعض المصطلحات والمفردات العربية التي لم يجدوا ما يقابلها في لغتهم ، وينضم الى هذا النوع

من المصطلحات الدينية وبعض المصطلحات السياسية والديوانية والعلمية][19]
ويقول ادوارد براون [ان اللغة العربية هي لغة دين عظيم ، بصورة خاصة لا مثيل لها ، بالنسبة لنا « يعني المسيحيين » ، والكتاب المقدس ، يكون باللغة الاصلية او باية لغة اخرى ، لكن القرآن ليس هكذا لدى المسلمين ، ان هذا القرآن العربي في نظرهم هو نفس ما قاله الله وهو وحي مباشر فعندما نقرأ « قل هو الله احد [قل : هو الله واحد] القائل هو الله وليس النبي ، لهذا السبب عندما ينقل المسلم قسما من كتابه المقدس ، يستعمل هذه العبارة « قال الله تعالى » واذا كانت احاديث نبوية يقول « قال النبي عليه الصلاة والسلام » ، لهذا السبب لا يمكن ترجمة القرآن الى لغة اخرى بشكل يليق به ... ويستمر في كلامه ويقول ... لهذا السبب على كل مسلم ان يكون له معرفة باللغة العربية ولو قليلة .. علاوة على ذلك كل قوم يدينون بالاسلام تدخل الى لغتهم الفاظ عربية كثيرة ، وفي مدة قليلة وفي اولها المصطلحات الدينية والقضائية ومن ثم الالفاظ العلمية ..][20] .

يقول نولدكه [ان الحضارة والمدنية اليونانية ما كان لها تأثير سوى تأثير سطحي على حياة الشعب الايراني ، لكن دين العرب وآدابه ورسومه ، نفذ الى قلب الايرانيين][21] .

نستنتج من هذه الاراء بان الكلمات والمصطلحات الدينية العربية قد اخذت طريقها الى اللغة الفارسية نظرا لحاجتها اليها من جهة ومن جهة اخرى اغنت اللغة الفارسية ، ويمكن تقسيم هذه الالفاظ والمصطلحات على النحو الاتي :

الله . قرآن . رسول . سورة آية ـ عشرة . شهادت اية الكرسي ـ فاتحة ، « اسماء الانبياء والمرسلين » من « آدم وابراهيم الى محمد المصطفى » ـ خليفة ، صحابة ، امام ، حج ، زكاة ، فطرة ، مناسك الحج ، عمرة . قربان . فديه . صفا . مروة . كعبة . احرام . صلاة . آذان . ركعت .

سجدة • اقامت • تنزيلة • تكبير • صلوات • دعا • رمضـــان • صـــوم • سحور • افطار • تراويح • جمعة • خطبة • معراج • ليلة القدر • نكـــاح • طلاق • زواج • تعزية • ختم • مولود • ذكر • حال • تصوف • صوفي • عارف • وجد • مقامات • سير وسلوك • فنا في الله • الحق الالهي • جنة • نار • صراط • جهنم • اعراف • برزخ • يوم حساب • يوم قيامة • طاعت • يتيم • فقير • احترام « اسماء الملائكة » • صور اسرافيل • قبر • مزار • مرقد • جهاد • منافق • ملحد • مشرك • جزا • عقاب • ثواب • • حلال • حرام • بركـــة • مبارك •••

وهي نماذج قليلة من الكلمـــات والمصطـــلحات الدينية التي دخلـــت الفارسية • ولايزال اكثر هذه الالفاظ والمصطلحات مستعملا في لغات شعوب المشرق ، وقد سدت هذه الكلمات والمصطلحات فراغا كبـــيرا في اللغـــات الشرقية وادت الى اغناء هذه اللغة غناء لا نظير له •

٢ ــ الكلمات والمصطلحات العلمية :

قبل ان نقدم قائمة بنماذج من الكلمـــات والمصطلحـــات العلميـــة العربية التي دخلت لغات المشرق وخاصة الفارسية نقدم ما يقوله الاســـتاذ الدكتور فؤاد عبدالمعطي الصياد [فالحق ان العرب لم يقفوا موقفا ســـلبيا في ميدان العلم ، بل كانوا سباقين ايضا الى المساهمة الجـــدية في تكويـــن تراثهم ، فصار لهم في تاريخ العلوم والاداب مجد متألق لا يمكن ان ينكـــر او يجحد كلما ذكرت الثقافة العربية المجيدة وذكر القوامون عليها • ولقـــد اجمع الباحثون على ان الحضارة العربية كانت اعظم ما شـــهدها العـــالم طوال العصور الوسطى ، وعلى أن فضل العرب واضح بارز لا على اوربـــا وحدها بل على البشرية جمعاء • ذلك ان العرب الذين اقاموا دولة عظيمـــة مترامية الاطراف لم يكونوا مثل غيرهم من الشعوب التي انسابت في جوف آسيا في العصور الوسطى لتهدم وتخرب وانما صـــاحب العـــرب الامـــن

والاستقرار اينما حلوا ، اذ انهم نشروا مبادىء ومثلا عليا من التسامح والاخاء والمساواة ، فتحولت انظار العالم الاسلامي في ظل رعايتهم الى مراكز حضارية يشع منها نور العلم وبريق العرفان][22] .

ويقول المستشرق ادوارد براون ان العربية [من اصلح اللغات لتأدية الاغراض العلمية ، فهي غنية الاصول والمشتقات الناتجة عن هذه الاصول ، والمشتقات فيها كثيرة وهي تتفق مع الاصل في اتصالها به من حيث المعنى وان تحور معناها قليلا بحسب اشتقاقها او صياغتها][23] .

ان الالفاظ والمصطلحات العلمية التي دخلت الفارسية يمكن تقسيمها الى الاقسام التالية :

١ ـ المصطلحات العلمية الصرف :

مثل العلوم الرياضية « الحساب والهندسة والجبر » وعلوم الطب والصيدلة والادوية وعلم الكيمياء وعلم الفلك والهيئة والنجوم وعلم الموسيقى ، المصطلحات اكثرها عربية . وقد استعمل من قبل العلماء من العرب ومن اهالي المشرق ، مثل : طبيب . حكيم . مريض . عيادة . قارورة. ادرار . مدفوع « خروج » . دورة دموية . تنفس . شهيق . زفير . هضم. امعاء . احشاء . كلية . مثانة . دوا . قرص « حب » ، وهكذا اسماء اكثر الامراض واسماء الاعشاب والادوية والعقاقير .. حساب . هندسة . جبر . مقابلة . زاوية . مربع . مساحة « مساحت » كرة . مكعب . سطح . مائل . مستقيم . خط . نقطة . دائرة . جذر . مثلث ... الخ .

كيمياء . تفاعل . تبخر . غاز . قطران . معادلة .. الخ .

فلك . نجوم . سماء . بروج . سيارات . شمس . قمر . كسوف . خسوف . منازل قمر . هلال . محاق . بدر . واسماء الكواكب والبروج ... الخ .

٢ ــ الفلسفة وعلم الكلام والتصوف :

فلسفة • كلام • منطق • تصوف • صوفي • فيلسوف • متكلم • سير وسلوك • وادي « اسماء اودية السير والسلوك في التصوف » •

٣ ــ التاريخ :

عدا اسماء الكتب وعناوين كثيرة من الكتب التاريخية هناك مجموعة من المصطلحات التاريخية :

تاريخ • عصر • سلطة • ملك • سلطان • سلطنت • خليفة • امير • وزير • حاكم • قاضي • كاتب • صاحب خزينة • صاحب شرطة • حاجب • جلاد • ديوان • رسالة • محتسب • فتوة • عيارين • غزو • هجوم • ميمنة • ميسرة • قلعة • منجنيق • الحوادث التاريخية والظواهر الاجتماعية كالاعياد والمناسبات الرسمية ... الخ •

٤ ــ الجغرافيا :

مصطلح الجغرافيا • اقاليم • قارات « الكرة الارضية » • مدار • خط استواء • خط طول • خط عرض • جزيرة • شبه جزيرة • صحراء • موج • مد • جزر • معادن • مساحة • جمعيت • « نفوس » ناحية • جنوبي • شرقي • غرب • جنوب • شمال • قطب شمالي • قطب جنوبي • محيط • اوقيانوس • ارتفاع • مغرب • مشرق • موقعين ممتاز • توليدنفت • قطر • محصول • حدود • خليج • نخل « نخلستان » • معدن • صنعت • صنايع فلزي • صنايع غذائي • معتدل • تقسيمات • اداري • مواد اولية • عميق • ارتباط • مركزي • صيد • مرطوب نتايج كلي ... الخ •

٥ ــ العلوم :

محيط طبيعي • منابع نباتي • مواد خام فلزي • نباتات صنعتي • مشخصات طبيعي • هواء • فضاء • نبات • حيوان • زلزلة • نقاط ارتفاعي •

امواج • ارتعاش اجسام جامد • تجزية صوت • شدت صوت • انتشـار امواج • مناطيس • تشعشع • انطباق وجبران • مقاومت صالح • متوازي السطوح • نافذ وغير نافذ • تلألؤ • انواع تركيب • حركت ذرات • فعل وانفعالات • منظومة شمس • قدر مطلق • طيف • مولد •

٦ ـ الأدب :

ا ـ تاريخ الادت : ـ

تاريخ ادبيات • شعر • نثر • وزن • عروض • قافية • قصيدة • غزل• رباعي • تشبيب • نسيب • حماسة • ملحمة • قصة • « اسـماء لبحـور العروض » • اقسام القوافي • اصطلاحات البيان والبديع والبلاغة • مدح • هجاء • هزل • رثاء • لغت ••• الخ •

ب ـ الكلمات والمصطلحات العربية الموجودة في النصوص الفارسية ، شعرا ونثراً : ـ

سمر • عماري • وبال • معجون • عفا الله • تطاول • رباط • تقربـا الى الله تعالى • نزهت • ذو الاكتاف • معيشت • قطران • مؤنت «المؤونة» بديل • مشيب • شباب • حلة • قصيب • رطيـب • مجيـب • صلصل • خنازير • قدوة • مهذب عاجل • آجلة • مخلد • منحط • فتنه • نقاب • سفينة • اهل بيت • ملك • جبال • عاصي • نبيذ • صعب • صلا • صدمت « صدمة » • مهابت « مهابة » حرب • ورد • اعمى • طبلة عطار • معمور • فرقان • كسوت • بلعجب • طرفة • عقد • ابتر • لحن • بعينه • توقيع • تعليق • بعد الصدر والدعاء • حاجب • امير ماضي • لطايف حيل • انقباء • رضى الله عنه • مضيق • عين اليقين • تثليث • هنيئا لـك • صوامـع • يد بيضاء • احتجاج • قوس قزح • راجل • يهين • قرابت • « الشـيخ في القبية كالنبي في الامة » • مولع • جل جلاله • لمس • ذوق • ضـجرت • مصدق • تلطف • قبل • فلاح • طامع • حقـود • شـاورهم في الامـر •

استطلاع • تبارك وتعالى • مصاف • قدس الله روحه • رحمة الله عليه • سياق • مآكولات • مضافات • ايام مسترقة • طاير تصوير • غماز • شهرة • تعبية • تدارك • صاحب بريد • عائلة • مذهب • قيلولة • مظالم • قضا • ورع • حر • حلاوت • دواب • ادرار • اضغاث • احلام • فصاد • تصحيف • مضمحل • محتاج اليه • حسبه الله • يطر • حاذق • الصبر مفتاح الفرج • دهليز • عدول • امم • تباين • سنت • بدعت « البدعة » • باطنية • ناجي • تشكيك • خرق عادت • حاسة • مداهنت « مداهنة » • بضاعت « البضاعة » • احتمال • معضلات • رقيب •

صبح • غار • غم • صدره • جيب • ويحك • سقف محنت • روح القدس • موكل • مشبك • طيب • مشاورة • نمط • مؤاخذت ومعاتبت « المؤاخذة والمعاتبة » سهيل • اديم • ذم • كهف • فضله • ارامل • اقارب • جيران • اعتاق • عوض • فاقة • عشا • اوراد • الفقر فخري • يد عليا • يد سفلى • محكم تنزيل • كفاف • معجب • نفور • مفتتن • من أذى • ممسك • رقعة • توابع • « لئيم الطبع » معصم • حصار • مستعار • سقط • حليف • خمر • كفور • ضجور • ملاهي • نغم • بط • ما مضى نسق • وقاية • عصابة • تعويذ • حبذا لعبت • فعال ما يشاء وما يريد • زي • دأب • عقد اخوت • استبداد صغير • لا تعد ولا تحصى • مقتدا • قدوة • حرم • منظر • روح الله • يرقع • شعر • كبار • خذلان • جزف • أم الخبائث • نفقة • منافق • ناقوس • عورت • صداع • نصيبه • فتى العسكر • علت • مجمر • زعيم • جزع • مثبت • منشور • ثقاب • خلل • رايت • تلطف • مغايظة • خضرا • طرائف • قصب • مرصع • صحن • منغض • افتعال • لطايف حيل الكفاة • تغير • ثغر • عرصات • اقالت • بيع • حمل • سلوى • بلوى • محن • مفتون • احوال • طامع • فضول • بخل • جذبه • حبل المتين • رضوان • بدايت • ذو القرنين • تحريض • زخارف •

كحلي ، اخضر ، مقدم ، مستثنى ، ترشيح ، تعلم ، وقوف ، مخير ، مدخر ، سايق ، انتفاع ، استمتاع ، شافي ، ثواب ، رحلت « رحلة » تقصير ، عماد ، جثة ، برفور ، قاصر ، راجح ، منتظر ، فراغ ، تمهيد ، علت ، مزمن ، صحت ، خفت تحري ، حطام ، سياقت ، مخاصمت ، مستغرق ، مواهب ، متواتر ، عزيمت تأويل ، اسلاف ، ايقان ، تيقن ، اقتصار ، اذا ، بعث ، انفاق ، تعفف ، حصين ، الف ، تمسك ، مستولى ، مقالج ، متاع غرور تبعات ، رضاع ، فتك ، ضجرت ، صواعق ، تجرع ، رجاحت ، افاضت ، اصطناع ، مدروس ، منهزم ، عاجل ادخار ، طيارة ، علف ، نحل ، آلت « آلة » ، خيرات ، صدقة ، طالع ، مغنى ، مهد ، قماط ، ثمين ، سماط ، تعبية ، منخسف ، « من الخسوف » ، امطار « جمع مطر » ، هذا جزء قليل جدا من الكلمات والمصطلحات العربية الموجودة في النصوص الفارسية « شعرا او نثرا » ، ونكتفي بهذا المقدار ، والقليل يدل على الكثير .

ج ـ هناك مواضيع أدبية اقتبستها أمم المشرق وتأثرت بها في آدابها شعرا ونثرا :

اولا : الادب الصوفي والقصص الديني :

يقول الدكتور طه ندا [كانت قصص القرآن الكريم مصدرا أفاد منه كثير من شعراء الفرس ، ومن هؤلاء مثلا الفردوسي الذي قضى من حياته جانبا كبيرا في مدح الملوك ونظم سيرهم وتواريخهم ثم ادرك في آخر أيامه أنه قد انحرف عن جادة الصواب وأن ما فعله لم يكن فيه خير ولا غنى وهو يعبر عن ندمه على ما ضيع من عمر وجهد بقوله انه كثيرا ما نظم الدرر في سير الملوك والقدماء وتحدث... ولهذا نراه يتجه الى القصص الديني في القرآن ويتخذ منه مادة نظم جديدة كما فعل في منظومته « يوسف وزليخا »][٢٤] .

لقد أملى اعتناق المشرق للدين الاسلامي الحنيف ان تتأثر لغاته وآدابه وعاداته بمعطيات الثقافة العربية ومن مظاهر هذا التأثير ، اهتمام المشرق

بالناحيه العرفانية والافكار الصوفية ودراسة كتب التصوف العربية مثل اللمع وطبقات الصوفيه والتعرف لمذهب اهل التصـوف ، والرسـالة القشـيرية وكتابات محي الدين بن العربي . وهذا ادى الى ظهور ونبوغ عـدد مـن العلماء والعرفاء في هذا المسلك مثل الغزالي الذي الف معظم كتبه بالعربيـة ومنها : احياء علوم الدين ، والسنائي الغزنوي ، والعطار وعبدالرحمـن الجامي صاحب كتاب « نفحات الانس » الخ .

ثانيا ــ المعراج :

يقول الدكتور بديع جمعة [حفل الأدبان العربي والفارسي بالعديد من القصص والملاحم التي اتخذت من المعراج النبوي محورا تدور حوله ومنطلقا الى فضاء الفكر الرحب حيث تعالج مسائل فلسفية او صوفية او اديبـة او وطنية . ومما لاشك فيه ان جميع هذه القصص والاعمال الادبية قد تأثرت بشكل من الاشكال بمعراج الرسول الكريم عليه السلام الى سدرة المنتهى . فالفكر اسلامية ولذا الهبت مشاهر ادباء المسـلمين على اختـلاف لغاتهـم وآدابهم نعالجوها كل بطريقته الخاصة ومما لا شك فيه ايضا أن جميع ادباء الغرب الذين تحدثوا عن المعراج في اعمالهم الادبية قد تأثروا هم الاخـرون بهذا التراث الفكري الاسلامي][٢٥] . ان جميع قصص المعراج مرجعهـا واصلها تعتمد معراج النبي « صلى الله عليه وسلم » الذي ذكر في القرآن الكريـم :

« سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحـرام الى المسـجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » الايـة (١) سـورة الاسـراء .

لقد قام الادباء والمتصوفون بالكتابة عن المعراج واكثر هذه الكتابات بالشعر ونذكر هنا اسماء قصص المعراج عند العرب وكذلك عند المشرقيين

والذين كتبوها باللغة العـربية او بالفارسية تأثـرا او اعتمـادا واقتباسـا مـن العـربية .

١ ــ معراج ابي يزيد البسطامي(٢٦) :

اول معراج يصل الينا وقد كتبه البسطامي باللغة العربية وترجمه الـى الفارسية فريد الدين العطار في كتابه تذكرة الاولياء .

٢ ــ رسالة الطير لابن سينا(٢٧) :

يتصور ابن سينا نفسه يطير مع الطيور ... للوصول الى المليك الذي يخلصه من الشـباك .

٣ ــ رسالة الغفران لابي العلاء المعري(٢٨) : ــ

كتب ابو العلاء هذه الرسالة في آخر ايام حياته ، وبعـد أن تجـاوز الستين من عمره اي في حوالي « ٤٢٤ » هجرية وتوفي في « ٤٤٩ » هجرية . لقد تأثر « دانتي » الشـاعر الايطالي في رسـالته « الكوميديا الالهيـة » بابي العـلاء المعـري .

٤ ــ رسالة الطير :

للغزالي ــ باللغة العربية وهي المصدر الذي اخذ منه العطار الفكـرة الاساسية في منظومته « منطق الطير »(٢٩) .

٥ ــ سير العبادة الى الميعاد ــ للنسائي الغزنوي(٣٠) :

منظومة شعرية على لسانه وانه يبـدأ معراجـه حيـث يتخيـل بأن شيخا نورانيا يأخذه معه في رحلته ..

٦ ــ جاويدنامه للعلامة محمد اقبال اللاهوري(٣١) :

تعد « رسالة الخلود » من اعظم اعمال اقبال ــ انها كوميدية الهيـة شرقية والفكرة الاساسية التي تدور حولها هذه المنظومة هـي المعراج وان

جاويد نامه هي الكتاب الرابع لاقبال الذي انتشر في سنة ١٩٣٢م • ويمكن مقارنتها مع الكوميديا الالهية لـ « دانتي » وتم ترجمة هذه المنظومة الى اللغة الايطالية من قبل البروفسور « السانرو بائوزاني » •

هنا نرى أن تأثير العربية من خلال الاسلام لغة وادبا وفكرا كان عظيما فأن فكرة المعراج وقصته تتعدى الحدود حتى تصل الى شبه القارة الهندية واقصى المشرق •

٧ ـ منطق الطير لفريد الدين العطار(٣٢) :

اخذ العطار اسم هذه المنظومة ـ وهي عبارة عن معراج على لسان الطيور ـ من القرآن الكريم وذلك من قوله تعالى « وورث سليمان داود وقال : يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين » الاية « ١٦ » سورة النمل •

يقول المستشرق الالماني ريتر : [ان رسالة الطير للغزالي كانت المصدر الذي استوحى منه العطار الفكرة الاساسية في منظومته منطق الطير](٣٣) •

وفي « المعراج » من الدلائل على ان القرآن الكريم واللغة العربية كانتا بحرا زاخرا فياضا يمد اللغات والاداب بالمعاني والافكار والمضامين ما يوضح اثر العربية في الشرق •

ثالثا : فن المقامات : ـ

قال الدكتور حسين علي محفوظ في محاضراته [من الحقائق الادبية انه عندما يظهر اي موضوع او فن عند العرب • يظهر ذلك بعد قرنين او اكثر عند المشرقيين وهذا ينطبق على المواضيع والفنون الموجودة في الادب العربي التي انتقلت الى ادب المشرق وخاصة الادب الفارسي](٣٤) • وهذا الكلام ينطبق تمام الانطباق على فن المقامات حيث ظهر هذا الفن من الادب عند العرب في القرن الرابع اذا اعتبرنا بديع الزمان هو الرائد ومن ثم ظهر في الفارسية في القرن السادس •

ويقول الدكتور بديع جمعة في بحثه عن المقامات في الادبين العربي والفارسي ما يلي [يجمع كل من كتبوا عن فن المقامات على ان هذا الجنس الادبي نشأ اولا في اللغة العربية ، ثم انتقل بعد ذلك الى اللغة الفارسية وكانت المقامات الفارسية التي انشأها القاضي حميد الدين تقليدا لمقامات كل من بديع الزمان الهمذاني والحريري][٣٥] •

وكذلك يقول المرحوم ملك الشعراء بهار ما يلي [ان أقدم مكان نرى فيه استعمال كلمة « مقامه » هو « تاريخ البيهص » ••• وكذلك كان لابي نصر مشكان او بناء على رأي آخر كان للبيهقي كتاب باسم « مقامات ابو نصر مشكان » التي نقل « محمد عوض » فصولا منها في كتابه « جوامع الحكايات » ••• ولكن « قام القاضي حميد الدين بتقليد مقامات كل من بديع الزمان والحريري ، ويبدو انه كان اكثر تطلعا الى مقامات الهمذاني ••][٣٦] •

ويقول المستشرق ادوارد براون عندما يتكلم عن « مقامات الحميدي » ما يلي : [وضع هذه المقامات القاضي حميد الدين ابو بكر البلخي •• وهي تقليد فارسي للمقامات العربية الذائعة الصيت التي وضعها بديع الزمان الهمذاني والحريري اللذان يرجع اليهما الفضل][٣٧] •

وان اول « مقامات » نراها في الادب الفارسي هي « مقامات الحميدي » وفيها العديد من مظاهر التأثر بالمقامات العربية وقد نص القاضي حميد الدين في مقاماته الحميدية بأنه انشأها ورتبها على غرار مقامات الهمذاني والحريري[٣٨] •

ثم الاطار العام ومواضيع « مقامات الحميدي » هي نفسها موجودة في المقامات العربية وكذلك عدد المقامات ، وقد استعمل القاضي حميد الدين في مقاماته كثيرا من الالفاظ والجمل والعبارات والاشعار العربية •

وبسبب تأثر حميد الدين باللغة العربية وبالمقامات العربية احتفظت صياغة الجملة بالاسلوب العربي .

والمقدمة العربية التي كتبها القاضي حميد الدين لمقاماته دليل واضح على اجادته العربية واتقانها وبراعته فيها رصع القاضي حميدالدين مقاماته التي هي نثر ، بالشعر العربي والامثال العربية والايات القرآنية والاحاديث النبوية . ان السجع والعناية بالصنعة والبديع ومما يذهب فيه الحميدي مذهب الحريري في المقامات ، فضلا عن الافكار .

قال الاستاذ زكي مبارك في كتابه النثر الفني في القرن الرابع [ان بديع الزمان شخصية نادرة المثال واسجاعه احيانا ارق من الزهر المطلول ، ولكن المنصفين في الناس قليل ، الم يجرؤ احد المتحذلقين على ادعاء ان نثر بديع الزمان لا يقرأ اذا ترجم الى لغة اجنبية ؟ لقد ترجمنا نماذج من مقاماته ورسائله الى اللغة الفرنسية فكانت تحفة في عين من رآها من الفرنسيين ، ولكن اكثر المحدثين لايعرفون اسرار الادب القديم](٣٩) .

رابعا ـ مجنون ليلى :

يقول الدكتور طه ندا عن قصة ليلى ومجنون [هذه القصة مثل للتأثير المتبادل في الاداب ..](٤٠) .

وكذلك يقول الدكتور بديع محمد جمعة [سبق الاشارة الى ان اخبار ليلى وقيس قد انتقلت الى اللغة الفارسية وآدابها ابان القرن السادس الهجري ، وحظيت باهتمام العديد من أدباء ايران سواء اكانت هذه العناية تمثلت في اشارات سريعة مقتضبة ومتناثرة كما هو الحال في الادب العربي ، او كانت هذه العناية قد تمثلت في صورة منظومات شعرية متكاملة عنيت بجمع شتات القصة وصياغتها مرتبة ترتيبا يربط بين احداثها ويخرجها في صورة قصة لها بداية وعقدة ونهاية ...](٤١) .

هكذا نرى تأثير القصص العربية والملاحم والبطولات والاحداث التاريخية في ادب المشرق • لقد تأثر شعراء الفرس بقصة مجنون ليلى وذكروها في ابيات او قطعات في أشعارهم وقام بعضهم بنظم القصة على شكل منظومة متكاملة واول من إبدع في هذا النمط من شعراء المشرق هو الشاعر « نظامي الگنبجوي » توفى في حوالى « ٦٠٤ » هجرية وهو آذري الاب كردي الام • كما يقول في مقدمة قصة ليلى ومجنون[٤٢] ، وقد قام شعراء آخرون من المشرق بتقليد نظامي وصياغة قصة مجنون ليلى ، ومنهم[٤٣] :

١ ـ امير خسرو الدهلوي : نظم القصة في « ٢٦٦٠ » بيت في سنة ٨٨٩ هـ •

٢ ـ نورالدين عبدالرحمن بن احمد الجامي « ٨١٧ـ٨٩٨ » •

٣ ـ عبدالله هاتفي خرجردي الخراساني توفى ٩٢٧ هـ •

٤ ـ مكتبي الشيرازي : من شعراء القرن التاسع الهجري نظم منظومته ليلى ومجنون في سنة ٨٩٥ هـ « ٢١٦٠ » بيت وآخرون •

ولم يقتصر تأثير منظومة او قصة مجنون ليلى العربية ـ عن طريق نظامي فقط على شعراء الفرس بل تعدى الى الاداب الاسلامية الاخرى وخاصة الادب التركي • علما بأن تأثير هذه القصة في الادب الكردي واضح ايضا وان موضوع وبيان تأثير العربية في الكردية يحتاج الى كتاب مطول وبحث مخصوص •

وقد احصى الاستاذ الدكتور حسين علي محفوظ الاعمال الادبية التي تأثرت بقصة « مجنون ليلى » وقصة « يوسف » في الاداب الشرقية وهي متناثرة في ابحاثه ودراساته •

خامسا : أساليب الشعر واغراضه : ـ

لقد قام الفرس بعد الاسـلام بنظم اشـعارهم على الاوزان والقوافي والقوالب والاغراض العربية ، من قصيدة وغـزل وقطعـة ورثاء ومـدح ولغـز وهجـاء .

سادسا : ـ

وتأثر شعراء المشرق ومنهم الفرس بمشـاهير شـعراء العـرب امثال ابن الفارض والمتنبي وأبي العلاء المعري والبحتري غير شـعراء الجاهليـة قبـل الاسـلام .

وعلى سبيل المثال : نرى ان سعدي الشيرازي ـ خريج المدرسة النظامية في بغداد ـ قد تأثر تأثرا كبيرا بالمتنبي في كتابة مكياته وشـعره ونثره هذا علاوة على تأثره بالقرآن الكريم والحديث الشريف والقصص والحكـايات والحكم وامثال العرب كما تأثر بالعديد من الشعراء يقول الاستاذ الدكتور حسين علي محفوظ في كتابه « المتنبي وسعدي » تحت عنوان اثر معاني المتنبي في الادب الفارسـي :

« ديوان المتنبي كان سائرا مشهورا في ايامه ، اتخذه اهل الادب جليسا فحذوا حذوه ، واقتدوا به ، وضمنوا ابياته ، واقتبسوا معانيه . وقد كانت مطالعته من شرائط صناعه الكتابة .. حكي ان اثنين او ثلاث من قصـائده صار يعد من ضرورات الادب وامارات الفضل .

قال الرشيد الوطواط : كل الشعراء الاسلاميين عيال على المتنبي ، ويبين تصفح دواوين شعراء المشرق وآثار ادبائه تأثرهم بأخيلة المتنبي واخذهم من معانيه ومنهم : الامير ابو الحسن علي بن الياس الاغاجي البخاري ، المعاصر للدقيقي العنصري البلخي (٤٣١ هـ) .

المنوجهري الدامغاني (٤٣٢ هـ)

فخرالدين الگرگـاني (٤٤٢ هـ/ظ)

الحكيم قطران التبريزي (٤٦٦ هـ/ظ)
الاسـدي الطوسي (٤٦٨ هـ/ظ)
مسعود سعد سلمان (٥١٥ هـ)
امير المعـزي (بين ٥١٨ـ٥٢١ هـ)
الاديب صابر الترمزي (٥٤٦ هـ)
الانـوري (٥٦٥ هـ)
جمال الدين الاصفهاني (٥٨٨ هـ)

واشار في فصل تمثل الكتاب والمؤلفين بشعر المتنبي الى عناية مشـاهير الكتاب وافاضل المؤلفين بشعره ، وحرصهم على التمثل بفصوص من امثالـه وغرر حكمه وعدد أهمهم ، ومنهم :

الهجويري الغزنوي (حدود ٤٧٠ هـ)
البيهقي الكـاتب (٤٧٠ هـ)
الغـزالي (٥١٥ هـ)
عين القضاة الهمداني (٥٢٥ هـ)
نصر الله بن محمد بن عبدالحميد المنشيء
النظامي العروضي السمرقندي
مؤيد الدولة منتجب الدين بديع اتابك الجويني
ابن فندق البيهقي (٥٦٥هـ)
الظهيري السمرقندي
رشيد الدين الوطواط (٥٧٣ هـ)
افضـل الدين الكرمـاني
بهاءالدين محمد بن المؤيد البغدادي (٥٨٨ هـ)
محمد بن غـاز الملطيوي
محمد بن علي بن سليمان الراوندي

ابو الشرف ناصح بن ظفر بن سعد المنشيء الجرقادقاني
سعدالدين الوراويني
محمد العوفي
شمس الدين محمد بن قيس الرازي
حميد الدين الكرماني
بهاء الدين محمد بن حسن بن السفنديار الكاتب
الزيدري
نجم‌الدين الرازي
علاءالدين عطا ملك الجويني
منهاج بن سراج الجوزجاني
جلال الدين المولوي
الخواجة الطوسي
سيف بن محمد بن يعقوب الهروي
رشيد الدين فضل الله بن ابي الخير
ناصر الدين المنشيء الكرماني
هندوشاه بن سنجر الصاحبي النخجواني
وصاف الحضرة
محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن النظام الحسيني اليزدي.
(٧٤٣هـ)

هذا وعدد الاستاذ الدكتور محفوظ ايضا من مآخذ سعدي من الشعراء عشرات الشعراء الذين اقتبس سعدي من معانيهم ، ومن فحولهم : ابن الرومي . والبستي ، وابو تمام ، وابو نواس ، والصاحب بن عباد ، وابن سكرة ، والخليل وكشاجم ، والزاهي ، وامرؤ القيس ، والعرجي ، وصالح بن عبدالقدوس ، والقطامي ، وابن الوردي ، والفرزدق والمعري وحاتم الطائي.

وابن قلاقس ومحمود الوراق ، وعبدالمحسن الصوري ، وابو الشيص ، والقاضي الفاضل ، والنابغة الذبياني ، وجرير ، وابو فراس الحمداني ، وعمر ابن ابي ربيعة ، وابو دهبل ، والعباس بن الاحنف ، وابن الفارض وقيس العامري ، والارجاني ، وابو العتاهية ، وبشار بن برد .. وهم جميعا « ١١٥ » شاعرا .

وفي فصل مآخذ سعدي من معاني المتنبي ما يؤكد اعجاب سعدي بمعاني المتنبي وامثاله السائرة وحكمه المعروفة وصوره وتشبيهاته فقد بلغ ما اقتبسه من أخيلة المتنبي (١٠٣) معنى في (٣٠٠ موطن) .

هذا اضافة الى الاقتباس من (١٠٢) آية و (٩٧) حديثا و (١٤) حكاية و (٨٦) مثلا(٤٤) .

سابعا :

تأثر شعراء المشرق في اشعارهم بمواضيع الشعر العربي كالبكاء على الاطلال وعلى فقد الحبيب ومن امثلة ذلك :

قول الامير المعزي في قصيدته « أي ساربان منزل مكن جزدر دياريارمن »(٤٥) .

وسعدي الشيرازي في قصيدته « اى ساربان آهسته روكارام جانم مى‌رود »(٤٦) ...

هناك فنون ومواضيع اخرى في هذا الباب تأثر شعراء الفرس فيها بمعطيات الادب العربي وموضوعاته تفصلها محاضرات الادب المقارن وما قيل فيه وما كتب عنه .

ثامنا ـ اللغة والقواعد :

دعا القرآن الكريم واللغة العربية المشرق الى تعلم قواعد هذه اللغة وفهم مفرداتها واستيعاب كلماتها ، وكان « العين » للخليل ابن احمد

الفراهيدي المعجم الاول في العربية ومن هنا ابتدأ العمل المعجمي في الشرق، وقد اوحت فكرة المعجم الى الشاعر الاسدي الطوسي في اواسط القرن الخامس الهجري ان يؤلف المعجم الاول في الفارسية بعد ثلاثة قرون من عمل الخليل وقد سماه « لغت فرس » وهو قاموس صغير ساذج يشتمل على « ١٢٧٥ » كلمة فقط . وظلت الفارسية تستعين بالعربية وتستمد منها ونعول عليها اربعة عشر قرنا منذ الفتح حتى هذا العصر . ولقد ادى تلقيح الفارسية المستمر بالكلمات والالفاظ العربية ان يصبح معجمها قاموسا ضخما يحوي حوالي « ١٢ الف » كلمة تقريبا . والفرق الكبير جدا بين المعجمين الاول والاخير والنسبة كبيرة مدهشة بين « ١٢٧٥ » كلمة و « ١١١٨٨٠ » كلمة وقد يستطاع تصنيف الالفاظ العربية المستعملة في اللغات الشرقية وآدابها وتقسيمها الى فئات :

١ ـ الالفاظ المستعملة مع تغيير اللفظ .
٢ ـ الالفاظ المستعملة مع اختلاف المعاني .
٣ ـ الكلمات المنونة .
٤ ـ المصادر الصناعية .
٥ ـ الكلمات ذوات هاء التأنيث فكتبتها بالهاء واخفتها في التلفظ ، او بالتاء، وتلفظت بها في الوقف والادراج .
٦ ـ الجمل والمركبات الاسنادية .
٧ ـ اشباه الجمل والعبارات .
٨ ـ التراكيب الاضافية .
٩ ـ التراكيب المزجية .
١٠ـ التراكيب النسقية .
١١ـ المركبات المؤلفة من الباء ولفظ آخر .
١٢ـ المركبات المؤلفة من « بلا » ولفظ آخر .

١٣ــ المركبات المؤلفة من « لا » ولفظ آخر .
١٤ــ المركبات المؤلفة من « لم » ولفظ آخر .
١٥ــ التراكيب الملمعة من كلمتين عربية وشرقية ، التي اول جزأيها عربي
١٦ــ التراكيب الملمعة التي ثاني جزأيها عربي ، وقد ركبت مع :
أ ــ خوش ب ــ هم ج ــ نا د ــ بد هـ ــ كم
و ــ با ز ــ بي ح ــ بر
١٧ــ التراكيب الملمعة المكسوعة بلفظ « لي » او « لو » .
١٨ــ التراكيب الملمعة المكسوعة بلفظ « جي » .
١٩ــ التراكيب الملمعة المكسوعة بلفظ « سر » .
٢٠ــ التراكيب الملمعة المكسوعة بلفظ « لق ــ أو ــ لك » .
٢١ــ الالفاظ الملمعة المكسوعة بلفظ « جه » .
٢٢ــ التراكيب المترادفة .
٢٣ــ الجموع
٢٤ــ الافعال المركبة
٢٥ــ اسماء الناس
٢٦ــ اسماء البلدان
٢٧ــ اصطلاحات العلوم والفنون
٢٨ــ الامثال والحكم
٢٩ــ المثنيات
٣٠ــ الصفات
٣١ــ الالات والادوات
٣٢ــ المصادر المركبة
٣٣ــ الاشتقاقات المبتدعة
٣٤ــ الالفاظ المولدة

٣٥ـ الالفـاظ المغرسـة

٣٦ـ الالفـاظ المتـركة

اضافة الى التراكيب الاضافية المصدرة للفظ :

« دو » و « ذات » و « داء » و « حشينة » و « حجـر » و (حب)
وسائر التراكيب العربية كالجار والمجرور وما ركب مع « فوق » و « تحت »
و « أم » و » بنت « و « أب » و « ابن » و « ابو » وغيرها من الالفاظ •

ويلاحظ في النصوص :

أ ــ نصوص الفاظها كلها عربية تقريبا ما عدا الافعال ومن امثلتها ما هو موجود في كتاب « دستور الوزراء لخوندمير » •

ب ــ استعمال الجمل العربية لاظهـار مهارة الكاتـب ومـن امثلتها مقامـات الحميـدي •

ولانزال المصطلحات العربية تملأ كتـب الصـرف والنحو والقواميس وكتـب اللغـة مثل :

فعل • انواع الفعل • اسم • حرف • صفت • ظرف « قيد » حـرف جـر • حرف ربط • مفعول • متمم • مباشر • متمم غير مباشر • نـدا • اصوات اضافة • ضمير • اشارة • موصول • استفهام • سؤال • حالت اسم • فاعل • مسند • مسند اليه • اعراب • ضمة • فتحة • كسرة • سـكون • وجه اخباري • وجه التزامي • وجه مصدري • وجـه امري • مذكـر • مؤنث • جمع • جمع تكسير • مفرد • نفي • نهي •• الخ •

لغة • كلمة • لفظ • جملة • فقه لغة • صامت • مصـوت مركـب • اجزاء جملة • امتداد • انسداد • تكية قوي • هجائي • انقباضي • تاريخ « زبان » وجه تأكيدي • تحليلي • تحولات صرفي • تحولات نحوي • تحول

الفاظ • تحول معاني • تركيبي • تكية ارتفاع • تكية شدت • تكية عاطفي • تكية كلمة • تكية موسيقي • تكـية نفسي • تمنياتـي • جـزء صرفي • جنس • حلق • حلقي • حنجرة • خيشوم • خيشومي • مصورت • مختلة • مجهول • ملفوظ • كمي • شخصي • شـدت • صرفي • صفيري • عدد • غضروف • غنة • غير تام • كلمات تاريخي • كيفي • لين • مادت • مدلول • « مسافت شنوائي » مصوت محدود • مصوت متصور • مصوت مركب • معنى • مفارق • ناصين • نفسي •• الخ •

٩ ـ ومن مصطلحات الصنائع والحرف والزراعة مثلا :

تاجر • بقال • قصاب • عطار • لبنيات • زراعت • مزرعة • صـنايع • محصول • فلز • ظروف غذا • بذر • برق • سراج كفاش • خياط •

معدن • معدنيات • قلم معدن • كيسة معدن • هواى كثيف معدن • ذوب • لوله فلزي • عيار • عشر « حق اسـتخراج معـدن » • مفرغ • اختلاط • مخلوط • قالب • شكل • درجه • شكل ميثالي • مفتول •

اسطرلاب خطي • صفحة « مس » • لحيم • لحيم قلـع • دوات • منقل • منقل بخاري • حديدة • سطل • سطل سقا خانه • نجاري • هاوية • طبق • ورق قلع • قوطي سيگار • صورت • طوق • صيقل • صابون • كف • تخت • قلم عكسي • مشبك قلعة • حكاك • جلا • مصقول • حديدة فولاد • قيد • عقربك • فولاد • مصفا • مركب • عتيق • يمنى • مجدت • مقراض • قفل • زاوية • ميزان • حلقة • خزينة • نجار • شفرة • نقاش • صندوق • خراط • خاتم • مثلث • حاشيه • محسجة • معمار • بناء معمار باشي • آجر • فخار • منارة • حوض • محراب • حمام • غرفة • منظرة • سقف • حصير • آجر مربع • تخميني • خام • نقار • حجار • حجاري ظريف • فتيلة • مقواء • غربال • منخل • مدقوق • محبا • معجون • مختلط • آلت • قدحجي •

قصعت • قدح • فصل • قالب فلزي • شيشة زجاج • وصلة • اطـراف • شغاف • رصاص • مطلا • كحل • منجنيق • لحاف • جلاد • قصاب خانه • صحاف • صحافي • كتاب • ضمير • طبلة • غلة • لوبيا • باقلاء • ساقية • صجانة • عصارخانه •• الخ •

١٠ـ ومن اصطلاحات الفنون والموسيقى :

موسيقى • رسم • محسجة • مقامات • وتر • طبل • دف • عـود • مزمار • نقاره • مغني • رقاص • صحنه •• الخ •

١١ ـ ومن الادارة والسياسة :

ادارة • مديريت • معاونت • امـور دفتـري • كـادر تعليمـاتى • حسابداري • امور تربيتي • مدير كل • قائمقام • ثبت اسناد • مصرف • معاملة • اثاثه • ملزومات • وسايل • حق مالكيت • حساب جاري •

واضافة الى ماذكر مـن الكلمات والالفاظ والمصطلحات والمواضـع والفنون التي دخلت من العربية الى المشـرق وتأثرت بها لغـات المشـرق واصبحت جزءا لا يتجزأ من آداب اممه ولغاتهم وفنونهم قديما فقد دخلت اللغات الشرقية حديثا جمهرة من الاصطلاحات والتعابير والالفاظ الجديدة وقد قام الدكتور حسين علي محفوظ باحصائيات دقيقة تناولت اثر العربية في اللغات الشرقية وعلومها وآدابها قديما وحديثا وقد ايد هـذا الدكتـور له نـدا وقال : [كان نصيب الفارسية من الالفاظ العربيـة اكبر واعظـم وكونت هذه الالفاظ جانبا ضخما من مفردات اللغة الفارسية لدرجة أننا اذا نظرنا في معجم اللغة الفارسية وجدنا ان مفردات بعض الابواب كباب التاء وباب الصاد وباب الضاد وباب الطاء وباب الظـاء وباب العـين تكـاد تكون كلها عربية] (٤٧) •

ومن نماذجهـا مثلا :

باب الثاء :

ثابت ٠ ثار ٠ ثاقب ٠ ثاقل ٠ ثالث ٠ ثالوث ٠ ثالول ٠ ثامن ٠٠ الخ ٠

باب الصـــاد :

صابر ٠ صابري ٠ صابون ٠ صابي ٠ صاحب ٠ صـــادر ٠ صـــادق ٠ صارم ٠ صالح ٠ صاعد ٠ صاعقة ٠ صاغر ٠٠ الخ ٠

باب الضاد :

ضابط ٠ ضاجع ٠ ضاحك ٠ ضاد ٠ ضاء ٠ ضارب ٠ ضال ٠ ضامن ٠ ضائع ٠ ضجـرت ٠ ضجـور ٠٠

باب الطاء :

طاب ٠ طابع ٠ طابوق ٠ طاحنة ٠ طاحونة ٠ طاس ٠ طاعت ٠ طاعـــن ٠ طاعـون ٠ طاغـوت ٠٠ الخ ٠

باب الظاء :

ظافر ٠ ظالم ٠ ظاهر ٠ ظاهرا ٠ ظباء ٠ ظبي ٠ ظرامت ٠

باب العين

عابد ٠ عابر ٠ عابس ٠ عاتق ٠ عاج ٠ عاجز ٠ عاجل ٠ عاد ٠٠ الخ ٠

وفي هذه الاحصائية التي اجراها الاستاذ الدكتور حسين علي محفوظ وهي تشير الى النسب المئوية للالفاظ العربية في آثار الشـعراء والكتـاب والمؤلفين في الاداب الشرقية ما يوضح اثر العربية في ادباء الشرق ومفكريـه قديمـا وحديثـا ٠

تناول هذا الاحصاء العميق الدقيق آثار « ١١٢ » شاعرا من القـرن الرابع حتى القرن الرابع عشر ، و « ١٦١ » مؤلفا وكاتبا كذلك ٠ وهي فترة تستوعب احد عشر قرنا من تاريخ الادب في الشرق ٠

وهذا نص الاحصاء الذي قام به الاستاذ الدكتور محفوظ :

من الكتـاب المعاصرين :

علي اكبر دهخـدا	٢٤٪
سـعيد نفيسـي	٢٦٪
مجتبي ميلوي	٤٠٪
مرتضى مشـفق كاظمي	٣٠٪
جهانگير جليلى	٣٤٪
محمد مسـعود	٣٦٪
علي دشـتي	٢٤٪
محمد حجـازي	٣٤٪
محمد علي جمـال زاده	١٥٪
صـادق هدايـت	٢٠٪
بزرك علوي	١٧٪
جـلال آل احمـد	٢١٪
صـادق جوبـك	١٤٪
محمد اعتماد زاده « بهآذين »	٨٪
تقي مدرسـي	١٣٪
علي محمد افغـاني	٢١٪
وحيد القزويني (+ ح ١١٢٠ هـ)	٥٩٪
ميرزا مهدي خان الاستربادي الوزير المنحي (١١٧٣هـ)	٦٥٪
محمد علي حـزين (١١٨٠هـ)	٤٨٪
عبدالرزاق الدنبلي (١٢٤٣هـ)	٤٢٪
قائـم مقـام (١٢٥١هـ)	٤٤٪
فاضل خـان الگروسي (١٢٥٢هـ)	٢٧٪
عبداللطيف الطسـوجي (+ ١٢٦٤ هـ)	٢٣٪

رضا قلي خان هدايت الله باشي (١٢٨٨هـ)	٣٩٪
حاجي ملا هادي السبزواري (١٢٨٩هـ)	٥٥٪
محمد بن سليمان التنكابني (١٣٠٢هـ)	٥١٪
الفاضل البسطامي (١٣٠٩هـ)	٣٨٪
اعتماد السلطنة (١٣١٣هـ)	٣٠٪
مؤلف سرگزشت حاجي بابا (١٣١٤هـ)	٢٠٪
حبيب الاصفهاني (١٣١٥هـ)	٣٤٪
بدايع نگار (+١٣١٨هـ)	٢١٪
شيخ هادي النجم آبادي (١٣٢١هـ)	٥٩٪
امين الدولة (١٣٢٢هـ)	٤٢٪
حاكم خان (١٣٢٦هـ)	٥١٪
طالبوف (١٣٢٨هـ)	٤٨٪
حاجي زين‌العابدين المراغي (١٣٣٧هـ)	٢٣٪
ابن البزاز (+٧٥٩هـ)	٤٢٪
أولياء الله الآملي (+٧٦١هـ)	٣٠٪
محمد بن هندوشاه الصاحبي النخجواني شمس منشى (+٧٦٧هـ)	٤٣٪
عبيد الزاكاني (٧٧٢هـ)	٤٩٪
الامير السيد علي الهمداني « علي ثاني » (٧٨٦هـ)	٢٩٪
حسن بن علي بن حسن بن عبدالملك القمي (+٨٠٦هـ)	٣٦٪
نظام‌الدين الشامي (+٨٠٦هـ)	٣٩٪
معين‌الدين النطنزي (+٨١٧هـ)	٤٦٪
خواجه پارسا (٨٢٢هـ)	٥٤٪
السيد صاين‌الدين علي تركه الاصفهاني (+٨٣٢هـ)	٣٠٪

حافظ ابـرو (٨٣٤هـ)	٪٣٨
نعمـة الله ولـي (٨٣٤هـ)	٪٦١
أفضـل‌الدين تركـه (+٨٤٣هـ)	٪٤٧
شرف‌الدين علي اليـزدي (٨٥٨هـ)	٪٤٣
محمود گـاوان (٨٨٦هـ)	٪٥٧
كمال‌الدين عبدالرزاق السمرقندي (٨٨٧هـ)	٪٢٨
دولتشـاه السـمرقندي (+٨٩٢هـ)	٪٣٢
عبدالرحمن الجاجي (٨٩٨هـ)	٪٥٧
مـير خوانـد (٩٠٣هـ)	٪٤٤
الواعظ الكاشـفي (٩١٠هـ)	٪٣٤
خوانـد ميـر (٩٤٢هـ)	٪٤٠
الشيخ ابو الفضل الدكني (١٠١٣هـ)	٪٣٠
القاضي مير احمد المنشى القمي (+١٠١٥هـ)	٪٤٠
اسـكندر بيك المنشـى (+١٠٣٨هـ)	٪٣٨
الزيدري المنشي النسـوي (+٦٣٧هـ)	٪٣٢
نجم‌الدين دايـه (٦٤٥هـ)	٪٥٢
منهاج السراج الجوزجاني (+٦٥٨هـ)	٪٢٤
نصيرالدين الطوسـي (٦٧٢هـ)	٪١٢
جلال‌الدين الرومي المولوي (٦٧٢هـ)	٪٤٤
عبدالله الحسيني البلخي (+٦٧٢هـ)	٪٣٢
عطـا ملك الجويني (٦٨١هـ)	٪٧٠
سـراج الارمـوي (٦٨٢هـ)	٪٥٠
الدنيسـري (+٦٨٢هـ)	٪٥٧
فخر الدين العراقي (٦٨٨هـ)	٪٣٢
سعدي الشيرازي (٦٩١هـ)	٪٤٠

أبو زبهان الثاني (+ح ٧٠٠هـ)	٪٥٦
بابا افضـــل (٧٠٧هـ)	٪٢٨
قطب الدين الشـــيرازي (٧١٠هـ)	٪٥٨
الخواجة رشيد الدين فضل الله (٧١٨هـ)	٪٢١
ابو القاسم الكاشاني المؤرخ الحاسب (+٧١٨هـ)	٪٥٤
سيهسالار (+ح ٧١٩هـ)	٪٦٤
الخواجة كريم الاقسرائي (+٧٢٣هـ)	٪٥٤
هندوشاه الصاحبي الكيراني النخجواني (+٧٢٤هـ)	٪٥٠
وصاف الحضرة الشـــيرازي (+ح ٧٢٨هـ)	٪٥٤
علاء الدولة الســـمناني (٧٣٦هـ)	٪٦٤
مجـــد الخـــوافي (+٧٣٧هـ)	٪٢١
أمير حسن الدهلوي (+٧٣٧هـ)	٪٣٢
حمدالله المستوفي القزويني (٧٥٠هـ)	٪٦٩
شمس الدين محمد بن محمود الآملي (+ ٧٥٣هـ)	٪٣٤
محمد بن المنور الميهني (+ ٥٧٠هـ)	٪١٩
الرشـــيد الوطواط (٥٧٣هـ)	٪٤٥
افضل الدين الكـــرماني (+٥٨٤هـ)	٪٤٢
عبدالجليل القزويني الـــرازي (٥٨٥هـ)	٪٤٩
فرامرز بن خداداد الكاتب الارجاني (+٥٨٥هـ)	٪١٥
شهاب الدين الســـهروردي (٥٨٧هـ)	٪٣١
بهاء الدين محمد بن مؤيد البغدادي المنشي (+ ٥٨٨هـ)	٪٥٦
المنوفي الهـــروي (+٥٩٦هـ)	٪٢٢
محمد بن غازي الملطيوي (+ ٥٩٨هـ)	٪٤٩
محمد بن سليمان الراوندي (+ ٥٩٩هـ)	٪٢٩

الظهيري الكاتب السمرقندي (اواخر ق ٦ هـ) ٤٤٪

حسن النظامي (+٦٠٢هـ) ٤٨٪

المنشي الجرفادقاني (+٦٠٣هـ) ٣٨٪

روزبهان البقلي الشيرازي (٦٠٦هـ) ٤٧٪

فخرالدين الرازي (٦٠٦هـ) ٥٠٪

السيد مرتضى الرازي (اول ق ٧ هـ) ٢٣٪

ابن اسفنديار الكاتب (+٦١٣هـ) ٣٩٪

فريد الدين العطار (٦١٧هـ) ١٩٪

سعدالدين الوراويني (+٦٢٢هـ) ١٨٪

علي بن حامد (+ ٦٢٤هـ) ٣٠٪

بهاء ولد (٦٢٨هـ) ٢١٪

العوفي (+٦٣٠هـ) ٣٥٪

شمس قيس الرازي (+٦٣٠هـ) ٦٥٪

مباركشاه فخرمدبر (قبل ٦٣٣هـ) ٢٦٪

السيد ابو المعالي محمد بن عبيدالله العلوي (+٤٨٩هـ) ٣٣٪

السورابادي (٤٩٤هـ) ٣٥٪

الغانمي (ق ٥ و ٦ هـ) ٣٣٪

الغزالي (٥٠٥هـ) ٣٠٪

ابن البلخي (قبل ٥١١هـ) ٢١٪

شهمردان بن ابي الخير الرازي (قبل ٥١٣هـ) ٣٥٪

الحكيم مظفر الاسفزاري (٥١٥هـ) ٣٩٪

أبو الفتوح احمد الغزالي (٥١٧هـ) ٣٠٪

مؤلف مجمل التواريخ والقصص (+٥٥هـ) ١٦٪

ابو الفضل الميبدي (+٥٢٠هـ) ١٨٪

ابو نصر احمد بن محمد بن نصر القباوي (+٥٢٢هـ)	٢٦٪
عين القضاة الهمداني (٥٢٥هـ)	٣٢٪
عمر الخيام (٥٢٧هـ)	١٦٪
السيد اسماعيل الجرجاني (٥٣١هـ)	١٨٪
ژنده پيل شيخ جام (٥٣٦هـ)	١٥٪
عمر بن سهلان الساوي (+ ٥٣٦ هـ)	١٥٪
الامير الغبادي (٥٤٧هـ)	٤١٪
الطقان المروزي (٥٤٨هـ)	٣٤٪
المسعودي الغزنوي (+٥٥٠هـ)	٢٦٪
نظامي العروضي السمرقندي (+٥٥٢هـ)	٤٤٪
ابو الفتوح الرازي (+٥٥٢هـ)	١٧٪
منتجب الدين بديع اتابك الجويني الكاتب (+٥٥٢هـ)	٥٤٪
ابو المعالي نصر الله المنشي (+ ٥٨٣ هـ)	٣١٪
جميش التفليسي (+ ٥٥٨هـ)	٢٩٪
القاضي حميدالدين البلخي (٥٥٩هـ)	٢٤٪
ابن فندق البيهقي (٥٦٥هـ)	٥٩٪
الحاسب الطبري (+٣٤٥هـ)	٣١٪
ابو منصور المعمري (+٣٤٦هـ)	٣٪
علماء ما وراء النهر (اواسط ق ٤ هـ)	٩٪
البلعمي (٣٦٣هـ)	٤٪
ابو المؤيد البلخي (قبل ٣٨٧هـ)	٥٪
الاخويني البخاري (النصف الثاني ق ٤ هـ)	٢٧٪
مؤلف حدود العالم (٣٧٢هـ)	٣١٪
مؤلف تاريخ سيستان (+٤٤٥هـ)	٢٤٪

ابو يعقوب السجزي (اواخر ق ٤هـ)	٪.١٨
محمد سرخ (اوائل ق ٥ هـ)	٪.٢٣
ابو الحسن الخرقاني (٤٢٥هـ)	٪.١٩
ابن سينا (٤٢٨هـ)	٪.٢٨
اسحاق بن ابراهيم النيسابوري (اواسط ق ٥ هـ)	٪.٢٩
ابو نصر مشكان (٤٣١هـ)	٪.٢٠
المستملي البخاري (٤٣٤هـ)	٪.٣٠
ابو ريحان البيروني (٤٤٠هـ)	٪.١١
الگرديزي (ح٤٤٣هـ)	٪.١٠
ابو منصور موفق بن علي الهروي (+٤٤٧هـ)	٪.١٣
الرادوياني (النصف الثاني ق ٥ هـ)	٪.٢٨
الجلابي الهجويري (٤٦٥هـ)	٪.٣٦
ابو الفضل البيهقي (٤٧٠هـ)	٪.١٧
عنصر المعالي ابن وعمگير (+٤٧٥هـ)	٪.١٥
الخواجه عبدالله الانصاري (٤٨١هـ)	٪.٤١
ناصر خسرو (٤٨١هـ)	٪.٢٧
نظام الملك النطوسي (٤٨٥هـ)	٪.٣٨
وصال (١٢٦٢هـ)	٪.٢١
القاآني (١٢٧٠هـ)	٪.٢٣
فروغي (١٢٧٤هـ)	٪.١٦
يغما (١٢٧٦هـ)	٪.٢٣
سروش (١٢٨٥هـ)	٪.١١
الشيباني (١٣٠٨هـ)	٪.١٤
ملك الشعراء محمود صبا (١٣١١هـ)	٪.١٩

الامـيري (١٣٣٦هـ)	٪٢١
ايـرج (١٣٤٠هـ)	٪١٢
أديـب (١٣٤٩هـ)	٪١٩
پرويـن (١٣٥٠هـ)	٪١٩
اقبـال (١٣٥٧هـ)	٪٢١
رشـيد (١٣٧٠هـ)	٪٢٠
ملك الشعراء بهار (١٣٧٠هـ)	٪٢٢
الفيضـي (١٠٠٤هـ)	٪٢٦
السـحابي (١٠١٠هـ)	٪٢٠
النظـيري (١٠٢١هـ)	٪١٢
الزلالـي (١٠٢٤هـ)	٪١٤
الظهـوري (١٠٢٥هـ)	٪١٩
طالـب (١٠٣٦هـ)	٪٢٣
كـليم (١٠٦١هـ)	٪١٩
أسـير (١٠٦٩هـ)	٪١٨
غنـي (١٠٧٧هـ)	٪١٣
صـائب (١٠٨١هـ)	٪١٢
جويـا (١١١٨هـ)	٪١٦
بيـدل (١١٣٣هـ)	٪١٤
مشـتاق (١١٧١هـ)	٪١٨
حـزيـن (١١٨١هـ)	٪١٥
عاشـق (١١٨١هـ)	٪١٧
آذر (١١٩٥هـ)	٪١٧

هـاتف (١١٩٨هـ)	٪١٢
غالـب (١٢١٢هـ)	٪١٢
الصـباحي (١٢١٨هـ)	٪١٦
سـحاب (١٢٢٢هـ)	٪٣٤
مجـسر (١٢٢٥هـ)	٪١٦
صـبا (١٢٣٨هـ)	٪٢٤
نشـاط (١٢٤٤هـ)	٪٢١
مجـد همگـر (٦٨٦هـ)	٪٢٠
العـراقي (٦٨٨هـ)	٪١٤
السـعدي (٦٩١هـ)	٪١٢
همـام (٧١٤هـ)	٪٢٠
خسـرو الدهلوي (٧٢٥هـ)	٪١٩
الاوحـدي (٧٣٨هـ)	٪١٦
خواجـو (٧٥٣هـ)	٪٣٠
ابن يسـين (٧٦٩هـ)	٪١٦
عبيـد الزاكـاني (٧٧٢هـ)	٪١٧
سـلمان (٧٧٨هـ)	٪٢١
حافـظ (٧٩١هـ)	٪١٩
كمـال (٧٩٢هـ)	٪١٥
نعمـة الله ولـي (٨٣٤هـ)	٪١٩
قاسـم انـوار (٨٣٧هـ)	٪٢٤
الكاتبـي (٨٣٨هـ)	٪٢٢
أمـير شـاهي (٨٥٧هـ)	٪٢٠
ابن حسـام (٨٧٥هـ)	٪٢٢

الجـــامي (٨٩٨هـ)	٢٢٪
الفغـــاني (٩٢٥هـ)	٢٥٪
الاميــدي (٩٢٥هـ)	٢٣٪
الهــلالي (٩٣٦هـ)	١٦٪
الاهــلي (٩٤٢هـ)	٢٣٪
الوحشــي (٩٩١هـ)	١٨٪
محتشــم (٩٩٦هـ)	١٨٪
العــــرفي (٩٩٩هـ)	١٧٪
شـــهيد (٣٢٥هـ)	٨٪
الرودكــي (٣٢٩هـ)	١٠٪
بوشــكور (+٣٣٧هـ)	٦٪
منجيــك (اواســط ق ٤ هـ)	١٥٪
الدقيقــي (٣٦٨هـ)	١٤٪
المنطقي (قبل ٣٨٠هـ)	١٢٪
طاهر الجغانــي (٣٨١هـ)	١١٪
الخســروي (قبل ٣٨٨هـ)	١٦٪
الخسرواني (ق ٤هـ)	١٩٪
رابعــــة (ق ٤ هـ)	١٩٪
بشــار المرغــزي (ق ٤ هـ)	١٧٪
الكســـائي (اوائل ق ٥ هـ)	٢١٪
اللبيبي (اوائل ق ٥ هـ)	٩٪
الفردوســي (٤١١هـ)	٢٪
الغضــائري (٤٢٦هـ)	١٢٪
الفــرخي (٤٢٩هـ)	١٣٪

العنصري (٤٣١هـ)	١٣٪
المنوچهري (٤٣٢هـ)	١٠٪
العسجدي (+٤٣٢هـ)	١٢٪
ابو سعيد (٤٤٠هـ)	٧٪
فخر الگرگاني (+٤٤٦هـ)	٥٪
الازرقي (ح ٤٦٥هـ)	١٩٪
الاسدي (٤٦٥هـ)	٧٪
قطران (٤٦٥هـ)	١١٪
ناصر خسرو (٤٨١هـ)	١٥٪
بلفرج (قبل ٥٠٨هـ)	١٨٪
ايرانشاه (ح ٥١١هـ)	٥٪
مسعود سعد (٥١٥هـ)	١٠٪
المعزي (قبل ٥٢١هـ)	١٨٪
الخيام (٥٢٧هـ)	٨٪
عمعق (٥٤٢هـ)	٢٤٪
اديب صابر (٥٤٢هـ)	١٩٪
السنائي (٥٤٥هـ)	١٧٪
الجلي (٥٥٥هـ)	١٦٪
حسن الغزنوي (٥٥٦هـ)	٢١٪
قوامي الرازي (قبل ٥٦٠هـ)	٩٪
السوزني (٥٦٢هـ)	١٩٪
الوطواط (٥٧٣هـ)	٥٢٪
اثير الاخسيكتي (ح ٥٧٧هـ)	٣٢٪
العمادي (٥٨٢هـ)	٢٦٪

الانـوري (٥٨٣هـ)	٢١٪
مجـاير (٥٨٦هـ)	٢٤٪
جمال الدين الاصـفهاني (٥٨٨هـ)	٤٥٪
الخـاقاني (٥٩٥هـ)	٤١٪
ظهير الدين الفاريابي (٥٩٨هـ)	٤٢٪
النظـامي (٦١٤هـ)	٨٪
العطـار (٦١٧هـ)	١٨٪
كمال الدين الاصفهاني (٦٣٥هـ)	١١٪
الامـامي (٦٦٧هـ)	٢٩٪
المولـوي (٦٧٢هـ)	١٧٪

الهوامش والكتب والمراجع :

الف :

١ ــ زكي مبارك . النثر الفني في القرن الرابع الهجري ــ بيروت ١٩٧٥ ص٤٣ .

٢ ــ المصدر السابق ص٤٣ .

٣ ــ المصدر السابق ــ الباب الاول من الجزء الاول ــ تطور النثر الفني في عصر النبوة الى القرن الرابع ص ٣٨ــ٧٥ .

٤ ــ تيودور نولدكه ــ اللغات السامية ــ تخطيط عام ــ ترجمة عن الالمانية دكتور رمضان عبدالتواب ــ القاهرة ــ ١٩٦٣ ل٧٩ .

٥ ــ د . طه ندا ــ الادب المقارن ــ بيروت ١٩٧٥ ص ٥٥ .

٦ ــ دكتور ذبيح الله صفا .. تاريخ علوم وادبيات ايراني ــ تهران ــ چاب اول ١٣٤٧ . ص ١٤٤ .

٧ ــ الفهرست لابن النديم ــ الفن الاول من المقالة الاولى ــ

٨ ــ ا ــ نظامي عروضى السمرقندي ــ چهار مقالة ــ تهران ١٣٤٦ ص٢٢ .
ب ــ النظامي العروضي السمرقندي ــ چهار مقالة ــ ترجمة عبدالوهاب عزام ويحيى الخشاب الطبعة الاولى القاهرة ١٩٤٩م ص٢٣ .

٩ ــ الاستاذ الدكتور رودلف زلهايم ــ العلم والعلماء في عصور الخلفاء ــ تعريب الدكتور عطية رزق ــ بيروت ١٩٧٢ م ص١٥ .

١٠ــ الدكتور نور الدين آل علي ــ الصلات الثقافية بين ايران والعرب ــ القاهرة ١٩٧٥ ص ٥٨ .

١١ــ ادوارد براون ــ تاريخ ادبيات ايران ــ از فردوسى تا سعدى ــ ترجمة فتح الله مجتبائي . تهران ــ ص١٥ .

١٢ــ د . طه ندا ــ الادب المقارن ــ بيروت ١٩٧٥ ص ٤٦ .

١٣ــ انظر المصدر ــ رقم «٧» ــ ص٧ وتاريخ سيستان ــ چاب تهران ص٨٩ .

١٤ــ تاريخ نجارا ــ جاب تهران ــ ص١٣ــ١٧ــ٦٧ــ٦٩ .
والمصدر رقم « ٧ » ص٧ .

١٥ــ دائرة المعارف الاسلامية ج٣ تحت عنوان المسجد .
والمصدر رقم «٧» ص ٧

١٦ــ د . راستار گويوا ــ دستور زبان فارسى ميانه ــ ترجمة دكتر ولى الله شادان تهران ١٣٤٧ ص١٥ .

١٧ــ مصدر رقم «١٠» ص٥٩ .

١٨ـ جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وايران ـ القاهرة ـ ١٩٧٥ ص٢٢٨ .
١٩ـ دكتر ذبيح الله صفا ـ تاريخ ادبيات در ايران ـ جلد اول ـ تهـران ١٣٣٨ خورشيدى ص ١٥٢ .
٢٠ـ مصدر رقم «١١» ص١٤ـ١٥ .
٢١ـ مصدر رقم «١١» ص١٤ .
٢٢ـ مصدر رقم « ١٨ » ص١١٥ .
٢٣ـ أ ـ ادوارد براون ـ تاريخ الادب في ايران ـ من الفردوسى الى سعدى ـ ترجمة الدكتور ابراهيم امين الشواربي ـ القاهرة ١٩٥٤ م ـ ص١٦ .
ب ـ ادوارد براون ـ تاريخ ادبيات ايران ـ از فردوسى تا سعدى ـ ترجمـة فتح الله مجتبائي ـ تهران ـ ١٣٤١ ص ١٨ .
٢٤ـ مصدر رقم «٥» ص١٢٤ .
٢٥ـ د . بديع محمد جمعه ـ دراسات في الادب المقارن ـ بيروت ١٩٨٠ ص ٩٩
٢٦ـ هو : طيفورين بن عيسى بن سروشيان البسطامـي والملقب بسـلطان العارفين من مشايخ الصوفية ، سافر بايزيد من بسطام الى الشام لكسب العلوم وبقى هناك «٣٠» سنة وهو من مؤسسي الفرقة الطيفورية . انظـر :
١ ـ دكتر زهراى خانلرى ـ فرهنك ادبيات فارسى درى ـ تهران ١٣٤٨ خورشيدى ص٨٣ .
٢٧ـ هو الشيخ الرئيس ابو علي حسين بن عبدالله بن سينا ـ يقال انه الف اكثر من « ٤٢٠ » كتابا ورسالة واكثر مؤلفاته بالعربية ـ ولـه بعض بالفارسية . توفى سنة ٤٢٨ هجري ـ ودفن في همدان . اشعاره العربية اكثر مـن الفارسية انظر .
١ ـ زهراى خانلرى ـ فرهنك ادبيات فارسى درى ـ تهران ١٣٤٨ ص٢٥ـ٢٧ .
٢ ـ د . بديع محمد جمعه ـ دراسات في الادب المقارن ـ بيروت ١٩٨٠ م ص ١٠٠ .
٢٨ـ ابو العلاء المعري : هو احمد بن عبدالله من شعراء وادباء ولغويين العرب المشهورين في القرن الخامس الهجري له انتاج كثير منها « ديوان الشعر ، كتاب لزوم ما لا يلزم . وكتاب الفصول والغايات وكتاب امالي ، ورسالة الغفران . رسالة العروض . وكتاب مثقال النظم . نفس مصدر «٢٦» ص٢٤ ـ ٢٥ ، وتاريخ الادب العربي .
٢٩ـ هو حجة الاسلام امام زين العابدين ابو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي . من اشهر علماء في الدين الاسلامي وله اثار كثيرة تقدر بحوالي « ٧٠ » اثرا توفى « ٥٠٥ » هجري نفس مصدر «٢٦» ص٣٦٠ ـ ٣٦١ .

٣٠ـ سنائي : هو الحكيم ابو المجد مجدود بن آدم من شعراء وعرفا القـرن السادس الهجري ، أ ـ نفس مصدر «٢٦» ص٢٧٧ .
ب ـ المصدر رقم «٢٥» ص١٠٢ .
٣١ـ هو العلامة محمد اقبال اللاهوري لقد قام الدكتور محمد السعيد جمال الدين بترجمة « جاويدنامه » الى العربية ـ ونشرت بالقاهرة عام ١٩٧٤ باسم « رسالة الخلود او جاويدنامه » .
انظر : أ ـ مصدررقم ٢٥ ص ١٠٤ـ٢٠٤ .
ب ـ كليات اشعار مولانا اقبال اللاهوري تهران ١٣٤٣ ص٥٤ .
٣٢ـ عطار : الشيخ فريد الدين ابو حامد محمد بن ابو بكر ابراهيم بن مصطفى من زعماء واعاظم شعراء التصوف توفى ٦٢٧ يقال انـه له بعدد سور القرآن ـ مؤلفات .
انظـر :
أ ـ مصدر رقم «٢٦» ص ٣٤٦ .
٢ ـ كنج سخن ـ د . ذبيح الله صفا ـ تهران ـ جلد دوم ـ ١٣٥٤ص ١٠٨
٣ ـ تاريخ ادبيات ايران ـدكتر رضا زادة شفق ـ تهران ١٣٤٢ ص١٢٣ .
٣٣ـ مصدر «٢٥» ص١١٣ .
٣٤ـ أ ـ الدكتور حسين علي محفوظ ـ محاضرات ـ ومسودة كتاب في الادب المقارن والمكتبة واصول البحث .
ب ـ يقول ملك الشعراء بهاء في كتابه مسيك شناس جـ٢ تهران ١٣٢٧ ص٣٢٧ . نفس ما ذهب الى الدكتور محفوظ .
٣٥ـ أ ـ نفس مصدر «٢٥» ص٢٢٣ .
ب ـ هناك راي بان « ابي دريد » هو اول من وضع هذا الفن ولكـن ابن دريد سـمى مجالسه ب « احاديث » وان بديع الزمان سماه ب « المقامات » .
انظر ١ ـ زكي مبارك ـ النشر الفني ـ بيروت ١٩٨٠ ص٢٤٣ ـ ٢٤٤ .
٢ ـ بهار ـ مسيك شناس ـ جـ ٢ . تهران ـ چاب دوم ـ ١٣٤٧ ص٣٢٥ ـ ٣٢٦ .
٣٦ـ نفس مصدر ٣٤/ب ص٣٢٩ .
٣٧ـ ١ ـ نفس مصدر «٢٥» ص٢٤٦ـ٢٥١
٢ ـ ادوارد براون ـ تاريخ الادب في ايران جـ٢ ـ الترجمة العربية ـ ص٤٣٩ .
٣ ـ يقول ادوارد براون « ان بديع الزمان الهمذاني اول مـن كتب في المقامات ـ الجزء الثاني / الانكليزي / » ص٨٧ .

٣٨ـ مقامات الحميدي .
٣٩ـ نفس مصدر (١) ص٢٥١ .
٤٠ـ نفس مصدر (٥) ص١٥٥ .
٤١ـ نفس مصدر (٢٥) ص٣٠٧ .
٤٢ـ [غير اننا نكاد نحس بمكانة والدته ، على انها كانت تبث احد روؤساء الكرد حينما يقول متحسرا على وفاتها :
« لقد توفيت والدتي رئيسة الكرد ولكن حنان الامومة ما زال ماثلا امام عيني ، فمن ادعوه لنصرتي بكثرة العويل حتى يعيدها الي بالبكاء ؟ »
اگر ما در من رئيسة كرد   ما در صفتانه بيش من مرد
از لا به گرى كراكنم بـاد   تا بيش من آردشـ باز
دكتور عبدالنعيم محمد حسنين ـ نظامي الكنجوى ـ مصر ـ الطبعة الاولـى ـ ١٩٥٤ م ص ٨٦ .
٤٣ـ لمعرفة احوال وتراجم هؤلاء الشعراء انظر كتاب :
١ ـ گنج سخن جـ٢ ، جـ٣ ـ وتاريخ ادبيات فارس ـ در صفا
٢ ـ وفرهنگ ادبيات فارسى دوى دكتر زهراوى خانلرى .
٤٤ـ انظر ـ د . حسين علي محفوظ ـ المتنبي وسعدي ـ بغداد ١٩٥٧ .
٤٥ـ يقول د. صفا عن امير معزى انه قد سعى او حاول أن يقلد افكار شعراء العرب القديم ... گبج سخن ـ جلد اول ـ ١٣٥٤ ص٢٩٠ .
٤٦ـ سعدي الشيرازي : هو مشرف الدين بن مصلح الدين سعدي الشيرازي توفي في ٦٩١ هجرية او ٦٩٤ هجرية ـ وهو من الشعراء الذين تأثروا تأثرا بالغا بالقرآن الكريم وبالاحاديث النبوية الشريفة وامثال العرب واشعار شعراء العرب وخاصة المتنبي . انظر : د . محفوظ ـ المتنبي وسـعدي .
٤٧ـ نفس مصدر رقم «٥» ص٨٢ـ٨٣ .

الباء :

١ ـ المتنبي وسعدي / د. حسين علي محفوظ ١٩٥٧ .
٢ ـ متنبي وسعدي / د. حسين علي محفوظ ١٩٥٧ .
٣ ـ اثر اللغة العربية في اللغة الفارسية د . حسين علي محفوظ ١٩٧٤ .
٤ ـ تأثير اللغة العربية في اللغة التركية / د . حسين علي محفوظ ١٩٧٥ .
٥ ـ اثر اللغة العربية في اللغة الاردوية / د. حسين علي محفوظ ١٩٧٧ .
٦ ـ اثر اللغة العربية في الشعوب الشرقية / د. حسين علي محفوظ ٩٨٠.
٧ ـ عراقي بدىء به الادب التركي د . حسين علي محفوظ ١٩٦٥ .

٨ ـ فضولي البغدادي / د . حسين علي محفوظ ١٩٥٩ .
٩ ـ سعدي الشيرازي خريج بغداد في العصر العباسي د . حسين علي محفوظ ١٩٦٣ .
١٠ـ محاضرات في الادب المقارن / د . حسين علي محفوظ .
١١ـ محاضرات في المكتبة / د . حسين علي محفوظ .
١٢ـ مآخذ فضولي البغدادي من المعاني العربية / د. حسين علي محفوظ ١٩٦٧ .
١٣ـ سعدي الشيرازي خريج النظامية وتلميذ بغداد د . حسين علي محفوظ ١٩٥٩ .
١٤ـ فضولي البغدادي « ٨ مقالات » د . حسين علي محفوظ ١٩٥٩ .
١٥ـ آثار فضولي البغدادي في العراق / د . حسين علي محفوظ ١٩٦٠ .
١٠ـ فضولي البغدادي د . حسين علي محفوظ ١٩٦٠ .
١٧ـ فضلي د . حسين علي محفوظ ١٩٦٠ .
١٨ـ اثر اللغة العربية في اللغة التاجيكية « القسم الاول » د . حسين علي محفوظ ١٩٦٤ .
١٩ـ اثر اللغة العربية في اللغة التاجيكية القسم الثاني ـ د . حسين علي محفوظ ١٩٦٥ .
٢٠ـ دراسة مظاهر تأثير اللغة العربيية في الفارسية د . حسين علي محفوظ ١٩٨٢ .
٢١ـ أثر اللغة العربية في اللغة التاجيكة د . حسين علي محفوظ ١٩٨٢ .
٢٢ـ اثر اللغة العربية في اللغة الفارسية د . حسين علي محفوظ ١٩٨٢ .

الفصـــل التاســـع

التأثيرات اللغوية والادبية العراقية في الاندلس وأوربا

الدكتور حكمت الاوســـي
أستاذ ـ قسم اللغة العربية ـ كلية الاداب

التأثير العراقي في الحيـاة الفكرية والادبية :ـ

لدينا نص لابن بسام الشنتريني المتوفي سنة (٥٤٢هـ) يتحدث فيه عن تعلق الاندلسيين الشديد بكل ما يأتيهم من المشرق ، حتى أنهم انصرفوا عن العناية باخبارهم واشعارهم ، فأهملوها اهمالاً أضاع الكثير منها ، فيقول عن الاندلسيين انهم : « أبوا الا متابعة اهل الشرق ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طن باقصى الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتاباً محكما . واخبارهم الباهرة ، واشعارهم السائرة ، مرمى القصية ، ومناخ الرذية ، لا يعمر بها جنان ولا خلد ، ولا يصرف فيها لسان ولا يد ... »(١) .

وما هذا التعلق الذي يصل حدَّ التقديس الا حرص طبيعي على الحفاظ على الجذور التراثية ، والروح القومية التي من دونها لا يمكن أن تقوم قائمـة للشخصية القومية ولا حتى للشخصية الفـردية . لأن الافراد اذا ما جهلوا جذورهم الروحية والفكرية ، أو أهملوا العناية بها والحفاظ عليها ، تَفَهَتْ شخصيتهم ، وتفهت شخصية القوم الذين ينتمون اليهم ، وفي ذلك تفتتهـم وضياعهم . فالحرص على التراث والتعلق به فطرة غريزية في الشعوب الحيّة لا تقل اهمية عن غريزة حفظ النوع والدفاع عن النفس .

على أن هذا التعلق بالتراث القومي لا ينبغي أن يصرف عن الاهتمام بالتراث الجديد والحرص عليه ، لان في ذلك تواصـلاً اكيداً مـع التراث القديم ، أي مع الجذور ، ورفدا له ، واغناءً لاصالته واشـاعة للحياة فيه .

ولعل هذا هو ما قصد اليه ابن بسام في نقده اللاذع ولومه الشديد للاندلسيين •

والشواهد التاريخية تؤكد انه كان لتواصل الاندلسيين هذا مع تراث الاجداد ، والحرص عليه ، والاقبال على دراسته ، وتحمل مشاق السفر الطويل والخطير في سبيل حفظه واستيعابه وجمعه ونقله الى الاندلس ، كان لهذا كله دور عظيم في ما ظهر من ابداع فكري وعلمي وأدبي ، في الاندلس ، لم يقتصر نفعه على ابناء الامة هناك بل امتد خيره الى اوربا العصور الوسطى وكان القاعدة العلمية المتينة في نهضتها •

ومن غرائب الحقائق التاريخية ، في تراثنا العربي الاسلامي ، أن التواصل الفكري والعلمي والادبي والفني والروحي كان في تلك الازمان الغابرة ، وبالقياس الى ما كان متوفرا من وسائط السفر والاتصال البدائية ، أقوى واكثر واسرع مما هو متوفر لابناء الأمة في اواخر القرن العشرين هذا الذي نحن فيه ، قرن الثورات المذهلة في وسائل الاتصال والمواصلات والمعلومات ، قرن الألكترونيات وبنوك المعلومات ، وقرن الطائرات العملاقة الاسرع من الصوت •

يظهر هذا جلياً في ما تذكره المصادر العربية عن استحالة حصر من رحل من الاندلسيين الى بلاد المشرق لاهداف علمية ، كما تقرر هذه المصادر الموثوقة أن حصر الاعيان من الداخلين للأندلس من المشرق ليس في الإمكان لكثرتهم التي لا يمكن أن يحيط بها عدّ ولا حصر وكلهم كانوا من الفضلاء الإجلاء بما لهم من مكانة دينية ، او إحاطة علمية في فروع المعرفة المختلفة التي كانت لذلك العصر • فمنهم من اتخذ الاندلس وطناً فاستقر فيها الى ان وافته المنية ، ومنهم من عاد الى المشرق بعد أن قضى في الأندلس امنيته •

وقد ذكر المقّري من اولئك وهؤلاء شخصيات عديدة ، لا على سبيل الحصر الذي يعترف هو نفسه بانه لا يقع في حدود الإمكان ، ولكن على

سبيل التمثيل وذكر لمع « على وجه التوسط من غير اطناب داع الى الملال واختصار مؤدٍ للملام » فكان أن خصص الباب الخامس كله لذكر اسماء بعض الراحلين من الاندلس للمشرق والتعريف بهم ، فبلغ تعداد من ذكرهم ثلثمائة وسبع شخصيات اندلسية .

وأَلمّ بذكر بعض الوافدين على الأندلس من اهل المشرق فخصص لذلك الباب السادس كله ، فبلغ تعداد من ذكرهم فيه ستاً وثمانين شخصية عرّف بكل واحد منها ، ثم قال في ختام هذا الباب ، في معرض الاعتذار عن قلة من ذكرهم من الوافدين من المشرق على الاندلس : « مع علمي بان الوافدين من المشرق على الاندلس كثيرون جداً ، إلا أن عدم المادة التي استعين بها في هذه البلاد تبين عذري ، ولو اجتمعت على كتبي المخلفة بالمغرب لاتيت في ذلك وغيره بما يشفي ويكفي »[٢] .

والشيء الذي يلاحظ أن الكثير ممن رحل من الاندلسيين الى المشرق دخل بغداد للسماع والأخذ ، أو أخذ عمن درس على علمائها وأُجيز بالرواية . وأكثرهم عاد الى الاندلس بعد أن وعى واستوعب ، وجلس للاقراء والتأليف واذاعة العلم الذي حصل عليه هناك .

فمن اولئك الاعلام الاندلسيين الراحلين الى المشرق والعراق القاضي ابو عبدالله محمد بن ابي يحيى . وهو ممن ولي القضاء في الاندلس ايام الامير عبدالرحمن بن محمد وادرك عهد الناصر ، توفي سنة (٣٣٩هـ) « كان عَلَم الاندلس ، وعالمها النّدْس » . سمت رتبته في الاندلس بعد أن عاد اليها من رحلة الى المشرق ، جمع فيها من الروايات والسماع الشيء الكثير . وقد ذكر المقّري أن له اخباراً تدل على رقّة العراق ، ولكن لم يصل الينا من أخباره العراقية غير قوله ، عند أوبته ، متشوّقاً للعراق ، ومتألما لفراقه ،

كأن لم تؤرّق بالعراقين مقلتي
إذا كان من بعد الفراق تلاقِ

كأن لم تؤرّق بالعراقين مقلتي
ولم تمْرِ كفّ الشوق ماء مآقي

ولم أزر الاعراب في جنب أرضهم
بذات اللوى من رامةٍ وبراقِ

ولم اصطبح بالبيد من قهوة الندى
وكأس سقاها في الأزاهر ساقِ (٣)

وممن رحل منهم الى المشرق ودخل العراق وبغداد ، وسمع بها من كبار العلماء الإمام القاضي الحافظ ابو بكر بن العربي . قال عنه المقري : « إنه لقي ببغداد الشاشي ابا بكر والامام أبا حامد الغزالي» . وبعد أن اكمل تحصيله العلمي هناك كر « الى الاندلس فحلّها والنفوس اليه متطلعة ، ولانبائه متسمعة ، فناهيك من حظوة لقي ، ومن عزّة سقي ، ومن رفعة سما اليها ورقي » . وبعد ما استقرّ به الحال في الاندلس قال يتشوّق الى بغداد ، ويخاطب فيها اهل الوداد :(٤) .

أمنكِ سرى والليل يخدع بالفجر
خيالٌ حبيب قد حوى قصب الفخرِ ؟

جلا ظُلَم الظلماء مشرق نوره
ولم يخبط الظلماء بالانجم الزهر

ولم يرض بالارض البسيطة مسحباً
فسار على الجوزا الى فلك يجري

وحثّ مطايا قد مطاها بعِزّة
فأوطأها قسراً على قُنّة النسر

فصارت ثِقالاً بالجلالة فوقها
وسارت عجالاً تتقي ألم الزجر

وجرّت على ذيل المجرّة ذيلها
فمن ثمّ يبدو ما هناك لمن يسري
ومرّت على الجوزاء توضع فوقها
فآثر ما مرّت به كَلَف البدر
وساقت اريج الخلد من جنّة العلا
فدع عنك رملا بالأنيعم يستذري
فما حذرت قيساً ولا خيل عامر
ولا اضمرت خوفاً لقاء بني ضمر
سقى الله مصراً والعراق وأهلها
وبغداد والشامين منهمل القطر

ومن هؤلاء الاعلام الاندلسيين الذين رحلوا الى المشرق في طلب العلم ودخلوا بغداد وافادوا منها ، قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف ، ابو محمد ، البيّاني (ولد سنة ٢٤٧هـ) ، وبيانه من اعمال قرطبة ، رحل الى المشرق فسمع بمكة ، ودخل العراق سنة ٢٧٦هـ ، فلقي من اهل الكوفة ابراهيم ابن ابي العنبس قاضيها وابراهيم بن عبدالله القصار ، وسمع ببغداد من القاضي اسماعيل ابن اسحاق قاضي القضاة ، وعبدالله بن الإمام احمد بن حنبل ، وسمع من ابن قتيبة كثيراً من كتبه ، وسمع من المبرّد وثعلب وابن الجهم . وعاد الى الاندلس بعلم جم ، فمال اليه الناس يأخذون عنه تاريخ احمد بن زهير وكتب ابن قتيبة ، وصنّف على كتاب « السنن » لابي داود كتابا في الحديث ، ثم اختصره وسماه « المجتنى » وفيه من الحديث المسند الفان واربعمائة وتسعون حديثاً في سبعة اجزاء .

ولدينا نص يبين منزلة العراق العظيمة في نفوس علماء المغرب والاندلس، بحيث كان دخول العراق يعدّ ، بين المغاربة ، أي سكان شمال افريقيا ، والاندلسيين مدعاة للفخر العلمي ، ومبعث قوّة ودعم للشخصية العلمية .

ذكر هذا النص المقّري[٥] :

« حكى القرطبي في تفسيره ... أن قاسم بن أصبغ قال : لما رحلتُ الى المشرق نزلت القيروان ، فاخذت عن بكر بن حماد حديث مسدد ، فقرأتُ عليه يوماً فيه حديث النبي صلى الله عليه وسلّم « أنه قدم عليه قوم من مُضرَ مجتابي النمار » فقال : إنما هو مجتابي الثمار ، فقلتُ : انما هو مجتابي النمار ، هكذا قرأته على كل من لقيته بالاندلس والعراق ، فقال لي : بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا ؟ ... ، ثم قال لي : قم بنا الى ذلك الشيخ ، لشيخ كان في المسجد ، فان له بمثل هذا علما ، فقمنا اليه وسألناه عن ذلك ، فقال : إنما هو مجتابي النمار كما قلتُ ، وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة جيوبهم أمامهم ، والنمار : جمع نِمرة ، فقال بكر بن حماد واخذ بأنفه : رَغِم أنفي للحق ، وانصرف » .

ولا مجال للحديث عن كل من دخل العراق من الاندلسيين ، في طلب العلم ، ولكننا نكتفي بذكر بعض الاسماء الاخرى فمنهم :

ابو عبدالله محمد بن ابراهيم بن حيّون (توفى سنة ٣٠٥هـ) ، وابو بكر الاندلسي الحيّاني محمد بن علي بن عبدالله بن محمد بن ياسر (توفي سنة ٥٦٣) وقد دخل العراق مرتين ولقي ائمتها . ومنهم أبو عبدالله محمد بن عيسى بن عبدالواحد بن نجيح المعافري ، المعروف بالاعشى ، القرطبي (توفي سنة ٢٢١) « وكان يذهب في الاشربة مذهب أهل العراق ، إذ كان علمه عراقيا » . ومنهم ابو عبدالله محمد بن سُراقة الشاطبي بن محمد بن ابراهيم ابن الحسين بن سُراقة ، محيي الدين ، الانصاري الشاطبي (٥٩٢–٦٦٢هـ). ومنهم ابو الوليد الباجي صاحب التصانيف المشهورة . قدم بغداد ، واقام بها ثلاثة اعوام يُدَرِّس الفقه ويقرأ الحديث ، فلقي بها عدّة من العلماء كأبي الطيب الطبري والامام الشهير ابن اسحاق الشيرازي والصيمري وابن عمروس المالكي ، واقام بالموصل سنة مع ابي جعفر السمناني يأخذ عنه علم الكلام ،

وتبادل العلم مع الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي بحيث روى كل واحد منهما عن الآخر ، وعاد الى الاندلس بعد ثلاث عشرة سنة بعلم جم حَصَّله مع الفقر والتعفّف •

ومنهم الفقيه العالم الشهير ابو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن ايوب الفهري الطرطوسي صاحب كتاب « سراج الملوك » وكفى به دليلاً على فضله (توفي سنة ٥٢٠هـ) • رحل الى المشرق ، ودخل بغداد والبصرة فتفقه عند ابي بكر الشاشي وابي محمد الجرجاني ، وسمع بالبصرة من ابي علي التستري •

ومنهم القاضي الشهير الشهيد ابو علي الصدفي ، وهو الحسين بن محمد بن فيره بن حيون ، ويعرف بابن سُكّره • استشهد في وقعة كتنده (سنة ٥١٤) • رحل الى المشرق سنة ٤٨١هـ وحج من عامه ، ثم سار الى البصرة فلقي بها ابا يعلى المالكي وابا العباس الجرجاني وغيرهما • وخرج الى بغداد فسمع بواسط من ابي المعالي محمد بن عبدالسلام الاصبهاني وغيره ، ودخل بغداد سنة ٤٨٢هـ فأطال الاقامة بها خمس سنين كاملة ، وسمع بها من ابي الفضل ابن خيرون مسنِد بغداد ، ومن ابي الحسين المبارك ابن عبدالجبار الصيرفي ، وطراد الزينبي والحميدي ، وغيرهم ، وتفقه عند ابي بكر الشاشي وغيره •

ومنهم الحافظ ابو الخطاب بن دحية ، وهو مجد الدين عمر بن الحسن بن علي بن محمد ابن الجمّيل بن فرح بن خلف ، كان من كبار المحدثين ، ومن الحفاظ الثقات الاثبات المحصلين • ولد سنة ٥٤٧ وتوفي سنة ٦٣٣ • سمع ببغداد من ابي الفرج بن الجوزي •

ومنهم الإمام الحافظ ابو عبدالله محمد بن فتّوح بن عبدالله الازدي الحُميدي » نسبة لجده ُحمَيْد الاندلسي (توفي ببغداد سنة ٤٨٨ هـ) • روى عن الخطيب البغدادي وكتب عنه اكثر مصنفاته ، واقام بواسط مدّة بعد

خروجه من بغداد ، ثم عاد الى بغداد واستوطنها وكتب بها كثيراً من الحديث والأدب وسائر الفنون . وفي بغداد الف كتابه « جذوة المقتبس في اخبار علماء الاندلس » .

ومنهم ابو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد ، الازدي القرطبي ، الملقب بضياء الدين ، احد الائمة المتأخرين في القراءات وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك .

رحل من الاندلس في عنفوان شبابه ودخل بغداد سنة ٥١٧ وقرأ بها القرآن وسمع كتباً كثيرة منها كتاب سيبويه ، وقرأ الحديث على ابي بكر محمد بن عبدالباقي البزاز . واستوطن الموصل ورحل منها ثم عاد اليها . ولد سنة ٤٨٦ بقرطبة وتوفي بالموصل (سنة ٥٦٧)[٦] .

ومنهم الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن احمد بن عبدالله ، الحاتمي . ولد بمرسيه سنة ٥٦٠ وتوفي نحو سنة ٦٤٠ بدمشق . دخل بغداد مرتين[٧] .

ومنهم يحيى بن الحكم البكري الجياني الملقب بالغزال الجمالة (توفي سنة ٢٥٠) . قال ابن حيان عنه في المقتبس : « كان الغزال حكيم الاندلس ، وشاعرها وعرّافها ... »[٨] . دخل العراق ، بعد موت ابي نواس بمدة يسيرة ، وكانت له اخبار هناك .

ومنهم ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي ، متمم كتاب « المغرب في اخبار المغرب » . دخل الموصل وبغداد . وكان ارتحاله الى بغداد في اواخر سنة ٦٤٨ في رحلته الاولى اليها ، ثم رحل الى البصرة ثم حج وعاد الى المغرب[٩] .

ومنهم عبدالرحمن بن محمد بن عبدالملك بن سعيد ، يقول عن الموصل وبغداد : « ثم رحلت الى الموصل فألفيت مدينة عليها رونق الاندلس ، وفيها

لطافة وفي مبانيها طلاوة ترتاح لها الانفس ، ثم دخلت الى مقر الخلافة بغداد ، فعاينت من العِظم والضخامة مالا يفي به الكتب ولو أن البحر مِداد ... »[١٠]

يلاحظ في هـذا النص الحس الفني الرفيـع في تذوق جمال العِمارة ومعاني الفخامة فيها .

ومنهم ابو الحسين محمد بن احمد جُبير ، الكناني (ولـد سنة ٥٤٠ وتوفي سنة ٦١٤) صاحب الرحلة المشهورة[١١] .

ومنهم ابو علي الحسن بن علي بن الحسن بن عمر البطليوسي الذي سمع مقامات الحريري من الحريري نفسه ببستانه في بغداد .

ومنهم بقـي بـن تخلد بن يزيـد ، ابـو عبدالرحمـن ، القرطبي ، الأندلسي (ولد سنة ٢٠١ وتوفي ٢٧٦) ، الحافظ ، احد الاعلام ، وصاحب التفسير ، والمسند الذي قال عنه ابن حـزم : « مسـند بقي روى فيه عن الف وثلاثمائة صاحب ونيّف ، ورتب حديث كل صاحب على ابواب الفقـه فهو مسند ومُصنف ، وما اعلم هذه الرتبة لأحد قبله ، مع ثقته وضبطه وإتقانـه واحتفاله بالحديث ، ... فصارت تصانيف هـذا الامام الفاضل قواعـد للاسلام لا نظير لها ، وكان متخيراً لا يقلّد أحدا ، ... »[١٢] . سمع ببغداد احمد بن حنبل وطبقته ، وبالكوفة يحيى بن عبدالحميد الحماني ومحمد بن عبدالله بن نمير وابا بكر ابن أبي شيبة وطائفة اخرى من العلماء ، وبالبصرة اصحاب حماد بن زيد .

أكثر هؤلاء الاعلام الاندلسيين كانوا يعودون الى بلادهم وفي صدورهم علم جَم ، وفي معيتهم أحمال من الكتب العراقية والمشرقية من امهات المصادر في كل علم وفن . وكانوا يذيعون ما حصلوا عليه من علم في الاندلس عن طريق التدريس والتأليف .

على أن الوافدين على الاندلس من أهل المشرق لم يكن دورهم الثقافي الذي أدوه في الاندلس بأقل اهمية من دور الراحلين من الاندلسيين الى المشرق وكان هؤلاء الوافدون قوماً كثيرين ، ليس في الامكان حصر الأعيان الاعلام منهم ، فضلاً عن غيرهم •

ويهمنا ، هنا ، أن نتعرض لذكر بعض من كان له منهم تأثير قوي واضح في الأندلس •لهذا سنقتصر كلامنا على ثلاثة اعلام هم : أبو علي القالي ، وصاعد البغدادي وعلي بن نافع الملقب بـ « زرياب » • وسنتحدث عن الاثنين الأولين تحت فقرة التأثير العراقي في اللغة والادب • ونتحدث عن زرياب وتأثيره تحت فقرة « التأثير العراقي الفني والاجتماعي » •

وفد ابو علي القالي (٢٨٨ ـ ٣٥٦هـ) على الاندلس أيام عبدالرحمن الناصر (حكم ٣٠٠ ـ ٣٥٠) فأمر ابنه الحكم أن يستقبله بكل تكرمة واحترام • ونال عند الناصر حظوة عظيمة • وكان من مكانته بين الاندلسيين أن ابا بكر الزبيدي الذي كان إماماً في الأدب ، عرف فضل القالي ، فاختص به واستفاد من علمه ، واقرّ له بذلك(١٣) •

وكان القالي على مذهب البصريين في النحو ، فقد بحث على ابن دُرُستُوَيه كتاب سيبويه ودقق النظر ، وانتصر للبصريين ، وأملى شيئاً من حفظه ككتاب « النوادر والأمالي» و « المقصور والممدود » و « الابل والخيل » و « البارع في اللغة » الذي كان نحو خمسة آلاف ورقة لم يصنف مثله في الاحاطة والجمع ، ولم يتم • ورتب كتاب « المقصور والممدود » على مخارج الحروف من الحلق مستقصى في بابه لا يشذ منه شيء ، وكتاب « فعلت وافعلت » وكتاب « مقاتل الفرسان » و « تفسير السبع الطوال » •

فكان للقالي تأثير في التمكين لمذهب البصريين النحوي ، في الاندلس وهو أول من أدخل كتاب الكسائي الى الاندلس • وكان هناك جملة من كتب الكوفيين ، الا أن كتاب الكسائي كان له التأثير الاقوى • على أن المذهب

الكوفي لم يكتب له الانتشار في الاندلس . اما المذهب البصري في النحو فقد انتشر انتشاراً كبيراً هناك[١٤] .

ولا ندري ، على وجه اليقين ، متى دخل كتاب سيبويه ، امام البصريين ، الى الاندلس ، ولا ندري من ادخله . ولكننا نعرف انه كان في الاندلس ، بعد موت مؤلف الكتاب بنصف قرن ، رجل يدعى محمد بن اسماعيل ، وكان يعرف باسم حمدون ، ويلقب « النجعة » او « البجعة » (ظهر بعد المائتين للهجرة) ، وانه كان يردد عن ظهر قلب ، نص كتاب سيبويه باكمله ، وانه كان يدرّسه في احد مساجد قرطبة . ونعرف ايضاً أن ابا اليسر الرياضي (توفي سنة ٢٩٨هـ = ٩١٨م) ، وهو من اهل بغداد الوافدين على الاندلس ، ادخل مجموعة ضخمة من الكتب المشرقية ، كان بينها كتاب سيبويه .[١٥]

ولدينا ما يفيد أن تلاميذ سيبويه كانت لكتبهم منزلة كبيرة في الاندلس امثال ابي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالاخفش .

وادخل محمد بن يحيى بن عبدالسلام الرباحي (توفي سنة ٣٥٨هـ = ٩٦٨م) الذي درس في العراق على الزجاج ، مجموعة من الكتب المشرقية ، ولاسيما كتب اعلام النحو العراقيين ، واذاعها في الاندلس . فمما ادخله كتاب « الاخبار » للمازني ، وهو يحتوي على اخبار النحويين ، وادخل كتاب « التصاريف » للمبرد ، وكان قد درس هذين الكتابين على استاذه الزجاج . وقد جعل ابن حزم الرباحي في مصاف كبار تلاميذ المبرد[١٦] .

التأثير العراقي في المعجمات اللغوية في الاندلس :

الاندلسيون الاوائل الذين رحلوا الى المشرق لم يكن همهم الأول منصرفا الى العلوم اللغوية والمعجمية ، بل كان اهتمامهم الرئيس منصرفا الى العلوم الدينية ، نظراً لحاجة المسلمين في تلك الاراضي البعيدة عن اوطانهم المشرقية الى التعمق في معرفة تفاصيل الدين الحنيف ، ليكونوا أقدر على اشاعته واذاعته بين سكان الاندلس من الاعاجم .[١٧]

وكان ابو زيد الانصاري والأصمعي ، وكلاهما من البصرة (توفيا سنة ٢١٥هـ = ٨٣٠م) أول من مارس تأثيراً لغوياً معجميا في الاندلس . فقد درس عليهما الاندلسيان الغازي بن قيس (توفي ١٩٩ = ٨١٤) وابو موسى الهوّاري ، من أهل استجة في الاندلس ، وهو أول اندلسي يؤلف في تفسير القرآن .

ومن تلاميذ الأصمعي الاندلسيين سوّار بن طارق القرطبي . حينما اكمل دراسته في العراق وعاد الى الاندلس اختاره الامير هشام مؤدباً لأولاده. وكان الحكم الأول بين من ادبهم سوّار . ومن تلاميذ الاصمعي ايضاً الشاعر الاندلسي عباس بن ناصح الجزيري ، نسبة الى بلدة الجزيرة في جنوب الاندلس على المضيق .

ولقد وصلت شهرة الاصمعي في الاندلس ، وهو لا يزال على قيد الحياة، الى حد أن كل من كان ، من الاندلسيين ، ذا معرفة جيدة بمفردات اللغة يطلقون عليه لقب الاصمعي ، ومن هؤلاء محمد بن سعيد الزجالي ، الذي عينه عبدالرحمن الثاني كاتبا له لسعة علمه باللغة ومفرداتها .

وفي منتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وصلت الى الاندلس بعض امهات المعجمات اللغوية وكان بينها كتاب ابي عبيد القاسم بن سلاّم (توفي سنة ٢٢٣ = ٨٣٧) الموسوم « الغريب المصنف » ، وكتاب « العين » للخليل بن احمد .

التأثير العراقي في التاليف الأدبي : في المؤلفات الادبية ذات الطابع العام والمتنوع :

هذا النوع من الدراسة الأدبية كان يتضمن معارف متنوعة تفيد في تثقيف الدارس ورفده بمجموعة من المعارف عن اللغة والشعر وشرحه ، والاخبار المتعلقة بذلك .

ولقد ازدهر هذا النوع الأدبي ، في البصرة وبغداد ، خاصة ، حيث برز كبار المتخصصين فيه • وقد جلبت شهرة الاساتذة العراقيين الاندلسيين المتطلعين لهذا النوع من الدرس •

وكان هناك ثلاثة تلاميذ من الاندلسيين المتحمسين لدراسة هذا النوع من المعارف ، وكان لهم الفضل في ادخاله الى الاندلس :

أولهم محمد بن عبدالسلام الخشني (٢١٨ـ٢٨٦ = ٨٣٣ـ٨٩٩) • بدأ رحلته الى العراق حين كان في سن العشرين ، ومكث في العراق عشرين سنة فدرس في البصرة على ابي حاتم السجستاني ، والزيادي ، والرياشي • ودرس في بغداد كتاب ابي عبيد بن سلاّم المذكور • ثم عاد الى الاندلس حيث رفض منصب « قاضي جيان » حينما عرض عليه ، وانصرف طيلة حياته للتدريس • واتبع في التدريس طريقة اساتذته العراقيين في الاملاء ، في جامع قرطبة • فكانت اماليه هذه من المصادر التي استخدمها ابن عبد ربه في كتابه « العقد »

والثاني هو محمد بن عبدالله بن الغازي (٢٩٥ = ٩٠٧) • بعد أن درس في الاندلس سافر الى العراق لاستكمال تحصيله ، فدرس هناك على اساتذة الخشني انفسهم • ويبدو انه صرف جلّ اهتمامه الى دراسة الشعر • يقول عنه ابن الفرضي « عنه اخذ اهل الاندلس الاشعار المشروحة كلها » • وكانت اماليه من مصادر ابن عبد ربه ايضاً •

وكان لهذين الاندلسيين مجموعة كبيرة من الطلاب اذاعت الثقافة الادبية العراقية في الاندلس • ونسوق مثالا واحدا على التأثير الذي مارسته الثقافة العراقية في الاندلس عن طريق احد هؤلاء الطلاب هو محمد بن حزم (توفي سنة ٢٨٢ـ٨٩٢) فقد كان حريصاً على ما تعلمه من ابن الغازي ومن الخشني فاسس مدرسة ، بالمعنى الحديث للكلمة ، كان يدرس فيها كتب الادب العراقية ، وكان ولده يدير هذه المدرسة وكان فيها قسمان : قسم للطلاب يدرس فيه ابن حزم نفسه ، وقسم للطالبات تدرس فيه اخت له •

أما الاستاذ الثالث ، من تلاميذ الخشني وابن الغازي ، فهو محمد بن عبدالله بن سوّار • درس في البصرة على شيوخ زميليه المذكورين • وحينما عاد الى الاندلس انصرف الى التدريس حتى موته (سنة ٣٠٢ = ٩١٤) • وكان تاثيره عظيماً في الثقافة الاندلسية •

ويرجع الفضل في ادخال كتب ابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦ = ٨٨٩) والمبرد (المتوفى سنة ٢٨٥ = ٨٩٨) الى مجموعة الاعلام الاندلسيين الذين درسوا في العراق ، والى بعض المشارقة الذين وفدوا الى الاندلس • فمن الاندلسيين الذين درسوا على ابن قتيبة كتبه وادخلوها ، عند عودتهم ، الى الاندلس ابراهيم ابن موسى بن جميل (توفي ٣٠٠ = ٩١٢) ، ومحمد بن موسى الاقشنين (ت ٣٠٧ = ٩١٩) •

على أن الذي اهتم اكثر من غيره من الاندلسيين بجلب كتب ابن قتيبة هو قاسم بن اصبغ ، من بيّانة ، (ت ٣٤٠ = ٩٥١) • فقد درس في الاندلس على الخشني وابن الغازي • ثم توجه الى المشرق سنة (٢٧٤ = ٨٨٩) • وفي بغداد درس هذه المؤلفات على مؤلفيها • وعند عودته جلب معه كتاب « المعارف » ، و « ادب الكتاب » ، وكتاب « غريب القرآن » و « شكل القرآن » وكان لقاسم بن اصبغ العديد من الطلاب في الاندلس اذاعوا مادرسوه عليه من هذه الكتب العراقية •

ويأتي المبرد وكتبه ، بعد ابن قتيبة ، في الشعبية التي لاقاها في الاندلس • فقد دخل كتابه « الكامل » الى الاندلس ، مع احد تلاميذه ويدعى علي بن سليمان الاخفس (ت ٣١٥ = ٩٢٧) • وكان لهذا الكتاب تأثير كبير في الثقافة الاندلسية ظهر جانب منه في كتاب العقد لابن عبد ربه • ولدينا خبر يقول إن جارية لابن غالون القرطبي (القرن الخامس الهجري = الحادي عشر الميلادي) كانت تدرس كتاب الكامل في مدينة «دانيه» دونما حاجة الى نسخة منه ، لأنها كانت تحفظه في صدرها •

ويعتبر ابو علي القالي (٢٨٨–٣٥٦هـ = ٩٠٠–٩٦٦ م) رسول الثقافة العراقية ، بحق ، الى الاندلس ، وناقل التاثيرات المشرقية الثقافية والادبية الى هذا الافق البعيد . فبالاضافة الى ما ادخله القالي الى الاندلس من امهات المؤلفات العراقية ، تبرز اهميته في انه رَسَّخ اسس الثقافة المشرقية العراقية في الاندلس ، وقوّم بنقده البناء المؤلفات المشرقية التي كانت معروفة قبله هناك . لهذا كله كانت لدروسه جاذبية خاصة جلبت اليه الكثير من الطلبة والمريدين ، من الاندلسيين . فاستطاع بهذا أن يدعم بناء الثقافة العربية المشرقية ، في الاندلس ، وأن يجعله بناءً مكينا .

وقد شاعت في الاندلس مجموعة من المؤلفات الأدبية والتاريخية نزع فيها مؤلفوها منزعاً عراقياً صريحاً . من ذلك كتاب « الحدائق » لابي عمر احمد بن فرج الجياني (توفي ٣٦٦ = ٩٧٦) الذي عارض به كتاب « الزهرة » لابي محمد بن داود[١٨] . والف ابو الوليد بن زيدون كتاب « التبيين في خلفاء بني امية بالاندلس » على منزع كتاب « التبيين في خلفاء المشرق » للمسعودي. وصنف احمد بن محمد بن موسى الرازي (المتوفى ٣٢٤ = ٩٣٦) كتابا « في صفة قرطبة وخططها ومنازل الاعيان بها ، على نحو ما بدأ به ابن ابي طاهر (المتوفى ٢٨٠) في كتابه عن «بغداد» وذكر اخبارها ومنازل صحابة ابي جعفر المنصور بها[١٩] .

التاثير العراقي في الحياة الاجتماعية الاندلسية :

يرجع الفضل في فتح ابواب الاندلس امام الثقافة العراقية والمشرقية الى الأمير عبدالرحمن الاوسط (حكم من ٢٠٦–٢٣٨) . فقد كان الامراء الامويون قبله يحاولون ان يتجنبوا كل إتصال مع بغداد ، بسبب العداء السياسي الدموي الذي كان مستحكماً بين العائلتين العباسية والاموية . ولكن عبدالرحمن الاوسط أدرك أنه من غير الممكن بقاء الأندلس معزولاً عن المعطيات الحضارية التي تشع من العراق . فاستطاع ، بحكمته العالية ،

وادراكه العميق لحقائق الحياة ، أن يميز بين السياسة ، التي تفصله عن العراق، والحضارة العراقية الزاهرة التي تشده اليه ، أي الى جذور الأمة التي تغذي اقطارها المختلفة بالحياة والنماء • فإذا كان العداء التقليدي بين الامويين في الاندلس ، والعباسيين في العراق يضطره الى أن يتخذ الاجراءات الكفيلة بحماية امارته من التدخلات السياسية من قبل العباسيين ، فإن إدراكه العميق لضرورة الاغتراف من ذلك المعين الحضاري الرائع الذي كان العراق يتمتع به، وينشره في كل الارجاء المعمورة ، دفعه لأن يطمح الى ان يستفيد من ذلك المستوى الحضاري الرفيع ، ليجعل عاصمته قرطبة منافسة قديرة لبغداد في العلوم والآداب ، والمستوى الحضاري •

وبغداد التي أراد عبدالرحمن الأوسط أن يرفع قرطبة الى مستواها ليمكنها من منافستها ومطاولتها في مستواها ، هي بغداد التي وصفها ابن حزم الاندلسي (٣٨٣ــ٤٥٤ = ٩٩٤ــ١٠٦٣) بأنها « ••• حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة ، والمحلة التي سبق أهلها الى حمل ألوية المعارف ، والتدقيق في تصريف العلوم ، ورقة الاخلاق والنباهة والذكاء وحدة الافكار ونفاذ الخواطر »[٢٠] •

ووصفها ، في مكان آخر ، بأنها « ينبوع العلم » و « محلة العلماء » ، و « هي دار هجره الفهم وذويه ومراد المعارف واربابها »[٢١] •

وهذا الأدراك الحكيم لاهمية الحضارة في رفع شأن الامم جعله يفتح ابواب الاندلس امام معطيات الحضارة المشرقية ، وخاصة ، تلك التي تصدر عن العراق • واستطاع بهذا أن يحقق للاندلس تطوراً حضارياً كبيراً يقوم على مقومات الحضارة المشرقية في بغداد المجتلبة الى الاندلس ، فاستحق ما قاله عنه قدماء المؤرخين في انه « أول من رتب رسوم المملكة وكسا الخلافة أبهة الجلال » •

ومن مظاهر التأثير الحضاري العراقي في الاندلس ما ذكره ابن القوطية في « تاريخ افتتاح الاندلس »[٢٢] من أن بعض خاصة الأمير عبدالرحمن كان يلبس الملابس العراقية •

وفي كتاب « القضاة بقرطبة »[٢٣] ما يفيد أن نساء الخاصة في الاندلس كن يلبسن الملابس العراقية ، ويظهر انها كانت مما يتباهى به ويفخر •

وكان من ضمن ما اشتملت عليه هدية أحمد بن عبدالملك بن شهيد ، المشهورة والمتعددة الاصناف ، ستة مطارف عراقية قدمها الى عبدالرحمن الناصر ، وستة من السرادقات العراقية ، وثمانية واربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب ، وخمس من الخيل العراب مسرجة ملجمة لمراكب الخلافة مجالس سروجها خز عراقي[٢٤] • وكان ابن شهيد أول من سُمي ذا الوزارتين بالاندلس امتثالاً لاسم صاعد بن مَخْلَد وزير بني العباس ببغداد[٢٥] •

ولم يكن المسلمون الاندلسيون الموسرون وحدهم في الاحتفال بالملابس العراقية ، بل كان هذا شأن المستعربين من الاسپان ايضاً • فقد ترك هؤلاء المستعربون ملابسهم القومية ليتزينوا بالملابس العراقية تشبهاً بالمسلمين الاندلسيين •

على أن التأثير الاجتماعي العراقي الأوسع تم على يد علي بن نافع الملقب بـ « زرياب » (١٧٣ــ٢٣٨ = ٧٨٩ــ٨٥٢) الذي نقل الى الاندلس الكثير من مستحدثات الحضارة العراقية في مجال الفن الغنائي والموسيقى والآداب الاجتماعية • ويرجع سبب وفود زرياب الى الاندلس الى الجفوة التي حصلت بينه وبين استاذه اسحاق الموصلي مغني هارون الرشيد • فقد امتلأ صدر اسحاق حسداً وغيظاً ضد تلميذه زرياب لما لقيه هذا من حظوة عند الخليفة • فخشى زرياب من غضب استاذه ذي النفوذ الواسع في بلاط الرشيد ، فقرر السفر الى المغرب هرباً من البطش المحتمل الذي يضمره له استاذه • وفي المغرب

كاتب الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦ = ٧٩٦-٨٢٢م) وأعلمه برغبته في القدوم الى الاندلس ، فسر الحكم بذلك ودعاه للمجيء الى الاندلس ، ولكن الحكم توفي قبل أن يصل زرياب . ولما ولي عبدالرحمن الاوسط ، حثّ زرياب على المجيء ، واستقبله احسن استقبال ، واجرى له راتباً شهرياً مقداره مائتا دينار ، اضافة الى ما كان يكرمه به من الهدايا في المناسبات والاعياد .(٢٦)

ولقد مارس زرياب تأثيراً قوياً في الحياة الفنية والاجتماعية الأندلسية فقد أدخل اصول الغناء المشرقي العراقي الى الأندلس ، وكون مدرسة موسيقية خاصة اضفى عليها طابعه المتميز . وجعل للغناء اصولاً محددة لها بداية وخاتمة مقررة ، وشرع بتعليم الغناء واصوله . وصار ذلك سنة فنية بالاندلس فكل « من افتتح الغناء فيبدأ بالنشيد اول شدوه بأي نقر كان ، ويأتي اثره بالبسيط ، ويختم بالمحركات والاهزاج تبعا لمراسم زرياب » .

ثم استطاع أن يطوّر آلة العود ، فقد كان العود يتألف من اربعة أوتار ، فاضاف اليه زرياب وتراً خامساً . كما جعل مضراب العود من قوادم النسر ، بعد ان كان من مرهف الخشب ، فابدع في ذلك ايما ابداع لرقة الريشة ولطفها وخفتها على الأصابع ولطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته قشر الريشة(٢٧) .

ولم يقتصر اثر زرياب على تطوير الفن الموسيقي واشاعته في الاندلس ، بل كان قدوة لأهل الاندلس وملوكهم فيما سنه لهم من آدابه ، واستحسنه من اطعمته . فعندما دخل زرياب الاندلس وجد « جميع من فيها من رجل أو امرأة يرسل جُمّته مفروقاً وسط الجبين عامّاً للصدغين والحاجبين » فعلمهم زرياب خطا جديدا في تسريح الشعور وتسويتها مع الحواجب وتقصيرها دون الجباه ، وتدورها الى آذانهم واسدالها الى اصداغهم ، مالت اليه انفسهم واستحسنوه . ومما لاشك فيه ان هذه الطرق في تسريح الشعور كانت عراقية بغدادية .

وأدخل زرياب الى الاندلس زراعة بقلة الهليون ، وتسمى عند الاندلسيين الإسفراج ، وهو يقابل (الاسپراكس) ASPARAGUS ، ولم

يكونوا يعرفونها قبله . وعلمهم انواعاً متعـددة من الاطعمة العراقيـة التي استذوقوها فأقبلوا عليها ، وشاعت بينهم . وعندهم لون من التقلية ينسب الى زرياب .

ومما اشاعه بين الاندلسيين من مستحدثات الحضارة العراقية استعمال آنية الزجاج الرفيع بدلاً من آنية الذهب والفضة ، وفرش انطاع الآديم اللينة الناعمة بدلا من ملاحف الكتان ، وايثار « سفر الاديم لتقديم الطعام فيها على الموائد الخشبية اذ الوضر فيها يزول عن الأديم بأقل مسحة » وتعلموا منه ان يلبسوا كل صنف من الثياب في زمانه الذي يليق به .

وكان زرياب الى ذلك كله ، « عالمـاً بالنجوم وقسمة الأقاليم السبعة ، واختلاف طبائعها واهويتها وتشعب بحارها ، وتصنيف بلادها وسكانها ، مع ما سنح له من فك كتاب الموسيقى ، مع حفظه لعشرة آلاف مقطوعة من الاغاني بألحانها »[٢٨] .

ولدينا ما يفيد ، الى جانب هذا ، أن زرياب كان يشير على الأمـراء الامويين فيأخذون برأيه[٢٩] .

ومن النساء الداخلات الى الاندلس من المشرق ، مع ما دخل معهن من مستحدثات الحضارة العراقية ، قمر جارية ابراهيم بن حجاج اللخمي (القرن الثالث الهجري ، التاسع الميـلادي) صاحب اشبيليـة . « وكانت من اهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصوغ الالحان » . جُلبت اليه من بغداد ، وكانت ذات ادب وظرف ، ورواية وحفظ ، مع فهم بارع وجمال رائع » ومن شعرها تتشوق الى بغداد[٣٠] .

آهـاً علـى بغـدادها وعراقهـا
وظبائهـا والسـحر في احداقهـا
ومجالهـا عنـد الفـرات بأوجـه
تبـدو اهلتهـا علـى اطواقهـا

متبخترات في النعيم كأنما
خلق الهوى العذري من اخلاقها

نفسي الفداء لها فأي محاسن
في الدهر تشرق من سنا إشراقها

مكانة النموذج العراقي في الكتب الاندلسية والمغربية :

كانت بغداد العباسيين هي العاصمة الحقيقية لدولة الاسلام ، ومركزاً حضارياً استقطب جميع مقومات الحضارة ومستحدثاتها ، في ذلك العصر ، حتى غدت قبلة الانظار ، ونموذجاً يحتذى به وتقاس اليه مظاهر التقدم العلمي والحضاري في كل اقطار دولة الاسلام ، ومناطقه المختلفة . فقد نقل المقّري في نفح الطيب[٣١] كلاماً للحجاري في « المسهب » يقول في معرض امتداح اهل الاندلس : « الاندلس عراقُ المغرب عزّةً انساب ورقة آداب ، واشتغالاً بفنون العلوم ، وافتناناً في المنثور والمنظوم ، .. »

ويقول ابن بسّام الشنتريني متفاخراً بمنزلة جزيرة الاندلس : « اشراف عرب المشرق افتتحوها ، وسادات اجناد الشام والعراق نزلوها ، فبقي النسل فيها بكل اقليم ، على عرق كريم[٣٢] .

وقال ابن غالب في « فرحة الانفس » في معرض ثنائه على الأندلس وأهلها:

« وأهل الاندلس عرب في الانساب والعزّة والانفة وعلو الهمم ، ... بغداديون في ظرفهم ونظافتهم ورقة اخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة اذهانهم وجدّة افكارهم ونفوذ خواطرهم »[٣٣] .

وقاس ابن سعيد الاديب والمؤرخ والرحالة الاندلسي الشهير ، قاس عظمة مراكش بعظمة بغداد اذ قال : « إن حضرة مراكش هي بغداد المغرب ... »[٣٤] .

وقرطبة التي كانت قاعدة الاندلس ودار الملك التي تجبى لها ثمرات كل جهة وخيرات كل ناحية ، وقال عنها الرازي انها « قـرارة الملك في القـديم والحديث والجاهلية والاسلام » ، قرطبة هذه يشبهها ابن حوقل باحد جانبي بغداد فقط اذ يقول :

« ويزعم قوم من أهلها أنها كأحد جانبي بغداد ، وإن لم تكن كأحد جانبي بغداد فهي قريبة من ذلك ولاحقة به »(٣٥) .

وقد بلغ من عظمة بغداد أن اخذ اليونان من اسمها الذي اطلقه عليها ابو جعفر المنصور « دار السلام » اللفظ اليوناني ايرونو مولسي.ويرى كاتب مادة « بغداد » في دائرة المعارف الاسلامية انه من المؤكد أن اسم « دار السلام » فيه اشارة الى الجنة ، ذلك لأن بغداد اصبحت ، بعد ذلك ، احد اربعة مواضع اطلق عليها المسلمون « جنة الارض » وهي : الأبلـة وغوطة دمشق ووادي بوّان وبغداد ، وقد نقل الفرس هذا الاسم الى لغتهم فقالوا « بهشت آباذ » اي موضع الجنة .(٣٦)

وكان من مظاهر هذه المكانة المرموقة التي تتمتع بها بغداد أن ازدهرت فيها انواع من الصناعات المهمة التي كان لها تأثير بعيد المدى تجاوز الأندلس في المغرب الى أوربا .

ففي مجال هندسة البناء وصناعته كان لمهندسي بغداد وخبرتهم العالية في هذا الفن دور كبير في بناء معالم حضـارية عديدة في الأندلـس ، منهـا مشاركتهم في بناء قصر عظيم لعبدالرحمن الناصر سماه « دار الروضة » ، كما أسهموا في بناء مدينة الزهراء ، وشاركوا في انشاء العديد من المنشآت والمباني والقصور الاخرى(٣٧) .

ويبدو أنه كانت للعناية بزراعة القطن في العراق آثار حسنة على تطوير صناعة الورق وبعض انواع الثياب الثمينة التي كانت لها شهرة واسعة . فقد

ذكر كرابآتشك أنه انشىء مصنع للورق ببغداد منذ القرن الثاني الهجري . ويذكر ياقوت أن الكاغد ، في عصره ، كان يصنع بدار القز ببغداد .[٣٨] ثم انتشرت زراعة القطن ، خلال القرن الرابع ، في شمال افريقيا والاندلس ، وربما أنتقلت من هناك الى سائر انحاء أوربا ، وآية ذلك أن اسم القطن ما زال في معظم اللغات الأوربية بصورة محوّرة عن اللفظ العربي « القطن » فهو في الأسپانية ALGODON وفي الانكليزية COTON وفي الفرنسية COTTON وفي البرتغالية ALGODAO

وكان أجود الورق ، في ذلك العصر ، هو الورق الذي يصنع في دولة الاسلام ، فقد أصاب صناعته تطور هام على أيدي المسلمين ، وأُعتبر حادثاً هاماً في تاريخ الصناعة العالميـة ، إذ نقاه المسلمون مما كان في صناعته من أوشاب ورق التوت ومن الغاب الهندي [٣٩]

وكانت البلاد الاسلامية المشهورة تنقش على منتجاتها الصناعية عبارة « عمل في مدينة كذا » ليكون ذلك دليلاً على أصالتها وباعثاً للثقة بجودة صناعتها . وكانت شهرة بغداد ، في صناعة الثياب وانواع كثيرة من المنسوجات، قد طبقت الآفاق . لذلك كان اسم بغداد يوضع على بعض الثياب التي كانت تعمل في بلاد اخرى ويكتب عليها اسم بغداد على سبيل التدليس .[٤٠]

ويبدو ، من هـذه الحقائق التاريخية ، أن العبارات التي نجدها على البضائع اليوم ، معلنة عن مكان صناعتها ، مثل « صنع في اليابان » و « صنع في المانيا » والتي أصبحت شرطاً قانونيا ملزماً لكل صناعة حديثة ، ليست هي من بنات أفكار الأقطار الصناعية المتقدمة ، بل هي اقتباس من الحضارة العربية الاسلامية في عصورها الزاهرة .

ويقودنا الحديث عن هذا المظهر الحضاري الى ذكر ظـاهرة حضارية أُخرى تتعلق بموضوع الصناعة عامة ، وصناعة المنسوجات خاصة ، وهـي

ظاهرة تثبيت رقعة صغيرة في الثوب يكتب فيها ثمنه تسمى بطاقة • وهـذا الشيء نفسه هو ما يتّبع ، في عصرنا هـذا ، في محلات بيع الثياب والملابس الجاهزة ، كما هو معلوم ، إلا أن البطاقة الحديثة تضيف تفاصيل اخرى الى جانب السعر مثل اللون والحجم •

ومن المنسوجات العراقية الشهيرة التي طبقت شهرتها الآفاق ، ووصلت تجارتها الى الاندلس واوربا ، ودخل اسمها العربي العراقي معها الى اللغات الاوربية : الاسپانية والبرتغالية والإيطالية ، القماش المعروف بالعتابي ، نسبة الى محلة في بغداد تسمى « العتابية » ، وهو نسيج من القطن والحرير • وقد حل اسم هذا القماش الى اللغات الأوربية المذكورة على صورة (TABI) ومن المنسوجات العراقية المشهورة في الاندلس المطارف العراقية والسرادق العراقية ، والملاحف البغدادية ، والخز الجعفري العراقي ، والطنافس الحيرية التي كانت ترسم عليهـا صورة الفيلـة والخيل والجمال والسباع والطيور والزخارف •

ومن المنسوجات العراقيـة التي كانت لها شهرة عالميـة واسعة قماش الموصلي الذي شاع في المغرب والاندلس وفي أوربا ، واحتفظ باسمه العراقي حتى اليوم في الاسپانية والبرتغالية MUSSELIN وفي الفرنسية MOUSSELINE وفي الانكليزية MUSLIN وفي الالمانية MUSEINA ـد شـاع في عاميتنا العراقية لفظة الأوربي (موسلين) جهلاً باصله العربي العراقي •

إن اسماء الاقمشة جميعها تقريباً ، التي كانت مستعملة في الاندلس ، اما اسماء عربية خالصة ، او كانت منسوبة الى مدن صناعية اشتهرت بصناعة ألنسيج أو بنوع معين من الاقمشة الممتازة ، ولقد استخدم الاسپان والاوربيون عامة الكثير من هذه الاقمشة العربية ، وانواع الثياب التي كانت تصنع منها ، فدخلت الى حضارتهم مع اسمائها العربية • ويقرر بروفنسال انه اذا لاحظنا

انه لم يبق من هـذه الاسماء ، في الاستعمال اللغوي الحديث ، من اللغات الاوربية إلا القليل ، فإن ذلك يرجع لسبب واحـد هو تغير طرز الملابس في العصور الحديثة .[٤١]

ويقرر دوزي أن ملابـس السيدات الاسبانيات المسيحيات ، وأثاث بيوتهن ومفروشاتها ، كانت حتى الى ما بعد ما يسمى بحرب الاسترداد ، اي بعد السيطرة الاسبانية الكاملة على المنطقة العربية من اسبانيا ، كانت تعتني بالملابس العراقية الرائعة مثل : الجبّة ، ولها في الاسبانية الفاظ متعددة منها : gupa و alju'ea و Chupa ، وكلها تحوير للفظة العراقيـة . وانتقلت هذه اللفظة الى الإيطالية بصورة g'ma والى الفرنسية jupe jupon وما زالت هاتان الكلمتان في الفرنسية الحديثة تطلق الاولى على نوع مـن « السترات الصغيرة ، والثانية على التنورة » .

ومن الالبسة العراقية التي شـاعت في اسبانيا باسـمائها العربيـة « الدّرّة » ADORRAU وهي نوع من الحلل المزررة،واللحاف ALLIFAFE وهو دثار او معطف من الجلد ، ويقول دوزي عنه « انه كساء واسع للمرأة » ، والمبطّنة وهي سترة من فرو أو جلـد ، والـ ALMADRENA وهو معطف للمطر .

ومن الأقمشة العراقية التي كانت مستعملة ، خلال العصور الوسطى ، بكثرة ، نوع من القماش الممتاز يعرف بـ « بغدادي BALOAQUIU نسبة الى مدينة بغداد التي كانت تعرف ، في اوربا ، في تلك العصور باسـDALDAC وكانت فيها معامل نسيج ذات شهرة ذائعة ينتج فيها الديباج والقماش المقصب بخيوط الحرير والذهب .[٤٢]

والكوفية التي هي غطاء للرأس منسوبة الى مدينة الكوفة العراقية وقد دخلت الكوفية مع لفظها العراقي الى العديد من اللغات الاوربية واستعملت

للتعبير عن انواع مختلفة من اغطية الرأس ، كما اصبحت لها دلالات مختلفة في بعض هذه اللغات كلها لها علاقة بالرأس وتغطيته • وكان لهذه اللفظة العربية العراقية إسهام كبير في إغناء إمكانات التعبير في هذه اللغات الاوربية • فقد دخلت الاسپانيـــة COFIA والانكليزيـــة COIF والفرنســـية COIFFE والإيطالية CUFFIA وصارت تعني في هذه اللغات « غطاء للرأس » او « قبعة سيدات » •

ومن هذه اللفظة العربية العراقية اشتقت كلمة COIFFURE الفرنسية التي تعني « مصفف الشعر » • وقد استعارت بعض اللهجات العامية العربية الحديثة ، هذه اللفظة من الفرنسية « كوافير » دون ادراك لأصلها العربي • والغريب أن الأصل العربي العراقي لهذه اللفظة قـــد خفي حتى على قاموس الاكاديمية الاسپانية ، فزعم أنها لاتينية • واخذ د • حسن ظاظا بهذا الزعم •[٤٣]

ولكن دوزي وملر اكدا أصلها العربي ، بعد أن كان دوزي قد انكـــر ذلك •[٤٤]

وقد ازدهرت في دولة الاسلام صناعة الروائح العطرية التي يشبّهها آدم متز بالصناعة التي اختصت بها الرڤييرا الفرنسيـــة • وكانت الزيوت العطرية تستخرج ، في ذلك العصر ، من ازهار البنفسج والنيلوفر (وقد دخل هـــذا اللفظ الى الاسپانية هكذا : NENUFAR) ، والنرجس ، والسوسن (وقد دخل اللفظ العربي هذا الى الاسپانية هكذا : AZUCENA والزنبق (وقد دخل الاسپانية هكذا : SANPAGUITA) وغير ذلك

التأثير العراقي في الشعر :

كان العراق قبلة انظار الاندلسيين الراحلين الى المشرق • وكان الشعر العراقي المحدث وازدهاره الذي كانت تصل اخباره الى الاندلس ، باستمرار ،

يسد ادباء الاندلس المقبلين الى العراق ويجذبهم اليه . ومما كان يعجب الاندلسيين في العراق . على كثرة ما يعجبهم فيه ، تلك الثقافة الادبية عامة ، والسعرية خاصة . التي كانت شائعة فيه حتى بين العامة من الناس . ومما يعبر عن هذه الظاهرة قصة رواها الحميدي في كتابه « جذوة المقتبس »[٤٥] عن احد الاندلسيين الذين زاروا بغداد ، قال عنه إنه قال :

« بينا انا ماشٍ في شارع من شوارع الكرخ ببغداد ، فإذا بسقّاء في يده كأس بلور مفتوح منقوش في غاية الحسن وفيه ماء ، وقد أخذ وردةً في ابتداء زمان الورد . فرماها في ذلك الماء ، فكان الماءُ يتموّج فتلوح حمرة الورد مع بيض البلّور . فرأيت منظراً انيقاً فوقفت انظر ، قال : فقال لي : ماذا تنظر يا مغربي ؟ فقلت : حسن هذه الوردة في هـذا الإناء ، وقال لي : لا تعجب من حسن ذلك . ولكن أعجب من حسن قولي فيها حيث اقول :

للـورد عنـدي محـلٌ لأنـه لا يُمَـلُّ

كل النواويـر جنـد وهو الأ مير الأَجل »

وقد رأى د . محمود علي مكي في هذه الحكاية دليلاً حياً على الإحترام والتقدير اللذين كان الاندلسيون يكنانهما للشعر العراقي[٤٦] .

وكان للتيار الشعري العراقي المحدث ، والتيار القديم النقاء في شعر عباس بن ناصح الجزيري ، نسبة الى الجزيرة الخضراء ، في جنوب الاندلس . فقد كانت ثقافته الأولى في الحجاز ومصر ، ثم أنتقل الى العراق حيث اكمل دراسته على مشاهير النحويين واللغويين العراقيين وتعلق بالشعر ، ولاسيما ذي الاتجاه المحافظ . وقد كانت له ثلاث رحلات الى العراق ، وكان اول اندلسي يعرّف المشارقة بشعر الشعراء الاندلسيين . وكان كثيراً ما يحضر المجالس الادبية التي كانت تعقد في العراق ، وتغلغل في حركة الشعر المحدث هناك ، فجمع بذلك ، في تكوينه الشعري ، بين القديم والمحدث ، وكان الشعر العراقي

المحدث الذي كان ينتشر في المدن العراقية يعجبه ويلذ له سماعه • وهو الذي نقله الى الاندلس واذاعه هناك • ومنذ ذلك الوقت بدأ الشعر العراقي المحدث ينتشر في الاندلس وتقوى مكانته ويكثر اتباعه والسائرون على نهجه •

والى جانب هذا ، كان لزرياب المغني البغدادي وعائلته وعبيده دور كبير في إذاعة الشعر العراقي المحدث في الأندلس ، عن طريق الاشعار العراقية التي كان يغنيها في البلاط •

وقد استند المستشرق الاسپاني الكبير ريبيرا ، في دراسته لأثر الموسيقى العربية في الاسپانيين ، خلال العصور الوسطى ، الى اغنية اسبانية صغيرة موضوعها وموسيقاها « يرجعان الى عصر هارون الرشيد ، ومع هذا فقد كان يتغنى بها في اسپانيا في القرن التاسع عشر ، ونقلتها الى البرتغال ، في القرن التاسع عشر ، السيدة ميخايليش ڤاسكونثيليوس »[٤٧] •

ومن شعراء الاندلس ، في القرن الثالث ، الذين تأثروا بالتيار العراقي المحدث في الشعر عبدالله بن الشمر ، ويحيى بن الحكم الغزال الذي كانت له قصائد على نمط اشعار ابي نواس ، والتي كان يصعب ، حتى على الادباء العراقيين ، تمييزها عن شعر الحسن بن هانيء[٤٨] •

وقد ذاعت اشعار أبي نواس في الاندلس منذ وقت مبكر ، ولاسيما اشعاره في الخمر ، فقد كانت لها شعبية واسعة • ولدينا نص تاريخي يبين أن اشعار ابي نواس في الخمر كان ينظر اليها بعض المسؤولين في الدولة باعتبارها عنصر افساد للنشىء • فقد ذكر ابن القوطية في كتابه « تاريخ افتتاح الاندلس » ص ٩٤ أن الوزير امية بن شهيد ، حينما علم بأن أحد المعلمين كان يدرّس ابناءً لبني قسي حين كانوا رهائن عنده في قرطبة ، اشعار عنترة بن شداد ، أمره أن يكف عن ذلك وأن يعلمهم ، بدلاً منها ، اشعار ابي نواس في الخمرة وما يشبهها من اشعار الهزل والسكر والعربدة ، لكي يضعف شخصية ابناء اعدائه • وهذا النص يدل على أن اشعار ابي نواس كانت شائعة متداولة بين

الاندلسيين في اواسط القرن الثالث الهجري ، التاسع الميـلادي • وجاء في الأخبار أن المنصور بن ابي عامر كان يدعو شعراء بلاطه الى مباراة القصائد الشهيرة لابي نواس •

وشعر المجون يتصل اتصالاً وثيقا بشعر الخمر • وكان هذا النوع من الشعر المجوني ، في الاندلس متأثراً ايضاً تأثراً قوياً بالشعر العراقي المحدث •

وفي شعر الهجاء في الاندلس يبرز مؤمن بن سعيد (توفي سنة ٢٦٧ = ٨٨٠) الذي هاجى ثمانية عشر شاعراً فعلاهم جميعاً (انظر : ابن سعيد : المغرب ١/١٣٢) والذي رحل الى المشرق ، ولقي ابا تمام وروى عنه شعره • وكان في اسلوبه متأثرا بالشعر العراقي المحدث • وقد سماه الحجازي « دعبل الاندلس » •

وكان لشعر الزهد العراقي تأثيره في الشعر الاندلسي ايضاً • فقد دخلت اشعار ابي العتاهية وشعراء الزهد العراقيين الآخرين الى الاندلس في نفس الوقت الذي ظهرت فيه في العراق • ومن اوائل الشعراء الاندلسيين الذين انصرفوا الى الشعر الزهدي غربيب بن عبدالله الطليطلي •

وفي شعر يحيى الغزال الزهدي يبدو تأثير ابي العتاهية قوياً • فمن ذلك قوله :

ولكن بعضنا أهل استتار   وعند الله اجمعنا جريح
ومن انعام خالقنا علينا   بأن ذنوبنا ليست تفوح
فلو فاحت لاصبحنا هروبا   فرادى بالفلا ما نستريح
وضاق بكل منتحل صلاحاً   لنتن ذنوبه البلد الفسيح

فهذه الأبيات تستوحي قول ابي العتاهية :

خانك الطرف الطموح   أيها القلب الجموح

مـن لمطلـوب بذنـب توبـة منـه نصـوح ؟
لطـف اللـه بنـا أن الخطـايا لا تفـوح
فـاذا المسـتور منـا بـين ثوبيـه فضـوح

وقد أشار الى هذه الحقيقة د . محمود علي مكي[٤٩] .

كما تأثر الغزال بشعراء عراقيين آخرين في هذا الاتجاه الزهدي ، منهم صالح بن عبدالقدوس وأبان بن عبدالحميد اللاحقي .

وكان للمتنبي تأثير كبير في الاندلس . فقد أدخل ديوانه الى الاندلس ثلاثة اندلسيين من قرطبة . الأول هو زكريا بن الأشـج (٣١٠ ــ ٣٣٩ = ٩٢٢ ــ ١٠٠٢) وهو من اصل جزائري ، ولكنه اقام في قرطبة . فقد درس ديوان المتنبي على المتنبي نفسه حينما كان مقيماً في القاهرة خلال السنوات (٣٤٥ و ٣٤٩) ثم جلب الديوان معه الى الاندلس واذاعه فيها . والثاني هو محمد بن القاسم القرطبي (توفي سنة ٣٨٠ = ٩٩٠) الذي سمع الديوان من المتنبي ايضاً . والثالث شاعر ونحوي قرطبي يدعى حسين بن الوليد ويعرف بابن العريف (توفي سنة ٣٩٠ = ٩٩٩) . ثم شرح ديوان المتنبي اديب من قرطبة ايضاً هو ابو القاسـم بن الافليلي (٣٥٢ــ٤٤١ = ٩٦٣ــ١٠٤٩) . ويظهر تأثير المتنبي واهميته عند الاندلسيين من ظاهرة شيوع اطلاق لقب « متنبي الاندلس » على عدة شعراء اندلسيين منهم ابن هانيء وابن دراج القسطلي[٥٠] .

ويبين التاريخ الأدبي أنه كان لشاعرين عراقيين آخرين تأثير واسع في الاندلس ، اضافة الى تأثير المتنبي ، وهذان الشاعران هما ابن حجاج وابن سكّره ولاسيما في الموشحات ذات الطابع الشعبي لما لشخصية ابن حجاج خاصة من طابع ظريف وماجن .[٥١]

التأثير العراقي في النثر الاندلسي(٥٢) :

يعتبر محمد بن سعيد الزجالي ، كاتب الأمير عبدالرحمن الثاني ، من اوائل الكتاب الكبار في الاندلس . وقد جعله ابن الابار في كتابه « اعتاب الكتاب » ص ١٧٤ بمنزلة الاديبين العراقيين احمد بن يوسف وابن الزيات ، وكان يُعرف بالاصمعي لعنايته بالادب وحفظ اللغة وتشير هذه المقارنة الى تأثره بالكتاب العراقيين .

وقد اتسع التأثير العراقي في النثر الاندلسي منذ زمن الأمير محمد . فممن نقل تأثيرات النثر العراقي الى الاندلس رجل من ادباء الاندلس رحل الى العراق هو فرج بن سلاّم القرطبي ، ويكنى ابا بكر ، فلقي عمرو بن بحر الجاحظ « واخذ منه كتاب البيان والتبيين وغير ذلك من مكتوباته وادخلها الاندلس رواية عنه »(٥٣) .

وممن ساهم مساهمة كبيرة في نقل التراث النثري العراقي الى الاندلس ابو اليسر ابراهيم بن احمد الشيباني من اهل بغداد وهو من الوافدين على الاندلس « وكان له سماع ببغداد من جلة المحدثين والفقهاء والنحويين ، لقي الجاحظ والمبرد وثعلبا وابن قتيبة ، ولقي من الشعراء أبا تمام والبحتري ودعبلا وابن الجهم ، ومن الكتاب سعيد بن حميد وسليمان بن وهب واحمد ابن ابي طاهر وغيرهم ، وهو الذي أدخل افريقية رسائل المحدثين واشعارهم وطرائف اخبارهم .. »(٥٤) .

وانتقلت كتب « الأدب » العراقية التي هي مجاميع من أخبار الادب والادباء وفيها خليط متنوع من الاخبار والطرائف والمعلومات اللغوية والاجتماعية .. الخ ، انتقلت هذه الانواع من الكتب الى الاندلس ، في القرن الثالث، عن طريق اندلسيين رحلوا الى المشرق وعادوا بأحمال من المؤلفات ، وعلى ايدي مشارقة وفدوا على الاندلس يحملون من المؤلفات المشرقية ، عامة ، والعراقية ، خاصة . وكان من ضمن ما أدخل الى الاندلس من هذه

الكتب مؤلفات ابـن قتيبـة (توفي سنة ٢٧٦ = ٨٨٩) والمبرد (توفي سنة ٢٨٥ = ٨٩٨) على ايدي تلامذتهم من الاندلسيين • ولقد كان للعراق فضل السبق الى هذا الضرب من التأليف ولقد ظهـرت الكتابات فيه في البصـرة والكوفة ، بشكل رئيس • وجلب كبار كتاب هـذا النوع مـن التأليف من العراقيين انظار الاندلسيين •

وكان ممن ادخل هذه الكتب الى الاندلس قاسم بن أصبغ الاندلسي من بيانه (توفي ٣٤٠ = ٩٥١) ويأتي في مقدمة ما ادخله كتاب «المعارف » لابن قتيبة ، وكتاب « أدب الكتاب » وقد شرحه كثير من الادباء الاندلسيين منهم ابن عليم وابن السيد وابن القوطية • كما ادخل كتاب « غريب القرآن » و « مشكل القرآن » •

ويأتي المبرد في الدرجة الثانية بعد ابن قتيبة في الحظوة بين الاندلسيين فقد حظي كتابه « الكامل » بانتشار واسع • وقد عرف الاندلسيون هـذا المؤلف عن طريق تلميذ للمبرد يدعى علي بن سليمان الاخفش (توفي سنة ٣١٥= ٩٢٧) الذي درس هذا الكتاب على المبرد في العـراق ، ثم سافر الى سوريا ومصر حيث درّسه واذاعه في كل الانحاء ، وعنه عرفت ، في الاندلس ، ثلاث روايات لهذا الكتاب ، الاولى لسعيد بن جابر الاشبيلي (توفي سنة ٣٢٥ = ٩٣٦) • والثانية لمحمد بن ابي علاقة المعروف بـ «البواب » (توفي سنة ٣٢٥= ٩٣٦) الذي سمع كتاب الكامل من الاخفش ، وقال الحكـم المستنصر عن رواية ابن ابي علاقة : « لم يصلح كتاب « الكامل » عندنا من رواية الا من قبل ابن ابي علاقه »(٥٥) •

اما الرواية الثالثة فكانت لامير من العائلة المالكـة يدعى ابن الاحمر المرواني (ت ٣٥٨ = ٩٦٨) • وقد اذاع هذا الكتاب في ارجاء الاندلس تلاميذ لسعيد بن جابر • ولقد كان لكتاب « الكامل » تأثير كبير في الثقافة الاندلسية، وكان من مصادر ابن عبد ربه المهمة في كتابه العقد الفريد •

وكان لقدوم ابي علي القالي البغدادي الى الاندلس (٢٨٨ ــ ٣٥٦ = ٩٠٠ــ٩٦٦) تأثير كبير في نشر الثقافة الادبية العراقية في الاندلس ، فقد كان رسولا حقيقيا لهذه الثقافة ، عامة ، وللنوع المسمى « ادبا » خاصة . ولا تكمن تأثيراته في الاندلس في المشاركة في نقل الثقافة المشرقية الى هناك فقط ، بل في توثيق الروايات المختلفة التي نقلت بها هذه الثقافة واشاعة الثقة بها والاطمئنان اليها ايضا[٥٦] .

تأثير المقامات العراقية في الاندلس وفي الأسپاني :

ظهر فن المقامات ، في المشرق العربي ، في اواخر القرن الرابع الهجري . وهو ضرب من الفن الادبي قريب من فن القصة القصيرة في العصر الحديث . واذا كان بديع الزمان (توفي سنة ٣٩٨) هو أول من اجاد هــذا الفن ، فان مقامات الحريري (٤٤٦ ــ ٥١٦ = ١٠٥٤ ــ ١١٢٢) تعتبر من اوسع الكتب الادبية ذيوعا في العالم الاسلامي . والحريري هو محمد القاســم بن علي البصري عربي صميم من بني حرام . ولد بقرية يقال لها « مشان البصرة » ، ونشأ بالبصرة وتخرج على علمائها . وبدأ يكتب مقاماتــه سنة (٤٩٥ هـ = ١١٠٢ م) . وسرعان ما انتشرت مقاماته ، وهو بعد على قيد الحياة ، في مشرق العالم الاسلامي ومغربه . وقد وصلت الى الاندلس ، واقبل عليها الناس ، وكان لها بين ادباء الاندلس صدى واسع ، وراح كثير من الأدباء يعارضونها، منهم الفقيه ابن القصير ابو جعفر عبدالرحمن بن احمد الازدي (المتوفى سنة ٥٧٥ = ١١٨٠) . وكان لابي القاسم بن جهور اثر كبير في اذاعــة مقامات الحريري في الاندلس ، اذ اخذها عنه عدد كبير من تلامذته منهم : محمد بن خليد التميمي (توفي سنة ٥٥٩) ومحمد بن عبد اللــه الليلي (ت ٥٧٠) ، ومحمد بن احمد بن محرز البطليوسي (ت ٥١٣)[٥٧] .

ومممن شرح مقامات الحريري ، مــن الاندلسيين ، محمد بن احمد بن سليمان المالقي (ت ٦١٧) ، وعبد الله بن ميمون العبدري الغرناطي (ت ٥٦٧) ومنهم ابو طالب عقيل بن عطية القضاعي المراكشي (ت ٦٠٨) .

على ان اهم شرح لمقامات الحريري هو شرح ابي العباس احمد بن عبد المؤمن الشريشي (توفي سنة ٦١٩) .

ولعل أهم من عارض مقامات الحريري ، مــن الاندلسيين ، ابو طاهر محمد بن يوسف الاشترقوني السرقسطي (ت سنة ٥٣٨) ، وتعرف مقاماته الخمسون باسم المقامات اللزومية او السرقسطية . وقد ذكر د. احسان عباس ما انتجه الاندلسيون من مقامات معارضة للبديع او للحريري، فبلغ تعداد ذلك ما يقارب المائة مقامة او يزيد . واستمر التأليف على نمــط المقامــات ، في الاندلس ، حتى نهاية الحكم الاسلامي هناك .

على أن التطور لحق فن المقامات في الاندلس فانتقل شكل المقامة من العناية بالزخرف اللفظي على حساب المضمون ، الى أن اصبح اقرب الى أن يكون فناً قصصيا اجتماعياً نقديا .

ولم يقتصر التأثر بنهج الحريري على مسلمي الاندلس وحدهــم ، بل سرى ذلك بين اليهود هناك ايضاً . فلقد شغف ادباؤهم بالفن الجديد فمضى نفر منهم يقلده باللغة العبرية ، منهــم سليمان بن صقبال القرطبي الذي الف مقامات بالعبرية على نهج الحريري . وكذلك فعل يهودي آخر هو يهوذا بن سليمان الحريري الذي حاول ترجمة مقامات الحريري الى العبرية ولكن ما لبث أن انصــرف عن ذلك وفضل ينشيء مقامات اصيلــة ، معارضة لمقامات الحريري . وهناك يهود آخرون نسجوا على منوال الاديب العراقي .

ولقد رصد الباحثون الاوربيون شــبهاً قوياً بين مقامات الحـــريري ، والقصصي الاسباني المعروف باسم «قصص الصعاليك» Lanovela Picaresca

فاستلفت هذا الشبه انظارهم ، وأثار اهتمامهم •

لقد ظهر هذا النوع من القصص في الأدب الأسپاني منذ منتصف القرن السادس عشر ، وازدهر في القرن السابع عشــر • وهو قصص فيه انتقادات اجتماعية لاذعة ، ويبدو البطل فيه اشبه ما يكون ببطل المقامات • فهو شخص وضيع اجتماعياً ، متشرد يعاني آلام الجوع والحرمان ، ولكنه يستعــين في مجابهته مصاعب هذه الحياة الشاقة البائسة بالحيلة والمكر والخداع ، لانه رجل عديم الحياء لانه جوعان « ولا يمكن أن يكون الجوع والحياء صديقين ابدا » •

ويرى شيخ النقاد الاسبان الاستاذ منندث بيلايو أن حياة أبــي زيــد السروجي ، بطل مقامات الحريري ، هي نموذج حقيقي لقصص الصعاليك في الادب الاسپاني •[٥٨] ويقول ادم متز ان المقامات تمهيد للكتابة الروائية على صورة اكبر •[٥٩]

وقد دفع اعجاب الجماهير الاسپانية بهذا اللون من القصص الجديد ، دفع ادباء آخرين الى ممارسة الكتابة فيه فظهرت مجموعات كبيرة من قصص الصعاليك على هذه الشاكلة • ولم يقتصر الاعجاب بهذا اللون الادبي على الشعب الاسپاني بل تعلقت الجماهير الاوربية به في كل انحاء اوربا ، فتوالت طبعات رواية اسپانية من هذا النوع اسمها « قزمان الفرجي » وترجمت خلال سنوات قليلة الى الفرنسية والايطاليــة ، والانكليزية والالمانيــة واللاتينية والهولندية والبرتغالية ، فكان لها تأثير كبير على كتاب القصــة الاوربيين • وتوالت ترجمات قصص الصعاليك الاسپانيــة الى اللغات الاوربية فمارست تأثيراً قوياً وواسعاً على الآداب الاوربية المختلفة •

هذه ملامح مختصرة من الإسهام الحضاري الذي أسهم به العراق في الحضارة الانسانية ، عن طريق امتداد تأثيره الفكري والحضاري الى المغرب والاندلس ، ثم الى الحضارة الاوربية في العصور الوسطى • ولكثير من جوانب هذه التأثيرات والعطاءات الحضارية العراقية تفاصيل جديرة بدراسات مستقلة تبين أصالتها وفاعلية الفكر الذي صدرت عنه ، وعمق تأثيراتها في البناء الحضاري العام للانسانية • ولكننا نكتفي ، في هذا البحث ، بالعرض العام الذي قدمناه لاهم هذه الجوانب والتأثيرات ، على أمل أن نعود الى الموضوع في دراسات تفصيلية لكل جانب من جوانبه •

الهوامش

(١) الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص ٢ ، ط . القاهرة ١٩٣٩ .
وانظر : حكمة الأوسي : فصول في الأدب الاندلسي ص ٥٦ ـ ٥٧ (ط . الرابعة ، الرباط ، ١٩٨٣) .

(٢) نفح ١٤٩/٣ (ت . احسان عباس) .

(٣) نفح ١٣/٢ (ت . احسان عباس) .

(٤) نفسه ٣٤/٢ ـ ٣٥ .

(٥) نفسه ٤٨/٢ .

(٦) نفسه ١١٦/٢ ـ ١١٨ .

(٧) نفسه ١٦١/٢ ـ ١٨٤ .

(٨) نفسه ٢٥٤/٢ وانظر عنه : حكمت الاوسي : فصول في الادب الاندلسي ١١٩ ـ ١٣٦ .

(٩) نفح ٢٦٢/٢ وما بعدها . وانظر عنه : مقدمة كتاب المغرب في حلى المغرب بتحقيق شوقي ضيف .

(١٠) نفح ٣٧٢/٢ .

(١١) نفح ٣٨١/٢ ـ ٤٩٤ .

(١٢) نفسه ٥٠٩/٢ .

(١٣) نفسه ٥١٩/٢ .

(١٤) نفسه ٧٠/٣ ـ ٧٥ .

(١٥) انظر : مكي ص ٩٩ .

(١٦) نفح (ت . محيي الدين) ١٣٠/٤ وانظر : مكي ص ٩٧ .

(١٧) نفح (ت . محيي الدين) ١٧٠/٤ وانظر : مكي ٩٩ .

(١٨) انظر : حكمت الاوسي ص ٥٢ ـ ٥٣ وبالنثيا ص١ ومكي ص١٠٠ـ١٠١ .

(١٩) نفح (ت . احسان عباس) ٥٠١/٢ و ١٧٣/٣ .

(٢٠) نفح ١٨٢/٣ و (ت . محيي الدين) ١٧٣/٤ .

(٢١) نفسه ١٧٣/٣ (ت . احسان عباس) .

(٢٢) نفح (ت . محيي الدين) ١٥٩/٤ .

(٢٣) نفسه ١٦٩/٤ .

(٢٤) ابن الفوطية ص ٦٠ .

(٢٥) الخشني ص ٦٠ .

(٢٦) نفح (ت . احسان عباس) ٣٥٦/١ و ٣٥٨ ـ ٣٥٩ .

(٢٧) نفسه ٣٥٦/١ .

(٢٨) انظر : مكي ١٨ وهو يعتمد على سيمونيه : المستعربون ٣٦٩ وهذا بدوره يعتمد على فلوريث : اسپانيا المقدّسة ٢٦٣/١ .

(٢٩) نفح (ت . احسان عباس) ٣/١٢٦ — ١٢٧ .
(٣٠) نفسه ٣/١٢٧ .
(٣١) الخشني ١٢ .
(٣٢) نفح (ت . احسان عباس) ٣/١٤٠ .
(٣٣) نفسه ٣/١٥٥ .
(٣٤) نفسه ٣/١٥٤ .
(٣٥) نفسه ٣/١٥٠ — ١٥١ .
(٣٦) نفسه ٣/١٥٣ .
(٣٧) نفسه ١/٤٦٠ .
(٣٨) انظر : دائرة المعارف الاسلامية ٧/٣٦٩ (كتاب الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ) .
(٣٩) نفح ١/٥٧٨ .
(٤٠) انظر آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ٢/٣٦١ .
(٤١) نفسه ٢ /٣٦٠ .
(٤٢) نفسه ٢/٣٥٥ .
(٤٣) بروڤنسال : الحضارة العربية ص ١٠٩ (من النص الاسپاني) .
(٤٤) نفسه ١١٠ وحكمت الاوسي : جوانب من التأثير العربي في اللغة الاسپانية ص ٤٧ ، ٤٨ .
ودوزي : معجم الكلمات الاسپانية والبرتغالية ... (بالفرنسية) ص ٢٣٤ ، ٣٧٨ .
(٤٥) الحميدي ٧٠ .
(٤٦) انظر : مكي ٦٩ .
(٤٧) انظر : حكمت الاوسي : فصول في الادب الاندلسي ١٩٨ .
(٤٨) انظر : حكمت الاوسي : المرجع السابق ، فصل يحيى بن الحكم الغزال ، ومكي ٧٣ .
(٤٩) مكي ٨٠ .
(٥٠) نفسه ٨٤ .
(٥١) نفسه ٨٦ .
(٥٢) انظر : مكي ٨٦ — ١١٦ .
(٥٣) ابن الفرضي رقم ١٠٣٦ ومكي ٨٧ .
(٥٤) نفح ٤/١٣٠ (ت . محيي الدين) .
(٥٥) نفسه ٢/٣٥٠ ومكي ١١٢ .
(٥٦) مكي ١١٦ .
(٥٧) احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي — عصر الطوائف والمرابطين ٣٠٣ — ٣٠٤ .

(٥٨) انظر : حكمت الاوسي : المرجع المذكور ١٥٨ ، ومنندث بيلايو : اصول الرواية . (بالاسپانية) ١/٣٥ .

(٥٩) آدم متز ٤٤٣ .

المراجع

إحسان عباس : تاريخ الأدب الاندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين . بيروت ١٩٦٢ .

اخبار مجموعة : لمؤلف مجهول . نشره مع ترجمة اسپانية وتعليق : لافوينتي إي الكنترا . مدريد ١٨٦٧ .

آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري . أو : عصر النهضة في الاسلام . نقله الى العربية : محمد عبدالهادي أبو ريدة . الطبعة الثالثة ، جزآن . القاهرة ١٩٥٧ .

بالنثيا ، آنخل جونثالث : تدريخ الفكر الأنداسي . ترجمة د . حسين مؤنس . القاهرة ١٩٥٥ .

بروفنسال ، ليفي : تاريخ اسپانيا الاسلامية حتى سقوط خلافة قرطبة . وهو الجزء الرابع والخامس من « تاريخ اسپانيا » باشراف : رامون منندث پيدال . (باللغة الاسپانية . ترجمة اميليو غرسيه غومس) مدريد ١٩٥٧ .

: الحضارة العربية في اسپنيا . (باللغة الاسپانيـة) . بوينوس آيرس ١٩٥٣ .

ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . القسم الأول ، المجلد الأول . القاهرة ١٩٣٩ .

حسن ظاظا : كلام العرب : من قضايا اللغة العربية . بيروت ١٩٧٦ .

حكمت علي الاوسي : فصول في الادب الاندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة . الطبعة الرابعة ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرباط ١٩٨٣ .

ـــ : جوانب من التأثير العربي في اللغـة الاسپانيـة . بحث منشـور في « مجلة كلية الآداب » ، بغداد ، المجلد (٣٢) ، آذار ١٩٨٢ .

دائرة المعارف الاسلامية . (الترجمة العربية) . كتاب الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ .

دوزى ، رينهارت : المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ، ترجمة : د . اكرم فاضل . نشر وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٧١ .

دوزي والدكتور و.هـ انجلمان : معجم الكلمات الاسپانية والبرتغالية المشتقة من العربية . (باللغة الفرنسية) ، طبعة ثانية منقحة ومزيدة . مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٧٤ .

الذخيرة = ابن بسام .
ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب . حققه وعلق عليه د . شوقي ضيف . الجزء الأول . القاهرة ١٩٥٣ . والجزء الثاني ١٩٥٥ .
عبدالرحمن ايوب : محاضرات في اللغة ــ القسم الأول ــ ، بغداد ١٩٦٦ .
عنان ، محمد عبدالله : دولة الاسلام في الاندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر . العصر الاول ــ القسم الاول . الطبعة الثالثة . القاهرة ١٩٦٠ .
فرانشسكو كوديرا : دراسات نقدية في التاريخ العربي الاسباني . (باللغة الاسبانية) ، مجلدان . سرقسطة ١٩٠٣ ــ ١٩١٧ .
ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس . نشره كوديرا ، مدريد سنة ١٨٩١ .
مدكور ، ابراهيم بيومي : بحث في كتاب « أثر العرب والاسلام في النهضة الأوربية » . الفصل الثاني من الكتاب المذكور بعنوان « في الفلسفة » . وهذا الكتاب هو دراسة اعدت باشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) . نشرته : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ .
المغرب = ابن سعيد .
المقّري : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب . تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، (عشرة اجزاء) ، الناشر : دار الكتاب العربي ــ بيروت ، بدون تاريخ . وطبعة اخرى بتحقيق : د . احسان عباس . دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ (سبعة اجزاء وجزء ثامن للفهارس العامة) .
مكي ، محمود علي : دراسات عن التيارات الثقافية المشرقية في الاندلس وأثر في تكوينه الثقافي . بحث باللغة الاسبانية ، في « صحيفة معهد الدراسا الاسلامية في مدريد » . المجلد الحادي عشر والثاني عشر . مدريـ ١٩٦٣ ــ ١٩٦٤ .
مننديث بيلايو : أصول الرواية . (باللغة الاسبانية) ، الطبعة الثانية ، مدريد ١٩٦٢ .
النباهي ، ابو الحسن بن عبدالله بن الحسن النباهي المالقي الاندلسي : تاريخ قضاة الاندلس . او : كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا . المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ، بدون تاريخ .
نفح = المقري .

الفصل العاشر

المدرسة التاريخية العراقية

الدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني
معهد الدراسات القومية والاشتراكية / الجامعة المستنصرية

مدرسة بغداد التاريخية واتجاهاتها

ان اصول المدرسة العراقية في التاريخ عريقة في القدم عراقة هذا البلد وحضارته ، حيث اقترنت عراقة الفكر التاريخي مع عراقة تاريخه ، حيث دون المؤرخون العراقيون القدماء حضارة العراق على مر تاريخه ، وقد ازدادت وتعاظمت العناية بالفكر التاريخي بالعراق في العصور الاسلامية ، حيث وجدت في العراق تربة خصبة لهذا النوع من الدراسات الانسانية ، ونشأت فيه اكثر من مدرسة للتاريخ تميزت باصالة جذورها واصالة منهجها ، وبنزعتها العراقية ــ العربية حتى اصبحت المدرسة التاريخية في العراق ميزة بارزة وواضحة من مميزات الحضارة العربية الاسلامية • وتعمق الشعور بالتاريخ وبأهمية بعد نشوء الامصار العربية فيه ، كالكوفة ، والبصرة وواسط ، ومن ثم بغداد ، التي نشأت ونمت معها الجذور الواضحة والمنظمة للمدرسة التاريخية العراقية الناضجة ، حيث ان علم التاريخ وجد في هذه الامصار مرتعا خصبا لكونه يمثل جزءا حيويا من الثقافة العربية السائدة في العراق حينذاك •

ان هناك عدة عوامل مشتركة ادت الى خلق عدة مدارس فكرية تاريخية في العراق ، وبالاخص في الكوفة ، والبصرة ، الى ان انصهرت تلك العوامل

مع بعضها ، لتخلق مدرسة بغداد التاريخية التي استوعبت المدارس كافة التي سبقتها ، **وسنتطرق الى ابرز تلك العوامل :**

لقد دفع الاسلام بالقبائل الى تحرير العراق ، ومن ثم الاستقرار فيه الى جانب سكانه من العرب الذين كانوا تحت نير الغزو الساساني ، وذلك من أجل مواصلة حركة الفتوح والتحرر وبالاخص في المشرق حيث اصبحت الكوفة والبصرة القاعدتين العربيتين الاصيلتين للانطلاق العسكري العربي باتجاه المشرق ، وقد بدأت الدراسات التاريخية في العراق اول الامر في مدرستي الكوفة والبصرة ، حيث أستمر الاهتمام بالمآثر القبلية وامجادها في الحرب ، وظهرت أهمية الكوفة في تاريخ العرب عامة ، والعراق خاصة ، بافتخار اهل العراق وشعورهم برئاسة العالم الاسلامي في زمن الخليفة الراشد علي بن ابي طالب (رض) والذي نقل عاصمة العرب من المدينة المنورة الى الكوفة ، وازداد تفاخر القبائل العربية في العراق بامجادها وبدورها في حركة التاريخ العربي ، سواء من خلال الموقع الكبير للكوفة في العالم العربي والاسلامي ، او من خلال دور تلك القبائل في عمليات فتوح المشرق ويشعر الباحث باهمية الدور القبلي في الكوفة والبصرة من خلال تخطيط المدينتين الذي جعل للقبيلة أهمية كبيرة في عملية التخطيط والتمصير ، فكان الافتخار بامجاد كل قبيلة وبرجالها وبدورها في حركة التاريخ اثر كبير في توجه رواة ومؤرخي القبائل الى عملية التدوين تلك التي ساهمت بدور فاعل في تهيئة وخلق مادة اساسية في عملية التدوين التاريخي ، ولذلك أثرت الروايات القبلية في عملية التدوين تلك بصورة عامة خلال العهد الراشدي والاموي ، ولذلك طغى الطابع القبلي على اتجاهات المدرسة التاريخية في العراق ، بسبب طبيعة وظروف الحياة الاجتماعية السائدة في العراق في تلك الفترة وفي الحقيقة أثرت تلك الظاهرة على طبيعة الدراسات التاريخية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، بصورة عامة ، غير ان الاتجاه القبلي العام الذي كان من ابرز ميزات المدرسة التاريخية في العراق خلال العهدين

الراشدي والاموي ، سرعان ما تأثر باتجاه اهل الحديث الـذي يعـد تأثيراً خارجا بان اثره على مجمل اهداف واتجاهات المدرسة التاريخية العـراقية ، وكان مركزه المدرسة التاريخية العربية في المدرسة المنورة والتي انشـطرت اصلا من مدرسة الحديث النبوي الشريف فيها ، ولذلك سارت الدراسـات التاريخية في الكوفة والبصرة بمسارين واضحين تميز احدهما عن الاخـر بجملة مميزات عامة وخاصة ، وهذان الاتجاهان هما :

١ ــ الاتجـاه القبـلي ٠

٢ ــ اتجـاه اهـل الحديث ٠

وهما يعكسان تيارين اساسيين في المجتمع العربي الذي ظهر في الحجاز، وفي العراق ، حيث كانت المدينة المنورة ، عاصمة الاسلام ، ومهبط الوحي ، ومهد الرسالة تمثل اتجاه اهل الحديث ، بينما تمثل الكوفة والبصرة المركز الثاني للاتجاه القبلي ، حيث انصب الاهتمام فيهما بالفعـاليات والشـؤون القبلية التي تعد تقليدا متوازيا لما كان سائدا من قصص الايـام ، ومـن روايات الانساب في الاسلوب والنظرة موجها الى الحالات الجديدة فـي تاريخ الامة ، وسرعان ما تحولت تلك الحالات الى اغراض واصناف مستقلة واضحة من اغراض التدوين التاريخي ، مع التأكيد من جانب آخر على الاهتمام بالحديث النبوي الشريف ، حيث استوعبت مدرستا الكوفة والبصرة مفاهيم واغراض واهداف مدرسة المدينة المتمثلة بالسير والمغـازي والحـديث ، وانتقلت الى المدرسة العراقية واصبحت جزءا جوهريا من مفاهيم مدرسـة التاريخ العراقية الصرف التي تعدت حدود ومفاهيم القبيلة بمرور الزمـن لتشمل الحالات الجديدة كافة في المجتمع العربي الجديد ، مع التأكيد علـى عدم اهمال رواة القبائل الذين استمر نشاطهم في هذه المرحلة ايضا ٠ وصرنا نلاحظ براعة الرواة والاخباريين والمؤرخين لمدرستي الكوفـة والبصـرة بموضوع السير والمغازي ، حيث تناولوا تاريخ السيرة النبوية الشـريفة ،

متناولين بذلك اقوال الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وحياته ، وامهاته وازواجه . ووفاته ، والبعثة النبوية واخبار الرسالة الاسلامية ، ورسائل الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) الى الملوك والامراء ، وسراياه ومغازيه . وكان معروفا لدى الناس في ذلك العصر ان هذا النوع من الدراسات التاريخية من اختصاصات مدرسة المدينة ، فلما الف محمد بن الحسن الشيباني العراقي في السير ، صاح الاوزاعي : « ما لاهل العراق والتصنيف في هذا الباب ؟ ... » ، ولما علم الشيباني بذلك وكان كتابه في السير (صغيرا) فانه صنف كتابا جديدا هو كتاب « السير الكبير » الذي حوى مع الفقه ، الاخبار والمغازي والفتوح .

واذا ما برز مؤرخو المدرسة العراقية في التاريخ المتأثر بالاتجاه القبلي ، واذا ما برزوا في السير والمغازي ، فان هذا لا يسنع من عنايتهم بشؤون الامة بصورة عامة الى جانب اهتمامانهم الاساسية ، فتعدت تلك الاهتمامات حدود القبيلة والمصر ، لتشمل الوطن العربي والعالم الاسلامي .

وكان لدخول عنصر الصراع مع الحركة الشعوبية في العراق اثره البارز في نضوج مناهج المدرسة التاريخية في العراق ، حيث عملت الشعوبية من اجل تشويه دور العراق في التاريخ ، والانتقاص من العرب وتشويه دورهم في التاريخ الانساني ، ولذلك شمر مؤرخو المدرسة العراقية عن سواعدهم للدفاع عن العروبة والاسلام في وجه الحركة الشعوبية الامر الذي ادى الى بروز أهمية دور المدرسة التاريخية في هذه المرحلة ، وشعر المؤرخون بأهمية وعظم المسؤولية التي يقومون بها دفاعا عن قيم الامة ومبادئها ، وتحول هذا الاهتمام بالتدريج من مدرستي الكوفة والبصرة الى مدرسة بغداد التاريخية التي برز فيها كبار المؤرخين للدفاع عن قيم العروبة والاسلام ، ولعل المؤرخ احمد بن يحيى البلاذري البغدادي (ت٢٧٩ﻫ) كان من ابرز المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ الانساب العربية دفاعا عن تاريخ الانساب العربية

واصالتها ، ومن ثم برزت المؤلفات التاريخية الكبيرة التي تتحدث بالامجاد العظيمة في تاريخ العراق والعرب ، واستمر التأليف في الكتب للرد على الشعوبية ومطاعنهم في العرب .

ومن العوامل المساعدة لنشأة المدارس التاريخية في العراق ، هو المركز الاداري الكبير الذي أحتله العراق في العالمين العربي والاسلامي ، ابتداء من اتخاذ الكوفة عاصمة للعرب وللاسلام ، وانتهاء باتخاذ بغداد عاصمة للخلافة ، وما رافق ازدهار بغداد من النواحي السياسية والاقتصادية والادارية والاجتماعية والفكرية الامر الذي ادى الى ازدهار المدرسة التاريخية في بغداد بصفة خاصة بعد أن شملت عناصر الازدهار المرافق الفكرية كافة ومنها التاريخية .

وكان للموقع الاداري والقيادي الذي تمتعت به الكوفة والبصرة وواسط في العصر الاموي ، وبغداد والموصل في العصر العباسي ، قد ادت الى ظهور مؤرخين محليين اهتموا اهتماما خاصا بتواريخ هذه المدن ، حيث هيأت مادة مهمة للمؤرخين العراقيين في كتابة التواريخ المحلية لتلك المدن . ولذلك نجد ان أهمية ودور تلك المدن في حركة التاريخ أدت الى تشجيع تبلور ونضوج المدرسة التاريخية العراقية من خلال اهتمام مؤرخي المدرسة التاريخية العراقية بتواريخ مدنهم ، حيث تم التأكيد على اثبات الشخصية المحلية للاقليم او المصر ، وللكشف عن الاساس التاريخي له ، بجانب ما في ذلك من الفخر والاعتزاز به ، وبعلمائه ورواته مما كان له أثره في ظهور الكثير من مؤلفات التأريخ المحلي حيث شهدت الامصار العراقية المهمة كالكوفة والبصرة وواسط وبغداد حشدا كبيرا من العلماء الامر الذي دفع المؤرخين العراقيين الى تدوين اخبارهم وابراز دورهم وفضلهم الذي يعكس اهمية الاقليم والمفاخرة به .

وكان للعامل السياسي اثره في نشوء المدارس التاريخية في العراق من خلال كثرة الاحداث السياسية وتشعبها وتنوعها ، بما في ذلك مشاكل الخلافة والامامة ، والفرق والاحزاب ، وغيرها . كما كان للعامل الاداري أثره في اغناء المدارس التاريخية العراقية بمادة غنية عن الخلفاء والوزراء والامراء والولاة والقادة والعمال والدواوين ، وكان للعامل الديني اثره في الكتابة التاريخية من خلال تأكيد القرآن الكريم على اخبار وقصص الاقوام السالفة ، وبالاخص تواريخ وقصص الانبياء ، الامر الذي دفع المؤرخين الى البحث والدراسة واستقصاء المعلومات عن هذه المواضيع الامر الذي ادخل عاملا مضافا من عوامل ظهور المدارس التاريخية في العراق .

لقد ادت هذه العوامل مجتمعة الى ظهور حشد كبير جدا من المؤرخين في العراق موزعين على مدارسه المختلفة كالكوفة والبصرة ، وواسط ، وبغداد التي استوعبت بتألق اصناف واتجاهات المدارس التاريخية كافة في العراق واذا ما كان التدوين التاريخي قد بدأ في التاريخ العربي الاسلامي بالمدينة المنورة ، الا انه سرعان ما انتقل ليحط رحاله في العراق ، حيث كان لامصاره اثرها الفاعل في تكوين مدارس خاصة به في المادة والتنظيم ، حيث ظهر حشد كبير من الاخباريين والرواة والمؤرخين . ولعل من ابرز عوامل ظهور هذا الحشد الكبير ، هو الارضية الحضارية التي يمتلكها العراق والذي تميز بظهور مفكرين وعلماء على مر تأريخه ابتداء من ظهور الابداع الحضاري في حضارة وادي الرافدين ومرورا بالمراكز الحضارية والفكرية المبدعة التي برزت في الامصار العربية الاسلامية الجديدة فيه الى ان أصبحت مدرسة بغداد المدرسة الام التي تمتلك المؤهلات الفكرية والحضارية كافة

في الميدان الفكري العربي الاسلامي ، وكان لدور العراق الحضاري والقيادي اثره البارز في بلورة ونضوج فكرة التاريخ فيه مع تقادم الزمن ، اضافة الى كثرة الاحداث التاريخية وتنوعها وتشعبها قال المسعودي . « ... ووجدنا الاخبار زائدة مع زيادة الايام ، حادثة مع حدوث الازمان ، وربما غاب البارع منها عن الفطن الذكي ، ولكل واحد قسط يخصه بمقدار عنايته » . ولذلك وجد المؤرخون العراقيون أن لديهم مادة جيدة وفيرة ومتنوعة من الاخبار والروايات التاريخية التي تستحق التدوين ، ولذلك غطى المؤرخون العراقيون مساحات شاسعة من الاحداث التاريخية سواء في المشرق او المغرب .

ويبدو ان المدارس التاريخية في العراق ارتبطت كل منها بالوزن السياسي للمصر او الاقليم ، حيث ترادفت عملية ازدهار الاقليم او المصر مع عملية الاهتمام لدى المؤرخين الذين ينتمون اليه ، فدور الكوفة كمركز اداري للخلافة كان واضحا ، فهي اول عاصمة عربية بعد المدينة المنورة ، اضافة الى دورها العسكري والقيادي في عمليات فتوح المشرق ، وكذلك دور البصرة الستراتيجي قياديا وعسكريا واقتصاديا اضافة الى ما رافقها من ازدهار فكري وحضاري ، كما تمتعت واسط بمركز اقتصادي واداري وقيادي وحضاري بل وفكري ، ومن ثم اصبحت بغداد حاضرة العالم الاسلامي بلا منازع ، كل هذه الحقائق أدت الى خلق جمهرة من المؤرخين العراقيين في تلك المراكز الفكرية لتدوين الكثير من الاحداث والاخبار التاريخية المختلفة والمتنوعة ، سواء في العراق او خارجه ، في المشرق والمغرب لكون بغداد هي المركز الاداري للعالم العربي والاسلامي ، وكان كل ما يحدث من حوادث في أي بقعة من العالم الاسلامي ، فإن لها ربطا وصلة مباشرة وغير مباشرة بالعراق ، الامر الذي ادى الى ان يتجه المؤرخون العراقيون الى تغطية احداث تاريخية في اصقاع نائية وبمعلومات متنوعة ،

ولذلك نجد ان المدارس التاريخية في العراق لم تكن تنسى بجانب الاحداث المحلية الخاصة النظرة الافاقية الشاملة للوطن العربي والعالم الاسلامي بصورة عامة • ولم تكن تشغلها التفاصيل الاقليمية عن احداث الاقطار العربية والاسلامية الاخرى والاهتمام بها ، وخاصة لدى مؤرخي مدرسة بغداد الام • ولذلك اتسم مؤرخو المدرسة التاريخية العراقية بنظرة انفتاحية لهم تتجه الى خارج العراق ، والى ما وراءه من اقاليم الاسلام •

ويمكننا ان نلمس جملة مزايا اتصفت بها المدرسة التاريخية في العراق لعل من ابرزها :

ان الرواية الشفوية كانت هي الطابع المميز لرواة واخباريي المدارس الاولى في الكوفة والبصرة ، قبل ظهور المدونات ، وكان لرواياتهم اثر كبير في تهيئة مادة جيدة للمؤرخين الاوائل الذين اصبحت لمدوناتهم اثر كبير في تهيئة مادة جيدة للمؤرخين الكبار الذين جاءوا من بعدهم، وكان للرواة والاخباريين والمؤرخين تأثير كبير بعلم الحديث حيث نشأت فكرة التاريخ في أول أمرها مرتبطة ومترادفة مع علم الحديث ، حتى عد نشوؤه انشطارا منه لما يلاحظ من اثر كبير للحديث على نشوئه وتطوره ومنهجه ، ومن ثم تبلور فيما بعد ليستقل علما انسانيا قائما بذاته ، وأتسع نطاقه ليشمل مختلف اتجاهات واصناف الكتابات التاريخية ، وتعددت اهدافه واصبح لكل صنف منها غرض خاص به • ومن ثم تميزت المدرسة التاريخية العراقية بشمولية فكرة ترابط التاريخ العربي ، وتجارب الامة على مر عصورها ، واتصالها بالامم الاخرى ، فاخذ طابع الامة يطغي على طابع القبيلة ، وتجد فيها ايضا فكرة الدولة وتأكيدا على حقوق الخلافة وطاعة الخليفة بعيدا عن الولاءات القبلية المحدودة او الحزبية والطائفية الضيقة والمعقدة ، حيث تميزت كتاباتهم عموما بالنزاهة والابتعاد عن التحزب والتعصب •

ان العناية بشؤون الامة بصورة عامة الى جانب اهتمامهم الخاص بشؤون العراق ، تؤكد تبلور فكرة الأمة ووحدتها في اذهان المؤرخين العراقيين . كما نرى فكرة ترابط التاريخ العربي . فالامة لا القبيلة هي محور الاهتمام في اذهان المؤرخين العراقيين .

ويلاحظ في مناهج المؤرخين العراقيين في مدرستي الكوفة والبصرة مسألة التصادم بين فكرة الجبر في الشؤون العامة كما يرويها الامويون . وفكرة حرية الاراده والمسؤولية البشرية كما تراها احزاب المعارضة .

وهناك فكرة الدولة والتأكيد على حقوق الخليفة والولاء والطاعة له تجاه وجهة النظرة القبليه او الحزبية التي تضع ولاءات اخرى كأن تكون قبلية او اقليمية فوق الدولة ، وان مؤرخي المدرسة التاريخية العراقية لم يهبطوا الى مستوى تحزبي كتاباتهم ،ولم يكونوا ممثلين لوجهة نظر واحدة ، ويبدو ان كبار مؤرخي المدرسة التاريخية العراقية كاليعقوبي والبلاذري (ت ٣١٠) ، والطبري (ت ٣١٠) ، والمسعودي الذين حنظلوا لنا روايات رواة المدرسه الاوائل فانهم حذفوا منها الروايات المتطرفة . ومن الارجح ان تفسير ذلك يعود الى الاهمية التي اعطيت للرواية او الخبر مقابل الرأي ، وان مؤرخي المدرسة العراقية قد بذلوا جهودا كبيرة وعلى نطاق واسع لجمع الروايات والاخبار ، فنجدهم يستفيدون من الروايات القبلية في العراق ، او الروايات العائلية ، ومن المقاتلين ، ومن عدد كبير من الروايات المأخوذة عن الافراد ، اضافة الى انهم كانوا يكملون هذه الروايات بروايات امصار اخرى حول الحوادث التي اوردوها ، ولذلك نجد في رواياتهم روايات عراقية صرف لافراد ساهموا في الحوادث نفسها ، وروايات تدلل على رحلاتهم الى اقاليم اخرى خارج العراق ، ولذلك نلاحظ روايات من المشرق والشام والحجاز والجزيرة ، وهذا واضح في آثار

الاخباريين فتجد من الحادثة الواحدة اكثر من رواية متنوعة في الاعم الاغلب. كما يلاحظ ان المعلومات المتعلقة باخبار كل مصر يتناولها بالدرجة الاولى الاخباريون والمؤرخون الذين ينضمون الى ذلك المصر ، حيث يعتمدون لتغطية تلك المعلومات على روايات فردية شخصية ، او عائلية او قبلية ، اضافة الى ما كانوا يضمنون كتبهم من وثائق رسمية رسائل ومعاهدات ، لعلها مأخوذة من الدواوين الحكومية او من قبل أناس لديهم وثائق ، حيث كان باستطاعة الاخباري الاعتماد كثيرا على روايات مصره ، ولكنه لم يتجاهل او يترك روايات مقابلة او معارضة . ولذلك تميزت المادة التاريخية التي اوردها المؤرخون العراقيون بوفرتها وكثرتها وتنوعها ، حتى ظهرت المدونات الضخمة ، وبالاخص ابتداء من القرن الثالث الهجري ، وكانت هذه الميزة واضحة في مدرسة بغداد التاريخية ، وفاق ما كان موجودا في مدرستي الكوفة والبصرة ، بل وحتى مدرسة المدينة ، وكان هذا واضحا في مختلف اصناف الكتابات التاريخية ولا يقتصر على صنف محدد ، فعلى سبيل المثال نجد في التاريخ العام كتاب « التاريخ » للطبري (ت،٣١٠) ، وفي مجال الانساب نجد كتاب « انساب الاشراف » للبلاذري (ت ، ٢٧٩) وفي القرن الرابع الهجري كتب المسعودي ، كتابه اخبار الزمان في ثلاثين مجلدا ، ثم أختصره في اربع مجلدات هي « مروج الذهب » وكتب ابن الجوزي كتاب « المنتظم » ، وفي مدرسة الموصل كتب ابن الاثير كتاب « الكامل في التاريخ » . وكذلك الحال بالنسبة للتواريخ المحلية ، حيث كان « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي .

وتميزت تلك المعلومات الواسعة بتنوعها وتعدد المواضيع المطروقة التعدد الواسع ، وقد شعر المؤرخون العراقيون ان كل شيء يستحق التدوين ، وان الحياة بمختلف جوانبها السياسية والعسكرية والاقتصادية والفكرية والثقافية اصبحت تراثا وارثا حضاريا يملأ صفحات التاريخ ، بحيث اتسع

نطاق التاريخ الى ما يمكن ان نسميه بالتاريخ الحضاري ، وبالمقابل تأثر التاريخ بحاجات التنظيم السياسي ، وبمختلف المؤثرات العلمية والفكرية المعاصرة له ، ومن هذا او ذاك واولئك كانت للتاريخ الذي دونه مؤرخي المدرسة العراقية ثروة هائلة من المعلومات لم يعرفها تاريخ أمة من قبل ، فهناك التنوع في التاريخ السياسي والاداري والحضاري ، والفكري ، والاقتصادي والعسكري ، والثقافي والقصص والاساطير ، كما هناك التنوع في نواحي الحضارة والحياة ، فان بلوغ المجتمع العراقي في القرنين الثالث والرابع الهجريين اوج تطوره وفاعليته الحضارية ، اوجد حاجات فكرية مستجدة عليه ، وقد انعكست هذه الحاجات في نتاجات المؤرخين ، وفي الكتب التي الفوها وتداولها الناس .

كما تميز رواد المدرسة التاريخية العراقية بروح النقد العلمي والتمحيص والتدقيق للروايات التي اوردوها ، فعلى سبيل المثال قال سيف بن عمر التميمي : « وهذه القصة في أمر الابلة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السير وخلاف ما جاءت به الاثار » ، وقال ابو مخنف لوط بن يحيى الكوفي : « اشارة الى حادث يتصل بحادثة كربلاء : « اما ما حدثنا به المجالد بن سعيد ، والصقعب بن زهير ... وغيرهما من المحدثين ، فهو ما عليه جماعة المحدثين قالوا ... » ويكثر مؤرخنا البلاذري البغدادي (ت٢٧٩هـ) : من الالفاظ النقدية والترجيحية لرواياته ، منها قوله : « والاول قول ابن الكلبي ، والاول أثبت » وقوله : « قول الكلبي ، أثبت الاقاويل » ، وقوله : « وذكر غير الواقدي ، وقول الواقدي أثبت » وقوله: « ويروي ابو الحارث وهو أصح » وقوله : « فاثبته معرفة » ونحو ذلك من الالفاظ الترجيحية الكثيرة ، كالاول أثبت ، او « أصح وأثبت » او « أثبت واشهر » و « أثبت قولا » و « ذلك أثبت » و « ذلك الثبت عند العلماء ».

كما كان بعض مؤرخي المدرسة التاريخية العراقية يستخدمون الفاظا تمريضيه لتضعيف الرواية منها : « وزعم قوم .. وليس ذلك يثبت .. واحسب انه .. وليس ذلك يبت .. والثبت انه .. وذلك غير ثبت .. وذلك غلط .. وذلك وهم ... الخ » .

وهناك من المؤرخين من يتحقق في معرفة مصادر بعض رواياته كقول البلاذري (ت.٢٧٩) : « وقال بعضهم وأحسبه الهيثم بن عدي » .

وهناك شبه اجماع بين مؤرخي المدرسة العراقية في استخدام لفظة تدل على عدم الجزم بصحه الروايات التي يوردها المؤرخ ، و لا يقول فيها قولا نهائيا حيث يكتفي المؤرخ بلفظة : « والله اعلم ... » .

ان نقد الروايات التاريخية عند مؤرخي المدرسة العراقية تدل على رجاحة عقليتهم التاريخية وعلو ملكة النقد التاريخي عندهم ، وتمتعهم بخلفية عميقة للفهم التاريخي ، مكنهم من قبول بعض الروايات وتدوينها ، ورفض بعضها الاخر واهماله .

ان اهتمام مؤرخي المدرسة التاريخية العراقية بهذا الجانب يبين لنا اهمية كتبهم ورواياتهم من جهة ومنهجيتهم . ومدى عدالتهم وضبطهم من جهة اخرى ، ويؤكد ايضا مدى تأثر مؤرخي المدرسة التاريخية العراقية باسلوب المحدثين .

ويلاحظ ايضا كثرة استشهاد مؤرخي المدرسة التاريخية العراقية بالشعر الذي وجد طريقه الى كتاباتهم ، اضافة الى ملاحظة وجود شيء من أثر الاسلوب القصصي من أخباريين آخرين .

وتميز الاسلوب العام لمؤرخي المدرسة التاريخية باسلوب سهل ، مباشر ، واعطوا احيانا صورا حية للحوادث التاريخية ، وحين يدونون تاريخ المعارك نجدهم يوردون الشعر والخطب والحوار والنقاش ، من خلال ايرادهم

للاخبار . كما نجد أن القصة التاريخية ترد عـادة متسلسلة في كتاباتهـم ، كما تحس احيانا بنبرة اسلوب قصص الايام فيهـا .

اما من ناحية استخدام الاسناد عند مؤرخي المدرسـة التاريخيـة العراقية . فيلاحظ ان رواد الاخباريين الاوائل يمثلون مرحلة انتقال بين فترة سـابقة ينعـدم فيهـا الاسـناد ، وبـين فـترة لاحقة متأثرة باسلوب المحدثين من جهة ثانية . ولكن هناك تساهل لديهم في استعمالهم للاسناد . وقام منهجهم بشكل عام على استعمال الاسناد والعناية به ما امكنهم ذلك . واستعمل المؤرخون في كثير منها صيغا تدل على السماع والمشافهة ، وقد اعتنوا بانتقاء الالفاظ التي تدل على المعاصـرة في صـدر الروايات التي سمعوها على شيوخهم من ذلك قولهم : «حدثنا» و «حدثني» و « حدثني جماعة من أهل العلم منهم عباس بن هشام الكلبي » و « حدثني بعض اصحابنا » و « حدثني صاحب لي » و « حدثني بعض البصـريين » و « سـمعت » و « قـال لي » . واخبرني و « اخبرني به » و « اخبرنا » و « قرأت على ابي الحسن المدائني » . على ان استعمال الاسانيد ، وبيان مدى صحتها او تسلسلها لا يقتضي بالضرورة ان يكون المؤرخ قد أخذهـا عن شيوخه عن طريق المشافهة فقط . فالشيخ لابد له من أصل مدون يحدث منه . والا ما قبلت روايته في الاغلب الاعم .

كما أفاد المتأخرون من المؤرخين ممن سبقوا عصرهم وهؤلاء عمن سبقوهم وهكذا . حتى استوعبوا الكثير منها . غير ان بعضهم لم يذكر اسماء مصادره البعيدة عن عصره . ولابد ان يكون المؤرخ قد بذل جهدا كبيرا من اجـل الحصول على تلك الموارد لعدم تيسر وانتشار المدونات بالسـهولة التـي نعرفهـا اليـوم .

ولكي يعالج مؤرخو المدرسة التاريخية من المتأخرين مسألة الفـارق الزمني بينه وبين الاحداث التاريخية السابقة لعصره ، فنجد انهم اعتنوا عناية

فائقة في تبيان الطرق التي وصلت فيها تلك المعلومات اليهم ، وينص بعضهم على انه نقل منها مباشرة ليضفي صفة التوثيق حيث يهتمون بذكر مصدر الخبر ما امكنهم ذلك ، ومن تلك الالفاظ المستخدمة في تلك الطرق ، قولهم : «قال» و «قال بعضهم» و «في قول» و «وقال بعض الرواة» و « كان ابو مخنف يقول » و « ذكر » و « فيما ذكر « روى » « روي عن » و « في رواية » . ويلاحظ ان عدم اغفال المؤرخين لجهود مؤرخين معاصرين لهم او سابقين لعهده . يدل على امانة كبيرة في المنهجية والاسلوب .

كما سبق ان ذكرنا فان مؤرخي المدرسة التاريخية العراقية لم يقتصروا على مؤرخي مدرسة تاريخية محلية لمصر معين ، وانما قام كثير منهم برحلات الى المشرق . والجزيرة ، والحجاز ، واليمن ، وبلاد الشام ، ومصر ، والمغرب والاندلس . ولذلك نجد التنوع في مصادر كتابات المؤرخين العراقيين ، ومن مختلف المدن والامصار ، ومن مختلف الاصناف والانواع فنجد من بين مصادرهم . مؤرخين ينتمون الى البلدان التي رحلوا لها ، وتنوع مصادرهم اضافة الى المؤرخين فنجد الى جانبهم محدثين . واخباريين ، وفقهاء وشعراء ، وادباء وجغرافيين ... الخ .

كما نلاحظ ان كثيرا من مؤرخي المدرسة التاريخية العراقية حينما ينقلون من المؤلفين المعاصرين او السابقين لهم ، فانهم غالبا ما يقتصرون على ذكر اسمائهم من غير ان تذكر اسماء مؤلفاتهم نحو قولهم : « وجدت في كتاب عبدالله بن صالح العجلي ... » و « قرأت في كتاب سالم كاتب هشام كتابا نسخته ... » وفي الوقت الذي ينقل فيه البلاذري (ت٢٧٩) : (١٤١٦) رواية عن المدائني (ت٢٢٥) عن الامويين فقط ، فانه لم يذكر اسم اي من مصنفاته ، ومما لا شك فيه ان كثيرا من الشيوخ قد صنف اكثر من كتاب الامر الذي يخلق للقارىء والباحث معا صعوبات كثيرة في معرفة المصدر الحقيقي الذي اخذ عنه المتأخرون ، مما يؤدي الى الارباك والخلط بين

مصدر وآخر على انه في القليل النادر ذكـر اسـماء الكتـاب نحو قـول البلاذري : « وقد ذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي في كتابه الذي الفـه في الطبقات من المحدثين والفقهاء » .

وكان كبار المؤرخين يعتمدون عادة على عدة موارد للحدث التاريخي الواحد كقولهم : « حدثني الوليد بن صالح ومحمد بن سعد قـالا ... » و « قال الواقدي وابو مخنف في روايتهما » و « قـال موسـى بن عقبة ومحمد بن اسحاق والكلبي » أو ، قول بعضهم : « حدثني جماعة من اهل العلم منهم عباس بن هشام الكلبي عن ابيه وذكر ذلك المدائني » . ويعرف هذا باسلوب جمع الروايات والاسانيد ، ولعل هذا من بـين نتائج التأثـير باسلوب المحدثين من الذين اخترعوا في منهجيتهم اسلوب الاسناد الجمعي للتخلص من حالة تكرار الاسانيد ، وتتمثل الطريقة بجمع المحدث لشيوخـه الذين حدثوه عن شيخ معين ، وباسناد واحد ، ولحـديث معين في مكـان واحد ، ثم يذكر الشيوخ ويتبعهم بلفظة « قالوا » او « ذكروا » ، ومـن الامثلة على ذلك ما قاله البلاذري البغدادي (ت ، ٢٧٩) : « حدثني عباس بن هشام الكلبي عن ابيه عن عوانة بن الحكم ووهب بن بقية عن يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد وغيرهم ، فسقت حديثهم قالوا ... » . وقوله : « حدثنا سعدويه ، حدثنا عباد بن العوام ، حدثني حضين ، حدثني هلال بن اساف قال ... » وتأتي رواية بعد هذه مباشرة ويبدأهـا بقولـه « قالوا » وبعدها يكرر اللفظ نفسه ، وقوله : « قال الهيثم بن عدي عـن عوانة ... » و « حدثني عمرو بن محمد الناقد وعمر بن شـبه قالا ... » وبعدها يورد روايتين يقول فيهما : « قالوا : ...»

ان استعمال الاسناد الجمعي يوفر للمصنف بعض المجهودات في عدم تكرار ذكر الاسانيد كأنه يجيز له الاختصار وعدم التكرار ، ويبدو أن بعض مؤرخي المدرسة التاريخية العراقية يختصر رواياته كقول احدهم : « حدثني

علي بن الحسن بن عرفه عن ابيه عن الحارث بن أبي الزبير المديني عن عبدالله بن زمعة العامري ، حديثا طويلا اختصرته » .

ويلاحظ ان مؤرخي المدرسة التاريخية العراقية كانـوا ينتقون مـن مصادرهم ما يرونه حريا بالانتقاء والتدوين ، واهمـال الروايات التي يرون عدم اهميتها ، ومع ذلك فان نقد المصادر او ترجيح بعضها على بعض كـان امـرا واقعـا ومألوفـا بـين المؤرخـين العراقيـين وقـد انطلقـوا في كل ذلك من خـلال تكوينهـم الفكري المتأثر بالمحدثـين المؤرخـون ومناهجهم ؛ ونتيجة لتبلور العناية بالرواية والاسـناد ، ويلاحـظ هنا ان اسلوب المحدثين في النقد صار يطبق بصورة اتم عند مؤرخـي المدرسـة التاريخية العراقية في القرن الثالث الهجري ، فالبلاذري من اكثر مؤرخـي المدرسة التاريخية العراقية انتقادا لمصادر وروايات معلومـاته ، والطبـري مفسر ومحدث ومؤرخ يتبع اسلوب المحدثين بدقـة كما يلاحظ من خـلال تأكيده على الاسناد ، رغم ابتعاده نوعا ما عن نقد رواياته ، وابن قتيبة ينتقـد مصادره لدرجة انه يعود الى التوراة ليصحح ما جاء به وهب بن منبه عـن بدء الخليقة والانبياء ، ولا يأخذ من مصادره الا ما ثبتت صحته واليعقوبي يتخذ وجهة النقد نحو مصادره وخاصة تلك التي تتعلق بمادة ما قبل الاسلام ، وهو يمحص مصادر الفترة الاسلامية ويكتفي بالاشارة اليهـا في مقدمتـه كأن اسانيدها معروفة .

وبصورة عامة كان المؤرخون العراقيون بعيدين عن ظاهـرة التحـزب والانحياز كما ان المعلومات التي اوردوها ساعدت الى حد كبير على اعطاء صورة متزنة للاحداث ، حيث كان لمنهجية النقد لديهم أثرها في جمع وغربلة الروايات التاريخية حيث ادخل المؤرخون العراقيون بصورة عامة اسـلوب النقد الداخلي لمواردهم ووضعوه جنب النقد الخارجي للمصادر والرواة ، وكانت وجهة الرواة الاوائل مماثلة تقريبا لوجهة الاخباريين في انهـم كانوا

يجمعون المواد المتعلقة بموضوع او حادث معين ويؤلفون الكتب الى ان ظهرت كتبهم الكبيرة التي هي في متناول ايدينا اليوم .

اننا يجب ان نؤكد ان الرواة والاخباريين العراقيين وبالاخص في مدرستي الكوفة والبصرة قد قاموا بدور هام في جمع مئات من الروايات التاريخية عن احداث تاريخية متنوعة ، ومن مصادر مختلفة قد تكون معاصرة او قريبة من الاحداث وظلت تلك الروايات تتناقل على الاغلب مشافهة قبل ان تتبلور ويستقر التدوين التاريخي المنظم والمبرمج ، وكان اولئك الرواد حيث صنفوها ووضعوها تحت عناوين محددة كأن تكون عن التاريخية التي دونوها عن الاحداث التي انتقوها واعتبروها مهمة بين مئات الأحداث التي شهدها التاريخ العربي الاسلامي .

وجاء بعد هؤلاء جيل آخر من جيل المصنفين الذين جمعوا روايات اولئك الرواد حيث صنفوها ووضعوها تحت عناوين محددة كان تكون عن صفين ، والجمل ، وفتوح ... وغيرها وبذلك جزأوا الروايات ونظموها ، وبذلك ظهرت المصنفات التاريخية ذات العناوين المحددة والمستقلة ، غير ان تداولها كان محدودا ايضا ، اضافة الى كونها افردت مصنفا تاريخيا لكل حدث معين بغض النظر عن سعة الحدث او مدته ، وهذا ما نلمسه في مصنفات المدائني ، وابن الكلبي ، وعوانة بن الحكم ووهب بن جرير الازدي البصري ، ووالده جرير بن حازم ، وهشيم بن بشير الواسطي وكثير غيرهم ، وايضا كان لجيل المصنفين فضل كبير في جمع روايات شيوخهم وتدوينها ووضعها في مصنفات مستقلة حسب عناوين خاصة بكل منها .

وبعد ذلك بدأت المرحلة المهمة من مراحل التدوين التاريخي الكبير والمنظم في العراق ، وذلك في القرن الثالث الهجري حيث برز فيه (البلاذري) ت ، ٢٧٩ واليعقوبي والطبري (ت ، ٣١٠) والمسعودي وكثير غيرهم ، والذين افرغوا محتويات مصنفات الجيل الثاني

من مؤرخي المدرسة التاريخية العراقية ، في مدونات ضخمة منظمة نعتمدها اليوم في دراساتنا وابحاثنا ، ولذلك كان لهؤلاء المؤرخين الكبار الفضل الكبير في حفظ مصنفات جيل المدائني وعوانة وابن الكلبي ، حيث كانت الافكار التاريخية وراء كتاباتهم هي وحدة الامة واتصالها والنظرة العالمية للتاريخ . ولذلك يمكننا القول بصورة عامة ان المدرسة التاريخية العراقية مرت بثلاث مراحل حتى استقرت بظهور المؤرخين الكبار الذين انتهت معهم مرحلة الاخباريين : اذ وضع الكبار خطوط علم التاريخ عند العرب ، وركزوا الاراء والافكار والتاريخية ، وقد قام هؤلاء الكبار بدراسات خاصة واسعة في التاريخ بمختلف اصنافه واتجاهاته ، ورجعوا احيانا الى الوثائق والسجلات وقد جمعوا في تواريخهم بين وجهات النسابين والاخباريين واللغويين . ويمكن القول ان ظهور هؤلاء المؤرخين الكبار كان في مدرسة بغداد التاريخية التي انتقل اليها الثقل السياسي والثقافي ، حيث امتصت بغداد الطاقات الفكرية كافة في المراكز الاخرى ، بينما بدأت بالتضاؤل مراكز اخرى : فبينما تضاءلت مدرسة المدينة التاريخية منذ اواخر القرن الثاني حتى جفت في نهاية القرن الثالث ، نجد على العكس من ذلك فان الجو الثقافي التاريخي كله كان يتهيأ في العراق لا للسيطرة الحضارية والثقافية العراقية فقط ، ولكن لظهور ابرز المؤرخين الكبار فيه .

لقد فهم هؤلاء الكبار التاريخ بمعناه الشامل ، فافقهم كان عالميا ، فالاتجاه القبلي عندهم ضعيف امام قوة العملية التاريخية .

لقد اظهر هؤلاء الكبار اندفاعا كبيرا للرحلة في طلب العلم وجمع المعلومات كما استفادوا من منهج المحدثين ايضا في توثيق الرواة والسند ، واستفاد الكبار من مواد السيرة والاخبار والانساب والشعر والادب لتكوين مادة علم التاريخ ، كما استفادوا احيانا من تواريخ الامم الاخرى ومن القصص الشائعة ، لقد انتقى كثير منهم مادتهم التاريخية بعد النقد

والتمحيص من مختلف مصادرهم ، حيث نظموها في كتبهم تنظيما يستند الى طبيعة المادة المنظمة سواء على الحوليات او الانساب ، او اختيارات معينة تبعا للحوادث المختلفة التي يعرضونها •

ان هؤلاء الكبار لم يمثلوا المدرسة العراقية التاريخية السابقة لعصرهم ولكن مثلوا تطورها ، وتطور مدرسة المدينة التاريخية ، معا ، وقد نظمت مادة التاريخ لديهم بصورة جيدة ورائعة حيث احتوت الاخبار ، والانساب ، والسيرة ، والمعارك ، وحركات المعارضة ، والايام لتقدم موضوعا تاريخيا متكاملا اما السيرة النبوية فانها ظلت موضوعا قائما بذاته ويكتب بعنوان السيرة حتى القرن التاسع الهجري •

ان علم التاريخ في العراق انما اكتمل شكلا ومضمونا على يد مؤرخي المدرسة البغدادية في التاريخ ، حيث بلغ علم التاريخ على ايديهم مرحلة النضوج والتبلور التام من ناحية مادته ومناهجه ورجاله وبالاخص في اواخر القرن الثالث الهجري • وظل المؤرخون يجمعون بين المواد المستمدة من السيرة والكتب المصنفة المتنوعة وعناصر التاريخ الاجنبي لتنسيقها وادماجها في روايات تاريخية متماسكة متصلة بالزمن ، وظلوا يخضعونها لفكرة تاريخية متزايدة النمو والوضوح في ابعاد الزمان والمكان وتنوع الامم حتى استكمل علم التاريخ عناصره في المنهج والمادة والممثلين وصار علما مستقلا بارزا له مكانته ومنزلته واهميته •

ومنذ مطلع القرن القرن الرابع الهجري بدأ علم التاريخ مسيرته العلمية المستقلة لحد كبير مسجلا طورا خاصا جديدا في تلك المسيرة ، ومتأثرا دون شك بنمو العلوم والمعارف الاخرى واتساع نطاق الحضارة وانتشار الورق ، واصبحت مدرسة بغداد ام للمدارس التاريخية حيث كانت الرحلة اليها متواصلة في طلب العلم ، واذا ما كان التدوين التاريخي قد بدأ بالاسلام في اقاليم محددة كونت لنفسها مدارس خاصة في المادة والتنظيم فأن المدرسة

التاريخية البغدادية بصفة خاصة في القرن الثالث الهجري وما بعده قد ابتلعت المدارس الاخرى واستقطبتها ، فلم يبق من مدارس الشام ، والمدينة، واليمن سوى بقايا في الوقت الذي كانت فيه بغداد تجتذب العلماء كافة من كل صقع ومن كل اختصاص .

فالمؤرخون العراقيون كانوا عقولا مفتوحة للاختصاصات المتعددة حتى لقد ندر ان نعرف مؤرخا واحدا عالما بفرع واحد من فروع العلوم التاريخية ، واذا ما قارنا عدد المؤرخين العراقيين بغيرهم من علماء ومفكري الحركة الفكرية العربية وجدنا ان عدد المؤرخين يفوق الى حد كبير جدا عدد الذين يعملون في بقية العلوم والمعارف الاخرى ، ولقد قام الاستاذ الدكتور شاكر مصطفى بجرد تقريبي لعدد مؤرخي المدرسة التاريخية العراقية ، فاحصى ما بين القرن الرابع الهجري ونهاية الخلافة سنة ٦٥٦هـ ، ما يزيد على الف ومائتي مؤرخ ، وكان طبيعيا ان تكون بغداد ــ بسبب مكانتها السياسية والدينية والعلمية ــ اكبر مركز للتدوين التاريخي في العالم حينذاك لان ما من عالم كبير الا رحل اليها في طلب العلم او قصدها ليشتهر وليعرف على النطاق الاسلامي الاوسع ، وبحق فأن ثلاثة ارباع المؤرخين العراقيين الكبار كانوا من مدرسة بغداد التاريخية ، او كانوا على صلة بشكل او باخر معها ، وليس عجبا بعد هذا ان نرى المؤرخين الكبار كافة ذوي السمعة التاريخية المعروفة والاثار الضخمة الباقية انما كانوا عراقيين ، ولم يظهر بعد الطبري اي مؤرخ على مستوى العالم الاسلامي الاوسع مثله ، ذلك ان بغداد والعراق كانت تلخص وتمثل العالم الاسلامي كله .

ان هذا التوسع في التدوين التاريخي يؤكد مدى اهتمام المسؤولين والناس بعملية التدوين تلك ، واقبالهم عليها كان في الواقع جزءا من تلك الفعالية الواسعة التي شملت جميع نواحي الحياة ، وجميع فروع المعارف في ذلك الوقت ، وان كثرة الاصناف والانواع التاريخية التي ظهرت فيه

انما كانت نتيجة لاغراءات التطلع العلمي الموسوعي ، ولم يكثر عدد المؤرخين فقط ، ولكن كانوا ايضا اعسق فهما لمعنى التاريخ وهدفه ٠

ويمكننا ان ندرج ادناه اصناف الدراسات التي تميزت بها المدارس التاريخية في العراق ، من خلال جملة مميزات اشتركت بها بصورة عامة لعل من ابرزها :

١ ــ السير والمغازي

حيث اهتمت بها بصفة خاصة مدرسة بغداد ، بينما ضعف الاهتمام بها في مدرستي الكوفة والبصرة اللتين كان اهتمامهما منصبا على تاريخ القبائل بسبب طبيعة الحياة الاجتماعية السائدة فيهما ، وكانت مدرسة بغداد التاريخية في اهتمامها بالسير والمغازي يعود الى تأثرها بمدرسة المدينة ، حيث كان شيوخها في هذا الميدان قد تتلمذوا في المدينة ، ثم انتقلوا الى بغداد واستقروا بها ولذلك نضجت وتبلورت دراسات السير والمغازي على ايديهم ، وبالاخص كان هذا واضحا في دراسات محمد بن اسحاق المدني نزيل بغداد (ت١٥١،) ومحمد بن عمر الواقدي المدني نزيل بغداد (ت٢٠٧،) ، وكان لابد لمدرسة بغداد من ان تهتم بهذا الجانب التاريخي المهم في تاريخ الامة ، وبالاخص ان الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) كان القدوة الحسنة والمثل الاعلى في كل امور الحياة ، ولذلك اتجهت دراسات السير والمغازي البغدادية على الاهتمام بسيرته الكريمة وحياته وامهاته وزوجاته ، وبعثته ، وسراياه ومغازيه ووفاته ٠

٢ ــ تاريخ الانساب والقبائل العربية والاسر :

اهتم مؤرخو المدرسة التاريخية في العراق اهتماما كبيرا بعلم الانساب وبصفة خاصة في مدرستي الكوفة والبصرة التاريخيتين وذلك لمكانة النسب في حياة العرب في مجتمعي الكوفة والبصرة ، ولاهميته في مدرسة بغداد

للرد على الحركة الشعوبية ودعاتها ، وكذلك لاهمية الانساب في معرفة انساب رواة الحديث ، واصولهم ، ولذلك برع في العراق عدد كبير من النسابين ، وبالاخص في الكوفة والبصرة ، حتى ان الكتابة فيها اصبح جانبا مهما واساسيا من جوانب اصناف الكتابات التاريخية في العراق .

اضافة الى ذلك فلقد اهتم مؤرخو المدارس التاريخية في العراق اهتماما كبيرا بتاريخ القبائل والاسر التي كان لها شأن ومكان في التاريخ السياسي والعسكري والاداري، اضافة الى كتاب القبائل الذين أخذوا يدونون الكتب والرسائل التي تمجد قبائلهم وتفخر بها ، وتبرز مكانتها في عصور ما قبل الاسلام وبعده ، كان هذا الجانب واضحا ومتميزا بصورة خاصة في الكوفة والبصرة .

٣ ـ تاريخ الفتوحات العربية الاسلامية :

وبالنظر للدور الكبير الذي أداه أهل العراق في ميدان الفتوح وبالاخص ما قام به اهل الكوفة والبصرة في هذا الميدان ، وبالنظر لما تعبر فيه الفتوح عن رسالة العرب ودورهم في التاريخ ، فقد برع العراقيون للكتابة في هذا الجانب المهم ، ولذلك فانهم دونوا وخلدوا وقائع حركات الفتوح العربية الاسلامية ، واصبح هذا النوع من الكتابات التاريخية جانبا مهما من الجوانب الاساسية التي برعت فيها المدرسة العراقية التأريخية .

٤ ـ التاريخ الاداري :

وبالنظر لكون بغداد عاصمة الخلافة ، والتي من خلالها يتم ادارة اقاليم المشرق والمغرب ، ونظرا لما يتمتع به الخليفة من سلطة دينية ودنيوية وخاصة ايام قوة الخلافة وهيبتها ، ونتيجة لارتقاء مؤسسة الوزارة ، وتطورها ، وبالنظر لدور الامراء والقادة في ادارة هذه الدولة المترامية الاطراف ،

ونظرا لاهمية القضاة والعدالة في حياة الامة ، فقد التفت مؤرخو المدارس العراقية عامة ، ومؤرخو بغداد خاصة الى معالجة هذه الموضوعات حيث الفوا وصنفوا الكتب فيها ، بحيث تهيأت لهم مادة وافية عن هذه المواضيع الامر الذي جعلهم يبدعون في تدوين كل ما يتعلق في تاريخ هذه الشرائح المهمة بالمجتمع ٠

٥ ـ التاريخ السياسي :

لقد اهتم مؤرخو المدارس العراقية بالكتابة في تاريخ عدد من المواضيع ذات الطابع السياسي البحت ، وبالاخص ما يتعلق منها بسياسة الدولة ، واداب السلطان ، وما يتعلق منها بتاريخ حركات المعارضة على مختلف انواعها واصنافها واتجاهاتها ، وما نتج عنها من احداث ومعارك ، اضافة الى تدوين تاريخ الشخصيات البارزة في التاريخ ، الامر الذي هيأ مادة جيدة عن تاريخ هذه المواضيع ٠

٦ ـ التاريخ العام :

هناك عدد من الاخباريين والمؤرخين العراقيين الذين كتبوا في ميدان التاريخ العام ، حيث تناولوا مواضيع عامة في التاريخ وابتدوا بها منذ بدء الخليقة واستمروا بها الى عصورهم ، وتعتبر مدرسة بغداد من ابرز المدارس العراقية التي برعت في ميدان التاريخ العام ٠

٧ ـ التاريخ المحلي :

وفي الوقت الذي برز فيه مؤرخون في ميدان التاريخ العام نجد هناك آخرين برزوا في ميدان التاريخ المحلي ، حيث كان للمفاخرة والمناظرة بين علماء الامصار أثرها في ذلك اضافة الى مسألة حب المصر الذي نشأ فيه العالم المفكر ، الامر الذي يدعو الى الاعجاب والمفاخرة بالاقليم وذكر

محاسنه وفضائله . وادى هذا الاتجاه الى بروز عـدد من مؤرخـي المـدن والامصار الذين دونوا تاريخ مدنهم وامصارهم ، ولم يقتصر الامر علـى مدن وامصار العراق ، وانما ظهر من بينهم من اهتم بتدوين بعض الامصار العربية ، وبالاخص مكة والمدينة .

٨ ــ التاريخ الاقتصادي :

ان ابرز تطور وازدهار اقتصادي شهده العالم الاسلامي كان في اعقاب انتقال العاصمة الى بغداد وما رافق ذلك التحول من تطور كبير في مختلف ميادين الحياة الاقتصادية الامر الذي حول انظار المؤرخين الى تدوين ميادين ذلك التطور بسبب سعته ، وازدياد حاجة المجتمـع اليه ، ولذلك بـرزت كتب في مختلف اتجاهات الحياة الاقتصادية ، الامر الذي جعـل الفضـل يعود فيه الى مؤرخي المدرسة التاريخية العراقية في خلق وتطوير هذا النوع من الدراسات التاريخية الاقتصادية .

٩ ــ تاريخ الاخبار :

لم يهمل مؤرخو المدارس التاريخية في العراق تواريخ بعض الاخبار العامة في المجتمع العربي ، او تلك التي اقترنت ببعض الاشخاص ، ولذلك اتخذوا من اسماء اولئك الاشخاص عناوين في تواريخ الاخبار لمؤلفاتهـم ومصنفاتهم ، ومتخذين من تلك العناوين مجالا للتدويين في تواريخ الاخبار المختلفة التي حفل بها التاريخ العربي الاسلامي .

وسوف نتطرق الى ابرز المدارس التاريخية في العراق ، والى تطبيقات هذه الاغراض والاصناف التاريخية التي عالجتها .

مدرسـة الكوفـة

تعد مدرسة الكوفة من اقدم المدارس التاريخية في العـراق ، وكمـا سبق ان ذكرنا فانها تمثل الاتجاه القبلي في كتابة التاريخ الاسلامي ، علـى

عكس مدرسة المدينة التي كانت تمثل اتجاه أهل الحديث ، ولذلك كـان طابعها العام يختلف عن مدرسة المدينة التي اهتمت بالدرجة الاولى بالسير والمغازي في حين نجد هذا الاتجاه ضعيفا الى حد كبير في مدرسة الكوفة ولا تذكر المصادر رواة ومؤرخين واخباريين ألفوا في المغازي عدا عامر بن شراحبيل الشعبي الكوفي (ت١٠٥هـ) والذي كتب « المغازي » ، وكان ابرز ما اشتهرت به مدرسة الكوفة ، في ميدان التاريخ ، يتمثل بتاريخ الانساب ، والقبائل العربية والاسر وكما يأتي :

١ ـ تاريخ الانساب :

اشتهرت مدرسة الكوفة التاريخية بالعناية الكبيرة في علم الانساب من خلال طبيعة المجتمع الذي تتكون منه ، ومن خلال أهمية القبائل في حياة هذا المجتمع ، وفي القيادة والسياسة والادارة • اضافة الى اهمية النسب في حياة العرب قبل الاسلام وبعده ، لتناسبه مع طبيعة حياتهم ، خاصة أن التنظيم الاساسي للدولة العربية الاسلامية كان في بدايته يعتمد التنظيمات القبلية وبالاخص في الكوفة ومن ثم البصرة • ويمكن القول ان مدرسة الكوفة فاقت حتى مدرسة بغداد في هذا الميدان •

واشتهر من علماء الانساب في الكوفة ، حماد بن أبي ليلى الكوفي (ت، ١٦٤) وكان راوية للاخبار والانساب ايام الوليد بن عبدالملك ، ومن علماء الكوفة بالانساب الشرقي بن القطامي الكوفي ، ويعد محمد بن السائب الكلبي الكوفي (ت١٤٦هـ) من علماء النسب وجمع اطراف هذا العلم معتمدا حسب ما قال على افضل نسابة في كل قبيلة • حيث اخذ علمه في الانساب من عدد من نسابي القبائل ابرزهم عدي بن زياد الايادي الذي اخذ عنه نسب اياد ، وكان عالما به ، وابن كناسة الكندي الذي اخذ عنه نسب كندة ، وعن ابي صالح ، وكان شيخ محمد بن السائب الكلبي خراش

ابن اسماعيل الشيباني الكوفي (ت، ١٤٦) من بين البارزين بعلم الانساب ، وله كتاب : « اخبار ربيعة وانسابها » وكتاب « النسب العتيق في اخبار بني ضبة » وكان ابو نعيم الفضل بن دكين الكوفي (ت،٢١٩) من بين علماء النسب المعروفين ، وقال عنه علي بن المديني (ت ، ٢٣٤) : « كان ابو نعيم عالما بانساب العرب ... » .

وكان عوانة بن الحكم الكلبي الكوفي (ت،١٤٧) عالما بالشعر والنسب وقال عنه ابو العباس ثعلب : « جمع ديوان العرب واشعارها واخبارها وأنسابها ولغاتها الى الوليد بن يزيد بن عبدالملك » .

وكان ابو اليقظان النسابة سحيم بن حفص الكوفي (ت،١٩٠) من بين علماء الاخبار والانساب والماثر ، وصنف عدة مصنفات منها : « كتاب نسب خندف واخبارها » و « والنسب الكبير » الذي يحتوي على نسب اياد ، واسد بن خزيمة ، والهون بن خزيمة ، وهذيل بن مدركة ، وقريش بن طابخة ، وقيس عيلان ، وربيعة بن نزار ، وتيم بن مهرة .

ويعد هشام بن محمد الكلبي الكوفي (ت،٢٠٤) ضابط علم الانساب ، وقال عنه الامام احمد بن حنبل (ت،٢٤١) : « صاحب سمر ونسب » ، وقال هشام عن نفسه : « علمني أبي وأنا غلام نسب النبي صلى الله عليه وسلم » وقد صنف عدة كتب في الانساب منها كتاب « جمهرة النسب » و « تسمية ما في شعر امرىء القيس من اسماء الرجال والنساء وانسابهم » وقد استخدم ابن سعد كتابه في النسب ، وله كتاب « الفريد في الانساب » و « الملوكي في الانساب » و « الموجز في النسب » و « نسب العباديين » .

وكان الهيثم بن عدي الطائي الكوفي (ت،٢٠٩) عالما بالانساب ، وله كتاب « نسب طي » .

وكان عبدالرحمن بن عبدة الكوفي ، من النسابين الثقات ، حسن المعرفة بالمآثر ، والاخبار وايام العرب وله كتاب : « الانساب المختلفة »

اما في تاريخ القبائل والاسر الحاكمة ، فنجد ان مدرسة الكوفـة كان لها دور كبير في هذا المجال ، ويعد ابو مخنف لوط بـن يحيـى الازدي الكوفي (ت،١٥٧) من بين رجالها حيث كتب كتاب « الحريث بن راشد وبني ناجية » وكتب ابو اليقظان سحيم بن حفص (ت ، ١٩٠) كتاب : « حلف تميم بعضها لبعض » ،و « اخبار تميم » • وصنف هشام بن محمد الكـلبي الكـوفي (ت،٢٠٤) كتاب : « تسمية من بالحجاز من احياء العـرب » و « حلـف عبدالمطلب وخزاعة » و « حلف الفضول وقصة الغزال » و « حلف كلـب وتميم » و « حلف اسـلم من قريش » • وكتب الهيثم بـن عدي الطائـي الكوفي (ت،٢٠٩) كتاب : « الاشـراف » و « الاشـراف الكبـير » و « الاشراف الصـغير » •

اما في تاريخ الفتوحات العربية الاسلامية ، فنجد ان لمدرسة الكوفـة دورا مهما في ذلك من خلال مكانة الكوفة في عمليات فتوح المشرق ، واقدم من كتب في هذا الميدان من الكوفيين هو عامر بن شراحبيل الشعبي الكوفي (ت،١٠٥) في كتابه « الفتوح » ، وابو مخنف لوط بن يحيى الازدي الكوفي (ت ، ١٥٧) الذي صنف كتاب : « فتوح العراق » و « فتوح الشام » وكتب سيف بن عمر التميمي الكوفي (ت،١٨٠) كتاب « الفتوح الكبير » وممـن صنف في الفتوح عبدالله بن محمد بن ابي شيبة العبسي الكوفي (ت،٢٣٥) في كتابه « الفتوح » ، ومن كتب الفتوح المهمة التي وصلت الينا من مدرسـة الكوفة كتاب « الفتوح » لابي احمد بن اعثم الكوفي (ت،٣١٤) •

اما في ميدان التاريخ الاداري ، فنجد ان مؤرخي مدرسـة الكوفـة تناولوا في ذلك تواريخ الخلفاء ، والوزراء ، والامراء والقـادة ، اضـافة الـى القضـاة •

وممن كتب في تواريخ الخلفاء من مؤرخي الكوفة ، هو جابر بن يزيد الجعفي الكوفي (ت،١٢٨) في كتابه « مقتل أمير المؤمنين علي » وأبو مخنف

لوط بن يحيى الازدي (ت١٥٧،) في كتاابه « وفاة معاوية وولاية ابنه يزيد » و « كتاب موت هشام وولاية الوليد » ، في حين كتب عوانة بن الحكم الكلبي الكوفي (ت١٥٨،) كتاب : « سيرة معاوية وبني أمية » ، وكتب الهيثم بن عدي الطائي الكوفي (ت٢٠٩،) كتاب « اخبار الحسن » و « خواتيم الخلفاء » ، في حين كتب محمد بن سليمان الكوفي (كان حيا سنة ٣٠٠ هـ) كتاب « مناقب امير المؤمنين علي بن أبي طالب » و « كتاب سيرة امام الهدى والصدق امير المؤمنين الهادي الى الحق » .

اما في أخبار الامراء والقادة ، فابرز من كتب في هذا الميدان من مؤرخي الكوفة ، هو ابو مخنف لوط بن يحيى الازدي الكوفي (ت١٥٧،) في كتبه « خالد بن عبدالله القسري ، ويوسف بن عمر » ، والهيثم بن عدي الكوفي (ت٢٠٩،) في كتابه « تاريخ عمال الشرط لامراء العراق » و « أخبار زياد بن سمية » ، و « قضاة الكوفة والبصرة » .

اما في ميدان التاريخ السياسي فنجد أن مدرسة الكوفة ساهمت بدور فاعل في تغطية كثير من جوانب هذا التاريخ ، خاصة وان العراق شهد أحداث متنوعة ، ومتعددة .

واهتم مؤرخي الكوفة في الكتابة بالتاريخ العام ، والتاريخ المحلي ، ففي ميدان التاريخ العام نجد ان عوانة بن الحكم الكلبي الكوفي (ت١٥٨،) صنف كتاب « التاريخ » ، وابو الحسن علي بن محمد النوفلي الكوفي في كتابه « الاخبار » والهيثم بن عدي الطائي الكوفي (ت٢٠٩) في كتابه « التاريخ على السنين » في حين كتب عبدالله بن ابراهيم العبسي الكوفي المعروف بابن ابي شيبة (ت٢٣٥،) كتاب « التاريخ » ، وكتب هارون بن حاتم التميمي ابو بشير الكوفي البزار (ت٢٤٩،) كتاب « تاريخ الاسلام » وصنف ابو العباس أحمد بن محمد المعروف بأبن عقدة الكوفي (ت٣٣٢،) كتاب « التاريخ » ، وكذلك ما كتبه احمد بن كامل القاضي بالكوفة في كتابه

« التاريخ » ، وكتب ابراهيم بن محمد بن الحارث الكوفي كتاب « السير في الاخبار » .

وطرق مؤرخو الكوفة ميدان الكتابة في التاريخ المحلي ، وابرز من كتب في هذا الاتجاه الهيثم بن عدي الطائي الكوفي (ت٢٠٩) في كتابه « فخر اهل الكوفة على أهل البصرة » ، وكتاب « خطط الكوفة » وكتب ابراهيم ين محمد بن سعيد (ت٢٨٣) كتاب « فضل الكوفة ومن نزلها من الصحابة » وكتب ابو العباس أحمد بن محمد الكوفي (ت٣٣٢) كتاب « فضل الكوفة » ، وكتب علي بن الحسن بن علي بن فضال التميمي الكوفي كتاب « فضائل الكوفة » ، وكتب ابو الحسن محمد بن جعفر بن محمد المعروف بابن النجار الكوفي (ت٤٠٢هـ) كتاب « تاريخ الكوفة » ، وكتب ابن مجالد الكوفي « تاريخ الكوفة » في حين صنف ابو عبدالله محمد بن علي الكوفي العلوي (ت٤٤٥) كتاب « فضل الكوفة » .

اما عن الحيرة ، فان هشام بن محمد الكلبي الكوفي (ت٢٠٤) صنف كتاب « الحيرة » وكتاب « الحيرة وتسمية البيع والديارات » .

اما في ميدان مساهمة مؤرخي مدرسة الكوفة في كتابه التواريخ المحلية لبعض الامصار العربية ، فنجد أن هشام بن محمد الكلبي الكوفي (ت٢٠٤) صنف كتاب : « منار اليمن » وصنف ابن النجار الكوفي (ت٤٠٢) كتاب « الدرة الثمينة في اخبار المدينة » .

وتطرق مؤرخو مدرسة الكوفة الى التاريخ الاقتصادي حيث كان للتطور الاقتصادي الذي شهده العراق اثرا مهما في نشوء وتطور الدراسات التاريخية ـ الاقتصادية ، حيث صنف هشام بن محمد الكلبي الكوفي (ت٢٠٤) كتاب « اسواق العرب » ، وكتب وكيع بن الجراح الكوفي (ت٢٩٧) كتاب « الخراج والسكة » .

اما في ميدان الاخبار التي تضمنت معلومات تاريخيـــة منوعة ، فقــد ساهم مؤرخو مدرسة الكوفــة في هذا النوع مـــن الكتابات التاريخيـــة متخذين من اسماء بعض الاشخاص عناوين لبعض مؤلفاتهم ، فقد كتب عامر بن شراحبيل الشعبي الكوفي (ت،١٠٥) كتاب « الشورى » ، وكتب جابر بن يزيد الجعفي الكوفي (ت،١٢٨) كتاب « النـــوادر » و « الفضـــائل » وكتـــب ابـــو مخنف (ت ، ١٥٧) كتـــاب « المســـتورد بـــن علقمـــة » و « المطرف بن المغيرة » وكتب سيف بن عمر التميمي الكوفي (ت،١٨٠) كتاب « الردة » بـــرؤى مســـتقاة من قبيلته تميم ، وكتـــب ابو اليقظان سحيم بن حفص الكوفي (ت ، ١٩٠) كتاب « النوادر » ، في حـــين صنف لقيط بن بكير المحاربي الكوفي (ت،١٩٠) « اخبار الجن » و « الحـــرب واللصوص » وغيرها ، وكتب نصـــر بن مزاحم المنقري الكوفي (ت،٢١٢) عدة كتب ابرزها « اخبار المختار » و « مناقب الائمـــة » وكتب ابن عقدة الكوفي،ابو العباس احمد بن محمد الجارودي(ت،٣٣٢)كتاب «يحيى بن الحسين بن زيد واخباره » و «كتاب الولاية» وكتاب «الشورى» و كتاب « اخبار أبي حنيفة النعمان » . في حين كتب عبدالله بن ابراهيم العبسي الكوفي (ت،٢٣٥) كتاب « الفتن » و « اوائل الاسلام » وكتب محمد بن علي بن اعثم الكوفي (ت ، ٣١٤) كتاب « ابتداء خبر وقعة صفين » ، في حين كتب عبدالرحمن بن عبدة الكوفي كتاب « الشجعان » وساهم مؤرخو مدرسة الكوفـــة بجهد في كتابة تواريخ الرجال ، وابرز من كتب في هذا الاتجاه عبدالله ين جبلة بن الحر الكناني الكوفي (ت،٢١٩) في كتابه « الرجال » ، والحسن بن علي بن فضال التميمي الكوفي (ت،٢٢٤) في كتابه « الرجال » ايضا ، والرواجني ابو سعيد عباد بن يعقوب البخاري الكوفي (ت ، ٢٥٠) في كتابه « المعرفة في الصحابة » كتب ابن عقدة الكوفي ، ابو العباس أحمد بن محمد الجارودي (ت،٣٣٢) كتاب « الرجال »

مدرسة البصرة التاريخية :

وكما كانت مدرسة الكوفة بعيدة الاهتمام بالسيرة والمغازي ، بسبب تشابه ظروف تخطيط المدينتين ، ومكوناتها الاجتماعية ، الامر الذي انعكس على طبيعة الدراسات التاريخية فيها ولذلك اتجهت الدراسات التاريخية في مدرسة البصرة نحو المواضيع التي تتأثر بطبيعة الحياة القبلية السائدة في مجتمع البصرة ، وبالاخص الانساب لاهميتها في حياة المجتمع حينذاك ، حتى ان خليفة بن خياط البصري (ت٢٤٠) في كتابه « الطبقات » يذكر الصحابة على اساس عشائرهم بعد تقسيمها للطبقات ، ولم يستمر هذا الاهتمام بعد تناول عصرغير الصحابة لان انسابهم معلومة ، ولم يبرز من بين مؤرخي البصرة ممن اهتم بالسير والمغازي سوى ابو المعتمد سليمان بن طرخان التميمي البصري (ت١٤٣) في « كتابه السيرة الصحيحة » ، وكذلك برز في هذا الاتجاه من البصريين وهب بن جرير بن حازم الازدي البصري (ت٢٠٦) الذي كانت له روايات في السيرة النبوية ، وكتب معمر بن راشد كتاب « المغازي » .

اما عن أشهر علماء الانساب في مدرسة البصرة ، فهم القاسم بن ربيعة الغطفاني البصري الذي اشاد الامام الحسن البصري بعلمه في الانساب ، وقال : « عليكم بالقاسم بن ربيعة » ، وكان منجور بن غيلان الضبي البصري (ت٨٥) عالما بالنسب ، وصنف كتاب : « الانساب » ، وكان خالد بن طليق بن محمد الخزاعي قاضي الخليفة المهدي على البصرة سنة ١٦٦ هـ ، عالما بالنسب ، ويعد ابو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري (ت٢١٠) من علماء النسب ، ويفضل على الاصمعي فيه ، وقال عنه يا قوت الحموي . « كان اعلم الناس باللغة وانساب العرب وأخبارها » . وهناك ابو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي البصري تلميذ محمد بن سلام الجمحي النسابة ،

فقد كان من رواة الاخبار والاشعار والانساب ، وكان عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر التيمي البصري حافظا عالما بأنساب العرب .

اما عن اشهر مؤرخي البصرة الذين ألفوا بالانساب ، فهم ابو عبيدة معمر بن المثنى البصري (ت،٢٠٨) والذي صنف كتاب : « نسب ولد أبي صفرة والمهلب وولده » ، وكتاب : « نسب بني فقعس بن طريف بن آسد ابن خزيمة » . وكان عبدالملك بن قريب الاصمعي (ت،٢١٣) من علماء النسب البارزين في البصرة ، وصنف كتابا فيه .

اما محمد بن سلام الجمحي البصري (ت،٢٣٢) فانه صنف كتاب « نسب قريش » ، وكان خليفة بن خياط المعروف بشباب العصفري البصري (ت،٢٤٠) من المؤرخين المشهورين بعلم الانساب ، وكان يكتب الانساب في اطار الطبقات وذكر طائفة من نسابي القبائل الذين روى عنهم انساب قبائلهم ، ومنهم ابو الوازع الهذلي الذي روى عنه نسب بني هذيل مع جماعة من الهذليين ، ومحمد بن سواء السدوسي الذي روى عنه انساب بعض بني سليم ، وعلي بن مسلم الصحار الذي روى عنه انساب بعض بني حنيفة .

اما ابو عبدالله محمد بن صالح بن مهران البصري الهاشمي المعروف بأبن النطاح (ت ، ٢٥٢) فانه كان اخباريا نسابة وله كتاب : « أنساب ازدعمان » .

وصنف احمد بن الحارث الخراز البصري (ت،٢٥٨) كتاب : « النسب » و « جمهرة نسب الحارث بن كعب واخبارهم في الجاهلية » .

وكتب ابو الحسن محمد بن القاسم التميمي البصري ، كتاب « الانساب والاخبار » .

واذا ما كانت للتنظيمات القبلية اثرها ودورهـا في توجيه الدراسـات التاريخية في مدرسة البصرة كما لاحظنا مـن خـلال اهتمـام الاخباريين والمؤرخين البصريين بالانساب العربية ، فانهم اهتموا كذلك بتاريخ القبائل بصورة عامة ، حيث كتب مؤرج بن عمرو السدوسي البصـري (ت،١٩٥) كتاب : « جماهير القبائل » ، ويعد مؤرخ البصرة ابو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري من ابرز مؤرخي مدرسة البصرة الـذين اهتموا في هـذا الجانب ، حيث صنف عدة مصنفات منها : كتاب « معد بن عدنان وقحطان ، ومآثر غطفان ، ومناقب باهلة ، ومقاتل الاشراف ، وغريب بطون العـرب ، ومناقب قريش ، وتسمية من قتلت بنو أسد ، وبنو مـازن واخبارهـم ، واشراف بكر وتغلب وفرسانهم وايامهم ومناقبهم واجلاءهـم ، وايام بنـي يشكر وأخبارهم ، وخبر عبدالقيس ، وغـارات قيس واليمـن ، والاوس والخزرج ، والقبائل ، ومختصر اسماء القبائل ، ومناكح آل المهلب » •

وكتب ابو عبدالله محمد بن سلام الجمحي البصري (ت ، ٢٣١) كتاب « بيوتات العـرب » •

وصنف ابو الحسن محمد بن القاسـم التميمي البصـري كتـاب : « المنافرات بين القبائل واشراف العشائر واقضية الحكام بينهم في ذلك » • وكتب ابو عثمان الجاحظ (ت،٢٥٥) رسالة في القحطانية والعدنانية ، ورسالة في العرب والموالي •

وبالنظر لمكانة البصرة واهميتها في ميدان الفتوح العربية في المشـرق ، فقد اهتم مؤرخوها بهذا الاتجاه من الكتابات التاريخية ، حيث كتب ابو خالد يوسف بن خالد بن عمير البصري (ت،١٩٠) عن فتوح الامويين بالمشرق ، وقتالهم للخزر والترك ، وصنف ابو عبيدة معمر بن المثنى البصري (ت،٢٠٨) كتاب : « السواد وفتحه » و « فتوح الاحواز » و « فتـوح ارمينية » ، وكتب ابو اسماعيل محمدبنعبدالله الازدي البصري (ت في القرن الرابع

الهجري) كتاب : « مختصر فتوح الشام » ، وفي عهـد الخليفة العباسـي المقتدر بالله ، صنف ابو الحسين أحمد بن محمد بن يحيى : « رسائل فـي فتح البصرة » .

اما في ميدان التاريخ السياسي والاداري ، فنجد انه كان هناك اهتمام كبير من قبل مؤرخي البصرة في هذا الجانب ، حيث كتب ابو الوليد العباس بن بكار الضبي البصري (ت،٢٢٢) كتاب « اخبار الوافدين من اهل الكوفة والبصرة على معاوية بن ابي سفيان » وكتاب : « اخبـار الوافـدات على معاوية بن ابي سفيان » وكتب الحسن بن ميمون البصـري ـ اسـتاذ ابن النطاح البصري ـ كتاب : « الدولة » وكتاب « المآثر » في حـين كتـب تلميذه : « ابو عبدالله بن صالح البصري الهاشمي (ت ، ٢٥٢) كتاب : «تاريخ الدولة العباسية » ، وكان ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري (ت،٢٥٥) من بين الذين طرقوا ميدان التاريخ ، من خلال كتابته عددا مـن المواضيع التاريخية في ميدان التاريخ السياسي ، لعل من ابرزها كتاب : « التـاج في اخلاق الملوك » و « الاخبار » او تصحيح الاخبار ، كما له عدة رسـائل في هذا الميدان ابرزها : رسالة في بني أمية ، ورسالة في تفضيل بني هاشـم ورسالة في اثبات امامة امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، ورسالة في مناقب الترك وعامة جند الخلافة ، رسالة في امامة ولد العباس ، ورسالة في الملوك والامم السالفة ، ورسالة في الحجاب ، وكتب ابو بشير احمد بن ابراهيم البصري (ت ، ٣٥٠) كتـاب « مناقب امير المؤمنين علي بن ابي طالب » وكتب علي بن ابي الفرج بن الحسين البصري (ت،٦٥٩) كتاب المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية ، الفه للخليفة المستنصر الذي نصبه الملك الظاهر بيبرس خليفة عباسيا على مصـر سـنة ٦٥٩ هـ ، بعـد سـقوط بغـداد سـنة ٦٥٦ هـ .

اما في مجال تاريخ الامراء والقادة ، فقد كتب ابو عبيده معمر بن المثنى البصري (ت ٢٠٨) كتاب : « اخبار الحجاج » وكتاب « مسلم بن قتيبة » •

اما في ميدان التاريخ العام فنجد ان ابرز من كتب في هذا الاتجاه من المؤرخين البصريين ، هو خليفة بن خياط (ت ٢٤٠) في كتابه « التاريخ » وكتب ابو بشير أحمد بن ابراهيم البصري (ت ٣٥٠) كتاب : « التاريخ الكبير » و « التاريخ الصغير » ، في حين كتب ابو اسحق ابراهيم بن حبيب البصري (ت ٣٩١) كتاب التاريخ الموصل بكتاب ابن جرير الطبري ، وضمنه من اخباره واخبار اصحابه شيئا كثيرا ، وصنف كتاب : « لواقع الامور » وهو كتاب في التاريخ مرتب على السنين •

وكتب ابو عبيدة معمر بن المثنى البصري في ميدان التاريخ المحلي لمكة المكرمة من خلال كتابه الموسوم : « مكة والحرم » في حين صنف محمد بن سلام الجمحي البصري (ت ٢٣٢) كتاب : « فضائل مصر » ، وكتب ابو يحيى زكريا بن يحيى البصري الساجي (ت ٣٠٧) كتاب : « تاريخ البصرة » وكتب عبدالقاهر الكريزي كتاب في « وصف البصرة » وصنف ابو حفص عزالدين عمر بن علي بن دهجان (ت بعد ٦٦٠) كتاب « تاريخ البصرة » •

واتجه مؤرخو البصرة للكتابة في التاريخ الاقتصادي ، حيث صنف عبدالملك بن قريب الاصمعي البصري (ت ٢١٦) كتاب : « الخراج » •

وصنف مؤرخو مدرسة البصرة في التاريخ السياسي بصورة عامة بما في ذلك حركات المعارضة السياسية والدينية ، ومقتل عدد من الشخصيات السياسية والفكرية وغيرها •

ثم تطرق آخرون منهم الى الكتابة في الاخبار ، واتخذوا من اسماء بعض الاشخاص عناوين بارزة لمدوناتهم ، فقد كتب ابو عبيدة معمر بن المثنى

البصري (ت٢٠٨،) كتاب « مسعود بن عمرو » وصنف ابو اسحق طلحة بن عبيدالله التيمي البصري (ت١٧١،) كتاب : « جواهر الاخبار » في حين كتب الفضل بن الحباب بن محمد البصري (ت٣٠٥،) كتاب « الفرسان » وكتب ابو يحيى زكريا بن يحيى الساجي البصري (ت٣٠٧،) كتاب « مناقب الشافعي » وكتب ابو احمد عبدالعزيز بن يحيى الجلودي البصري (ت٣٣٠،) كتاب : « اخبار العجاج » و « اخبار خالد بن صفوان » كما صنف عبيدالله بن شبيب الربعي البصري كتاب : « الاخبار والاثار » ، وكتب محمد بن الحسن بن جمهور العمي البصري كتاب « الواحدة في الاخبار » ، وكتب ابو بشير احمد بن ابراهيم البصري (ت٣٥٠،) عدة كتب في الاخبار منها : « أخبار صاحب الزنج » و « اخبار السيد الحميري وشعره » و « الفرق » و « عجائب العالم » .

وطرق مؤرخو البصرة ميدان الكتابة في كتب الرجال مستخدمين في ذلك منهج التنظيم على الطبقات ، كما فعل علي بن عبدالله المديني البصري (ت٢٣٤،) في كتابه « الطبقات » ، وما صنفه أبو ايوب سليمان بن داود البصري (ت٢٣٤،) في كتابه « تاريخ طبقات اهل العلم » وصنف خليفة بن خياط (ت٢٤٠،) كتاب « الطبقات » اضافة الى « طبقات القراء » ، ويعد كتاب الطبقات من الكتب المهمة والمعتمدة في الجرح والتعديل ، وتوثيق الرواة وتجريحهم وممن صنف في طبقات الشعراء من مؤرخي البصرة محمد بن سلام الجمحي البصري (ت٢٣٣،) في كتابه الموسوم « طبقات الشعراء الجاهليين » و « طبقات الشعراء الاسلاميين » . وكتب ابو خليفة الفضل ابن الحباب البصري (ت٣٠٥،) كتاب « طبقات الشعراء الجاهليين » .

وممن كتب في تاريخ الضعفاء من البصريين ، ما كتبه ابو يحيى زكريا يحيى الساجي البصري (ت٣٠٧،) في كتابه الموسوم « الضعفاء » .

مدرسة واسط التاريخية :

لم يظهر بين مؤرخي المدرسة الواسطية من أهتم بموضوع السير والمغازي غير ان هناك من اهتم بموضوع الانساب ، حيث كان سليمان بن أبي شيخ الواسطي (ت،٢٤٦) من علماء النسب والتاريخ .

اما في مجال التاريخ العام ، فقد كتب عبدالله بن محمد بن ابي شيبة الواسطي (ت،٢٣٥) كتاب : « التاريخ » ، وكتب أبو عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي (ت،٣٢٣) كتاب : « التاريخ » ايضا . اضافة الى كتاب « الاخبار » له ، وكتب ابو طالب عبدالرحمن بن ابي الفتح بن عبد السميع الكاشحي العباسي الواسطي (ت،٦٢١) كتاب : « المنتخب من مناقب الدولة العباسية ومآثر أئمتها المهدية » .

اما في ميدان التاريخ المحلي ، فقد كتب ابو الحسن اسلم بن سهل الواسطي المعروف ببحشل (ت،٢٨٨) كتاب : « تاريخ واسط » وذيل عليه ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن الطيب الجلابي (ت،٥٣٤) ، ثم كتب ابو عبدالله محمد بن سعيد بن الدبيثي الواسطي (ت،٦٣٧) كتاب « تاريخ واسط » ، في حين كتب السيد جعفر بن محمد بن الحسن الجعفري كتاب « تاريخ واسط » .

اما ابو العباس احمد بن بختيار بن علي بن محمد الواسطي (ت،٥٥٢) فانه صنف كتاب : « تاريخ البطائح » وهو اوسع من تاريخ واسط .

مدرسة بغداد التاريخية واتجاهاتها : ـ

١ ـ السير المغازي :

اهتمت مدرسة بغداد التاريخية اهتماما كبيرا بموضوع السير والمغازي، وابرز من كتب في هذا الاتجاه من مؤرخيها هو محمد بن اسحق المدني نزيل العراق (ت،١٥١) في كتابه : « السيرة والمبتدأ والمغازي » وكتب نجيح بن عبدالرحمن ابو معشر السندي نزيل بغداد (ت١٧٠) كتاب « المغازي »

وصنف علي بن مجاهد بن مسلم الرازي نزيل بغداد (ت ، ١٨٢) كتاب « المغازي » في حين صنف يحيى بن سعيد بن أبان الاموي الكوفي نزيل بغداد (ت،١٩٤) كتاب « المغازي » ايضا ، اما وهب بن وهب القرشي المدني نزيل بغداد (ت،٢٠٠) فانه صنف كتاب « صفة النبي » .

اما محمد بن عمر الواقدي المدني نزيل بغداد (ت،٢٠٧) فانه صنف كتاب « السيرة » و « أزواج النبي » و « وفاة النبي » ، وكتب علي بن محمد المدائني البغدادي (ت ، ٢٢٥) كتاب : « صفة النبي » و « امهات النبي » و « ازواج النبي » ، وكتب محمد بن سعد البصري نزيل بغداد (ت،٢٣٠) كتاب « اخبار النبي » اضافة الى معالجته موضوع السيرة النبوية بصورة مفصلة في كتابه « الطبقات الكبرى » . وكتب محمد بن حبيب البغدادي (ت،٢٤٥) كتاب « امهات النبي » ، وكتب الزبير بن بكار ابن عبدالله القرشي (ت،٢٥٦) كتاب : « ازواج النبي » ، وكتب ابو جعفر احمد بن الحارث البغدادي الخراز (ت،٢٥٨) كتاب « مغازي النبي وسراياه وذكر ازواجه » ، في حين كتب حماد بن اسحق الازدي البصري نزيل بغداد (ت،٢٦٧) كتاب « تركة النبي » وكتب ابراهيم بن اسحق المعروف بأبي اسحق الحربي البغدادي (ت،٢٨٥) كتاب « المغازي » وهو من الكتب التي الفت على الطريقة القديمة للسيرة النبوية ، وكتب ابو العباس محمد بن عبدالله بن اسحق بن سلام المكاولي البغدادي كتاب « السير » ، ولابي العباس محمد بن عبيدالله بن محمد الكاتب المعروف بابن عماد الثقفي الكاتب (ت،٣١٩) كتابان في السير وكتب ابو القاسم المنذر بن محمد كتاب « وفود العرب الى النبي صلى الله عليه وسلم » .

٢ ــ تاريخ الانساب :

تطرق مؤرخو المدرسة التاريخية البغدادية لموضوع الانساب ، وصنفوا فيه ، حيث ابدعوا وبرعوا في ميدان الكتابة التاريخية في اطار

الانساب . او في مجال تاريخ الانساب الصرف ، وابرز من كتب في هـذا الاتجاه ، مصعب بن عبدالله الزبيري المدني نزيل بغداد (ت١٥٦،) في كتابه : « جمهرة نسب قريش » وكتب عمـر بن مطـرف البغـدادي (ت١٩٣،) ـ والذي كان عالما نسابة ـ كتاب « مفاخرة العرب » و « مفاخرة القبائل في النســب » .

وصنف مؤرخ بن عمرو السدوسي نزيل بغـداد (ت١٩٥،) كتـاب « حذف نسب قريش » ، اما ابو محمد عبدالله بن محمد بن عمارة الانصاري نزيل بغداد (ت،اواخر القرن الثاني الهجري) فأنه صنف كتاب « نســب الانصار » وكان احد المصادر الاساسية لابن سعد في كتابه الطبقات ، حيث كان ابن سعد يشير بذلك اليه . وصنف وهب بن وهب القريشـي المـدني نزيل بغداد (ت٢٠٠،) كتاب « نسب ولد اسماعيل عليه السلام » ، وكتب محمد بن عمر الواقدي المدني نزيل بغداد (ت٢٠٧،) كتاب « في انسـاب القبائل » في حين كتب ابو الحسن علي بن محمد المدائني البغدادي (ت٢٢٤،) كتاب « نسب قريش واخبارها » وكتاب « من نسب الى أمه » ، ومن بـين المؤرخين البارزين في ميدان الانساب محمد بن سعد البغدادي (ت٢٣٠،) في كتابه « الطبقات الكبرى » الذي دون منهجه في اطار كتب الانسـاب ، واعتمد فيه على مصادر في الانساب ، ابرزهـا كتاب « نسـب الانصـار » و « نسب البيط » ، ويعد الحسن بن عثمان الزيادي البغدادي (ت٢٤٣،) من بين علماء النسب البارزين في بغداد ، وكتب محمد بن حبيب بن أميـة البغدادي (ت٢٤٥،) عدة كتب في الانساب ابرزها « النسب » و «المشجر» و « الشعراء وانسابهم » و « المؤتلف والمختلف في النسب » و « العمائـر والربائع في النسب » و « انساب الشعراء » ، و « من نسب الى امه » . وكتب ابو عبدالله محمد بن صالح بن مهران البصري المعروف بابن النطاح نزيل بغداد (ت٢٥٢،) كتاب « انساب ازد عمان » وكتب الزبير بن بكـار

(ت، ٢٥٦) كتاب « نسب قريش واخبارها » ، اما احمد بن أبي خثيمة زهير ابن حرب النسائي البغدادي (ت،٢٧٧) فانه كان عالما بالانساب ، وقد أخذ علمه بالانساب عن شيخه مصعب الزبيري (ت،١٥٦) وكان ابو فراس محمد بن فراس بن عطاء (المتوفى في منتصف القرن الثالث الهجري) عالما نسابة ، وله كتاب في الانساب استخدمه ابن ماكولا في كتابه « الاكمال » .

اما ابو زيد عمر بن شبه النميري البصري نزيل بغداد (ت،٢٦٢) فانه صنف كتاب « النسب » .

واعظم كتاب في اطار الانساب وصلنا من مدرسة بغداد التاريخية ، هو كتاب (انساب الاشراف) لاحمد بن يحيى بن جابر البلاذري البغدادي الكاتب (ت،٢٧٩) ، والذي كتب التاريخ في اطار الانساب ، ويعد بحق من اروع واوثق المصادر التاريخية التي دونت في هذا الاتجاه .

وممن كتب في الانساب ، ابو الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور (ت،٢٨٠) في كتابه : « جمهرة نسب بني هاشم » في حين صنف محمد بن يزيد المبرد (ت،٢٨٥) كتاب : « نسب عدنان وقحطان » ، وكتب السكري كتاب : « انساب بني عبدالمطلب » ، وكتب ابو العباس عبدالله بن اسحق بن سلام المكاولي البغدادي كتاب « الانساب » في حين كتب ابو عبدالله أحمد ابن محمد العددي الجهمي كتاب : « انساب قريش واخبارها » ، . وله كتاب « الانتصار في الرد على الشعوبية » .

وفي القرن الرابع الهجري ، كتب ابو الحسن محمد بن ابي جعفر محمد بن علي الحسيني الهاشمي ، كتاب « الكامل في أنساب آل ابي طالب » وكتب ابو بكر محمد بن عبدالغني بن ابي بكر البغدادي (ت،٦٢٩) كتاب « لطيف » أي صغير في الانساب .

٣ ـ تاريخ القبائل والاسر الحاكمة :

ضعفت التنظيمات القبلية بعد القرن الثاني الهجري في العراق وبالاخص في بغداد ، التي لم تخطط على اساس ارباع او اخماس القبائل كما حدث عند تأسيس الكوفة والبصرة ، ومن ثم شهدت بغداد التطور والازدهار الحضاري المنشود ، الامر الذي اضعف موضوع الاهتمام بالقبائل باستثناء بعض الدراسات التاريخية التي تناولت مواضيع متفرقة من تاريخ القبائل في حين تناول بعض المؤرخين جوانب من تواريخ الاسر الحاكمة التي أحتلت مواقع متقدمة في السلطة ، وممن كتب في هذا الميدان من البغداديين علي بن مجاهد الرازي نزيل بغداد (ت١٨٢) في كتابه « اخبار الامويين » ، ووهب ابن وهب (ت ، ٢٠٠) في كتابه « فضائل الانصار » و « طسم وجديس »، وكتب محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧) كتاب « مراعي » قريش والانصار في القطائع » و « تصنيف القبائل ومراتبها » ، وكتب سعد بن أوس أبو زيد الانصاري البغدادي (ت٢١٥) كتاب : « بيوتات العرب » في حين اكثر علي ابن محمد المدائني البغدادي (ت٢٢٥) من التأليف في هذا الميدان التاريخي من خلال كتبه : « فضائل قريش » و « اخبار ثقيف » و « اشراف عبدالقيس » و « كتاب بني ناجية والحريث بن راشد » و « مصقلة بن هبيرة » ، وكتب محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥) كتاب « القاب النهر وربيعة ومضر » و « القبائل الكبير » و « ايام العرب » و « امهات اعيان بني عبدالمطلب » ، وصنف ابو عبدالله محمد بن صالح البصري نزيل بغداد المعروف بابن النطاح (ت٢٥٢) كتاب « البيوتات » و « أفخاذ العرب » في حين كتب الزبير بن بكار (ت٢٥٦) كتاب « المفاخرات » وكتب عبدالله بن احمد البصري نزيل بغداد (٢٥٧) كتاب «اشعار عبدالقيس واخبارها» في حين كتب أحمد بن الحارث الخراز البغدادي (ت٢٥٨) كتاب: «القبائل» و «الاشراف» و « مختصر كتاب البطون » و « ابناء السراري وكتب ابن ابي الدنيا ابو بكر عبدالله بن محمد

القرشي نزيل بغداد (ت،٢٨١) كتاب « اخبار قريش » اما محمد بن يزيد المبرد (ت،٢٨٥) فقد ال ، كتاب « قحطان وعدنان » ، في حين صنف ابو الحسن النسابة كتاب « القبائل واشراف العشائر » •

ويمكننا ان نلاحظ انه في نهاية القرن الثالث الهجري ، وفي مطلع القرن الرابع الهجري أضمحلت العناية بالانساب وتاريخ القبائل حيث كان الاهتمام منصبا على دراسة الاسر الحاكمة والمتنفذة ، في حين كان هناك ابو العباس محمد بن عبيدالله بن محمد الثقفي الكاتب المعروف بأبن عماد (ت،٣١٩) مهتما بتاريخ الاسرة الاموية من خلال تصنيفه لرسالتين احداهما: « رسالة في بني أمية » والاخرى « رسالة في تفضيل بني هاشم واوليائهم وذم بني أمية واتباعهم » •

وصنف محمد بن علي بن سعيد ، معلم ابن العميد الملقب سمكة كتاب « اخبار العباسيين » ، وكتب محمد بن العباس كتابا بعنوان : « مناقب بني العباس » ، وكتب عبدالرحمن بن عيسى وزير المتقي كتابا بعنوان « سيرة ال الجراح واخبارهم وانسابهم في القديم والحديث » ، وكتب الصابي : « التاجي في دولة بني بويه » ، وكتب الوزير جمال‌الدين علي بن يوسف (ت،٦٤٦) كتاب « تاريخ آل سلجوق » و « تاريخ آل بويه » •

٤ ـ الفتوحات العربية الاسلامية :

اهتمت مدرسة بغداد التاريخية بموضوع الفتوحات العربية الاسلامية حيث برع العراقيون في هذا النوع من الكتابات التاريخية ، وفتشوا عن مصادر معلومات لهذا الموضوع وعالجوا فترات تأريخية تعود الى الفترة العربية الاسلامية المبكرة ، وما ساهمت به من فتوح ، ولا غرابة في تأكيد المؤرخين البغداديين على هذا الموضوع نظرا لاهميته ، وكأنه يعكس دور العرب في حمل رسالة السماء الى الارض ، كما يعكس مدى اهتمام المؤرخين البغداديين بأمر تحرير العراق وغيره من المناطق العربية على ايدى العرب •

وابرز من اهتم في هذا الجانب قحذم بن سليمان بن ذتوان (عـاش الى ما بعد خلافة المنصور سنة ١٥٨) وقد اهتم بالفتوح العربية الاسلامية في العراق والمشرق ومصر في عصر الراشدين وطبيعة تلك الفتوح لما يترتـب عليها من نظم الادارة والمال ، وكتب سيف بن عمر التميمي (ت،١٧٠) كتاب « الفتوح الكبير » • وابرز ممن كتب في هذا الاتجاه محمد بن عمر الواقدي المدني نزيل بغداد (ت،٢٠٧) والذي صنف عدة كتب في هذا الاتجاه منها : « فتوح العراق » و « فتوح الشام » و « فتوح افريقيـة » و « فتـوح الاسلام لبلاد العجم وخراسان » ، وكان لعلي بن محمد المدائني البصـري البغدادي (ت،٢٢٤) دور مهم في الكتابة في هذا الميدان ، حيث انه يعد من اوسع المؤرخين البغداديين الذين كتبوا في هذا الميـدان ، وابـرز كتبه ، « فتوح العراق » و « فتوح الابلة » و « فتوح الجزيـرة » و « فتـوح الاحـواز » و « فتوح الشـام » و « فتوح مصـر » « فتوح برقـة » و « فتوح جبال طبرستان » و « فتوح طبرستان ايام الرشيد » و « فتوح جرجان وطبرستان » و « فتوح خراسان » و « فتوح سجستان » و « فتوح مكران » و « فتوح بابل ورامسال » و « فتوح سهرل » و « فتوح الري »•

اما أحمد بن الحارث الخراز البغدادي (ت،٢٥٨) فانه صنف كتاب ، « مغازي البحر في دولة بني هاشم » وذكر ابو حفص صاحب مغازي اقريطش، لعل هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد الذي صدر في التاريخ العربي حـول هـذا الموضـوع •

وصنف ابو اسحاق العطار البغدادي كتاب « الفتوح » • اما احمد بن يحيى البلاذري البغدادي الكاتب (ت ، ٢٧٩) فيعد من ابرع ممن صنف في هذا الاتجاه من خلال كتابه « فتوح البلدان » الذي يعد من المصـادر ذات المعلومات المهمة والواسعة بل والموثقة في ميدان اختصاصها • وكتب ابـو اسحق ابراهيم بن محمد الفزاري « كتاب السير » ويتعلق دون شك بالفتوح

وكتب ابو اسحق اسماعيل بن عيسى العطار كتاب « الفتوح » ، ومن الكتب التي لها صلة بالفتوحات ، ما كتبه ابو الحسين احمد بن الحسين الاحوازي ، في كتابه الموسوم « معارف الروم » ذكر فيه ما عاينه بالقسطنطينية وبلاد الروم من المراتب الدينية والسياسية .

ومن الكتب التي لها صلة بالفتوحات العسكرية ، ما كتبه الخليل بن الهيثم الهرثمي في كتابيه : « الحيل والمكايد في الحروب » و « مختصر سياسة الحروب » اضافة الى ما قام به مسلم بن ابي مسلم الجرمي البغدادي الذي كتب عدة مصنفات في اخبار الروم وملوكهم وذوي المراتب منهم ، وبلادهم ، وطرقها ، ومسالكها واوقات الغزو اليها والغارات عليها ومن جاورهم من الممالك من برجان ، والابر ، والبرغر ، والصقالبة ، والخزر وغيرهم .

٥ ـ التاريخ الاداري :

بالنظر لتمتع بغداد بثقل عظيم في الميدان السياسي والاداري والثقافي والفكري ، ولاهمية موقعها وثقلها في حياة الامة ، وبالنظر لمكانة الخلفاء في نفوس المسلمين وبالنظر لاهمية ودور مؤسسة الوزارة ، في الحياة السياسية والادارية ، ولاهمية دور الامراء والقادة في ادارة الدولة واهميتهم في حياة الامة ، فقد عالج مؤرخو المدرسة البغدادية هذه المواضيع واولوها أهمية كبيرة ، ولقد عالج مؤرخو بغداد هذا الموضوع بعقلية وخلفية تاريخية عميقة حيث تناولوا هذا الموضوع بالرجوع الى تاريخ الخلفاء ، ونظام الخلافة منذ العهد الراشدي ، ومرورا بالعصر الاموي ومن ثم العصر العباسي ، في حين كان تركيزهم في تاريخ الامراء والقادة على سيرهم وتاريخهم منذ العهد الراشدي ايضا ، في حين تناولوا موضوع الوزارة في فترته العباسية حيث ظهر نظامها واستقر امرها فيها ، واقدم من كتب في هذا

الاتجاه نجيح بن عبدالرحمن ابو معشر السندي نزيل بغداد (ت١٧٠،) في كتابه « تاريخ الخلفاء » .

وكتب محمد بن عمر الواقدي نزيل بغداد (ت٢٠٧،) كتاب « السقيفة وبيعة أبي بكر » وكتاب « سيرة ابي بكر ووفاته » ، وكتب علي ابن محمد المدائني البغدادي (ت٢٢٥،) كتاب : « تسمية الخلفاء وكناهم واعمارهم » و « تاريخ اعمار الخلفاء » و « حلي الخلفاء » و « من تزوج من نساء الخلفاء » و « أخبار الخلفاء » و « تاريخ الخلفاء » و « خطب علي وكتبه الى عماله » و « اخبار السفاح » ، وكتب محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥،) عدة مصنفات منها : « تاريخ الخلفاء » و « أخبار معاوية » في حين كتب احمد بن ابراهيم الدورقي البغدادي (ت٢٤٦،) كتاب « سيرة عمر بن عبدالعزيز في خمسة اجزاء » ، وكتب أحمد بن الحارث البغدادي الخراز (ت٢٥٨،) كتاب : « اسماء الخلفاء وكتابهم والصحابة » وكتاب « أخبار أبي العباس » ، وصنف عمر بن شبه النميري البصري البغدادي (ت٢٦٢،) كتاب « اخبار المنصور » وكتب احمد بن أبي طاهر طيفور البغدادي (ت٢٨٠،) كتاب : « ابواب الخلفاء » و « أخبار المعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر » ، وكتب ابن ابي الدنيا ، ابو بكر عبدالله بن محمد القرشي نزيل بغداد (ت٢٨١،) كتاب « تاريخ الخلفاء » و « مواعظ الخلفاء » في حين كتب ابو الفضل محمد بن احمد بن عبدالحميد الكاتب (ت٢٨٧،) « اخبار خلفاء بني العباس » ، وكتب ابو عبدالله محمد بن داود (ت٢٩٦،) كتاب « الورقة » وهو كتاب صغير خصص فيه لاخبار كل خليفة ورقة واحدة ، وكتب عبيد الله بن الحسين بن سعد الكاتب كتاب « التاريخ » و « اخبار الخلفاء من بني العباس » . وكتب ابو عبدالله محمد بن زكريا بن دينار الغلابي كتاب « مقتل امير المؤمنين » ويعني به الخليفة الراشد علي بن ابي طالب (رض) . وكتب محمد بن الهيثم « كتاب الدولة » ، ويقصد

به الدولة العباسية ، وكتب احمد بن يعقوب الرازي المقرىء نزيل بغداد (ت٣٠٠،) كتاب : « اخبار العباسيين » في حين كتب ابو الحسن ثابت بن قره الحراني طبيب الخلفاء (ت٣٠٠،) كتاب « سيرة المعتضد » في حين كتب عبيدالله بن عبدالله بن طاهر (ت٣٠٠،) كتاب « مراسلاته لعبدالله بن المعتز » في حين كتب ابو بكر محمد بن زكريا الفيلسوف الطبيب (ت٣١١،) كتاب « سيرة الخلفاء » ، وكتب محمد بن مزيد المعروف بأبن ابي الازهر البغدادي (ت٣٢٥،) كتاب « الهرج والمرج في اخبار المستعين » وكتب احد المؤرخين المجهولين كتاب : « آخبار الدولة العباسية » و « اخبار المعتمد على الله » .

اما محمد بن يحيى بن العباس الصولي البغدادي (ت٣٣٥،) فانه صنف كتاب : « الاوراق في اخبار الخلفاء » وفي رواية : « الاوراق في اخبار آل العباس واشعارهم » وكتاب : « اشعار من بقي من بني العباس ممن ليس بخليفة ولا ابن خليفة » وقد اشاد حاجي خليفة بكتاب الصولي « الاوراق » فقال عنه : « تاريخ آل عباس او الاوراق وهو العمدة فيه لانه كتب ما رآه في زمانه » وطبع منه أخبار الراضي والمتقي واشعار اولاد الخلفاء ، وكتب أحد المؤرخين المجهولين كتاب : « أخبار الدولة العباسية » و « اخبار العباس وولده » .

وكتب ابو هلال الحسن بن عبدالله العسكري (ت٣٥٩،) كتاب « من احتكم من الخلفاء الى القضاة » وكتب ابو الحسين هلال ين المحسن الصابي (ت٤٤٨،) كتاب « رسوم دار الخلافة » تناول فيه المراسيم المتبعة في دار الخلافة والاصول والقواعد المرعية في ذلك ، وله ايضا كتاب : « التاريخ » وهو تاريخ لعصره في (٤٠) مجلدا .

والف محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (ت٥٨٠،) كتاب : « الانباء في تاريخ الخلفاء » وكتب ابن طاووس رضي الدين ابو

القاسم علي بن موسى (ت،٦٦٤) كتاب « الاصطفاء في تاريخ الملوك والخلفاء » .

اما تاج الدين علي بن أنجب البغدادي (ت،٦٧٤) فانه صنف كتاب : « تاريخ نساء الخلفاء من الحرائر والاماء » ، وكتب ابن الساعي البغدادي (ت،٩٧٤) كتاب « اخبار الخلفاء » و « مناقب الخلفاء » ، وصنف علي بن عيسى بن داود الجراح البغدادي ، كتاب : « سيرة الخلفاء » ، وصنف محمد بن أحمد بن عبدالحميد الكاتب كتاب : « اخبار خلفاء بني العباس » وكتب عبدالله بن الحسين الكاتب ، كتاب : « تاريخ الدولة العباسية » وكتب ابو اسحق السقطي كتاب : « تاريخ موصول بكتاب ابي جعفر » وقد ضمنه من اخبار ابي جعفر المنصور واصحابه شيئا كثيرا .

اما فيما يتعلق بتاريخ الوزراء ، فنجد ان ابرز من كتب في هذا الاتجاه، هو ابو عبيدالله محمد بن داود الجراح (ت،٢٩٦) في كتابه « الوزراء » ، وابن عمار الثقفي (ت،٣٠٩) في كتابه « الزيادات في اخبار الوزراء » . اما ابو الحسن علي بن الحسن المعروف بأبن الماشطة الكاتب الذي كان حيا سنة ٣١٠ هـ ، فانه صنف كتاب « الوزراء » ، وكتب محمد بن عبيدالله البغدادي الكاتب (ت،٣١٩) كتاب « الزيادات في اخبار الوزراء » ، وكتب علي بن الحسن بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق (ت،٣٢٠) كتاب « في أخبار عدة من وزراء المقتدر » ، في حين كتب ابو عبدالله محمد بن عبدوس الكوفي المعروف بالجهشياري نزيل بغداد (ت،٣٣١) كتاب « الوزراء والكتاب » حيث تناول فيه اخبار عدد من وزراء الخلافة العباسية في الوقت الذي كتب فيه محمد بن يحيى بن العباس الصولي البغدادي (ت،٣٣٥) كتاب « الوزراء » ولعله سبق به الوزراء للجهشياري ، وكتب الصولي كتاب : « مناقب علي بن الفرات » ، اما ابو الحسين هلال بن

المحسن الصابي (ت٤٤٨) فانه صنف كتاب : « تحفة الامراء في تاريخ الوزراء » •

وكتب ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠) كتاب « قانون الوزراء » في حين كتب ابن ماكولا الامير سعد الملك ابو النصر علي بن ابي القاسم هبة الله الوزير بن علي العجلي العكبري (ت٤٨٧) كتاب « الوزراء » • وكتب ابو الحسن محمد بن عبدالملك بن ابراهيم الفرضي (ت٥٢١) كتاب « تاريخ الوزراء » في حين كتب تاج الدين علي بن انجب البغدادي (ت٦٧٤) كتاب « تاريخ الوزراء » ، في الوقت الذي جاء من بعده ابن الساعي (ت٩٧٤) في كتابه « اخبار الوزراء » •

اما في ميدان تدوين تاريخ الامراء والقادة ، فقد تناولت مدرسة بغداد هذا الموضوع ايضا ، وابرز من كتب فيه ، قحذم بن سليمان بن ذكوان ، الذي اهتم بذكر ولاة العراق في العصر الاموي ، ومن كان على شرطهم بالبصرة والكوفة وواسط ، ومن كان على الخراج والرسائل اما علي بن محمد المدائني البغدادي (ت٢٢٥) فانه كتب : « عبدالله بن عامر الحضرمي » و « عبدالله بن عامر بن كريز » و « أخبار الحجاج ووفاته » و « نوادر قتيبة بن مسلم » و « مسلم بن قتيبة » و « ولاية أسد بن عبدالله القسري » و « ولاية نصر بن سيار » •

وصنف عمر بن شبه النميري البصري نزيل بغداد (ت٢٦٢) كتاب : «امراء البصرة»و «امراء الكوفة»و«أمراء مكة»و«أمراء المدينة»،اما محمد بن يزيد المهلبي ، فانه صنف كتاب : « المهلب وأخباره وأخبار ولده » ، وكتب خالد بن خداش ، « اخبار المهلب » ، في حين كتب المغيرة بن محمد المهلبي كتاب : « مناكح المهلب » ، وكتب ابن الحاجب النعمان ابو الحسين عبد العزيز بن ابراهيم كتاب « انس ذوي الفضل في الولاية والعزل » امافي ميدان القضاء ، فقد كتب علي بن محمد المدائني البغدادي (ت٢٢٥) كتاب :

« قضاة أهل البصرة » و « قضاة أهل المدينة » وكتب وكيع بن الجراح (ت١٩٧) كتاب : « أخبار القضاة وتأريخهم وأحكامهم » • وكتب ابو القاسم طلحة بن محمد بن جعفر البغدادي (ت٣٨٠) كتاب « اخبار القضاة » وكتب الشريف الرضي ابو الحسن محمد بن ابي احمد الحسيني الموسوي (ت٤٠٦) كتاب « اخبار قضاة بغداد » ، وكتب ابو الحسن محمد بن عبدالملك الفرضي (ت٥٢١) كتاب « امراء الحاج من زمان النبي الى ايامنا » •

٦ ـ التاريخ السياسي :

تناولت مدرسة بغداد التاريخية مواضيع مختلفة من التاريخ السياسي العربي ، من خلالها معالجتها لاحداث سياسيه وعسكرية صرفة ، وبالاخص حركات المعارضة السياسية التي كانت تغذيها وتساندها عناصر معادية للسلطة المركزية ، وما نتج عنها من احداث ، وبالاخص المعارك ، وحالات قتل عدد من القادة والمفكرين ، وعدد من الشخصيات البارزة في التاريخ العربي الاسلامي ، اضافة الى تناول مواضيع تخص سياسة الدولة وما يتعلق بها •

وممن كتب في هذا الاتجاه سيف بن عمر (ت١٧٠) في كتابه «الردة» وكتب محمد بن الحارث التغلبي (ت٢٤٧) كتاب : « اخلاق الملوك » ، وكتب الفتح بن خاقان بن أحمد البغدادي وزير المتوكل (ت٢٤٧) كتاب « اختلاف الملوك » وكتب ابو عبدالله محمد بن صالح المعروف بابن النطاح البصري نزيل بغداد (ت٢٥٢) كتاب « الدولة وأخبارها » ، في حين كتب ابو علي حنبل بن اسحق بن حنبل البغدادي (ت٢٧٣) كتاب « الفتن » وكتاب « المحن » ، وكتب أحمد بن أبي طاهر طيفور البغدادي (ت٢٨٠) كتاب « اخبار الملوك » ، وكتب شيلمة محمد بن الحسن الخارجي العلوي البصري نزيل بغداد (ت ، ٢٨٠) كتاب : « اخبار صاحب الزنج ووقائعه »

وكتب ابو عبدالله محمد بن علي العلوي الهاشمي (ت٢٨٧،) كتاب « مقاتل الطالبيين » .

اما حفص بن اشيم البغدادي فانه صنف كتاب « الفرق والرد عليهم » ولعله من نوادر الكتب التي الفها الخوارج في الدفاع عن ارائهم ، وكتب ابو اسحق اسماعيل بن عيسى العطار ، عدة كتب في هذا الاتجاه ابرزها كتاب « الردة » و « الالوية » و « الفتن » وكتب ابو عبدالله محمد بن زكريا بن دينار عدة كتب تناولت وقائع ومعارك ومقتل عدد من الشخصيات البارزة .

اما عبيدالله بن عبدالله بن طاهر (ت٣٠٠،) فانه كتب « رسالة في السياسة المملوكية » ، وكتب ابو بكر الرازي محمد بن زكريا الفيلسوف (ت٣١١،) كتاب « رسائل الملوك » و « علامات اقبال الدولة » و « الامام والمأموم » ، وكتب ابو العباس محمد بن عبيدالله بن محمد الكاتب (ت٣١٩،) كتاب : « المبيضة في اخبار مقاتل آل ابي طالب » . اما الوشاء ، ابو الطيب محمد بن أحمد (ت٣٢٥،) فانه صنف كتاب : « أخبار صاحب الزنج » ، وكتب علي بن عيسى بن داود (ت٣٣٤،) كتاب « الكتاب وسياسة المملكة وسيرة الخلفاء » ، وكتب ابو علي محمد بن همام الاسكافي الكاتب (ت٣٣٦،) كتاب : « الانوار في تاريخ الائمة الاطهار » . وكتب ابو الحسن على بن الحسين المسعودي (ت٣٤٥،) كتاب « الانتصار المفرد لفرق الخوارج » ، وكتب ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني نزيل بغداد (ت٣٥٦،) كتاب : « مقاتل الطالبيين » في حين كتب ابو الحسن هلال بن المحسن الصابي (ت٤٤٨،) كتاب « السياسة » .

وكان ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠،) من ابرز الذين عالجوا نظريات ومواضيع سياسية بحتة ، حيث صنف عدة

كتب منها : « الاحكام السلطانية » و «أدب الدين والدنيا» و «نصيحة الملوك» و « تسهيل النظر وتعجيل الظفر في السياسة والحكومة » .

وكتب ابو الحسن محمد بن عبدالملك الفرضي (ت٥٢١،) كتاب : « اخبار دولة السلطان محمد ومحمود السلجوقيين » .

٧ ـ التاريخ العام والتاريخ المحلي :

لقد برزت مدرسة بغداد في ميدان التاريخ العام ، سواء كان تاريخا عاما متناولا مختلف مراحل التاريخ ، وكل ما يحتويه من احداث تاريخية عامة ، سواء مرتبة حسب السنين او الحوليات او مرتبة تبعا للاحداث ، ولقد فاقت مدرسة بغداد اي مدرسة اخرى في هذا الميدان ، وابرز من كتب فيه :

ابو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك (ت١٨١،) في كتابه « التاريخ » واسحاق بن سليمان الهاشمي البغدادي (ت ، بعد ١٩٠) في كتابه « التاريخ والسير » ، ومحمد بن عمر الواقدي البغدادي (ت٢٠٧،) في كتابه : « التاريخ الكبير » وابو الحسن علي بن المغيرة الاثرم البغدادي (ت٢٣٢،) في كتابه « التاريخ » ، ويحيى بن معين البغدادي (ت٢٣٣،) في كتابه « التاريخ » ، واحمد بن محمد (من اصحاب احمد بن حنبل ، ت٢٤١،) في كتابه : « التاريخ » ، وابو حسان الحسن بن عثمان الزيادي البغدادي (ت٢٤٣،)في كتابه « التاريخ على السنين » ، وابو حفص عمرو بن علي الفلاس البغدادي (ت٢٤٩،) في كتابه « التاريخ » المتكون من ثلاثة اجزاء ، وداود بن الجراح (ت٢٥٢،) في كتابه : « التاريخ » ، وابو موسى محمد بن المثنى العنزي البغدادي (ت٢٥٢،) في كتابه « التاريخ » والمفضل بن غسان الغلابي البغدادي (ت٢٥٦،) في كتابه « التاريخ » ، وابو الحسن احمد بن عبدالله بن الحسين القطربلي (ت٢٦١،) في كتابه « التاريخ » الذي استمر به الى ايامه ، وابو علي حنبل بن اسحاق بن حنبل البغدادي (ت٢٧٣،) في

كتابه « التاريخ » ، وكتب ابو العنبس محمد بن اسحاق الصميري البغدادي (ت،٢٧٥) كتاب « الدولتين في تفضيل الخلافتين » •

اما ابن قتيبة (ت،٢٧٦) فانه الف كتاب : « عيون الاخبار » وكتاب « المعارف » الذي جمع فيه بين فكرة التاريخ العالمي وفكرة الوحدة الثقافية في تاريخ العرب ، وذلك لسد حاجة طبقة الكتاب لتاريخ شامل ، وليجابه الحركة الشعوبية في الحقل الثقافي ، وبالاخص عندما افرد كتابا لذلك عنهم ، واسماه « العرب او الرد على الشعوبية » • وكتب جعفر بن أبي محمد الازهر البغدادي (ت،٢٧٩) في كتابه « التاريخ » الذي وصفه ابن النديم بقوله : « انه من جياد الكتب » ، وابو بكر احمد بن زهير البغدادي الحافظ (ت،٢٧٩) في كتابه «التاريخ الكبير» الذي يقع في ٣٠ مجلدا صغيرا ، او ١٢ مجلدا كبيرا ، وهو على طريقة المحدثين ، احسن فيه واجاد ، وكتب محمد بن الحسن العلوي (ت،٢٨٠) كتاب « التاريخ » ، وكتب ابن ابي الدنيا ، ابو بكر عبدالله بن محمد البغدادي (ت،٢٨١) كتاب «الفرج بعد الشدة» ، اما ابو حنيفة الدنيوري (ت ، ٢٨٣) فانه الف كتاب : « الاخبار الطوال » ، وهو تاريخ عالمي اكد فيه على دور العرب وغيرهم في التاريخ ، وقدم تفسيرا تاريخيا لاشتراك العرب وغيرهم في السلطة خلال العصر العباسي ، وكتب احمد بن علي ابو عيسى المنجم (ت،٢٨٨) كتاب : « تأريخ سني العالم » ، والف احمد بن يعقوب بن واضح اليعقوبي (ت،٢٩٢) كتاب « التاريخ » الذي هو موجز تاريخي منظم يتناول فيه التاريخ العالمي منذ الخلق وحتى سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م ، فقد كان فهمه للتاريخ العالمي يتناول بجانب تاريخ الانبياء ، وتاريخ قبل الاسلام ، تواريخ الامم الاخرى القديمة ، من الاشوريين والبابليين ، والهنود والرومان والفراعنة والبربر والحبش والزنج والترك والصين ، وغيرهم ، ولاشك ان الكتاب

بمصادره ومعلوماته يكمل تاريخ الطبري ، ويمثل بالنسبة لتطور التدوين التاريخي اول تاريخ عالمي بمعنى العالمية للكلمة .

ومن مؤرخي مدرسة بغداد في القرن الثالث الهجري من الذين كتبوا في التاريخ العام ، ابو بكر محمد بن علي بن مروان البغدادي في كتابه « التاريخ » في ستة اجزاء ، وكتب عيسى بن دأب ، اخبارا تتعلق بتاريخ العرب القديم ، وكتب ابن عابد كتاب « الملوك واخبار الامم » ، وكتب ابو سعيد عبدالله بن شبيب الربعي ، كتاب « الاخبار والاثار » ، وصنف عبدالله بن الحسين بن سعد الكاتب كتاب : « التاريخ » ، وكتب جعفر بن محمد بن الفضيل كتاب « التاريخ » رآه عمر بن شبه بخطه ونقل منه عن طريق ابن شبه المؤلف المجهول لكتاب « اخبار العباس وولده » ، كما كتب ابو صالح بن يزداد بن عبدالله بن محمد كتاب « التاريخ » ، وكتب ابو ايوب سليمان بن أبي الشيخ كتاب « الاخبار المسموعة » ، وكتب ابو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الفقيه كتاب « الاخبار » وعنوانه «الباهر» في حين كتب ابو نصر ابراهيم بن علي بن عيسى بن داود كتاب « الاخبار » وكتب ابو القاسم عبدالله بن علي بن محمد المعروف بابن اسماء ، كتاب « الاستفادة من التاريخ » ، وكتب محمد بن علي الحسيني العلوي ، كتاب « التاريخ » من المولد الى الوفاة ، ومن كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الخلفاء والملوك الى خلافة المعتضد بالله ، وكتب ابن القاطول كتابا في « تاريخ العراق » وكتب ابو اسحق اسماعيل بن عيسى العطار كتاب « المبتدأ » وكتب سلمويه بن صالح الليثي كتاب « في الدولة العباسية وامراء خراسان » وكتاب الراوندي « اخبار الدولة العباسية » . أما ابو جعفر محمد بن جرير الطبري البغدادي (ت ، ٣١٠) فانه أفتتح ميدان التاريخ العام في مطلع القرن الرابع الهجري ، وذلك من خلال كتابه « التاريخ » الذي جاء ليعبر عن فكرة تكامل الرسالات في التاريخ فالتاريخ عنده يعبر عن

المشيئة الألهية ، وقد كتبه الطبري على هذا الأساس ليوضح في التاريخ فكرة ارادة الله في افعال البشر ، حيث تناول فيه التاريخ منذ بدء الخليقه والبدء وهبوط آدم ، وتواريخ الانبياء والرسل والامم الاخرى قبل الاسلام، واستمر فيه في العهد الاسلامي ، منذ عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وحتى حوادث سنة ٣٠٢هـ ، حيث فرغ من تأليفه سنة ٣٠٣هـ ومصادره واضحة كأنه سجلها في اسناد اخباره ، واعتمده الطبري في عرضه لمادته مبدا الحوليات ، مما اصطره الى قطع الاحداث بالروايات المتعددة وبالسنين على السواء ، ثم يتطرق في حديثه الى احداث عارضة تقطع حديثه عن الخبر الاصلي الذي يتحدث عنه ، مما جعل تاريخه يفتقر الى الوحدة ، وارتباط السياق ، ومع ذلك فهو من المصادر المهمة والاساسية في التاريخ ، وقد قام عدد من الاشخاص بعمل مختصرات لتاريخ الطبري ، ثم ترجم كتابه الى لغات أخرى غير العربية ، في حين ذيل عليه مؤرخون آخرون منهم محمد بن عبدالملك الهمداني (ت،٥٢١هـ) ، واحمد بن ابي طاهر طيفور (ت،٢٨٠) وولده عبيدالله ، وتلاهما ابو محمد عبدالله بن احمد (ت،٣٦٢) كتاب « التاريخ المذيل على الطبري » ، وكتب ثابت بن سنان (ت،٣٦٥) ذيلا على الطبري •

ومن كتب في التاريخ العام بعد الطبري من مؤرخي مدرسة بغداد ، عبدالرحمن بن عيسى بن داود وزير المتقي (ت،٣٣٣) الذي صنف كتاب « التاريخ من سنة ٢٧٠ الى ايامه » ، وكتب ابو الحسن احمد بن جعفر بن محمد (ت،٣٣٦) المعروف بابن المنادي كتاب : « التاريخ » • وكتب ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت،٣٣٧) كتاب « زهر الربيع في الاخبار والاثار » •

اما ابو الحسن علي بن الحسين الهذلي المسعودي (ت،٣٤٦) ، فانه كتب « اخبار الزمان ومن أياده الحدثان من الامم الماضية » وهو في (٣٠)

مجلدا ، لم يبق منه الا الجزء الاول الذي طبع بالقاهرة ، وكتب ايضا ، « مروج الذهب ومعادن الجوهر » و « التنبيه والاشراف » و « مظاهر الاخبار وطرائف الاثار » .

وكتب اسماعيل بن علي بن يحيى الخطبي البغدادي (ت٣٥٠) كتاب « تاريخ كبير مرتب على السنين » ، في حين كتب الحافظ ابو الحسين عبدالباقي بن قانع بن مرزوق البغدادي الاموي (ت٣٥١) كتاب «التاريخ» مرتب على السنين ، وكتب ابو الحسن ثابت بن سنان الطبيب (ت ، ٣٦٥) كتاب : « التاريخ من سنة ٢٩٥ الى وفاته » ، وكتب ابراهيم بن هلال الصابي (ت٣٨٤) كتاب : « التاجي وهو في التاريخ » وله ايضا كتاب « المنتزع من كتاب التاجي » .

اما ابو حفص عمر بن احمد بن شاهين البغدادي الواعظ (ت٣٨٥) فانه الف كتاب « التاريخ » ، ومن مؤرخي القرن الرابع الهجري من مدرسة بغداد التاريخية ، ما كتبه ابو صالح عبدالله محمد بن يزداد بن سويد ، كتاب « التاريخ » .

وفي مطلع القرن الخامس الهجري كتب ابو الحسن علي بن عبدالرحمن البغدادي (ت٤١٣) كتاب : « نوادر الاخبار في التاريخ » والف ابو علي الخازن أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه (ت٤٢١) كتاب : « تجارب الامم وتعاقب الهمم » وهو في ميدان التاريخ العام ، وذيل عليه ابو شجاع محمد بن الحسين بن عبدالله الوزير (ت٤٨٨) ، وكتب محمد بن أحمد بن مهدي ، كتاب « التاريخ » قدمه لخزانة الخليفة القادر بالله العباسي (ت٤٢٢) ، وكتب ابو الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي (ت٤٤٨) كتاب : « التاريخ » وهو تاريخ لعصره في (٤٠) مجلدا ، وكتب غرس النعمة ابو الحسن محمد بن هلال الصابيء (ت٤٨٠) كتاب «التاريخ» ويسمى في بعض المصادر « عيون التاريخ » .

وكتب ابو الحسن محمد بن عبدالملك الفرضـي (ت ، ٥٢١) كتـاب « تكملة تاريخ الطبري » و « ذيل تاريخ ابي شجاع » الذي عنوانه « السير او المعـارف المتأخرة » •

وكتب ابو الحسن علي بن عبيدالله بن نصر الحنبلي البغدادي ، كتاب « ذيل على تاريخ الطبري ، ذكر فيه تاريخ بغـداد من ولايـة المسترشـد (٥١٢ـ٥٢٩) حتى وفاة المؤلف ، وكتب وجيه الدين ابو حفص عمر بـن محمد بن عبدالله بن عمريه السـهروردي (ت،٥٣٢) كتـاب « التـاريخ المجاهدي » وكتب ابو المعالي محمد بن علي بن محمد ين حمدون (ت، بعد ٥٦٠) كتاب « التذكرة » وهو في التاريخ العام مرتب السـنين ، وعلـى المواضيع ، وكتب ابو شجاع محمد بن علي البغدادي (ت،٥٩٠) كتـاب « تاريخ ابن هدمان » ، وكتب ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجـوزي (ت،٥٩٧) كتاب : « المنتظم في تاريخ الملوك والامم » ، وهو أول من بدت عنده ظاهرة فصل الحوادث التاريخية عن الوفيات ، ووضع الوفيات بعـد حوادث كل سنة ، ورتبها حسب حروف المعجم ، وكتب ابو غالـب جمـال الدين عبدالواحد بن مسعود بن الحسين الكاتب (ت،٥٩٧)، ذيل الطبري وهو الثالث في القرن السادس الهجري ، بعد الزاغوني وصدقة الحداد،وكتب ابو علي الحسن بن محمد بن اسماعيل البغدادي (ت،٦٣٣) كتاب : « الاسـتظهار في التاريخ على ألشهور » وكتب ابو منصـور عبدالله بن محمـد الوليـد البغدادي (ت،٦٤٣) كتاب « التاريخ الكبير » ، وكتب سبط ابن الجوزي (ت،٦٥٤) كتاب « مرآة الزمان » وذيل عليه اليونيني (ت،٧٢٦هـ) •

وكتب علي بن أنجب البغدادي (ت،٦٧٤هـ) كتاب عرف بـ « تاريخ ابن الساعي » وهو تاريخ كبير يزيد على ثلاثين مجلدا ، وكتب تلميذه ابـن الفوطي كتاب « التاريخ » •

اما أهم الكتب التاريخية التي الفتها مدرسة بغداد التاريخية في التاريخ العام ، فهو كتاب « التاريخ » لثابت بن سنان ين ثابت بن قرة الصابي (ت٣٦٣هـ) واشتمل الكتاب على الحوادث التاريخية من سنة ١٩٠ هـ ، وحتى سنة ٣٦٣هـ ، وقيل انه في اربعين مجلدا ، وذيل عليه ابن اخته هلال بن محسن بن ابراهيم الصابي (ت٤٤٨) وانتهى به الى سنة ٤٤٧ هـ ، وذيل عليه ولده غرس النعمة محمد بن هلال ، واستمر به الى حوادث سنة ٤٧٠ هـ ومن ثم ذيل عليه ابن الهمداني الى سنة ٥١٢ ، وذيل عليه ابو الحسن علي ين عبدالله بن نصر الحنبلي المعروف بابن الزاغوني (ت٥٢٧هـ) ، وذيل العفيف صدقة بن حداد (ت٥٧٣هـ) حتى سنة ٥٧٠هـ ، وذيله ابن الجوزي الى سنة ٥٨٠هـ ، وذيله ابن القادسي الى سنة ٦١٦هـ .

مؤرخو بغداد والتاريخ المحلي للعراق ولبعض الامصار العربية :

اهتم مؤرخو مدرسة بغداد بكتابة تاريخ خاص بالمدن العراقية والعربية ، رغم انصباب اهتمامهم على مدينة بغداد عاصمة الخلافة ، واقدم ممن دون في هذا الاتجاه المدائني البغدادي (ت٢٢٥) في كتابه الموسوم : « مفاخرة اهل البصرة واهل الكوفة » وهناك من المؤرخين ممن اهتم بتدوين كتب تناولت تاريخ العراق ، مثل كتاب « تاريخ العراق » لابن القاطولي و « تاريخ العراق » لابن اسفنديار الواعظ ، وكتاب « السواد » لحكمويه بن عبدوس .

وكتب محمد بن عمر الواقدي نزيل بغداد (ت٢٠٧) « قصة الكعبة » وكتب علي بن محمد المدائني البغدادي (ت٢٢٥) كتاب : « بناء مكة » او « بناء الكعبة » وكتاب « المدينة » و « حمى المدينة وجبالها واوديتها » . وكتب الحسن بن خلف الواسطي نزيل بغداد (ت٢٤٦) كتاب : « اخبار المدينة » ، وكتب الزبير بن بكار القرشي نزيل بغداد (ت٢٥٦) كتاب « اخبار المدينة » وصنف عمر بن شبه النميري البصري نزيل بغداد (ت٢٦٢)

عدة كتب هي « البصرة » ، وكتاب « المدينة » و « اخبار المدينة » وكتاب « مكة » .

وكتب ابو عبدالله احمد بن محمد الجهمي العدوي كتاب « فضائل مصر » في حين كتب عبيدالله بن أبي سعيد الوراق ، كتاب « المدينة واخبارها » اما ابن زبالة الاخباري النسابة البغدادي فانه صنف كتاب : « اخبار المدينة » ، وكتب مؤلف مجهول من ولد الربيع بن زياد بن أبيه كتاب : « خطط البصرة وقطائعها » وكتب ابن دهمان البغدادي : « تاريخ البصرة ، وكتب يحيى العبيدي : « تاريخ اخبار المدينة » .

وكتب ابن الدبيثي جمال الدين ابو عبدالله محمد بن سعيد البغدادي (ت٦٣٩) كتاب : « تاريخ واسط » في حين كتب ابن النجار مجدالدين ابو عبدالله محمد بن محمود البغدادي (ت٦٤٣) عدة كتب في التاريخ المحلي منها « الدرة الثمينة في تاريخ المدينة » و « نزهة الورى في تاريخ ام القرى » و « تاريخ الكوفة » .

على ان ابرز ما كتبه مؤرخو المدرسة البغدادية هو في « تاريخ بغداد » التي تعد ام الدنيا ، وام الفكر التاريخي ، ومركز العالم العربي والاسلامي ، فلا غرابة في ان يتجه المؤرخون البغداديون الى تدوين اخبارها وتاريخها ورجالها وعلمائها ، ومختلف الامور فيها ، واقدم من كتب في تاريخ بغداد ، احمد بن ابي طاهر طيفور البغدادي (ت٢٨٠) في كتابه الموسوم : « تاريخ بغداد » ، وصنف ابنه عبيدالله بن أحمد (ت٣٠٠) كتابه الموسوم : « مازاده على كتاب أبيه في تاريخ بغداد » والذي انتهى به الى ايام المهتدي (٢٥٥ــ٢٥٦هـ) اخبار المعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر (ما بين ٢٥٦ــ ٣٢٠ هـ) لكنه لم يتمه ، ويصل الى عهد القاهر والراضي (٣٢٠،٣٢٢،٣٢٩) وكتب ابن اسفنديار الواعظ : « تاريخ بغداد » ، وكتب ابو القاسم عمر بن

محمد بن احمد الثلاج (كان حيا سنة ٣٧٦ هـ) كتاب « تاريخ بغداد » وهو أحد مصادر الخطيب البغدادي ، وله كتاب « علماء بغداد » ايضا ، ومن القرن الرابع الهجري كتاب ابو سهل ينردجرد الكسروي كتابا في « وصف بغداد » تناول فيه أهم خطط المدينة وعدد سكانها وحماماتها وما يحتاج اليه ، ومن القرن الرابع ايضا كتب احمد بن محمد بن خالد الكاتب كتابه الموسوم : « التبيان في أخبار بغداد » وكتب ابو بكر عبيدالله بن ابي الفتح المعروف بابن المارستانية (ت٥٩٩،) كتاب « ديوان الاسلام الاعظم في تاريخ مدينة السلام » في مائة مجلد ، وكتب قيصر بن كمشتكين الحاجب « تاريخ بغداد » يتعلق ببغداد ورجالها وجواريها .

على أن ابرز من كتب في تاريخ بغداد على الاطلاق هو ابو بكر أحمد بن ثابت بن أحمد الخطيب البغدادي (ت٤٦٣،) في كتاب « تاريخ بغداد » الذي يقع في (١٤) مجلدا ، تطرق فيه الى تدوين تاريخها ومن برز من علمائها والوافدين اليها ، ويعد من اروع واعظم الكتب التي دونت في تاريخ بغداد ، والذي اختصره ابن جزلة الطبيب المتوفى سنة ٤٩٣ في كتاب اسماه : « مختصر تاريخ الخطيب البغدادي » وفي الوقت الذي اختصر فيه ابن جزله تاريخ الخطيب نجد ان هناك آخرين ذيلوا عليه ، وابرز من ذيل على تاريخ بغداد ابو غالب شجاع بن فارس بن الحسين (ت٥٠٧،) في كتابه : « ذيل تاريخ بغداد » ، وذيل على تاريخ الخطيب ابو سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني (ت٥٦٢،هـ) في كتابه : « الذيل على تاريخ الخطيب » ذيل على ذيل ابن السمعاني ، ابو عبدالله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي البغدادي (ت٦٣٩،) في كتابه « ذيل تاريخ بغداد » ووقف به حوادث سنة ٦٢١ هـ ، وقد لخصه الامام الذهبي ، وكان ابن الدبيثي قد أفتتن بتاريخ الخطيب ، حيث ذيل على تاريخ بغداد مبتدئا من

حيث انتهى السمعاني ، وذكر فيه ما لم يذكره الخطيب ولا السمعاني بالتراجم والاخبار .

وقام ابو الحسن محمد بن أحمد بن عمر الازجي البغدادي القطيعي (ت٦٣٤) باكمال ذيل ابن الدبيثي لتاريخ بغداد ، سماه : « درة الاكليل في تتمة التذييل » ، اما محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي (ت٦٤٣) فقد قام بالتذييل على الخطيب مباشرة في كتابه العظيم : « التاريخ المجدد لمدينة السلام ، واخبار فضلائها الاعلام ، ومن وردها من علماء الانام » ويقع في (٣٠) مجلدا ، ثم صنف تقي الدين محمد بن رافع (ت٧٧٤) كتاب : « الذيل على ذيل ابن النجار » في ثلاث مجلدات ، والتذليل عليه لابي بكر المارستاني ، وممن ذيل عليه تاج الدين علي بن أنجب ابن الساعي البغدادي (ت٦٧٤هـ) وجاء ابن الفوطي (ت٧٢٣هـ) فجعل ذيله على تاريخ بغداد في (٥٥ مجلدا) .

وممن صنف في تاريخ بغداد ، ابو بكر محمد بن عمر بن سلم الجعاري البغدادي الحافظ (ت٣٥٥) في كتابه « في محدثي بغداد » ، وكتب احمد بن الطيب السرخسي ــ المقتول زمن المعتضد ــ كتاب : « فضائل بغداد واخبارها » ، وكتب ابو الحسن هلال بن المحسن الصابي (ت:٤٤٨) كتاب « اخبار بغداد » تناول فيه تاريخها وخططها ، وسماه ياقوت الحموي بـ « كتاب بغداد » في حين كتب ظهير الدين بن علي بن محمد الكازروني (ت٦٩٨) كتابه « روضة الاريب في تاريخ بغداد » .

٨ ــ التاريخ الاقتصادي :

ان الازدهار الاقتصادي الذي شهده العراق ، وبالاخص مدينة بغداد في العصر العباسي ، قد ترك أثره على مؤرخي المدرسة التاريخية العراقية حيث لفت نظرهم من أجل معالجته وتغطية نشاطاته ، وتدوينها

بصورة منتظمة ، ولذلك كتب مؤرخو مدرسة بغداد في التاريخ الاقتصادي ، واجادوا فيه وابدعوا ، وابرز من كتب في هذا الميدان ، هو الامام ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم القاضي (ت،١٨٣) في كتابه « الخراج » ، وكتاب « الخراج » ليحيى بن آدم القرشي البغدادي (ت،٢٠٣) وكتب ابو عبدالله محمد بن أحمد بن زهير البغدادي ابن ابي خيثمة (ت،٢٩٧) كتاب « الزكاة ، وابواب المال » وهو يدخل في كتب الخراج .

وكتب عبدالرحمن بن عيسى بن داود وزير المتقي (ت ، ٣٣٣) كتاب : « سيرة اهل الخراج واخبارهم وانسابهم في القديم والحديث » وله ايضا كتاب « الخراج » . وكتب ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت،٣٣٧) كتاب « الخراج وصناعة الكتابة » ، وممن صنف في « الخراج » الكلواذي البغدادي ، وابن سريج ، وابن العرمرم ، وابن بشار البغدادي استاذ ابي عبدالله الكوفي الوزير ، والخصاف البغدادي الذي صنفه الخليفة المهتدي ، وعبدالرحمن بن عيسى وزير المتقي ، ولم يتم كتابه «الخراج الكبير » ، وكتب ابو الفرج محمد بن محمد بن سهل البكري الشلحي (ت،٤٢٣) كتاب « الخراج » ، وصنف الحافظ ابو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ، ٧٩٥ هـ) كتاب « الاستخراج في احكام الخراج » .

اما الامور الاقتصادية والمالية الاخرى غير موضوع الخراج فنجد ان ابرزها ما كتبه محمد بن عمر الواقدي البغدادي (ت،٢٠٧) في كتابه « ضرب الدنانير والدراهم » ، وكتاب « الاموال » لابي عبيد القاسم بن سلام البغدادي (ت،٢٢٤) ، وصنف علي بن محمد المدائني البغدادي (ت،٢٢٥) عدة كتب هي : « الدراهم والصرف » و « من افرض من الاعراب من الديوان فندم » وكتاب « المراعي والجراد ، ويحتوي على الكسور والطساسيج » ، وكتب احمد بن الحارث البغدادي (ت،٢٥٨) كتاب :

« شحنة البريد » • وكتب ابو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠،)
كتاب « الرتبة في طلب الحسبة » •

٩ ـ تأريخ الاخبار :

واذا ما كانت مدرستي الكوفة والبصرة قد أهتمت باختيار مواضيع معينة كعناوين لكتب تاريخية ، فان مدرسة بغداد اقتبست هذا المنهج وطورته بصورة اوسع واشمل ، حيث اتخذ بعض مؤرخيها موضوع الاخبار عناوين لبعض مؤلفاتهم فقد كتب يوسف بن ابراهيم البغدادي كتاب : « ابراهيم بن المهدي في انواع الاخبار » وعلي بن محمد المدائني البغدادي (ت٢٢٥،) في كتابه : « بشر بن مروان بن الحكم » و « عمرو بن سعيد بن العاص » و « اخبار زياد بن أبيه » و « اخبار زياد وولده ودعوته » ، و « عباد بن الحصين » و « اياس بن معاوية » و « خالد بن صفوان » و « عبدالرحمن بن سمرة » و « ابن أبي عتيق » و « ذم الجنيد » و « اخبار أبي حنيفة » و « أخبار أبن سيرين » و « أخبار ابي الاسود الدؤلي » و « اخبار رقبة بن مصقلة » و « يحيى بن عبدالله بن الحارث » و « عمر بن عبدالله بن معمر » • وكتب ابو حسان الحسن بن عثمان الزيادي البغدادي (ت٢٤٣،) كتاب : « معاني عروة بن الزبير » و « الاباء والامهات » وكتب احمد بن الحارث الخراز البغدادي (ت٢٥٨،) كتاب « الاخبار والنوادر » ، واحمد بن عبيد النحوي البغدادي المعروف بأبن أبي عصيدة (ت ، بعد ٢٧٠) كتاب « عيون الاخبار » • وكتب محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥،) كتاب «الروضة» ويبدو انه في الاخبار ، اما ابن عمار الثقفي البغدادي (ت٣١٩،) فانه صنف كتاب « عبدالله بن معاوية بن جعفر » ، و « اخبار حجر بن عدي » و « اخبار سلمان بن ابي شبيخ » • وكتب محمد ابن مخلد بن حفص الدوري (ت٣٣١،) كتاب « أخبار الصبيان » • وكتب

محمد بن يحيى بن عبدالله ابو بكر الصولي البغدادي (ت٣٣٥ه) كتاب « الاخبار المنشورة » واخبار « العباس بن الاحنف » .

وكتب ابو أسحق اسماعيل بن عيسى العطار ، كتاب « حفر زمزم » ، في حين كتب ابو عمر حفص بن عمر العنبري كتاب « زياد الاشراف » وكتاب « ذكر شباب العرب وما جرى بينها » و « كتاب النساء » و « ذكر ادعياء الجاهلية » .

وصنف عبيدالله بن أبي سعيد النسابة الوراق كتاب : « الالقاب » في حين كتب عمر بن بكر الاخباري النسابة عدة كتب في الاخبار ، وبالاخص في ايام العرب ، منها « يوم الغول » و « يوم الظهر » و « يوم ارمام » و « يوم الكوفة » و « غزوات بني سعد بن زيد مناة » و « يوم منابض » . وكتب ابو عبدالله محمد بن زكريا بن دينار ، كتاب « الاجواد » و «المبخلين» في حين كتب ابو العباس عبدالله بن اسحق بن سلام المكاولي البغدادي كتاب « الاخبار » ، وكتب محمد بن خلف وكيع القاضي (ت٣٠٦ه) كتاب « الغرر من الاخبار » أو « نوادر الاخبار » .

وكتب ابو القاسم المنذر بن محمد بن المنذر القابوسي البغدادي كتاب « الغارات » ، وكتب ابو بكر احمد بن عبدالعزيز الجوهري كتاب «السقيفة» في حين كتب ابو الحسين عبدالعزيز بن ابراهيم « نشوة النهار في اخبار الجوار » وكتاب « الصبوة » و « اخبار النساء » و « الغرر ومجتبى الزهر » .

وكتب ابو الفرج محمد بن محمد الشلحي (ت٤٤٨ه) كتاب « المجالسات » و « تحف المجالس » في حين كتب ابو منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي (ت ، ٤٢٩) كتاب « الفرق بين الفرق » و « بيان الفرقة الناجية » اما ابو الحسن عبدالله بن محمد ين سعيد ، فانه كتب « اخبار اعيان الحكام » .

وصنف ابو الحسن هلال بن المحسن الصابي ت (ت٤٤٨) كتاب : « الاماثل والاعيان » و « اخبار القرامطة » . وكتب ابن حمدان تاج الدين الحسن بن محمد بن الحسن البغدادي (ت٦٠٨) كتاب : « اخبار العلماء » و « اخبار الشعراء » .

مدرسة الموصل التاريخية :

برز في الموصل عدد من المؤرخين والاخباريين ، وبعض من المفكرين الذين اهتموا ببعض الاخبار والروايات التاريخية ، فقد كان مركزها الهام جغرافيا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا يدفع الى الاهتمام بتاريخها ، فقد كتب المعافي بن عمران الموصلي (ت١٨٤) كتاب : « تاريخ ، الموصل » الذي كان احد مصادر المازدي في كتابه عن « تاريخ الموصل » ، والف المعافي كتاب : « طبقات المحدثين » ، وصنف اسحق بن ابراهيم الموصلي (ت ، ٢٣٥) عدة مصنفات في الاخبار ، و في اخبار الشعراء بصفة خاصة . وصنف ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس الازدي (ت٣٣٤) كتاب « تاريخ الموصل » وهو من اروع الكتب التي كتبت في ميدان التاريخ المحلي لمدينة الموصل وله ايضا كتاب « طبقات العلماء من اهل الموصل » ، وقام ابو الحسن علي بن محمد العدوي السميساطي بالتذييل على « تاريخ الموصل » من سنة ٣٢٢ وهو تتمة لتاريخ الازدي . وكتب الخالديان الموصليان ، ابو بكر سعيد بن هشام (ت٣٥٠) وابو عثمان محمد بن هشام (ت٣٧٠) كتاب « أخبار الموصل » الذي اجتمعا على تأليفه ، وكتبا عدة كتب منها « الديارات » و « التحف والهدايا » و « الاشباه والنظائر » .

وكتب ابو بكر محمد بن الحسن المعروف بالنقاش الموصلي (ت ، ٣٥١) كتاب : « اخبار القصاص » ، وكتب ابن الجعابي ، ابو بكر محمد بن عمر بن سلم (ت٣٥٥) كتاب : « تاريخ الموصل » وكتب ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن يزيد الموصلي (ت٥٧٧) كتاب « تاريخ الموصل » .

ومن ابرز مؤرخي الموصل عزالدين ابو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري (ت،٦٣٠) حيث صنف في التاريخ العام ، والتاريخ المحلي ، والانساب ، وابرز كتبه : « الكامل في التاريخ » وهو في التاريخ العام على غرار كتاب تاريخ الطبري ، وصنف ابن الاثير ، كتاب « الباهر في الدولة الاتابكية » وهو في تاريخ الدول او الاسر وعلى غرار منهجية الصابي في كتابه « التاجي » وكتب ابن الاثير كتاب : « أسد الغابة في معرفة الصحابة » وهو في التراجم ، في حين كتب « اللباب في تهذيب الانساب» وهو في علم الانساب حيث هذب فيه كتاب « الانساب » للسمعاني ، وكتب ابن الشعار ، ابو البركات بن حمدان الموصلي (ت،٦٥٤) كتاب : « عقود الجمان في شعراء الزمان » ، و « التذكرة » و « تحفة الوزراء » ، في حين كتب ابو المجد عمادالدين اسماعيل بن هبةالله بن سعيد المعروف بابن باطيش الموصلي (ت،٦٥٥) كتاب : « تاريخ الموصل » وكتاب « اخبار الفقهاء الشافعية » ، وكتب جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي « كتاب في الاخبار عنوانه : الباهر » . في حين كتب ابراهيم بن محمد الموصلي : «تاريخ الموصل » وكتب ابو ركوة « اخبار الموصل » .

مدينة تكريت :

كتب ابو محمد عبدالله بن علي بن سويدة التكريتي (ت،٥٨٤) كتاب « تاريخ تكريت » في حين كتب ابو زكريا يحيى بن القاسم بن المفرج التغلبي التكريتي (ت،٦١٦) كتاب : « تاريخ تكريت » ، وربما كان لظهور صلاح‌الدين الايوبي في القرن السابع الهجري اثره في الكتابة عن تاريخ تكريت ، وقد نقل ابن الفوطي ، وابن الدبيثي عن تاريخ تكريت للتغلبي .

مدينة سامراء :

ابرز من ظهر في سامراء من الاخباريين والمؤرخين ابن الداية ، ابو الحسن يوسف بن ابراهيم (ت،٢٦٥) حيث صنف عدة كتب في الاخبار

منها « كتاب ابراهيم بن المهدي في انوار الاخبار » ، وله ايضا « اخبار الاطباء » و « اخبار المنجمين » و « اخبار ابي نؤاس والمختار من شعره » وكتب الحسن بن عليل العنزي (ت٢٩٠،) كتاب « النوادر » •

وكتب ابن ابي البركات : « تاريخ سامراء » •

مدينة اربل :

كتب ابو البركات مبارك بن أحمد بن المستوفي اللخمي الاربلي (ت ، ٦٣٧) كتاب تاريخ اربيل ، وسماه : « **نباهة البلد الخامل بمن ورد من الاماثل** » وقد نقل عنه الكثير من المؤرخين ، ومنهم ابن العديم •

مدينة الانبار :

كتب ابو البركات عبدالرحمن بن محمد المعروف بابن الانباري (ت٥٧٧،) « تاريخ الانبار » و « نزهة الالباء في تاريخ الادباء » ، وكتب قوام الدين ابو الفرج علي بن عمر بن محمد بن فارس الانباري المعروف بابن الحداد (ت٦٠٣،) كتاب « نخبة الانتقاء من تاريخ بغداد » •

مدينة الحلة :

اما ابو البقاء ، هبة الله بن نما بن علي بن حمدون الحلي الربعي (ت٥٢٠،) من أهل الحلة ومن اسرها المعروفة ، فانه صنف كتاب ، « المناقب المزيدية في اخبار الملوك الاسدية » •

المصـــادر والمراجـع

أولا : المصادر العربية الاسلامية القديمة :

احمد بن حنبل (ت ، ٢٤١) :
ـ العلل ومعرفة الرجال ، تحقيق طلعت بيكيت ، واسماعيل جراح اوغلـي (انقرة ، ١٩٦٣)
بحشل ، اسلم بن سهل الرزاز الواسطي (ت ، ١٩٢ هـ) :
ـ تاريخ واسط ، تحقيق كوركيس عواد (بغداد ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ م) .
البغدادي ، اسماعيل باشا بن محمد البابان (ت ، ١٣٣٩ هـ)
ـ هدية العارفين في اسماء المصنفين (استانبول ، ١٩٦٠) .
البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت ، ٢٧٩) .
ـ انساب الاشراف ، (عدة اجزاء بعدة تحقيقات) .
ـ فتوح البلدان ، (بيروت ، ١٩٧٩) .
ابن ابي حاتم ، ابو محمد عبدالرحمن بن ابي حاتم الرازي (ت ، ٣٢٧ هـ).
ـ الجرح والتعديل (حيدر آباد ، ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦) .
حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله (ت ، ٢٠٦٧ هـ) :
ـ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون (استانبول ، ١٩٤٠) .
ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني (ت ، ٨٥٢ هـ) :
ـ تهذيب التهذيب ، (حيدر آباد) ١٣٢٥ ـ ١٣٢٧هـ) .
ابن حزم ، ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي (ت ، ٤٥٦هـ) :
ـ جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة ، ١٩٧١) .
الحموي ، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي البغدادي (ت ، ٦٢٦ هـ) :
ـ ارشاد الاريب الى معرفة الاديب (القاهرة ، ١٩٢٥) .
الخطيب البغدادي ، ابو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ، ٤٦٣ هـ) :
ـ تاريخ بغداد (القاهرة ، ١٩٣١) .
ابن خلكان ، ابو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ، ٦٨١ هـ) :
ـ وفيات الاعيان (بيروت ، ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢)
خليفة بن خياط (ت ، ٢٤٠ هـ) :

ـ الطبقات ، تحقيق د . اكرم العمري (بغداد ، ١٩٦٧) .
ابن خير الاشبيلي ، ابو بكر محمد بن عمر بن خليفة الاموي (ت ، ٥٧٥ هـ)
ـ فهرسة ما رواه عن شيوخة (سرقسطة ، ١٨٩٣) .
الذهبي ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد (ت ، ٧٤٨ هـ) :
ـ تذكرة الحفاظ (حيدر آباد ، ١٩٥٥ / ١٩٥٨) :
ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال (القاهرة ، ١٩٦٣) .
الزبير بن بكار (ت ، ٢٥٦) :
ـ جمهرة نسب قريش واخبارها (القاهرة ، ١٣٨١) .
ابن سعد ، محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت ، ٢٣٠) :
ـ الطبقات الكبرى (ليدن ، ١٣٢١) .
مصعب بن عبدالله الزبيري (ت ، ٢٣٦ هـ) :
ـ نسب قريش (القاهرة ، ١٩٥٣) .
ابن النديم ، محمد بن اسحاق (ت ، ٣٨٥ هـ) :
ـ الفهرست (ليدن ، ١٩٧١) .
النسائي ، ابو عبدالرحمن احمد بن علي بن شعيب (ت ، ٣٠٣ هـ) :
ـ الضعفاء والمتروكين (حلب ، ١٣٩٦ هـ) .
يحيى بن معين (ت ، ٢٣٣ هـ) :
ـ التاريخ ، تحقيق الدكتور احمد نور سيف (القاهرة ، ١٩٧٩) .

ثانيا : المراجع العربية الحديثة :

بدري محمد فهد (الدكتور) :
ـ شيخ الاخباريين ابو الحسن المدائني (النجف ، ١٩٧٥) .
بشار عواد معروف ، الاستاذ الدكتور :
ـ اثر الحديث في نشأة علم التاريخ عند المسلمين (بغداد ، ١٩٦٦) .
ـ اثر دراسة الحديث في تطور الفكر العربي ، منشور ضمن كتاب رحلة في التراث (بغداد ، ١٩٨٠) .
ـ اصالة الفكر التاريخي عند العرب ، منشور ضمن كتاب بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ (بغداد ، ١٩٧٥) .
ـ مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ ، مجلة الاقلام البغدادية (بغداد ١٩٦٥) .
حسين نصار :
ـ نشأة التدوين التاريخي عند العرب ، (القاهرة ، بدون تاريخ) .
الدوري ، الاستاذ الدكتور عبدالعزيز :

ـ بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت ، ١٩٦٠) .
ـ مقدمة فيتاريخ صدر الاسلام (بيروت ، ١٩٦١) .
ـ كتب الانساب وتاريخ الجزيرة العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية الاردنية (العدد ٥ ـ ٦) (عمان ، ١٩٧٩) .
روزنثال ، الدكتور فرانتس :
ـ علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي (بغداد ، ١٩٦٣) .
سزكين ، الدكتور فؤاد :
ـ تاريخ التراث العربي ، م١/ج٢ (التدوين التاريخي ، ترجمة محمود فهمي حجازي (الرياض ، ١٩٨٣) .
ـ شاكر مصطفى ،
التاريخ العربي والمؤرخون ، (بيروت ، ١٩٧٩) .
المشهداني ، الدكتور محمد جاسم حمادي :
ـ موارد البلاذري عن الاسرة الاموية في كتابه انساب الاشراف ، ج١ ، ج٢ (مكة المكرمة ، ١٩٨٦) .

الفصل الحادي عشر

« المدرســة الجغرافية العراقية وتأثيراتها »

الدكتور خالص الاشعب
جامعــة بغــداد

مدخـل :

لابد من الاشارة هنا الى ان ما يتوافر من معلومات ممثلة بالمخطوطات والكتب والدراسات والخرائط ، عن المدرسة الجغرافية العربيـة العراقيـة لا يمثل الا جزءاً يسيراً من العطاء الفعلي في هذا الحقل من حقول المعرفـة إذ توزعت بقية المصادر بـين المفقـود والحبيس في المتاحـف والمكتبـات والمؤسسات العلمية الاجنية الامر الذي يكون مبررا هنا للدعوة الى الكشف عنه وجمعه ودراسته، خاصة وقد أصاب مايتوافر منه التحوير وأحيانا التفسير غير السليم • ان أفضل منهجية لأستيعاب وتقويم المنجزات العلميـة ضـمن مسيرة التطور الحضاري لأية أمة ، وهي تلك المنهجية التي تعتمـد الفهـم الواعي للمتغايرات والظروف التي ظهر بها المنجز العلمي ومن ثم خصوصيته ان ذلك يقود الى التنبيه على ضرورة رفض أية محاولة ومهما كانت صيغتها او مبرراتها لوزن عطاء الامة العربية أو غيرها من الامم بموازين حديثة مما يؤثر لاشك في نتيجة التقويم •

ان اهم ما يدفع الى معالجة المدرسة الجغرافية العربيـة في العـراق ببعديها الزماني المتعايش مع الحضارة العربية قبل الاسلام وبعده ، وبعدها

المكاني بكل ابعاده ، وما حققته هذه المدرسة من تأثيرات فاعلة في الحضارات غير العربية وفي مختلف المراحل ، هو ندرة ما كتب عنها ، واكثر من ذلك فأن اغلبية هذه الندرة قد كتبها باحثون وأكاديميون من غير العرب وبلغاتهم ، وبصيغة متناثرة على بعدي الزمان والمكان ، مما لا يقدم ما يسكن من خلاله اكتشاف خصوصية هذه الدراسة وبلورة هويتها مقاسة بالمنطلقات والمفاهيم والابعاد والاضافات والابتكارات والاطر النظرية التي نهل منها الغرب والشرق على السواء ولايزال .

ان ابراز معالم شخصية هذه الدراسة مهمة تنسجم وما يحتله الفكر الجغرافي العربي في العراق — اسوة بالاجزاء الاخرى من وطننا العربي — من مكانة لها وزنها في التراث الحضاري لامتنا العربية مقاسا بعناصر الاصالة التي يأتي هذا البحث دعوة وخطوة في مسارها تأصيلها ، بدافع توظيف ما سيتم التوصل اليه من نتائج بهذا الميدان من المعرفة وبوجهيه النظري والعملي .

ومن أجل تحقيق اهداف البحث فسيتم متابعة مراحل تطور المدرسة قبل وبعد الاسلام وعرض أهم روادها ومناقشة منهجية هذه المدرسة والحقول الجغرافية الرئيسة التي اوجدوها وطوروها ومن ثم تأثيرات هذه المدرسة في الحضارة الانسانية .

مراحل ماقبل الاسلام :

كما هو الحال في كل زمان ، فقد استدعى الالمام والاحاطة بسقومات المكان في أرض الرافدين وما عليه ، ان يلم الانسان بالظواهر الفلكية والجوية والتضاريسية والبشرية ، مما شكل بداية العلم الجغرافي ، شأنه شأن العلوم الاخرى التي تعبر عن اصالة حضارة هذا الجزء من الوطن العربي .

تزامنت هذه المعرفة مع مزاولة الزراعة واستقرار الانسان التي كان من مستلزمات نجاحها التوصل الى توقيت الزمن والانشطة والمناسبات الدينية

وضبط الاعمال والسجلات الاقتصادية ومعرفة التعدين[١] . يتطلب نجاح النشاط الزراعي تطوير فنون معرفية هندسية مثل مسح وقياس الاراضي وقياس الانتاج وتحديد أجزاء أو فصول السنة مما يستلزم مشاهدة ومتابعة حركة النجوم[٢] . وان كانت بواكير تلك المعرفة محدودة فلمحدودية الحيز المكاني الذي يمثل مسرح حياة الانسان وقتذاك على ضوء تقنيات النقل التي كانت سائدة . وفي المسيرة الحضارية للانسان في العراق انتقل الى العصر الحجري الحديث (١٠٠٠٠ ــ ٨٠٠ ق.م) حيث حدوث الانقلاب الزراعي وتدجين الحيوانات مما يدل على استيعاب الانسان لبيئاته بطريقة منظمة وطور بالوقت نفسه طلائع المستقرات البشرية الريفية .

ويواصل التطور وينتقل الى العصر الحجري المعدني (٥٦٠٠ ــ ٣٥٠٠ ق.م) حيث تعلم خلاله التعدين وازدادت قراه المتوسعة في الحجم وظهرت بواكير المدن ، وتطور التخصص والتبادل في الانتاج والسلع وتطور الري[٣] .

استمر التطور الحضاري ليدخل الانسان في العصر الشبيه بالكتابي (٣٥٠٠ ــ ٢٨٠٠ ق.م) الذي تطورت فيه المدن الكبيرة وأوائل أنظمة الحكم ، وربما ظهر اهم أنجاز حضاري في العالم ممثلا بالكتابة والتدوين ، وقد اعتبر التدوين رديفا للحضارة بكل مضامينها بما في ذلك تطور الاستيطان وحقول المعرفة المختلفة[٤] . اذ ظهرت الكتابة أول مرة في معابد ابتاتا في اوروك وبأشكالها الصورية التي تطورت لاحقا ، الامر الذي دفع الى اعتباره عصر المدن او عصر السلالات وخاصة في الفترة بين (٣٠٠٠ ــ ٢٨٠٠ ق.م)، اذ تطورت دول المدن المسورة مثل بابل ونينوى وآشور وكالح . الا ان سرجون الاكدي قد هدم هذه الاسوار في مسيرته التوحيدية حيث اوجد الدولة القومية بديلا ومحتضنا لكل المدن . كما رافق ذلك تطور بالري والزراعة والتجارة[٥] . طور الانسان في العراق معلوماته الجغرافية الفلكية

بصورة متزامنة مع مراحل تطوره هذه ، وفي هذا السياق شكل الفلك أقدم وأهم وأغنى ريادة جغرافية قبل الاسلام وكما جاءت به مدونات فلكية(٦) .

تمكن انسان العراق القديم من جعل الشمس والقمر والنجوم دلائل ووسائل لحساب الايام والشهور والفصول والسنين ، كما تمكن سكان العراق من تحديد مسارات حركتهم بين الاماكن المختلفة ، تلك الحركة التي سببت زيادة المعرفة الجغرافية . وبذلك يكون البابليون اول من طور علم الفلك الرياضي في تاريخ الفلك مما يدحض الآراء التي تقول بان التنجيم Astrobgy هو الذي طور الفلك Astronomy والعكس هو الصحيح فأن التنجيم هو نتيجة ثانوية لعلم الفلك .

لقد حدد البابليون في الالف الثاني ق.م الاسبوع بسبعة ايام واليوم بـ ٢٤ ساعة ، كما اعتبروا الشهر يتكون من أربعة أسابيع صحيحة ولعل اليومين الباقيين كانا عيدين . وبذلك يكون البابليون قد استوعبوا العديد من مظاهر السماء وتأثيراتها معتمدين فيما توصلوا اليه من نتائج على براعتهم العلمية التجريبية ممثلة بالرصد ودقة الحسابات مما كان بحكم المجهول عند اليونانيين الذين كانت علومهم الفلكية نظرية بالدرجة الرئيسة(٧) .

واستمر تطور علم الفلك حيث تمكنوا من تقسيم دائرة السماء او دائرة البروج Edeptic الى (١٢) قسما بواسطة مجموعة من النجوم الثوابت ، اطلقوا على كل مجموعة منها اسم حيوان وهذا مايعرف بالبروج الاثنى عشر Zodiak وبالصيغة المعروفة في الوقت الحاضر وفي مختلف انحاء العالم مما يؤشر تأشيراً معرفيا بالغ الاهمية تطبيقيا .

ان ما ساعد على تطور المعرفة الفلكية هو امتلاك الكلدانيين لارصاد تراقب النجوم وتحسب حركاتها . وتتم نتيجة لذلك وضع جداول

خاصة بحركات الشمس والقمر في اليوم والشهر والسنة طوروها باستمرار ، كذلك فقد تم حساب مواقيت خسوف الشمس وكسوف القمر • وفي هذا المجال فقد زاد أهتمام البابليين بالنجوم المتغيرة اكثر من الثوابت • ومن الكواكب التي عرفها البابليون عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل •

وبخصوص طول السنة فقد قسم البابليون الدائرة الى ٣٦٠ درجة والدرجة الى ٦٠ دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية والسنة الى ٣٦٠ يوما ، وبذلك يكونوا قد وضعوا النظام الستيني للعدد والحساب بالسنين وهو النظام الذي نشأت منه لاحقا النظم الاثنا عشرية[٨] •

اما الكلدانيون فقد وضعوا السنة عند ٣٦٥ يوما و ٦ ساعات و ١٥ دقيقة و ٤١ ثانية* وهو ما يقارب الى درجة كبيرة الطول الحقيقي للسنة* وهو تطوير كبير لطولها عند البابليين والذين حاولوا مطابقة السنة القمرية بالسنة الفلكية (الشمسية والنجمية) وذلك من خلال ادراكهم لكبس السنين[٩] •

طور فلكيو العراق أول مرة في العالم الاسطرلاب البابلي Asplabe الذي انتقل الى حضارات أخرى مما يفيد في وضع المعلومات الفلكية وفق ترتيب ونظام علمي كما هو مدون على ألواح الطين •

وأنعكست أهمية متغاير الزمن عند البابليين على اختراعهم الساعات المائية والتي مكنتهم من قياسه ليلا ، الى جانب الساعات الشمسية (المزاول)** مما انتقل الى أمم أخرى[١٠] وبذلك يكون العراقيون القدماء قد مزجوا بين النظرية والتطبيق حيث تمكنوا بواسطة ما يمتلكونه من ثروة معرفية في مجال الجغرافية الفلكية من تحديد الاتجاهات الاربع الرئيسة وتطوير الادارة والاقتصاد وقياس الزمن بوحداته ، محتاطين لما يمكن ان يحدث خلاله • واكثر من ذلك فقد ربط العراقيون القدماء كما فعل

الاشوريون بين الزمان والمكان حين دونوا قوائم بالاحداث في أجزاء بلادهم والبلدان المجاورة[11] •

تكلم سكان الرافدين عن سطح الارض وما تحته بصيغة أو أخرى ، مما يشكل بدايات مبكرة للجغرافية الطبيعية وعلم الارض ، فهناك دلائل توضح ان مظاهر مثل الممرات والاودية والبحار كانت معروفة مما تستلزمه تنقلات الانسان في بيئته • جاء ذلك دليلا على امتلاك العراقيين القدماء دقة وقوة الملاحظة التي من خلالها تمكنوا من دراسة الطبيعة مسجلين أغنى المعلومات لاغراض المعرفة المجردة أحيانا والتطبيقية أحيانا خرى • كما حاول الانسان ان يطور آراءه الخاصة بشكل الارض التي اعتبرت سطحا مستديرا او غيرمستدير او قفة مقلوبة طافية على سطح الماء • كما ساد تصور" لفترة معينة بأن الارض محاطة بنهر عظيم يزود البحار المالحة والانهار وهي عذبة بمياهها • وقد رسموا خارطة الكون بشكل كرة تتوسطها الارض على صورة قمح يسيج في الفضاء[12] • كما عرفوا الزلازل وان كانت تعليلات حدوثها تختلف عما هي عليه الان[13] •

قسم البابليون الارض الى ثلاث مناطق هي : —

— المنطقة الاولى وهي المسكونة من قبل البشر •
— المنطقة أو الارض الوسطى وهي موضع الماء •
— الارض السفلى وفيها موضع أرواح الموتى[14] •

ترك العراقيون القدماء كما كشفت الوثائق ثروة جغرافية تغطي البيئة المحلية والعالمية وقتذاك من جملتها : —

— قوائم بالاقاليم موضحة في الثبت الخاص بفتوح الملك سرجون •
— وثائق بتعليقات جغرافية وتفسيراتها •
— وثائق لعلها أول أدلة للسفر •
— وثائق خاصة بالاغراض الادارية •

- وثائق غنية بمعلومات جغرافية توظف لخدمة اعمال موظفي الدولة في مختلف الاقاليم .
- حددواموضع بلادهم (البابليين) بالنسبة للبلدان الاخرى والارض وحتى بالنسبة للكون .
- تمكنوا من تقسيم الارض الى مايمكن اعتباره أربعة اقاليم ، وذلك حسب القرب من بابل وهي (عيلام) الى الجنوب و (أكد) في الشمال و (سوبارتو) اي بلاد اشور فيما بعد بالشرق و (آمورو) أي سوريا في الغرب .
- امتدت معرفتهم لتغطي بلاد العرب الاخرى بما فيها مصر .
- من المحتمل ان تكون المعرفة الجغرافية قد وظفت لتساعد الملك سرجون الاكدي من توحيد أجزاء دولته ومد رقعتها التي ربما وصلت حتى قبرص .
- كما تركوا قوائم بأسماء البلدان والجبال والانهار والمدن وخطوط المواصلات[١٥].

لقد وظفت المعلومات الجغرافية لدى البابليين لتطوير التجارة بين العراق وبلدان أخرى حيث استوعبت أهمية موقع العراق بين البحر الاعلى (المتوسط) والبحر الاسفل (الخليج العربي) وبالوقت نفسه يرتبط مع الاقاليم الغربية والشرقية بطرق برية ، وعرفت خصوصية كل أقليم من ناحية أمكانية الانتاج الزراعي فيه ، وانعكس ذلك على بنية المدن حيث المعابد والمصارف حيث تمارس الاعمال المصرفية كما في بابل في القرن السادس ق.م[١٦] .

كما تمكن البابليون من فهم بيئتهم التضاريسية والمناخية حيث عدم كفاية الامطار الى الحد الذي دفعهم الى تطوير مشاريع للري مازالت آثارها شاخصة مثل مشروع النهروان الذي أنشيء قبل (٤٠٠٠) سنة بدليل ورود

كلمة نهروان في النصوص المسمارية (ناران) مما يؤكد الاصل العراقي للمشروع •

كما أخترعوا أوعية لرفع المياه وطوروا الشادوف الدلاء[١٧] • واكثر من ذلك فقد أستفيد من المعرفة الجغرافية المتنوعة الى ابعد الحدود في تحقيق الانتصارات من اجل توحيد البلاد وتكوين الدول الموحدة التي أرست وأغنت معالم الحضارة ، والتي لو لم تكن المعلومات الجغرافية عن أراضيها متوفرة لما كتب لها النجاح • وفي هذا المسار تكونت الدولة الاكدية (٢٣٥٠ ــ ٢١٥٩ ق•م) والمملكة البابلية الاولى (١٨٩٤ ــ ١٥٩٤ ق•م) حيث سنت خلالها شريعة حمورابي والدولة الاشورية (١٥٩٥ ــ ٦٥٢ ق•م)[١٨] والمملكة البابلية الثانية (الدولة الكلدانية) (٦٢٦ــ٥٣٩ ق•م)• مما يشهد على استيعاب اهمية هذه الارض وكونها مؤهلة لاقامة دولة موحدة ومحتوى حضاري متطور • وهكذا يمكن القول ان البابليين هم واضعو أصول الجغرافية التقليدية سابقين بذلك اليونانيين[١٩] •

تمكن البابليون بالاستناد علىالثروة المعرفية الجغرافية بما فيها الجغرافية الفلكية والرياضيات منانتاجخرائط جغرافية منقوشة علىألواحالطين متعددة الاغراض ، وفي مقدمة تلك الاغراض انجاح عملية جمع الضرائب التي كانت هي الاخرى دافعا لتطوير الخرائط • ويعتقد بأن أقدم خريطة بابلية تعود الى عام (٢٥٠٠ ق•م) وهي المحفوظة في متحف الساميات بجامعة هارفرد الامريكية المعروفة باسم لوجه (كاسور Gasur) لانها اكتشفت في مدينة كاسور الواقعة شمالي بابل ، وان بعدي تلك الخارطة ٧×٩ سم وقد بين عليها نهر متجه جنوبا ومحاط من جانبيه برموز تمثل مرتفعات • كما يظهر في الخريطة دالات وفي الخارطة دلالات للجهات الاربع •

اضافة الى تلك الخارطة فتوجد لوحات لخرائط تمثل الاقاليم والمدن البابلية في المتحف البريطاني •

هذا الى جانب خريطة بابلية دقيقة اخرى لمدينة (نفر) السومرية تعود الى القرن السادس ق.م ومعها نعي يشير الى سرجون شكل رقم (١) يتضح من هذه الخارطة انهم اعتبروا مدينة بابل مركز العالم ، كما يظهر في الخريطة نهر الفرات نابعا من الجبال متجها نحو الجنوب مارا في طريقه ببابل ثم يصب في المستنقعات . ومن جملة عناصر الابداع في هذه الخريطة تحديد الاتجاهات في العالم مما أثر في عمل صناع الخرائط لاحقا . كما ثبتت دوائر لمواقع ومدن معينة مثل آشور[٢٠] .

لقد أظهر السكان العراقيون القدماء استيعابا متقدما للظاهرة الحضرية ممثلة بالمدينة اذ أنهم أقاموا مدننا وفي اقاليم مختلفة وفي مواقع ومواضع مناسبة، وبصيغ تخطيطية وعمرانية منسجمة مع استعمالات الارض التي تقدمها وكانوا على دراية مسبقة بالعوامل التي تقام المدن من أجلها وبمخططاتها وأقاليمها التابعة . مما يمكن من الاستنتاج بأن أصولا هامة لدراسة المدن قد وضعت في العراق وبشكل مبتكر كررته حضارات اخرى .

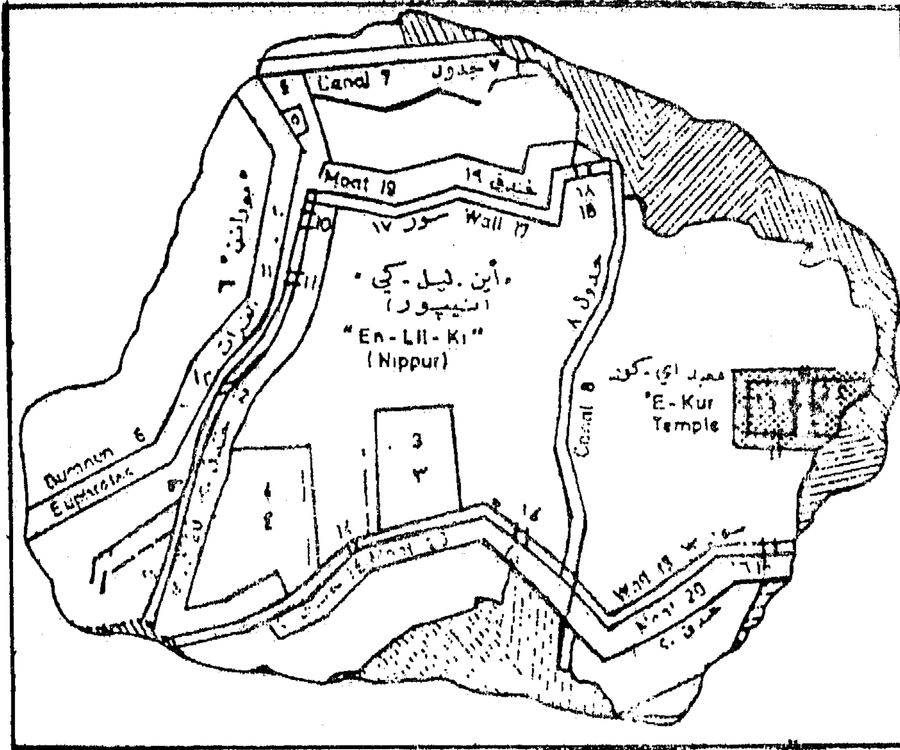
ان أهم العوامل التي كانت تقف وراء اقامة المدن حول المقرات وحوالي الاماكن التجارية مثل سبار ونفر البابليتين ، أو الابار أو المعابد الدينية مثل مدينة آشور ، أو حول القلاع أو الحصون أو كعواصم جديدة في مواقع استراتيجية كما فعل الآشوريون . وقبلت ظاهرة المدينة قبولاً تاما يحقق تنظيما جماعيا سليما . انعكس ذلك على وجود المعابد والقصور والمساكن والدوائر والاسواق والاسوار وشبكة الطرق في المدينة ، وتتكون المدينة زمن السومريين على سبيل المثال من المدينة الخاصة أو مركز المدينة حيث تضم المعابد ومقرات الموظفين والمخازن ، ومن الضاحية التي تتجمع فيها البيوت والمزارع وزرائب الماشية الى جانب قسم ثالث هو ميناء المدينة الذي تتركز فيه المستودعات التجارية ومخازنها . كما عرفوا نظام المراتب داخل المدينة حيث ميزوا مثلا بين رتب المعابد كما في بابل[٢١أ] .

ومن أهم المدن البابلية نفر وبابل وسبار ، في حين كانت مدن آشور وحران في اعالي بلاد الرافدين ، وكالح ونينوى ودورشيروكين (خرسباد) من أهم المدن الاشورية وفي كل هذه المدن كما في وحداتها ، فقد أخذت الخصوصية بنظر الاعتبار حيث المداخل المتكسرة والانفتاح على الداخل وتوزيع الفضاءات داخل البيت(٢١) .

وقد أخذت مخططات المدن عدة اشكال منها الشكل البيضوي وخاصة في المدن الجنوبية وشبه المنحرف مثل نينوى ، وشكل المستطيلات غير المنتظمة ، مثل سبار وكوزانا (تل حلف) ومربعة الشكل مثل دور شيروكين ومدينة صالح ، والاشكال غير المنتظمة مثل مدينة نفر . وتراوحت مساحة المدينة بين ١٥٠ فدان لمدينة آشور الى ٢٥٠٠ فدان في حالة بابل(٢٢) .

وتجاوز العراقيون بمعلوماتهم المدنيية الى الاقاليم والى العلاقات بين المدن والاقاليم حيث توضح بعض الالواح كما اشير الى ما يمكن ان يعتبر دليلا للمسافرين يظهر المسافة بين مدينة واخرى والزمن الذي ستستغرقه الرحلة الامر الذي يعكس تطورا كبيرا في التجارة(٢٣) . وبذلك يكونون قد عرفوا نظام المراحل بين المدن ، التي قد تكون متقاربة بحيث لا تزيد المسافة بين مدينة واخرى على بضعة كيلومترات مثال ذلك لا يفصل بين مدينة اور ومدينة أريدو سوى ٢٥ كم(٢٤) أو متباعدة بما يفسر التطور التاريخي وظروف البيئة وامكانية اعالتها للمدن .

كما طور البابليون هندسة متقدمة مقاسة بالمرحلة الحضارية التي ظهرت فيها ، ومن معالم ذلك التقدم والتي مازالت قائمة ، هي شق السراديب والانفاق المتشعبة والمائلة الممتدة تحت الارض مما يعكس معرفة الطبيعة البنيوية للصخور التي شقت فيها(٢٥) ومن دلائل معرفتهم في علم الارض هو جردهم للاحجار المختلفة وتصنيفها في قوائم خاصة كما وجدوا المعادن



مركز مدينة نيبور (نفر)

شكل رقم (١) خطة مدينة نيبور

المصدر: سوسه، احمد، الري والحضارة

الصناعية التي تدخل كسلع تجارية ، وسموا المعادن وصنعوا الجواهر من الاحجار الكريمة والتي صنع من بعضها الاختام الاسطوانية مثال ذلك الصوان الازرق ، اللازورد والصخر البلوري وغيرها[٢٦] .

وباستعمالهم لمواد بناء تنتجها البيئة كالطين ومنتجاته ، والكلس والقار والفحم والاخشاب والقصب ، واعتماد مخططات معينة لوحداتهم السكنية ذات الساحة وبحذق كبير يكونون قد برهنوا على انهم استوعبوا المناخ السائد وخاصة ابرز عنصر من عناصره المؤثرة في بلاد الرافدين وهو الحرارة.

وتدل الوثائق العديدة المتعلقة ببيع الضياع والحقول والبيوت على ان للعراقيين القدماء معرفة رياضية متقدمة تمكنوا من خلالها تذليل صعوبات المسح ووضعوا ذلك لرسم مخططات مدنهم[٢٧] .

المرحلة العربية الاسلامية :

تمثل هذه المرحلة امتدادا للمرحلة الاولى (قبل الاسلام) مع عمق وعملية وشمولية ونضج متزايد ربما يخدم الجوانب العملية للحضارة . كما ان هذا التطور قطع شوطا كبيرا في المرحلة التي سبقت الاسلام مباشرة حيث طورت معارف جغرافية فلكية وطبيعية أضافة الى العلوم الاخرى وبما خدم الحياة التجارية والنشاط الزراعي الذي كانوا يمارسونه .

ولتسهيل متابعة تطور المدرسة الجغرافية العربية في العراق سيتم تحديد المراحل المميزة التي قطعتها مقاسة بغزارة وتنوع العطاء وتأثيره خارج العراق، هذا بالرغم من الصعوبات التي تواجه مثل هذه المحاولة التي قد تختلف عن تقسيمات لباحثين آخرين[٢٨] . وفي هذا المجال ستعتمد ثلاث مراحل هي :ـ

- المرحلة الاولى : ـ مرحلة النمو وتمتد حتى القرن الثالث للهجرة .
- المرحلة الثانية : ـ مرحلة النضج والازدهار وتمتد بين نهاية القرن الثالث للهجرة ومنتصف القرن السابع للهجرة .

ـ المرحلة الثالثة : ـ بعد منتصف القرن السابع للهجرة (بعد سقوط الدولة العربية العباسية) وتجدر الاشارة هنا الى ان رواد المدرسة الجغرافية العربية العراقية في هذه المرحلة وما يليها يتصفون بالموسوعية والشمولية وبالدقة حيث يلمون ويختصون بأكثر من اختصاص منهم مؤرخون ، جغرافيون ، فلكيون ، ورياضيون وكيمياويون وأطباء وفلاسفة في آن واحد ، الامر الذي يفسر الاستشهاد بأضافات رواد ليس بالضرورة قد اشتهروا كجغرافيين حيث ان التاكيد قد جاء على الاضافات الجغرافية بغض النظر عن شهرة المقتبس منه بتخصص معين اكثر من آخر .

مرحلة النمو :

وتمتد حتى نهاية القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) وقد مرت بمراحل ثانوية هي الاخرى تتمثل اولاها بأمتزاج المعرفة والادب الجغرافي اللغوي ، حيث لم تظهر بعد المؤلفات والمصنفات الجغرافية المتكاملة والقائمة بذاتها . ومن عوامل تطور المعرفة الجغرافية هو اهتمام العرب في العراق ، كما في الجزيرة العربية ، بالرحلات والتنقل الذي يشكل جزءاً من حياتهم بدافع التجارة والاتصال ، مما كان اكبر عامل لزيادة معرفتهم عن الطرق والمعالم والعلامات على امتداد الارض . ومن يطلع على قصائد الشعراء في هذه المرحلة سيجدها غنية بذكر المواقع وأسماء الاماكن واوصافها بصيغة تدل أن جغرافية وصفية وبيئية قد تطورت[٢٩] .

ومن الاضافات الجغرافية المبكرة في هذه المرحلة زمن الدولة العربية الاموية عام ٨٩ هـ /٧٠٨ م اعداد صورة (خارطة) للمنطقة التي تقع فيها بخارى المحاصرة من قبل القائد قتيبة بن مسلم الباهلي ، الذي تلقى توجيهات الحجاج على ضوء التفاصيل الواردة في الخارطة مما مكن من فتحها .

اما المرحلة اللاحقة (الثانية) فقد أشرت تطورا واضحا تمثل بالاطلاع على استيعاب وهضم وتمثيل ماترجم من تراث جغرافي لامم أخرى مثل

الهنود والاغريق والرومان[٣٠] ، كما انجزت مؤلفات جغرافية عديدة مما يؤشر أدلة واضحة على أصالة الفكر الجغرافي العراقي حيث أبدعوا الى جانب ما أضافوا وعدلوا في الابعاد والمفاهيم التي جاءت بها الكتب المترجمة الى العربية .

لقد قدم العراقيون في هذه المرحلة ،مع جغرافيين عرب آخرين ، بداية ما يمكن اعتباره سلسلة جغرافية علمية ، كما تطورت الجغرافية الوصفية مستفيدة من الرحلات وما قدمته من تنوع وغزارة في المادة وأكثر من ذلك فقد ظهرت بواكير المداخل الجغرافية . كما يمكن الاشارة الى نشوء الجغرافية الرياضية والفلكية ، حيث جاء الاهتمام بها مبكرا ومتنوعا اذ اعطي اهتمام لدراسة الافلاك والنجوم وحركاتها وعمل الاسطرلاب ، وكذلك قياس ارتفاع القطب وحدوث الليل والنهار والشمس والقمر[٣١] . وعمل الأزياج وقياس محيط الارض وتأثير الكواكب على الارض وانتاجها ، واسباب الكسوف والخسوف وحساب طول السنة النجمية . ومن الدلائل الاهتمام بالجغرافية الفلكية وعوامل تطورها اقامة المراصد في بغداد ودمشق وغيرها من أجزاء الدولة . كما قامت دراسات عن الارض وتضاريسها والمناخ وخاصة الامطار والرياح ، هذا الى جانب دراسات عن الانسان وصفاته والاجناس والقبائل والافخاذ ، والثروة الحيوانية والنشاط الزراعي مما يعرف حاليا بالجغرافية الاقتصادية . ودراسات عن البلدان والاقاليم ومصادر المياه كالانهار ، والابار والعيون ، اضافة الى البحار كما نوقشت المدن وقدمت عنهادراسات وافية ، ولم تهمل الطرق من الوصف في اكثر من دراسة .

ومن ابداعات*** جغرافيي العراق هو اعتبار الارض كروية كما وضع ابن خرداذبه والمسعودي ، وتصحيح اخطاء اليونانيين بخصوص خطوط الطول والعرض وكذلك ما أغفله بطليموس في سير القمر[٣٢] .

مرحلة النضج والازدهار :

تمتد هذه المرحلة المتواصلة مع المرحلة السابقة والتي وصلت الجغرافية العربية فيها الى ذروتها لتغطي الفترة الممتدة من نهاية القرن الثالث للهجرة حتى منتصف القرن السابع للهجرة ، وهي الفترة التي كانت ترزح فيها اوربا تحت ظلام حضاري خانق . اذ قد قضي على التفكير العلمي فيها . بعد ان سيطرت الكنيسة وأصبح رجال الدين المسيحيون القيمين على المعرفة بأنواعها. ومما ساعد على ازدهار المدرسة الجغرافية العراقية هو الرحلات بما فيها التجارية وما نتج عنها ، وتوظيف النتائج للتأليف ورسم الخرائط ، والرحلات هنا قد تكون لطلب العلم حيث يحث الدين الاسلامي واداء فريضة الحج . وانتعاش الترجمة الى العربية وتطوير أنظمة التعليم وتمجيد العقل وتحرره وتحريهم عن الحقيقة(٣٣) .

كما ان لرعاية الدولة التي أخذت اكثر من صورة ، والتطور الذاتي للامة أثرهما في تطور ليس علم الجغرافية حسب بل العلوم الاخرى .

ان من اهم معالم المدرسة الجغرافية في هذه المرحلة هو توجهها نحو الجانب التطبيقي حيث توظيف المعرفة الجغرافية لتطوير اقتصاد البلدان المحررة ، وتسهيل ادارتها ، وكذلك لخدمة الجوانب العسكرية واعتماد الدراسة العميقة التحليلية لقوى الطبيعة وللتغيرات التي تسير عليها هذه القوى .

كما تطورت في هذه المرحلة ما يعرف بالمدرسة الجغرافية التقليدية (الكلاسيكية) بكل خصوصيتها بالرغم من اطلاع جغرافيي العراق على ما كتب في المجال الجغرافي بعد ترجمته(٣٤) . حيث أزدهر في هذه المرحلة الادب الجغرافي وتمت دراسة الكرة الارضية وتم اكتشاف اجزاء كثيرة من العالم في هذه المرحلة ، وتم تأليف الكتب التي توضح ذلك . وظهرت

المصنفات والمعاجم الجغرافية التي استفاد منها رجال الادارة وطلبة العلم مثل (معجم البلدان) لياقوت الحموي[٣٥] •

كذلك برز وازداد عدد الرحالين الذين اغنوا المعرفة الجغرافية بسعة اطلاعهم حيث وصلوا الى مناطق لم يصلها جغرافيون سابقون[٣٦] الى درجة فاق فيها رحالون مثل المسعودي وابن حوقل كل رحالي اليونان •

ان ذلك قد ساعد على بلورة ما يمكن تسميته بالجغرافية الوصفية ـ الاقليمية التي قطعت شوطا متقدما سواء في الشمولية او التنوع في الوصف الجغرافي • حيث تم التمكن من وضع الصفات العامة للعالم المعروف ، موفرة اغزر المعلومات عن بنية ومناخ واقتصاد وسكان ومدن البلدان ، ومن امثلة الكتب الغنية في هذا المجال (كتاب المسالك والممالك) لأبن خرداذبة[٣٧] •

اما الجغرافية الفلكية ـ الرياضية فكانت مجالا خصبا للتطور والابداع حيث قام جغرافيو العراق بأثراء وتطوير كتب الازياج (الجداول الفلكية) بتحديد خطوط الطول والعرض ومن رواد المؤلفين في الأزياج ثابت بن قرة والكندي والبتاني وتيوموس •

وحددوا خطوط الطول ودوائر العرض للمواقع المختلفة وبدقة كبيرة ، وعدلوا من المعلومات التي قدمها جغرافيون يونانيون مثل الجغرافي اليوناني اراتوستنيس Eratosthenes في قياس محيط الارض وذلك من خلال قياس العراقيين زمن المأمون ، وقد ورد وصف عملية القياس في كتاب (الزيج الحاكمي الكبير) لأبن يونس المصري •

كما قاس العلماء في العراق طول الدرجة الارضية كي يتوصلوا الى تقدير حجم الارض ومحيطها • على افتراض ان الارض مدورة ، وقد تم القياس في سهل سنجار وقرب مدينة تدمر وذلك من قبل فريق عمل من بينهم الخوارزمي ، وتوصلوا الى رقم يقل بمتر واحد فقط عن الرقم الفعلي •

اما بالنسبة لبني موسى الذين كلفهم الخليفة بقياس محيط الارض فقد قدروه بـ (٢٤٠٠٠ ميل) وهو ايضا لا يختلف عن واقع الحال كثيرا ، وتـم اجراء المسح بمكانين منبسطين الاول في سهل سنجار والثاني في الكوفـة . يضاف الى ذلك تمكن جغرافيي العراق من تحديد خط نصف النهار .

وفي مسار تطور معرفتهم الفلكية اكتشفوا الجاذبية العموميـة بـين الاجرام السماوية ، والتي تربط هذه الاجرام ببعضها وتجعل الاجسام تسقط على الارض ، وقد قام بذلك بنو موسى . ان كل ذلك يدل على انهم عالجوا وبطريقة ابداعية الجغرافية الرياضية الفلكية . اما في مجال المدن فقد تمكنوا من دراسة وتحديد[٣٨] احداثياتها . ودرسوا الطـرق التي تـربط بينهـا وحالة الامن فيها اضافة الى دراسة البلدان والطرق التي توصل اليها .

وفي مجال الخرائط فقد اسهم العراقيون بتطوير رسمها وزيادة تنوعها ودقة انجازها ، واذا ما تم تتبع تطور رسم الخرائط ضمن المدرسة الجغرافية العراقية فسيظهر أن الخوارزمي كان من أقدم روادها .

وأستمر التطور الى ان تم انجاز (أطلس الاسلام) الذي تتميز خرائطه الـ (٢١) بطابع جميل ، وبنظام موحد ، تمثل هذه الخرائط انحاء الدولـة العربية الاسلامية ،واولى خرائط الاطلس هي خارطة كبيرة للعالم تليها ثلاث خرائط للبحر الابيض والخليج العربي وبحر قزوين وما تلا ذلـك (١٧) خريطة تمثل فيها جزءا أو اقليما . مما يفيد من الناحية العملية الى درجـة كبيرة كلا من المسافرين ورجال الادارة والخدمة واصحاب البريد وجبـاة الخراج . وقد اسهم في اعدادها ابن حوقل من جغرافيي العراق[٣٩] .

المرحلـة الثالثـة :

بدأت هذه المرحلة بعد منتصف القرن السابع للهجرة (الثالث عشـر الميلادي) حيث تفكك الدولة العربية العباسية والذي لم تتزامن آثاره مع

العطاء الجغرافي والعلمي الذي استمر وبمواصفات معينة نتيجة الاطلاع على مؤلفات السابقين والمعاصرين .

اتصف العطاء الجغرافي العراقي في هذه المرحلة بالاهتمام بالكم على النوع عموما ـ (مع بعض الاستثناءات) ، وبالتكرار شبه التام لما قدم من عطاء في المراحل السابقة مع التركيز على المعاجم والموسوعات ، والرحلات يضاف الى ذلك عدم انتظام الانتاج العلمي مقارنة مع المرحلة السابقة .

لقد قدم جغرافيو هذه المرحلة معلومات مفصلة عن البلدان العربية الاسلامية والاجنبية كما هو موضح في كتابي (مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع) لصفي‌الدين ابن عبدالحق البغدادي وكتاب (مسالك الابصار في ممالك الامصار) لشهاب‌الدين بن فضل الله العمري المتوفى ١٣٤٨ م والذي ترجم الى الفرنسية ورحلة الياس الموصلي في القرن السابع عشر .

ونوقشت أيضا الجغرافية الفلكية حيث تطرقوا الى الكواكب السيارة والنجوم والشمس والقمر ودرسوا فروع الجغرافية الاخرى مع تأكيد على وصف الارض وجوانبها الطبيعية والاقتصادية والبشرية[٤٠] . كما برزت في هذه المرحلة ظاهرة التأكيد على الجانب اللغوي في الادب الجغرافي، كأن تؤشر الحركات وكيفية لفظها الى جانب محاولة الاقتصاد في بعض الكتب الجغرافية على المعلومات الجغرافية ، كما فعل ابن عبدالحق البغدادي في كتابه (مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع)[٤١] ومع كل ذلك فقد قدمت تفاصيل دقيقة ومفيدة وجديدة عن المدن ومواصفات مواضعها والانهار والفلك والاقاليم كما فعل ابن عبدالحق البغدادي[٤٢] ـ الا ان بعض الدراسات قدمت معلومات عن اوربا وامريكا الجنوبية وامريكا الوسطى حيث قدمت اوصاف لبلدان مثل بوليفيا والارجنتين وشيلي ـ يتمثل ذلك بما قدمه الياس بن حنا الموصلي الذي قام برحلات واسعة في القرن السابع عشر،

حيث كان القسم الاول من مخطوطه يعني بالجانب السياحي المتعلق بالرحلة نفسها ، بينما يناقش في القسم الثاني اكتشاف اميركا وقارتها . وان مثل هذه الدراسة عالجت الجوانب الجغرافية والتاريخية لاجزاء الوطن العربي بما فيه العراق وقتذاك[٤٣] .

من رواد المدرسة الجغرافية العربية العراقية :

ستقتصر المعالجة هنا على ذكر اسماء الرواد البارزين في كل مرحلة من مراحل تطور المدرسة الجغرافية العربية بعد الاسلام وذلك على ضوء توافر المعلومات ، مقارنة مع الفترة السابقة للاسلام التي لا تتوافر فيها مثل هذه المعلومات بعد . وفي الايجاز سوف يكتفى بأستعراض الاسماء وتاريخ وفاتهم وبعض مؤلفاتهم او انشطتهم وأهم ما عالجوه أو أضافوا أو ابدعوا فيه .

المرحلة الاولى ـ مرحلة النمو :

١ ـ ١ ابو اسحاق ابراهيم حبيب بن سمرة بن جندب الصحابي الفزاري المتوفى عام ١٦١ هـ/٧٧٧ م ساهم في الترجمة من الهندية الى العربية زمن ابي جعفر المنصور . ومن انجازاته عمل الاسطرلاب . اما في التأليف فأن من اشهر كتبه كتاب (سطح الكرة) وكتاب (القصيدة في علم النجوم) وكتاب (اواسط النجوم) وكتاب (العمل في الاسطرلاب ذوات الحلق) وكتاب (زيج الفزاري)[٤٤] . مما يوضح توجهه نحو الفلك والجغرافية الفلكية وبوقت مبكر .

١ ـ ٢ سند بن علي المأموني : توفى عام ٢٢٩ هـ/٨٣٣ م وهو جغرافي مميز خاصة في الجغرافية الفلكية وفي صناعة أدواتها وآسهم مع جغرافيين عراقيين آخرين برصد ارتفاع القطب في صحراء سنجار متوصلين الى مقدار الدرجة الارضية على أنها ٥٧¼ ميلا مما يشكل دقة كبيرة وقتذاك . مما اعترف به اكثر من مستشرق[٤٥] .

١ ــ ٣ ابو عبدالله جابر بن حيان بن عبدالله الكوفي المعروف بالصوفي المتوفى ١٩٨ هـ/٨١٣ م موسوعي وكتب بأكثر علوم وفنون عصره بلغت ١٩٢ كتابا منها ٢٠ في الجغرافية اضافة الى علوم الكيمياء والفلك والجغرافية الفلكية(٤٦) .

١ ــ ما شاء الله بن اثري المتوفى عام ٢٠٠ هـ/٨١٦ متضلع اسهم في عملية التعريب التي تبنتها مؤسسة (بيت الحكمة في بغداد) من خلال وظيفته مترجما فيها واضاف في علم الفلك وفن صناعة الاسطرلاب وكذلك في الامطار والرياح حيث فصل في عوامل تكونها وحركاتها وأثرها مع الانتاج الزراعي(٤٧) .

١ ــ ٥ النصر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم التميمي المازني البصري المتوفى عام ٢٠٣ هـ/٨١٩ م ، اديب ونحوي وجغرافي عالج مختلف فروعها واصفا شارحا مبرهنا للنتائج بالاعتماد على التجربة ، له عدد من الكتب من أهمها كتاب (الصفات) وهو موسوعة كبيرة أضاف فيه في مجال دراسات الانسان والجغرافية الطبيعية والنشاط الاقتصادي والجغرافية الفلكية(٤٨) .

١ ــ ٦ ابو المنذر هشام محمد بن السائد بن مبشر بن عمرو الكلبي المتوفى عام ٢٠٤ هـ /٨١٠ م جغرافي متمكن ومن طلائع الجغرافيين الذين درسوا المدن والبلدان . له مايزيد على (١٥٠) كتابا توزعت العديد منها على الدراسات الاقليمية للبلدان بما فيها مدنها والجغرافية الطبيعية والبحار اضافة الى الاقاليم السبعة التقليدية(٤٩) .

١ ــ ٧ ابو سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك بن علي بن اصمع بن مظهر بن رباح ابن عبد شمس المتوفى عام ٣١٧ هـ / ٨٢٥ م كثيرا ما استشاره المأمون في قضايا علمية . متنوع الكتابات بما فيها الجغرافية حيث كتب في الاجناس والحيوان والنبات والمياه والاقليمية(٥٠) .

١ ــ ٨ يحيى بن ابي منصور المتوفى عام ٢١٨ هـ/٨٣٣ م مسهم في عمليات الرصد زمن المأمون مع مجموعة من الجغرافيين الاخرين ومن جملة ما تم رصده من قبلهم الكسوف والخسوف وعدد من الظواهر الفلكية الاخرى . وبذلك استفاد من الجانب العملي في أثراء ما كتبه في الجغرافية عامة والجغرافية الفلكية حيث مازالت غالبيتها مخطوطة في اوربا . ومن الوظائف التي تسنمها رئاسة مرصد الشماسية ببغداد ومرصد جبل قاسيون بدمشق(٥١) .

١ ــ ٩ علي بن عيسى الاسطرلابي لا يعرف تاريخ وفاته الا أنه كان مشهورا في الدراسات الفلكية التي اثراها من خلال وظيفته كمشرف على مرصدي بغداد ودمشق ، ومن اسهاماته المشاركة بقياس محيط الارض والعمل بالاسطرلاب(٥٢) .

١ ــ ١٠ ابو عبدالله احمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن داود بن حمدون البغدادي المتوفى عام ٢٤١هـ/ ٨٥٥ م قدم دراسات في الجغرافية الطبيعية والسكان وبعض الجوانب المتعلقة بالانساب والحروب(٥٣) .

١ ــ ١١ ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد السجستاني**** والملقب بالامام المتوفى عام ٢٥٠ هـ/٨٦٣ م ، اشتهر بأنتاجه اللغوي والفلكي والجغرافي ، وفي مجال الجغرافية كتب في الجغرافية الطبيعية والمناخية والاقتصادية(٥٤) .

١ ــ ١٢ محمد بن موسى الملقب بالخوارزمي المتوفى عام ٨٥٠ كان الى جانب كونه فلكيا ورياضيا كان جغرافيا . ومن جملة مناصبه رئاسة مؤسسة بيت الحكمة التي اسسها الرشيد وأزدهرت زمن المأمون . اضافة الى علم الجبر والهندسة والمثلثات له اسهامات في تطوير علم الجغرافية حيث اطلع واستوعب كتاب بطليموس المعروف في الجغرافية واختصره في كتاب واضاف اليه كثيرا معدلا ومصححا لآراء بطليموس واوجد أقاليم لم يكن

يعرفها بطليموس حيث انه قسم العالم الى سبعة اقاليم مما لم يكن معروفا عند الاول . كما ألف كتبا اخرى بالجغرافية والزيج هذا أضافة الى انه رسم خطوط الطول والعرض وعين العديد من الاماكن والاقاليم بعد الفتح الاسلامي واسهم في وضع موسوعة جغرافية للخليفة المأمون(٥٥) .

١ — ١٣ ابو يوسف يعقوب بن اسحاق الصباح بن عمران بن اسماعيل بن محمد بن الاشعث ابن قيس الكندي اليماني المتوفى عام ٢٥٧ هـ /٨٧٣ م مثقف واسع الاطلاع ويتقن اللغات اليونانية والسريانية التي ترجم منها الى العربية كأشهر مترجم ، حيث قد ترجم الى بيت الحكمة العديد من الكتب من اهمها من الزاوية الجغرافية كتاب (الجغرافية في المعمور من الارض لبطليموس) اضافة الى كتب في المد والجزر والمياه والفلك والزلازل وصنع الاسطرلاب . ان من اشهر ابداعاته واضافاته الى المعرفة الجغرافية هو اثباته ان سطح الماء كروي كسطح اليابسة ، مما لم يعرفه الغرب سوى بعد الف سنة . كما أضاف في الجغرافية الفلكية وخاصة في مجال العلاقة بين الكواكب وخاصة الشمس على ما تغله الارض . هذا الى جانب اثباته ان بعضا من مكونات الهواء تعكس اشعة الشمس مما يحول دون وصولها الى الارض(٥٦) .

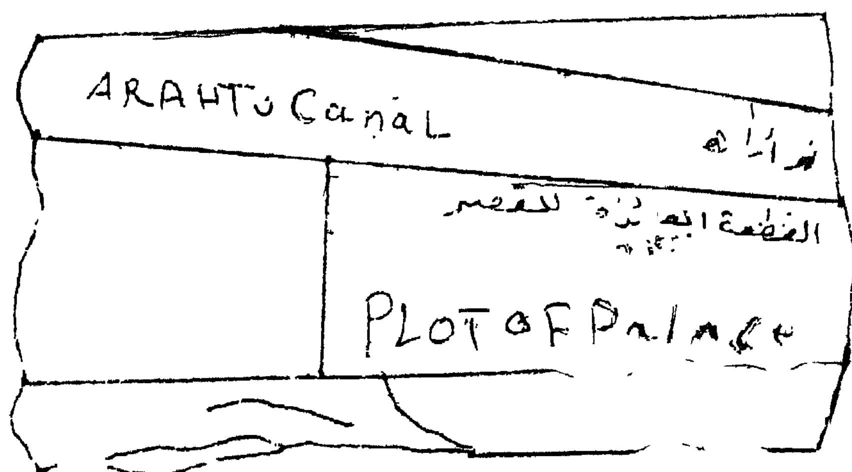
١ — ١٤ أبو محمد يونس بن شاكر المتوفى عام ٢٥٩ هـ/٨٧٢ م . اشترك مع اخويه حسن ومحمد والذي بزهما علما في عملية التعريب وبناء مرصد باب الطاق احد مراصد بغداد الذي اكتشف فيه انحراف الشمس ضمن فريق عمل علمي في قياس محيط الارض عند سنجار وألف في حركة الافلاك والتقاويم(٥٧) .

١ — ١٥ محمد بن اسحاق بن ابراهيم بن ابي العنبسى بن المغيرة الصيحري المتوفى عام ٢٧٥ هـ/٨٨٨ م ألف في الجغرافية الفلكية وعلم البحار(٥٨) اضافة الى كونه شاعرا .

١ ـ ١٦ أبو الحسن يحيى بن جابر بن داود البغدادي البلاذري المتوفى عام ٢٧٩ هـ /٨٩٢ م رحالة في طلب العلم ومن اشهر كتبه (فتوح البلدان) وهو كتاب تاريخي جغرافي عالج فيه من جملة ما عالج الموارد المائية الباطنية والسطحية والجغرافية الطبيعية[٥٩] .

١ ـ ١٧ احمد بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف اليعقوبي والمكنى بالعباسي المتوفى عام ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م ومن مقومات معلوماته الجغرافية الملاحظة الشخصية والدقة واستجواب الناس حول ما يشك فيه ، والتزامه بالخطة التي يضعها ، خاصة في وصف البلدان والطرق والمستقرات البشرية والمسافات بينها حيث اتساع رحلاته داخل وخارج الأرض العربية . وان من اهم عناصر أصالته هو استقلالية طريقته غير المتأثرة بالآراء اليونانية . وعند تأليفه كتابه الشهير على مستوى العالم (البلدان) اعتبر بغداد وسط الدنيا المعروفة . واضاف فيه في مجال الجغرافية الطبيعية والاقتصادية والمدن[٦٠] والطرق والاثنوغرافيا والاقليمية . مما أثر في التفكير الجغرافي العلمي في أوربا بدليل ظهور الابحاث حول انتاجه وتكرار طبع ذلك الانتاج[٦١] .

١ ـ ١٨ ابو الحسن ثابت بن قرة بن مروان بن ثابت بن ابراهيم الحراني المتوفى عام ٢٨٨ هـ/٩٧٤ م زامل الخوارزمي وابن موسى مدققا في دراسته للعلوم ويستند في ذلك على التجربة لا على التخمين . ومن أهم اضافاته الجغرافية هو ما قدمه في مجال الفلك حيث قام برصد الشمس وقاس حركاتها ، وحسب طول السنة النجمية ووضعها عند ٣٦٥ يوما و ٦ ساعات و ٩ دقائق و ١٠ ثوانٍ مما لا يزيد سوى ½ ثانية على أدق الاقيسة المعاصرة. ومن شدة اهتمامه بالمراصد والارصاد أنه اعتبرها اهم وسيلة لتقدم العلوم . ألف ١٥٠ مؤلفا في العربية وعشر مؤلفات بالسريانية في مجالات الجغرافية الفلكية والانواء ـ وقد كامل في مؤلفاته بين الرياضيات والهندسة والطب[٦٢] .



شكل رقم ٦ - ٣ من العهد البابلي

١ ـ ١٩ ابو القاسم عبيدالله بن خرداذبة المتوفى عام ٣٠٠ هـ/ ٩١٢ م استفاد من رحلاته التي فرضتها عليه وظيفته كمدير للبريد في عدد من اقاليم الدولة العربية الاسلامية في اعداد كتبه التي من اشهرها كتاب (المسالك والممالك) أضاف في مؤلفاته في وصف الطرق ودراسة المدن والانتاج الزراعي والخرائط في الاقطار الاسلامية والجغرافية الفلكية(٦٣) . وقد وظفت نتاجاته لتطوير الادارة والاقتصاد .

١ ـ ٢٠ ابو احمد الحسيني اسحق بن ابراهيم بن يزيد الكاتب المعروف ابن كرنيب المتوفى عام ٣٠٠ هـ/٩١٢ م وهو متضلع في العلوم الطبيعية ومنها الجغرافية اضافة الى الاجناس البشرية وعاداتهم واصولهم والفيزياء(٦٤) .

المرحلة الثانية ـ مرحلة النضج والازدهار :

٢ ـ ١ ابو زيد الحسن السيرافي عاش في النصف الاول من القرن الرابع الهجري أشتهر بتدوين قصص التاجر سليمان بن وهب بين البصرة والصين ، وربما اضاف اليها والتي تولد منها لاحقا (أسفار السندباد) ومن جملة ما تطرق فيها الى اشكال السواحل ودراسات مقارنة عن سكان الصين والهند مما يشكل مجالا من مجالات التأثير العلمي في اوربا .

٢ ـ ٢ قدامة بن جعفر بن قدامة المتوفى عام ٣١٠ هـ /٩٢٢ م وهو أحد جغرافيي العراق المشهورين واول جغرافيي مرحلة الازدهار . ألف واجاد في مجالات الجغرافية الاقتصادية واضاف في المجال الاحصائي فيها وخاصة فيما يتعلق بالخراج وجبايته والضرائب وتقسيم الاراضي وطرق جبايتها ، وكذلك في الجغرافية الاقليمية والطرق والجغرافية المناخية مناقشا بعض الجوانب السكانية(٦٥) .

٢ ـ ٣ أبو العباس الفضل بن حاتم النيرزي المتوفى عام ٣١٦ هـ/٩٢٨م وهو جغرافي مهتم ومتمكن في الجغرافية الفلكية والمناخية ومن ابداعاته أنه كشف وشرح وصحح العديد من الاخطاء الواردة في المؤلفات الجغرافية

اليونانية . وقد شرح اضافة لذلك الآلات الفلكية التي تستعمل في الارصادات الفلكية[٦٦] .

٢ ـ ٤ أبو عبدالله بن سنان بن جابر الحراني المعروف بالبتاني المتوفى عام ٣١٧ هـ /٩٢٩ م من اشهر علماء الفلك في العراق اعتمد في دراسته منهجية قوامها التجربة والتدقيق وتحكيم العقل والمنطق ومن اضافاته تصحيح الخطأ الذي وقع فيه بطليموس حول قيمة الاعتدالين وحركة نقطة الذنب للارض . كما انه اكتشف عددا من الاجرام وحسب ميل فلك البروج على فلك معدل النهار فوجده ٢٣٣٥° . اضافة الى انه اوجد في زيجه جداول تتعلق بحركات الاجرام وحسب طول السنة الشمسية وضبط بدقة متناهية مقدار الانحراف في دائرة البروج ومعدل دائرة الفلك التي تجري فيها الشمس لقد اعتبر من بين اشهر ٢٠ فلكيا في العالم كله ، وكتب عنه عدد من المستشرقين مُطرين ومقدرين اضافاته . الف العديد من الكتب في الفلك والجغرافية الفلكية[٦٧].

٢ ـ ٥ محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حمامي بن واسع بن وهب ابن سلمة ابن ظالم بن اسد بن عدي المتوفى عام ٣٢١هـ/٩٣٣م ، كتب في الجغرافية المناخية وخاصة في الجو والسحاب والمطر[٦٨] .

٢ ـ ٦ ابو اسحق ابراهيم بن سنان بن ثابت بن الصابي الحراني المتوفى عام ٣٣٠ هـ/٩٤٦ م ، كتب في الجغرافية الفلكية[٦٩] .

٢ ـ ٧ ابو سعيد سنان بن ثابت بن قرة الطبيب المتوفى عام ٣٣١ هـ/ ٩٤٧ م ألف في الجغرافية الفلكية عددا من الكتب[٧٠] .

٢ ـ ٨ أبو الحسن علي بن احمد العمراني الموصلي المهندس الحاسب المتوفى عام ٣٤٤ هـ/٩٥٥ م الف في الجغرافية الى جانب الحساب والهندسة وكذلك في الجغرافية الاقليمية وخاصة في جغرافية جزيرة العرب مناقشا فيها بنية ومعالم الاقاليم[٧١] .

٢ ـــ ٩ ابو الحسن علي بن حسين المسعودي الهذلي المتوفى عام ٣٤٦ هـ /٩٥٧ م جغرافي ورحالة واسع الاطلاع اذ بقي جوالاً لمدة ٢٥ سنة في رحاب الدنيا المعروفة آنذاك اشتهرت مؤلفاته وترجمت في الغـرب والشرق[٧٢] • ولقبوه بهيروت العرب وبلينوس الشرق مما هو قليل بحق هـذا العالـم الجليل • اضاف في تفسير العديد من الحقائق العلمية وكذلك في الجغرافيـة الاقليمية والسكانية والطبيعية والفلكية والمـدن والجغرافيـة التاريخيـة والمناخية • واسـهم في اكتشـاف اراضـي جديدة مثل منابـع النيـل • وله اسهاماته في الدراسات البيئية من خلال دراسة تاثير البيئة على الانسان، وقدم دراسات في الجغرافية الفلكية وبرهن على كرويـة الارض وقدم في جيلوجيتها ، وناقش تغير مواضع البر والبحر والحركات الارضية ويعتبـر اول عربي تكلم عن نظرية التطور العضوي • ومن اشهر كتبه التي تقـارب الـ ٢٠ كتابا (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وكتاب (الاشراف والتنبيه) اتصفت منهجيته بالكتابة باعتماده على المشاهدة والشمولية والامانة العلمية والمزج بين التاريخ والجغرافية الامر الذي يفسر كون كتبـه بمثابة دوائـر للمعـارف •

٢ ـــ ابو القاسم عبيدالله بن الحسن المعروف بغلام زحل المتوفى عـام ٣٧٦ هـ/٩٨٦ م ألف في الافلاك والنجوم اكثر من كتاب[٧٣] •

٢ ـــ ١١ ابراهيم بن هلال بن ابراهيم الحراني المتوفى عام ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م واسع المعرفة وخاصة في الجغرافية الفلكية حيث اشرف على مرصد بغـداد[٧٤] •

٢ ـــ ١٢ ابو عبدالله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبدالله المرزباني المتوفى عام ٣٨٧ هـ /٩٩١ م اشتهر بعلم البيان وله كثير من كتب الجغرافية عالج فيها الجغرافية الفلكية والمناخ[٧٥] •

٢ ــ ١٣ ابو عثمان سهل بن بشر بن حبيب بن هاني المنجم البغدادي لا يعرف تاريخ وفاته الا انه عاصر المأمون ، ألف في الجغرافية والحساب والهندسة وفي حقل الجغرافية كتب في الاوقات والجغرافية الفلكية(٧٦) .

٢ ــ ١٤ ابن سعيد الجوهري ، عاصر المأمون ولا يعرف تاريخ وفاته ، عمل في مرصد الشماسية ببغداد ومرصد دمشق ، وألف في الجغرافية الفلكية(٧٧) .

٢ ــ ١٥ احمد بن فضلان بن العباسي بن راشد بن حماد عاش في القرن الرابع للهجرة رحالة واسع المعلومات وصل برحلته الى مدينة بلغار على نهر الفولفا قاطعا اصقاع كثيرة . وقد نشرت كتب ابن فضلان في الشرق والغرب لاهميتها . كتب في جغرافية حوض نهر الفولغا مناقشا المناخ والاثنوغرافيا وسكان اسيا الوسطى والغربية فهو بذلك مؤلف في الجغرافية الاقليمية(٧٨) .

٢ ــ ١٦ سهراب وعرف لدى بعضهم بـ (سيرابيون) عاش في أواخر القرن الثالث للهجرة واوائل القرن الرابع للهجرة . اكد في كتابه الشهير (عجائب الاقاليم السبعة الى نهاية العمارة) بتدوين المعلومات عن المدن واحداثياتها والتضاريس والبحار والبحيرات والجزر والاقاليم مع تفصيل دقيق عن العراق . يتصف كتاب سهراب بغنى معلوماته عن كل الظواهر التي عالجها وبأضافات جديدة في اكثر من حال مقارنة مع من سبقوه(٧٩) .

٢ ــ ١٧ اخوان الصفا جماعة عاشت في القرن الرابع للهجرة واسسوا ما يشبه الجمعية الخاصة بهم عام ٣٣٠ هـ مركزها البصرة . وضع اعضاؤها ٥٢ رسالة في مختلف صنوف المعرفة تشكل بمجموعها موسوعة معرفية كبرى، ناقشوا فيها مواضيع مثل علم الارض والمعادن والجغرافية المناخية والانواء Meteorology والتضاريس والبيئية وعوامل التعرية والبراكين والجغرافية الفلكية بما فيها دوران الشمس في البروج والمدن . وكذلك اكدوا على مايقع ضمن نظرية الازمنة الكونية Cosmic Cycles . ان ما جاءت

به دراساتهم تدل على استيعابهم لعلوم من سبقهم • كما عالجوا موضـوع النشوء والارتقاء ، واعتقدوا بكروية الارض كما عالجوا النبات والحيوان • وبالنسبة للارض فقد درسوا جوانب متعددة عنها مع التأكيـد على الربـع المسكون المتكون من سبعة أقاليم(٨٠) •

٢ ـ ١٨ ابو علي محمد بن الحسين بن الهيثم البصري المتوفى عـام ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩ م ولـد بالبصرة وانتقل منها الـى القاهـرة حيث كتب عن امكانية الانتفاع من جداول نهر النيل • واوجد طريقة فلكيـة جديـدة لتعيين عروض الاماكن وكتب في الفلك مما افاد به الغرب ، كما كتب عـن الارض وطوبوغرافيتهـا(٨١) •

٢ ـ ١٩ ابو القاسم محمد بن العلي بن حوقل ، لا يعرف تاريخ وفاته الا انه عاصر سيف الدولة الحمداني ، اشتهر برحلاته التي استغرقت ٣٠ عاما طاف خلالها اغلبية العالم المعروف وافاد منهـا كثيرا في كتابـة مؤلفه الشهير (صورة الارض) • اتصفت دراساته بالمنهجية والتعليل وغزارة المعلومات ، كما جعل الخارطة ربما أول مرة جزءا مـن المتن ومكملا له ، وان ما جـاء بكتابه يدل على اطلاعه على المصادر السابقة • وغطى في كتابه الجغرافيـة الاقليمية حيث درس الاقاليم المكونة للدولة العربية الاسلامية البالغـة ٢٢ اقليما جاعلا مكة المكرمة مركزا لديار العرب • وقاس الاقاليم بوحدة الزمن ، إضافة الى الجغرافية الطبيعية والمدن والقـرى والمراحل بينهـا والسـكان والجغرافية الاقتصادية وخاصة التجارية والجغرافية المناخيـة(٨٢) والمعـادن ومصـادر الميـاه •

٢ ـ ٢٠ الحافظ ابو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، المتوفى عام ٤٦٣ هـ/١٠٧١ م اشتهر بدراسته لمدينة بغداد وعالج فيهـا الى جانـب تاريخها جوانب مهمة تقع ضمن ما يعرف الان بجغرافية المدن مثل موضـع المدينة وموقعها وتطورها ومخططها واقاليمها التابعـة واستعمالات الارض

فيها ونسيجها العمراني مع التأكيد على الابنية الدينية وهو بذلك يكون مهما في اثراء الادب الجغرافي الطوبوغرافي[٨٣] . وقد وضع سعة بغداد على انها (٥٣٧٥٠) جريبا .

٢ ـ ٢١ ابو القاسم هبةالله بن الحسين بن يوسف بن احمد البغدادي المعروف بالبديع الاسطرلابي المتوفى عام ٥٣٤ هـ/١١٣٩ م اشتهر بالفلسفة وفي علم النجوم وصناعة الآلات الفلكية وخاصة الاسطرلاب وألف في ذلك مبدعا في مجال الجغرافية الفلكية[٨٤] .

٢ ـ ٢٢ الشيخ محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري المتوفى عام ٥٣٨ هـ/١١٤٣ م كثير الترحال في طلب العلم الف عددا من الكتب منها في الجغرافية مثل كتاب (الامكنة والمياه والجبال) الذي ترجم الى اكثر من لغة[٨٥] .

٢ ـ ٢٢ جمال‌الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبدالله البكري المعروف بابن الجوزي المتوفى عام٥٩٧ هـ/ ١٢٠١ م الف العديد من الكتب زادت على ٣٠٠ كتاب في مختلف العلوم ومن كتبه الجغرافية كتاب (تبصرة الاخبار في نيل مصر واخواتها من الانهار) الذي بالاضافة الى الجوانب الاقليمية فيه يقارن فيه بين نهر النيل والانهار التي رآها[٨٦] .

٢ ـ ٢٣ محمد بن الحسن الحاسب الكرخي ولا يعرف تاريخ وفاته اشتهر عالما رياضيا بز كل رياضيي العرب والف فيها كما انه الف في الجغرافية الطبيعية وفي استنباط المياه ومصادر المياه الباطنية[٨٧] .

٢ ـ ٢٤ ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب المعروف بالجاحظ : اشتهر بثروته الفكرية العظيمة ومنهجية دراساته التي تعتمد على المشاهدة والتعليل . لقد جعل الانسان في غالبية دراساته محورا اساسيا . عالج في اتجاه الاستيطان على انه الحيز الذي تنمو وتزدهر فيه الحضارة كما ناقش في مواضيع ضمن الجغرافية الاقليمية والمدن والاقتصاد والعمارة[٨٨].

٢ ـ ٢٥ جمال‌الدين ابو يحي زكريا بن محمد بن محمود الانصاري المتوفى عام ٦٨٢ هـ/١٢٨٣ م اعتبر من خلال مؤلفاته الجغرافية من أعلام العرب وقد ألف في الكون ووضع مصنفه الجغرافي كما ناقش مواضيع في الجغرافية الطبيعية والمناخية والنباتية والحيوانية والمعادن والاقليمية للعالم العربي الاسلامي وبعض الاقطار الاوربية •

ان من اشهر كتبه هي كتاب (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) الذي يعتبر مرجعا في الكوز موغرافيا وله تأثيره على العالم حيث ترجم الى اغلب اللغات الحية • وقد قال بدوران الارض مخالفا بذلك ما اعتقده بطليموس بثبات الارض[٨٩] •

٢ ـ ٢٦ احمد بن محمد بن عبدالرحمن الهروي • المتوفى عام ٦١١ هـ/ ١٢١٥ م رحالة وصنف ما حصل عليه برحلاته في وضع مصنفاته التي استندت على مسوحاته الميدانية • الف في اسباب البراكين وقد استفاد منه الاوربيون حيث صحح تفسيراتهم المزيجة بالخرافة كما كتب في الجغرافية الاقليمية كما فعل بالنسبة لمصر[٩٠] •

٢ ـ ٢٧ الشيخ الامام شهاب‌الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي المتوفى عام ٦٢٧هـ /١٢٢٩م كثير السفر والترحال حيث استغرق ذلك ١٦ عاما من اشهر مؤلفاته كتاب (معجم البلدان) الذي يتصف بميزات منها ترتيب مافيه من اسماء مدن ومواضع وفق الحروف الابجدية وبصورة متقنة جدا وبوصف مفصل للمالك ، وناقش الموضوع لغويا وعالج الجوانب الطبيعية والجغرافية الفلكية والاقليمية والتاريخية والبشرية • ومن اضافاته تثبيته احداثيات المدن بالنسبة للارض هيئتها وتضرسها الى جانب الجغرافية الاقتصادية • جاء كل ذلك وفق منهجية علمية ودراسة استقرائية نقدية حيث يقوم المعلومات قبل تثبيتها وبأشارة الى المصادر اينما وقع الاقتباس • وتأثر بما كتبه الحموي رواد جغرافيون وغير جغرافيين في اوربا حيث ترجمت مؤلفاته الى اكثر من لغة[٩١] •

٢ ــ ٢٨ ابو محمد موفق الدين عبداللطيف بن يوسف البغدادي المتوفى عام ٥٥٧ هـ /١١٦٢ م رحالة بالاتجاه العلمي حيث اعتماده التجربة العملية واجاد في وصفه لمصر • وكان دقيق الملاحظة والدراية في بيئة المدينة ووحداتها المكونة وبطريقة تقارب ما يجري في الدراسات المعاصرة ، حيث عالج امورا اساسية مثل كيفية اختيار موضع البيت وتحديد مساحته ورسم مخططه واختيار مواد بنائه وتحديد فضاءاته وتوفير عناصر خدماته الصحية ومستلزمات تهويته واضاءته والبنية التجارية للمدن • وقد ترجمت مؤلفاته الى اكثر من لغة(٩٢) •

الرحلة الثالثة :

٣ ــ ١ صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق بن عبدالله بن علي بن مسعود البغدادي المتوفى عام ٧٣٩ هـ اشتهر بكتابه (**مراصد الاطلاع على** اسماء الامكنة والبقاع) اريد لهذا الكتاب ان يكون مختصرا لكتاب (**معجم البلدان**) لياقوت الحموي ، ولكنه اضاف فيه في اكثر من مجال منها التأكيد على الضروري من الاسماء وضبط حركتها وتحديد مواقع الاماكن وجهاتها بالنسبة للارض ، وذكر التباعد بين المواقع كما انه حذف الاشتقاقات اللغوية الواردة لكثير من الاسماء • واستفاد من اسفاره لاصلاح بعض الاخطاء وفصل عن بعض الانهار وناقش في الجغرافية الفلكية ودرس المدن • لقد طبع هذا الكتاب اكثر من مرة في اوربا(٩٣) •

٣ ــ ٢ شهاب الدين ابو العباس احمد بن فضل الله العمري المتوفى عام ٧٤٢ هـ /١٣٤٨ م وضع كتابا مشهورا اسمه (مسالك الابصار في **ممالك** الامصار) ونشر في باريس عام ١٩٢٧ كما ترجم الى الفرنسية القسم الخاص بأفريقيا عدا مصر* •

٣ ــ ٣ الياس بن حنة الموصلي القرن الحادي عشر للهجرة (القرن السابع عشر الميلادي) رحالة وصل الى امريكا الجنوبية والوسطى مرورا بأوربا ، ناقش في مخطوطته التي كتبها على ضوء ماتوفر له من معلومات في رحلته ، جوانب يمكن اعتبارها سياحية إضافة الى احوال البلدان وتثبيت اسماء المواضع على كثرتها وطبعت المخطوطة في القاهرة واوربا(٩٤) .

منهجية المدرسة الجغرافية العربية العراقية وأصالتها :

ان اهم العوامل المساعدة على تطور ونضج المدرسة الجغرافية العربية العراقية وتأثيرها في الفكر الجغرافي العالمي هو منهجيتها التي تتمثل بجملة معالم منها :

- الامانة وتحري الحقيقة كما فعل على سبيل المثال ابن عبدالحق البغدادي الذي يسبق كلامه بكلمة (يقال) او (قيل) في حالة عدم تيقنه لموقع او اسم المكان . وفي هذا المجال فكان يؤكد على ذكر المصادر (الاسناد) التي تم الاقتباس منها كما فعل المسعودي في مؤلفاته* وابن حوقل في اكثر من مكان مثل مناقشته للصين وبحر الروم حيث يشير الى المصادر أو يبتعد عن الجزم(٩٥) .
- الواقعية في البحث حيث نفي الخرافات والتخلص من الشعوذة واستبعاد العجائب* .
- سعة الاطلاع التي دفع اليها الفضول العلمي الذي يفسر عدم اهمال المصادر المتنوعة التي قدمها السابقون(٩٦) .
- الاستنتاج من خلال الاستقراء والقياس .
- التواضع العلمي وعدم ادعاء الكمال كما فعل اليعقوبي مثلا والاعتذار عن الخلل كما فعل المسعودي .
- دقة الخطة .
- الالتزام بخطة البحث وعناصره جملة وتفصيلا(٩٧) .

- التحليل الفعلي حيث التمحيص عن الحقيقة كما فعل ثابت بن قرة مثلاً .
- سهولة الاسلوب وتقسيم وتبسيط وتوضيح معاني المصطلحات الواردة.
- تحديد اهداف البحث كما كان يفعل المسعودي وياقوت الحموي اذ يذكر المسعودي مثلا في مقدمة كتابه مروج الذهب انه سيناقش ١٣٢ باباً يذكرها .
- التأكيد على التصنيف الجيد والايجاز باللفظ .
- التأكيد على ضمان تحقيق اضافة علمية ببساطة ووضوح استكمالاً لما سبق والتأكيد على الاستزادة منها .
- الاهتمام بجانب التنوع في المعالجة مما كان ضروريا لمعرفته كما يراه أولو المعرفة والمعنيّون كما يفعل المسعودي .
- اعتماد أطر نظرية وقوانين في اكثر من حقل مثل الجغرافية الرياضية ــ الفلكية .
- الوصف الدقيق العلمي للنتائج والملاحظات وشمولية الوصف كما فعل ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان .
- المقابلة والاستجواب الاستنتاجي ويعتمد ذلك عند تعزز الاطلاع المباشر ميدانيا على الظاهرة وعند ذلك ينسب الكلام الى قائله .
- اعتماد الخرائط التي زادوا من دقتها وتفصيليتها كما فعل عدد من الجغرافيين منهم الخوارزمي وابن حوقل عندما درس الاقاليم بالاستناد على خرائط اساسية لكل منها(٩٨) .
- التعليل وتحكيم العقل والمنطق كما فعل البتاني والمسعودي وبنوموس .
- عدم الاختصار والتأكيد على تقديم اشمل واوضح الصور عما يعالجونه وذلك بدافع تقديم الاعمال المتكاملة .

- الاهتمام بالدراسات المقارنة إذ كثيرا ما تستعرض جملة آراء حول موضوع واحد ليتم الخروج بحصيلة يراها الباحث انها الصحيحة أو هي أقرب الى الصحة ويشير الى ذلك .
- متابعة تطور الظواهر كما فعل المسعودي في كتابه (التنبيه والاشراف)[99] .
- اعتماد المشاهدة والاختبار الشخصي اي الجانب التجريبي بما في ذلك الرصد الدقيق وقد فعل ذلك جغرافيون مثل اليعقوبي وابن حوقل والمسعودي القزويني الذي يؤكد على التجربة وتكرارها الى ان يتم التأكد مما يقرأه ومن رواد هذا الاتجاه ايضا ثابت بن قرة[100] مما يعتمده حاليا رواد الجغرافية المعاصرة .
- تمكن جغرافيو العراق من خلال المنهجية التي اعتمدوها في دراساتهم من تحقيق عناصر متعددة من الاصالة لمدرستهم تتمثل بما يلي : -
- أوجدوا مفاهيم جديدة في مختلف ميادين الجغرافية .
- اوجدوا حقولا جغرافية جديدة مثل علم المعادن حيث اهتموا بمعرفة صلابة ولون وشكل ومقاومة الصخور وقيمها الاقتصادية وبتمييز الفلزات وغيرها .
- اثرت الافكار الجغرافية بتقديم العديد من الافكار الجديدة .
- استوعبت وهضمت ومثلت ما قدمته المدرسة الجغرافية اليونانية التي التي كانت نظرية الطابع في غالبها الاعم .
- تفوقت على ما جاءت به المدرسة الجغرافية اليونانية وفي اكثر من حقل كالجغرافية الطبيعية والجغرافية الفلكية وهو ما اكده علماء اجانب امثال جورج سارتون مؤرخ العلوم .

- قدموا الاطر النظرية التي تسهل أمر فهم العلاقة بين الانسان ومحيطه من خلال الدراسات البيئية كما فعل الجاحظ في كتابه الحيوان .
- تحدث جغرافيو العراق عن مناطق مكتشفة من قبلهم مما لم يعرفه او يصله اليونان والرومان مثلاً بلاد ماوراء النهر وجزر المليار ومناطق غربي وشرقي افريقيا وروسيا والمجر والصين . كما فعل المسعودي وابن فضلان الذي كتب عن البلغار قرب نهر الفولغا في روسيا(١٠١) .
- ادركوا شكل الارض أدراكا حقيقيا ، إذ عرفوا كما وضح سابقا (زمن المأمون) حجم الارض وكان ذلك مما يناقض تماما نظرية روما والقسطنطينية حيث كان الاعتقاد فيها بأن الارض مسطحة(١٠٢) .
- استدرك جغرافيو العرب ومنهم جغرافيو العراق كثيرا من الاخطاء التي وقع فيها الاغريق وخاصة في درجات الطول ودوائر العرض بما في ذلك اخطاء بطليموس إذ قد طور ووسع الخوارزمي المعلومات الجغرافية في كتابه صورة الارض متفوقا على كتاب بطليموس ، كما حدث لتصحيح أو رفض معلومات خاطئة كما فعل الجاحظ في جانب الجغرافية الطبيعية في كتابه الحيوان عندما انتقد ما قاله أرسطو حول طريقة بناء بعض الطيور لأعشاشها(١٠٣) ، كما صححوا في الخارطة المأمونية الاخطاء الواردة في خرائط بطليموس ومارينوس ، وقد اعتمدت فيها الاسماء العربية(١٠٤) إن ذلك يدل على أن دراساتهم لانتاج الغير ذات صفة تقويمية ــ استقرائية .
- طوروا علم الانواء الجوية .
- وضعوا الموسوعات الجغرافية(١٠٥) .
- اسهموا في تطوير العلوم البحرية .
- طوروا ما يقابل جغرافية الاستيطان (المدن) وتقديم شروح احداثياتها وتفاصيل بنائها وخططها .

- اهتموا بالجانب العملي سواء جاء ذلك عن طريق الملاحظة المباشرة والتجريب ام من خلال انشائهم المراصد التي تم تشخيص العديد من ارصاداتها وتوظيف ذلك لتطوير المعرفة الفلكية وكذلك فقد وضعوا المعرفة الجغرافية الاقليمية لخدمة الادارة مثل البريد والاقتصاد من خلال تقسيم الاراضي وجمع الخراج .

- ومن اضافات المدرسة الجغرافية في الفلك قياس الكسوفات وميل دوائرها وتحديد مدد الدورات الفلكية ووضع الجداول الفلكية (الازياج) وتدوين احداث ظهور المذنبات وتحديد المسافات بين الاجرام سابقين بذلك اوربا التي لم يحدث بها مثل ذلك قبل عصر النهضة[١٠٦]. وقد تمكن جغرافيو العراق من ضبط عروض بعض المدن كسامراء حيث وضعت عند (٣٤١٢°) شمالا مقارنة مع التحديد المعاصر لاوپنهيم Oppenheim الذي وضعها عند دائرة عرض (٣٤١١°) و ٥ ثانية شمالا[١٠٧] .

- كما عرف العرب في العراق وبدقة حجم الارض وذلك بقياس درجة على شاطىء البحر الاحمر مما أوصلهم الى نتائج تناقض الرأي السائد في روما والقسطنطينية حيث كان المعتقد هو ان الارض مسطحة كما أشير ، هذا فيوقت كان العرب يدرسون الجغرافية في مدارسهم العامة على كرات جغرافية[١٠٨] . وفي هذا السياق قاسوا محيط الكرة الارضية ثم قاسوه على طريقة البيروني بتقدير ارتفاع الجبال بالدقائق والدرجات وصححوا خطوط الطول .

تفاعلت جملة عوامل وراء هذا التطور في مرحلتي النمو والنضج والازدهار من أهمها :

- اتساع رقعةاراضي الدولة العربية الاسلامية في القرنين الثاني والثالث للهجرة وما تطلبه ذلك من تنوع في الحاجات التي لابد ان يسبقها

مزيد من المعلومات الجغرافية • إذ لابد من ضبط الادارة والشؤون المالية •

- كما خدم تطور المعرفة الجغرافية الدولة في تقديم المعلومات الضرورية والتفصيلية عن الاقاليم الجديدة التي انضمت الى الدولة العربية الاسلامية من الجوانب الطبيعية والبشرية ، إذ لم يعد كافيا ان تعرف الاراضي القديمة حسب •

- كما ان حروب التحرير والفتح أثرت المعلومات الجغرافية •

- يضاف الى ذلك العامل الديني حيث الرحلة الى الحج وما يرافقها من نشاط تجاري وزيادة في العلاقات التجارية التي توفر بدورها مزيدا من المعرفة الجغرافية •

- ارتبط تنفيذ الفروض الدينية ومنها الصوم والصلوات الخمس بالاهتمام بالجغرافية الفلكية التي كما أشير قد تطورت كثيرا في هذه المرحلة الامر الذي يفسر الاهتمام بصنع الساعات الشمسية الافقية (البسيطة)، حيث استلزم ذلك معرفة وافية ودقيقة بخط عرض المكان المعين ، مما يتطلب قياس ظل المزولة والالمام بعمليات حسابية معينة لتحديد مواقيت الصلاة •

- إرتبطت وحدة القبلة للمسلمين بضرورة تحديدها وذلك بمعرفة خط طول وعرض Geographical Coordinates مكة المكرمة والمكان المعين الذي يراد تحديد اتجاه قبلته •

- كما كان لتشجيع الدولة التي اعتمدت الترجمة جزءاً من سياستها وخاصة بعد عهد المنصور وفي زمن المأمون دور كبير في ازدهار هذا العلم ، حيث اشترك بعض الخلفاء كالمأمون في البحث وتوفير الحرية من أجل الابداع الفكري بما فيه الجغرافي • وفي هذا السياق

ثم تأسيس اكثر من مدرسة تقوم بمهام ترجمة الكتب في العلوم المختلفة الى العربية من السريانية والهندية والاغريقية والرومانيـة مثل بيـت الحكمة في بغداد . واقامة المدارس والمراكز التخصصـية كالمدرسـة الفلكية في بغداد . التي مثلت الواحات الفكرية التي لجـأت اليهـا حضارات غير عربية لتنهل منهـا[١٠٩] .

فلم يعد التعليم مقتصرا على المساجد والقصور ، فأنشئت المدارس التي تشرف عليهـا الدولة ، كما عين لهـا ملاكها التدريسي برواتب منتظمة وكانت الجغرافية أحـد الدروس التي تدرس مـع العلـوم الدينيـة واللغوية والمنطق والحساب[١١٠] . واكثر من ذلك فقد كانت ترسـل البعثات للحصول على الكتب او ترجمتهـا او نقلها اينمـا وجـدت واحيانا شرائها الى جانب استقدام العلماء من متعددي اللغات فمـن اليونانية الى السريانية الى الفارسية الى القبطية الى الهندية .

ان كل ذلك يعكس صيغ الاحتكاك الحضاري الذي وظف العـرب نتائجه لتطوير علومهم المختلفة[١١١] .

- واهم من كل ذلك ذاتية الامة في العراق وبقية اجزاء الوطـن العربـي حيث تراكم المعرفة والعطاء الحضاري منذ فجر الحضارات ، فقد ورث العراق معارف العرب في أرض الرافدين والجزيرة والشام ومصر ممـا وظف لتطور الحضارة بأجنحتها الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية .
- يرافق ذلك الرغبة الذاتية في التنقل والترحال في مناكب الارض للتعرف على مكنوناتها على السطح وفي الباطن[١١٢] مما يفسر ازديـاد عـدد الرحالـين .
- ومما يساعد على ذلك الازدهار الاقتصادي الذي انعكس على الازدهار العلمي بما فيه الجغرافي . إذ قد انتعشت التجارة وتوسـعت آفاقهـا

مما له أثر كبير على عملية التلاقح العلمي بكل الميادين وخاصة بعد بناء بغداد حيث تنتهي وتتفرع اهم الطرق التي تصل الى انحاء العالم المعروف .

ومما يشجع على ذلك موقع العراق الذي يساعد على الاحتكاك والتفاعل الحضاري وفي مختلف مراحل تطوره .

الحقول الجغرافية :

بالرغم من شمولية وموسوعية الكتب الجغرافية التي الفت في العراق، وتداخل وتكامل وتنوع العناصر التي ناقشتها ، يمكن التوصل الى حقيقة علمية هامة وهي ان هناك حقولا او ميادين معينة ، وضعها او ابدع فيها جغرافيو العراق أو طوروها ، بما وفر بالنتيجة إرثا علميا جغرافيا رصينا تطورت من خلاله فروع الجغرافية المعاصرة ، مما شهد به الغرب والشرق كما ستظهره هذه الدراسة التي ستعالج وبأيجاز الحقول الجغرافية التالية :ـ

الجغرافية الفلكية ـ الرياضية :

يمثل الفلك والجغرافية الفلكية أحد اهم الميادين الجغرافية التي أضاف بها العراقيون سواء قبل الاسلام أو بعده . تمثلت انجازات البابليين في مجال الفلك في وضع قوائم بالكواكب والنجوم التي رصدوها وتقدير حجم الشمس والقمر وبعديها عن الارض[١١٣] ، بصورة دقيقة وتحديد مسارات حركة النجوم والكواكب وطول السنة واجزائها وتحديد عدد البروج وتسميتها وانجازات رائدة اخرى اتى اليها البحث عند علاجه مراحل تطور المدرسة الجغرافية العربية العراقية .

اما في المرحلة العربية الاسلامية وكما تمت الاشارة اليه فقد كان الاهتمام بالفلك مبكرا وذلك لاتصال علم الفلك والجغرافية الفلكية بمواقيت الصلاة والصيام والحج[١١٤] . حيث وضع جغرافيو العراق العديد من

المقالات والدراسات في شتى مواضيع الجغرافية الفلكية كالنجوم والكواكب والافلاك والازياج وحدوث الليل والنهار وسبب شروق وغروب الشمس وحساب طول السنة النجمية وارتفاع الشمس ، وحركات النجوم والكواكب والكسوف والخسوف والمذنبات والنيازك ، وعلاقة الكواكب بما يحدث بالارض والرد على المنجمين ، كما صنعوا آلات الارصاد ومنها الاسطرلاب والمراصد وقد أضاف في ذلك اغلبية جغرافيي هذه المرحلة الذين تم استعراضهم عند الكلام عن روادها •

كما تم تمييز ثلاثة انواع من الابعاد الزمنية هي الزمان الشمسي والزمان النجمي والقياس الزمني اي الوسط بين الزمان الشمسي والزمان النجمي •

واستمر تطور العطاء في مجال الجغرافية في مرحلة الازدهار لتعالج المواضيع السابقة نفسها اضافة الى مواضيع مثل سمت القبلة وحساب ميل فلك البروج وحساب طول السنة الشمسية واسباب الاختلافات بين زحل والمريخ والمشتري ودراسات في خط الاستواء ومراصد النجوم وهيئة الافلاك بطرق حسابية واشكال الفلك ومافيه من نجوم •

لقد قدم جغرافيو العراق دراسات جادة غنية بالابداعات والاضافات بصعيديها النظري والتطبيقي مثل قياس درجة خط نصف النهار (درجة الطول) لمعرفة محيط الارض • وضمن هذا الانتاج الغزير فقد تم اصلاح كثيرا من أخطاء اليونانيين مثل بطليموس • كما تم ضبط طول السنة في الاقاليم الحارة وطول الفصول الاربعة ، واستفاضوا في دراسة الافلاك وتقسيم الفلك المحيط ودورات الفلك والشمس في البروج الاثني عشر وتحسين طرق الرصد • وافلاك النجوم واسهم في كل هذه الاضافات والتطوير غالبية جغرافيي هذه المرحلة •

وفي هذا الميدان فقد اضاف العراقيون بالكم والنوع ما أقره علماء ينتمون الى حضارات اخرى • اذا اعتبروا الارض كروية متجاوزين كثيرا

ما جاء به الاغريق في هذا المجال* وقد ناقش شكل الارض العديد من الجغرافيين وفي مقدمتهم المسعودي واخوان الصفا (الرسالة الرابعة) وياقوت الحموي. لقد حدد اخوان الصفا ابعادا للارض منها ان اعظم دائرة لها تبلغ (٢٥٤٥٥ ميلا) = (٦٨٥٥ فرسخا) وقطرها (٦٥٥١ ميلا) = (٢١٦٧ فرسخا تقريبا) مقارنة مع أرقام الحموي الذي وضع القطر عند (١٢٦٣٢/٣) فرسخا ومساحة سطح الارض عند (١٤ر٧٤٤ر٢٤٢) فرسخا . وقد قام العراقيون بقياساتهم الخاصة لتقدير ابعاد الارض غير مقتنعين بما قدمه الاغريق والهنود مثال ذلك قياس طول درجة خط نصف النهار زمن المأمون وقد قاسوا محيط الارض وكان اكبر من الحقيقة بـ (٨٧٧) مترا فقط في حين كان القياس الذي اجراه ايراتوستين للدرجة اكثر من الحقيقة بـ (١٥٧٥) مترا . لقد تمكنوا من قياس الدرجة على انها (٥٦ ميلا) في حين ان بطليموس وضعها عند (٦٦ ميلا)[١١٥] . لقد أفاض المسعودي في كتابه (التنبيه والاشراف)في المعلومات الفلكية المختلفة المتعلقة بأبعاد الارض والافلاك ، ومن ناحية عملية فقد طوروا الاسطرلاب وأقاموا المراصد المتطورة في اكثر من مدينة وحددوا الاتجاهات حتى في عرض البحر معتمدين على رصد تحركات النجوم والكواكب[١١٦] التي وضع اخوان الصفا عدد الثابتة منها عند (١٠٢٢) كوكبا . اما الازياج وهي الجداول الفلكية فتؤشر انجازا نظريا وعمليا بالغ الاهمية قدمته المدرسة الجغرافية العراقية حيث يمكن بواسطتها تحديد درجات (اقواس) طول ودوائر عرض المواقع الجغرافية المختلفة وبغض النظر عن اقاليمها ، وكذلك توفر معلومات حسابية عن الكواكب بمتابعة حركتها. كما يمكن أن تحدد تحركات الكواكب والنجوم على ساعات اليوم وايام السنة ومن اشهر الازياج الزيج المأموني والزيج الصابي[١١٧] . وقد اسهم كما اشير في الابداعات والاضافات الفلكية غالبية جغرافيي العراق. فقد رصد سند بن علي المأموني (المتوفى عام ٢٢٩ هـ/٨٣٣ م) مع جماعة من الجغرافيين من جملتهم يحيى بن ابي منصور وعلي بن عيسى الاسطرلابي

شكل ١ ـ الأرقام العربية كما تظهر لأول مرة فى أوروبا فى مخطوط أسبانى يرجع تاريخه الى عام ٩٧٦ م .

نقلا عن كتاب العلوم الرياضية في الحضارة الاسلامية ، تأليف جلال شوقي وعلي عبدالله الدفاع ، جـ ١ ، ص ٥٩ .

ارتفاع القطب في برية سنجار • واثبت مع فريق العمل الذي تعاون معه ان مقدار الدرجة يعادل ٥٦ ¼ ميل ، هذا في حين يعتبر يحيى بن ابي منصور من اوائل من صنع الآلات الفلكية واستخدمها في مراصد بغداد متوصلا الى نتائج مهمة تتعلق بحركات الافلاك والخسوف والكسوف ومواقع النجوم وقد ابدع في هذه المجالات الكندي ايضا • أما الخوارزمي فقد رسم خطوط الطول ودوائر العرض معدلا ومصححاً اخطاء بطليموس ولم يكتف بذلك بل وضح كيفية العمل بالاسطرلاب •

- اثبت يوسف يعقوب الكندي أول مرة في العالم ان سطوح الماء كروية مثل سطوح اليابسة مما له اكبر الاثر في فهم كروية الارض واكثر من ذلك فقد فصل الفلك عن التنجيم •

ان الاهتمام في الجانب العملي هو الذي يفسر اسهام جغرافيون عراقيون أمثال محمد بن موسى ببناء أحد مراصد بغداد (مرصد باب الطاق) وتمكنوا من خلال الرصد تقدير انحراف سمت الشمس • ان ثروتهم المعرفية هي التي مكنتهم من تصحيح جداول بطليموس ، اما حساب ارتفاع الشمس وطول السنة الشمسية فقد قام بها ثابت بن قرة كجزء من ارصاداته الفلكية الرائدة التي مكنته من تصحيح الخطأ وتوضيح الغموض الذي وقع فيه بطليموس حول حركة نقطة الذنب للارض وقيمة الاعتدالين الصيفي والشتوي(١١٨) •

وفي (التنبيه والاشراف) للمسعودي قدمت دراسات عن جوانب فلكية مختلفة مثل دوران الافلاك والازمنة والفصول وبأضافات اصيلة(١١٩) •

كما اكملها اخوان الصفا في دراسة لاحقة عن الافلاك ودورانها وتقسيم الزمن والخسوف والكسوف ودوران الشمس •

هذا في حين تمكن ابن الهيثم من ايجاد طريقة فلكية جديدة لتعيين ارتقاب القطب او عروض المكان المراد معرفته على وجه التدقيق ومتابعة سير الكواكب .

الجغرافية الاقليمية ـ الوصفية ـ السياحية :

اضاف جغرافيو العراق كثيرا في مجال الجغرافية الاقليمية ـ الوصفية سواء قيس ذلك بكم ام نوع المعلومات مقارنة مع المعرفة الجغرافية القديمة، وقد دفع ذلك الى ضرورة توفير المعلومات الواقعية عن البلدان التي تتكون منها الدولة العربية الواسعة . عولجت في الجغرافية الاقليمية ـ الوصفية ، المدن والاقطار المختلفة بكل مكوناتها فظهرت كتب (البلدان) ومن ثم كتب (العجائب) فكتب (المسالك والممالك) التي تشكل اهم مصادر هذا اللون من الجغرافية[١٢٠] .

ان ابرز معالم الجغرافية الاقليمة العراقية وعبر مسيرة تطورها هي : ـ

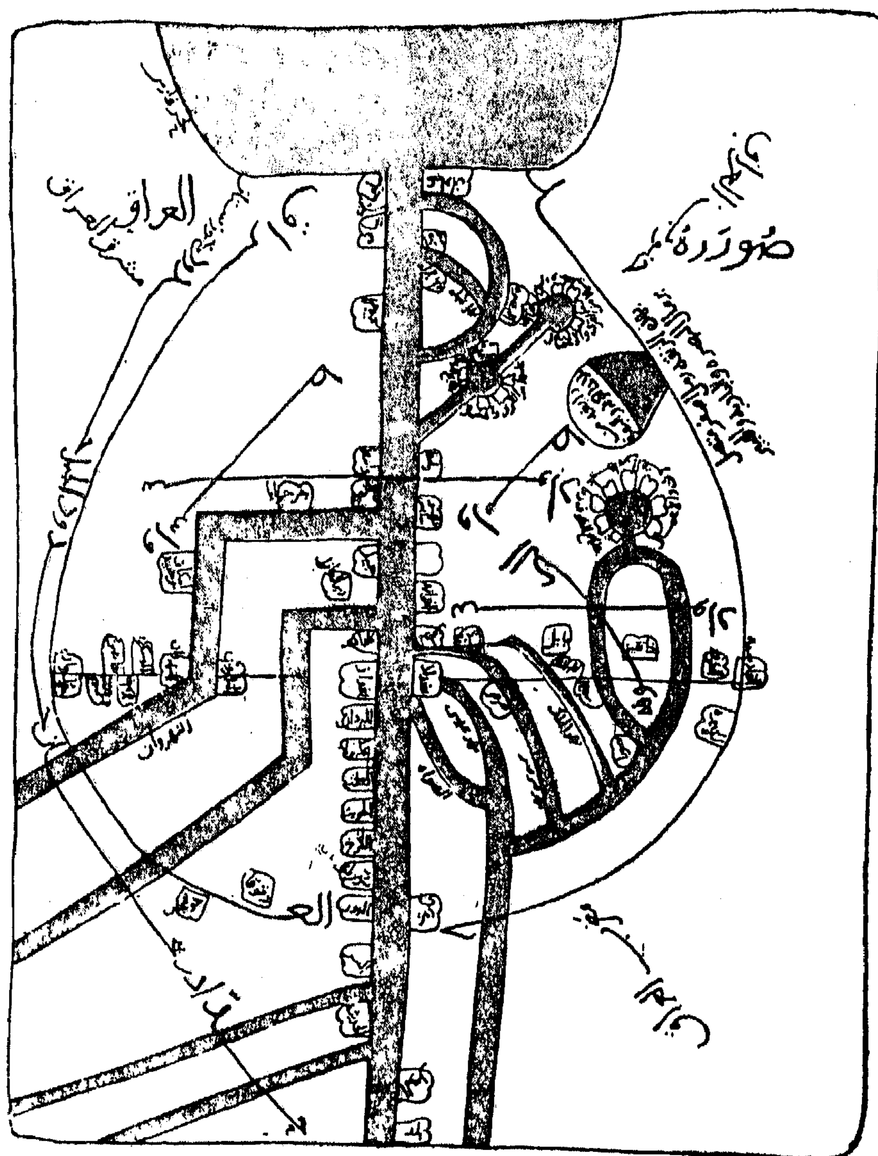
- تنوع المعلومات التي وفرتها عن العالم المعاصر والقديم ، اي عن الربع المعمور ومن ابرز من عالج ذلك المسعودي موسعا حدود الربع المعمور بما وفره من معلومات[١٢١] .
- توفير معلومات عن جهات جديدة لم يسبق ان وصلها او درسها غيرهم مثال ذلك اواسط آسيا وجنوب شرقي اسيا والهند وجزر المحيط الهندي وغربي واواسط أفريقيا وبعض جهات سايبيريا .
- تقديم معلومات سكانية انثروبولوجية شاملة عن الملبس والمأكل والاديان والطبقات الاجتماعية .
- توفير معلومات اقتصادية عن الاقليم او البلد المدروس .
- درسوا المدن ووفروا معلومات غنية عن جوانبها المختلفة من حيث النشأة والتطور والسكان والوظائف .

- عالجوا مصادر المياه في الاقليم وخاصة الأنهار .
- وفي كل ذلك فقد عدلوا وأضافوا كثيرا متفوقين على اليونانيين مستفيدين من الارث المعرفي الذي ورثوه مثال ذلك ان ابن حوقل اعتبر بحر الخزر بحيرة مغلقة ووضح بدقة المعلومات اليونانية المتسوشة عن دواخل قارة اسيا ، وهو ما فعله اليعقوبي عن افريقيا[١٢١]. لقد طور العراقيون مفاهيم الجغرافية الاقليمية مستفيدين الى حد بعيد من الخارطة كما فعل ابن حوقل في كتابه (صورة الارض) الذي يعتبر بحق مبتدع الخرائط الاقليمية . شكل رقم (٢)

لقد تمكن ابن حوقل من تحديد الحيز المكاني الذي يشغله كل اقليم مما يشكل تطويرا نوعيا كما ظهر في الكتب السابقة وهي في غالبها عن (المسالك والممالك) فأصبحت المادة مغطية لارض وسكان واقتصاد الاقليم كما ظهر بكتب ابن حوقل او معالجة بلدان معينة كما فعل عبداللطيف البغدادي في دراسته لمصر أو معالجة العالم العربي الاسلامي كما فعل المسعودي في (مروج الذهب) وياقوت الحموي في (معجم البلدان) .

واكثر من ذلك فقد تجاوز جغرافيو العراق المفهوم الشرقي للاقليم المتكون من سبعة اقاليم على شكل سبعة دوائر . كما انهم لم يتفقوا والطريقة اليونانية في تقسيم العالم الى سبعة اقاليم مركزها الاقليم الرابع الذي فيه العراق .

لقد طوروا مفهوما للاقاليم السبعة على هيئة انطقة متوازية تمتد من الشرق الى الغرب وفق معيار طول ساعات النهار حيث يختلف كل اقليم عن الاخر بعدد ساعات النهار والليل فيه إذ يبدأ الاقليم الاول بحوالي درجة عرض ١٦° جنوبا وينتهي الاقليم السابع بحوالي درجة عرض ٦٣° شمالاً وهو ما أخذ به سهراب الى حد كبير . شكل رقم (٣) .



صورة العراق

بالاضافة الى ذلك فقد تعتمد معايير ادارية او سياسية او طبيعية لتحديد الاقليم وهو ما يمثل اعلى درجات التطور وقتذاك متجاوزين تقليدية المعالجات السابقة التي تعتمد قوالب مسبقة متفقاً عليها .

كما قال جغرافيو العراق كالمسعودي بعدم ثبوت مواقع البحار[١٢٢] اذ لا يبقى موضع البحر بحرا ابدا بل قد يكون برا حيث كان مرة بحرا، وفي هذا السياق تتحول السهول الى صحارى والصحارى الى أراضٍ زراعية[١٢٣] .

ومن أجل تأشير بعض من ابداعات وانجازات جغرافيي العراق في الجغرافية الاقليمية نشير الى ان الخوارزمي قد عين كثيرا من الاماكن والاقاليم الجغرافية المكونة للدولة العربية الاسلامية وطور نظاما أقليميا لم يكن يعرفه بطليموس[١٢٤] . كما اكدوا على الجانب العملي حيث ربطوا المعرفة النظرية بالتطبيق العملي لتطوير الادارة والاقتصاد كما فعل ابن خروازيه في كتابه (الخراج وصنعة الكتاب) اذ قسمت الدولة العربية الاسلامية الى آقاليم معينة[١٢٤] . وفرت المعلومات السكانية عن كل منها وبما يخدم تطويرها اقتصاديا وأداريا .

وفي هذا المجال فقد وضح البتاني اثر الظواهر الفلكية على عناصر المناخ مثل حركات الرياح واختلافها[١٢٥] مما يؤثر في الانسان وانشطته .

وكذلك فصل اخوان الصفا بدراسة معادن ومناخات ومصادر المياه في كل أقليم .

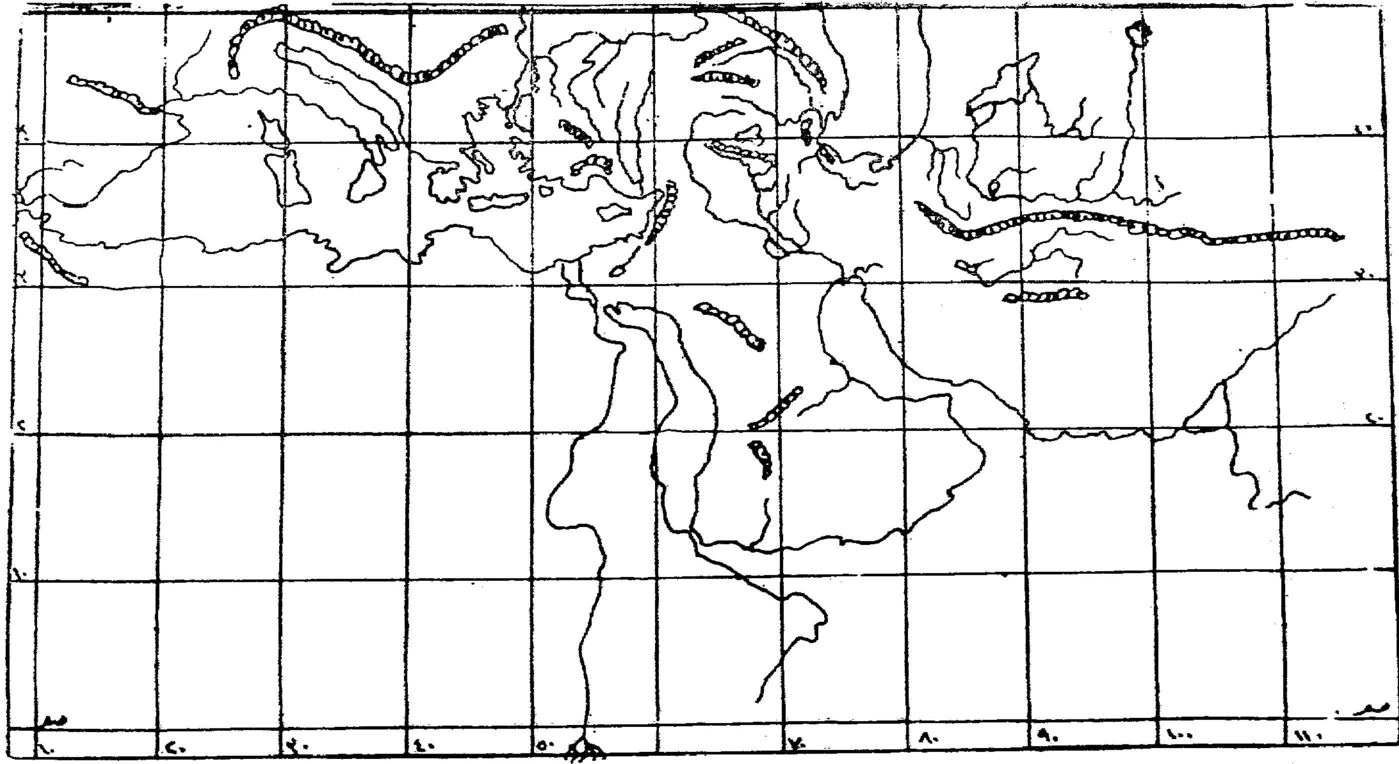
اما ابن حوقل فقد ناقش الاقاليم بما ارسى من معالم الجغرافية الاقليمية ، مفصلا عن المستقرات البشرية كما سيظهر لاحقا دارسا للمراحل بين البلدان مقاسة بوحدة الزمن .

وفي انجازاتهم في مجال الجغرافية الاقليمية فقد ترك جغرافيو العراق من الرحالين ثروة معلوماتية كبيرة في مجال مايعرف بالجغرافية السياحية

مسطرة الارض مقسومة مائة وعشرة

ك ن ى ك ل م ر س ع ف ص

الافق المشرق



شكل ٤ – الصورة المأمونية (عن ابراهيم شوكت)

هذه صورة الشام
نواحي ديار العرب والبادية
جبل اللكام
نواحي بلد الروم
جبل لبنان
جبل السماق
جبل بهرا
نهر الفرات
مشرق الشام
حد الشام
جنوب الشام
بحر القلزم
مغرب الشام
نواحي مصر
جبل طور سينا
تيه بني اسرائيل

حاليا • وكان مصدر المعرفة السياحية الرحلات المتنوعة برا وبحرا وما توفره لهم من اطلاع على الاقوام في مختلف البلدان وطرز حياتهم والتفاصيل الاثنوغرافية وعمرانهم وآثارهم اذ شكلت الرحلات بأنواعها اهم مصدر للمعرفة الجغرافية وتنميتها • إن ادب الرحلات في كثير منه ، ادب سياحة حيث مشاهداتهم التي تظهرها نتائجها بطريقة علمية كما تظهره كتب البلدانيات التي يمكن اعتبار قسم منها دليل إرشاد للمسافرين ، كما تسترشد بها اجهزة الدولة الادارية والاقتصادية لاداء مهامها في تقسيم الاراضي وجباية الضرائب كالخراج كما اشير •

ان توضيح المسافات بين المستقرات والبلدان تجعل تلك الكتب مشابهة لادلة السياحة المعاصرة وتمتد هذه المعرفة لتغطي ليس البلاد العربية حسب بل العالم المعروف وقتذاك • ويتصف الادب السياحي في الجغرافية العراقية بالوصف التفصيلي للبلدان بكل عناصرها الاقليمية وكذلك وصف المستقرات البشرية الجغرافية •

إن من اشهر الرحالين الذين كان لمخطوطاتهم اهميتها في توفير المادة الجغرافية السياحية التي استقى منها الغرب ومازال حتى الآن اليعقوبي الذي كان للمشاهدة والدراسة الميدانية دورها في معلوماته السياحية الثمينة عن البلدان التي كتب عنها • وكذلك المسعودي وابن فضلان وابن حوقل والثلاثة الاخيرون ظهروا في مرحلة ازدهار المدرسة الجغرافية العراقية ، وعبداللطيف البغدادي والحموي والهروي •

إن الثروة في المعرفة السياحية عن البلدان طبيعيا وبشريا وأقتصاديا وعمرانيا وأقليميا يمكن ان يفيد كأساس تستند عليه البيانات السياحية المعاصرة • كما مثلت الخرائط التي اعدها الجغرافيون العراقيون ادلة ومادة سياحية متقدمة ومبكرة ايضا مثل خارطة الخوارزمي في النصف الاول من القرن الرابع للهجرة التاسع للميلاد[١٢٦] شكل رقم (٤) وكذلك خرائط

الاقاليم المكونة للعالم العربي الاسلامي التي وضعها ابـن حوقـل شـكل رقم (٥) • كما استعين بالمعلومات الجغرافية السياحية من قبل بعض الدول عند وضعهم ادلة بلدانهم السياحية المعاصرة •

تفاعلت عدة عوامل وراء انتعاش وازدهـار الادب السـياحي (ادب الرحلات) منها العامل الديني حيث فريضة الحـج والنشـاط التجـاري والاحتكاك الحضاري مع الامم الاخرى واتسـاع رقعـة الارض العربيـة الاسلامية وطلب العلم على مستوى الفرد والمؤسسات اضافة الى عمليـات الفتوح والتحرير التي تعود الى زمـن سرجون الاكـدي والتي جودهـا العراقيون زمـن الاسـلام •

الجغرافيـة الطبيعيـة :

عالج جغرافيو العراق مختلف عناصر الجغرافية الطبيعية ، لقد درسوا المظاهر التضاريسية بتفصيل ودقة ومن جملة المظاهـر التي جلبت انتباههم الجبال والصخور والشعاب والاودية والانهار والسواحل وباطـن الارض سواء في البلدان والاقاليم ، ومن اوائل الذين اثـروا المعرفـة الجغرافيـة الطبيعية عن التضاريس أو اشكال سطح الارض (جيمورفولوجيا) هـو ابن حوقل حيث ناقش السهول والجبال والصحارى ووضح ذلك على اكثر من خريطة من خرائطـه •

في حين ناقش اخوان الصفا في رسـائلهم (الجسمانيات الطبيعيات) عوامل التعرية واستعرضوا تاريخ طبقات الارض وتكوين السهول كما لـم يهملوا الحركات الارضية الخارجية والباطنية وشاركهم في ذلك المسعودي ايضـاً •

اما في مجال الانهار فقد تمت معالجة انهار العالم المسكون وقتذاك بما تمتلك من روافد وفروع مع تحديد امتداداتها بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض كما حدث لدراسة انهار العراق في كتاب سهراب* •

كما قدم جغرافيو العراق دراسات عن المناخ بعناصره المختلفة كالرياح والتساقط والحرارة ، موجودين اقاليم حرارية معينة ، وربطوا بين نوع المناخ السائد وسكنى الناس فيه حيث اعتبروا ان المنطقة الاستوائية غير مسكونة بفعل الحرارة والمنطقة القطبية غير مسكونة ايضا بسبب انخفاض الحرارة (البرودة) فيها وفي هذه المعلومات فقد استفادوا من المعلومات المناخية التي تركها سكان العراق القدماء كالبابليين الذين ادركوا ان أشعة الشمس وزوايا سقوطها على الارض هي المسؤولة بالدرجة الرئيسة عن توزيع الحرارة على الكرة الارضية وهو ما ذكره اخوان الصفا ايضا[١٢٧] .

يعتبر اليعقوبي في كتابه (كتاب البلدان) من طلائع الجغرافيين الذين عالجوا المناخ مقارنة مع ابن خرداذبة الذي تطرق الى المناخ بينما أفاض المسعودي واخوان الصفا في معالجة المناخ عناصر وعوامل مؤثرة وطبقات الهواء وتأثير المناخ على الانسان بيولوجيا وناقش انتقال الشمس الظاهري بين السرطان والجدي[١٢٨] .

ومن جملة العوامل المؤثرة على المناخ التي ناقشوها هي اطوال ميلان اشعة الشمس وتباين التضاريس وتوزيع الماء واليابس والموقع العرضي واكثر من ذلك فقد درست طبقات الهواء مقاربين الصيغة المعاصرة لدراستها حيث توصلوا الى وجود طبقة الاثير (العليا) والزمهرير (الوسطى) والنسيم (السفلى) .

لقد أبدع كثير من رواد المدرسة الجغرافية العراقية في مجال الجغرافية الطبيعية مثال ذلك اثبات الكندي ان قسما من غازات الهواء تعكس الحرارة ولا تدعها تصل الى الارض واضافاته المتنوعة في دراساته الطوبوغرافية[١٢٩] .

كما وفروا اضافات في الكشف عن تأثيرات الجو في الكائنات الحية حيوانية ونباتية كما فعل ابو العباس الفضل النيريزي الذي صحح اغلاطا كثيرة لليونانيين[١٣٠] والمسعودي الذي وضح بالاضافة الى ذلك

ان هناك نوعا من الرياح الدائمية والمحلية . أكمل هذه الانجازات اخـوان الصفا في الرسالة الرابعة حيث درسوا الجو وحوادثـه وتغـيرات الهـواء وتصاريف الرياح والغيوم والتساقط* والبـرق والرعـد وهـو ما فعلـه القزويني . اما الكندي والمسعودي فقد اثبتا (كما اشير) ان الارض كروية بدليل وبرهان عقلي اذ قال المسعودي ان الشمس اذا غابـت في جزائـر الاقيانوس كان طلوعها في اقصى الصين وذلك نصف دائرة الارض(١٣١) .

ـ كما وفر جغرافيو العراق مادة علمية عن المعادن وانواعها ومواصفاتها وتكونها ، وأضافوا كما فعل الكرخي بدراسته للمياه الجوفية وكيفية معرفتها وطرق الاستفادة منهـا(١٣٢) .

وضمن الجغرافية الطبيعية قدم جغرافيو العراق ما يشكل الاسـاس لما يعرف بالجغرافية البحرية في الوقت الحاضر .

تكشف الآثار السومرية التي ترجع الى الالف الثالث قبل الميلاد عـن علاقات تجارية كانت قائمة بين بلاد الرافدين وبقية اجزاء الارض العربيـة مثل الجزيرة العربية ودلمون حيث الاتصال عن طريق الخليج العربي والبحر العربي ومـن ثم الى ارض الرافدين واستمر ذلك زمن البابليين(١٣٣) ممـا وفر معلومات أثرت المراحل اللاحقة للمدرسة الجغرافية العراقية .

يذكر ابن خرداذبة أن الجغرافيين العرب عموما بما فيهـم العراقيـون كانوا على اطلاع ومعرفة بخرائط للمحيـط الهندي وقـد اسـتفاد منهـا البرتغاليون في رحلاتهـم .

ان من يستعرض كتاب (صورة الارض) لابن حوقل سيجد انه تطرق الى تمييز ملوحة البحار والتباين في كثافاتها ، كما تطرق الى اعماق البحـار وصلاحية كل منها الى الملاحة وعلاقة المد والجزر بالنسبة للملاحـة ، وحدد المناطق التي يكثر فيها المرجان واللؤلؤ(١٣٤) .

وكذلك قد فعل المسعودي بكتابيه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) و (التنبيه والاشراف) على ضوء رحلاته المتعددة التي وصل فيها الى الهند ومدغشقر وسرنديب (سيرلانكا) والى سواحل عمان . لقد ناقش الرياح السائدة ومنها الموسمية وامكانية الاستفادة منها في الملاحة ، هذا الى جانب توضيحه بأهمية متابعة توقيت واتجاهات الرياح لكي تحدد مواعيد اقلاع السفن وبالاتجاهات المختلفة وقدم تفصيلات اكثر حدد من خلالها حتى المدة الزمنية التي تستغرقها الرحلة ، فباعتماد الرياح الموسمية يمكن للسفينة الوصول الى الهند من مسقط بمدة شهر ، تواصل بعدها الرحلة بالاستفادة من رياح موسمية اخرى هي الجنوبية (الصينية) ، اما العودة فتتزامن مع هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية من الصين والرياح الجنوبية الغربية الى الجزيرة العربية . وقد كانت الرحلة من الصين واليها بالبحر تستغرق مدة سنة . وقد ناقش مواصفات مياه البحار المغلقة وتباين كثافات مياه البحار حيث وضح بأن كثافة البحر الميت عالية وكذلك ملوحته مما يحول دون وجود الحياة فيه . ودرس دورة التعرية البحرية واشار الى التبخر وانواع التكاثف وكذلك الكائنات الحية في البحار ، اضافة الى تعرضه لحيوانات البحر بما فيها الاسماك وعالج تباين الاعماق ومنافع الاملاح(١٣٥) .

ومن معالم تطور الملاحة العراقية هو ازدهار البصرة والخليج العربي من خلال تنامي حجم التبادل التجاري على مستوى اقليمي وعالمي .

حقل المستقرات البشرية الحضرية :

غطى جغرافيو العراق موضوع المدن بأبداع تحقق من خلال المنهجية التي اعتمدوها والدراسة الميدانية وبصيغة شمولية مطلعين على ما توفر من مصادر مشخصين بطريقة علمية واعية عوامل قيام المستقرات البشرية الحضرية ومواضعها ومواقعها وبنياتها الوظيفية ومخططاتها وتشكيلها

العمراني وأقاليم المدن ورتبها وبأضافات اغنت الجانبين النظري والعملي وبتأثيرات مقرة على العالم •

فبالنسبة لنشأة المدن وتطورها ابدع وتوسع كل من ابن حوقل وياقوت الحموي والخطيب البغدادي(١٣٦) والسيرافي البغدادي وابن فضل‌الله العمري • وقد تمت معالجة الموضوع بكل مقوماته تحت السطحية والتضاريسية والمناخية ومصادر المياه والتربة والنبات الطبيعي مما مهد لحسن اختيار مواضع المدن وهو ما فعله كل من البلاذري وياقوت الحموي وابن حوقل واليعقوبي(١٣٧) • هذا الى جانب الموقع الذي استوعب كعلاقات مكانية بأبعاد محلية واقليمية وقومية وعالمية تؤثر في ازدهار المدينة او انكماشها حسب المتغيرات المؤثرة بسهولة الوصول مما ناقشه وبعمق ابن حوقل وعبداللطيف البغدادي والمسعودي(١٣٨) • الى جانب اليعقوبي والحموي • وعولجت البنية الوظيفية للمدن ودورها في تطورها وقد شخص ذلك من قبل جغرافيين رواد امثال ابن حوقل والحموي والمسعودي واخوان الصفا ، متطرقين الى مختلف استعمالات الارض واهميتها في نمو المدن وتشكيلها العمراني التخطيطي(١٣٩) ضاربين امثلة على مدن عربية متعددة • واعطي وزن خاص لتخطيط المدن في الدراسات الجغرافية العربية العراقية حيث حددت مواقع استعمالات الارض المختلفة مما يشبه التنطيق الوظيفي المعاصر وكذلك تحديد اماكن الابنية العامة وانظمة الطرق التي تربط بين اجزاء المدينة ، وهو ما فعله الجغرافيون الرواد امثال ابن حوقل والمسعودي والحموي واليعقوبي موضحين أهمية الكفاءة الوظيفية والانسجام البيئي بشكل او آخر •

اضافة الى ذلك فقد درس الجغرافيون مراحل نمو المدينة وبالاستناد على عناصر متفاعلة تتمثل بأستعمالات الارض وانظمة الشوارع والبناء وكثافة ومواد بناء مما يؤشر مستوى متقدما من الادراك وهو ما اكد من قبل كتاب اجانب(١٤٠) • واستكمالا لدراسة المستقرات الحضرية فقد نال

الاقليم اهمية من دراسات جغرافيي العراق حيث كشفوا عن العلاقة العضوية بين المدينة واقليمها مما يؤثر بصيغة متفاعلة في كل منهمـــا • يحـــدد ذلـــك مرتبة المدينة او مركزيتها المرتبطة بعامل سهولة الوصول واكثر من ذلك فقد اكتشفوا مراتب الاقاليم • وامتدت دراسات المراتب لتشـــمل المســـتقرات البشرية الريفية ايضا مما يدل على استيعاب تام للمتغيرات المؤثرة في تحديد الرتب المختلفة لهـــا[١٤١] •

علـم الخرائـط والمساحة :

على ضوء الادلة والوثائق الاثارية المحدودة يظهر ان هنـــاك جذورا لعلم الخرائط تعود الى زمن البابليين الذين تمكنوا من وضع اقدم خارطة للعالـــم ، وانجـــز البابليون أول خارطة طوبوغرافية في التاريـــخ الحضاري للبشرية (٣٥٠٠ ق•م) وضحت عليها الحقول الزراعية وشبكات الري الى جانب المستقرات البشرية والطرق • ومع الانقطاع في المعلومات الاثارية فقد وجدت خارطة في منطقة كركوك تعود الى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد حدد عليها الاتجاهات الجغرافية الاربعة الرئيسة[١٤٢] • وقد ساعد البابليون على انجاز خرائطهم تطور معارفهم واضافاتهم الجغرافية بما فيها الفلكية •

اما في مجالات المساحة فقد عرض الانسان في العراق زمـــن السومريين والبابليين كيفية قياس الابعاد (المساحات) السطحية للاشكال الهندســـية كالمربع والمستطيل والمثلث كما توضحها خرائط الكادسترو الثلاث ، الاولى اكتشفت بين آثار مدينة اومة السومرية غربي بلـــدة الشـــطرة الحاليـــة ، والثانية لحقل زراعي فرز الى اجزاء هندسية الشكل عثر عليها ضمن آثـــار مدينة لكش السومرية شمال شرقي الشطرة ، والثالثة لنمط من انماط ري الحقل الزراعي على ضفة نهر بابل (اراهتو)[١٤٣] • شكل رقم (٦)

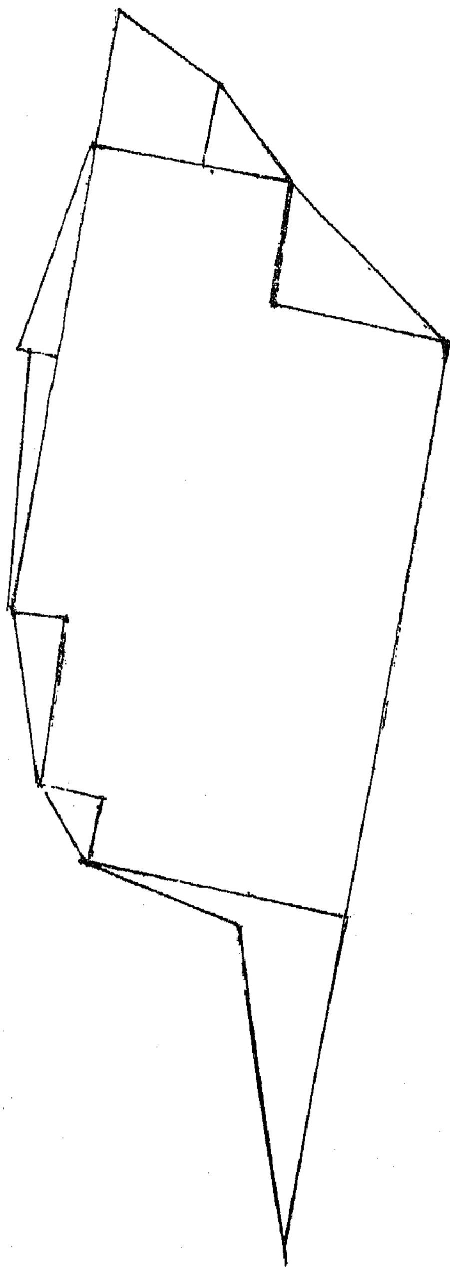
أما في المرحلة العربية الاسلامية فيمكن القول إن علم الخرائط والمساحة قد واكب مراحل تطور المدرسة الجغرافية العربية العراقية في مراحلها المختلفة اذ قد وظفت المعلومات الجغرافية بما فيها الازياج (الجداول الفلكية) لتطوير الخرائط ففي المرحلة الاولى تطورت خرائط تدل على ابداع واستيعاب واضعيها وتطويرهم واضافتهم وتصحيحهم لما قدمه اليونانيون اذ كان واضعو الخرائط وهم بالدرجة الرئيسة جغرافيون لا يترددون في الاطلاع على ما قدمه معاصروهم أو من سبقهم بدافع تطوير ما يقومون به •

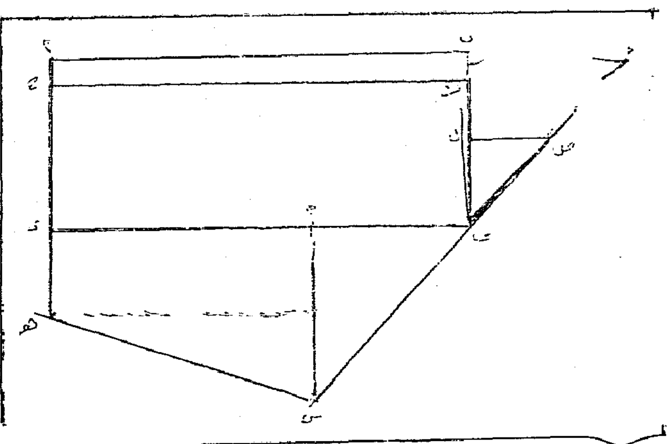
ومن الانجازات في العراق في هذه المرحلة هو اعداد خارطة للديلم زمن الحجاج مما يشكل بواكير الخرائط العراقية زمن الاسلام كما رسمت خارطة بخارى التي تمت الاشارة اليها •

وكما اشير في مجال سابق تم قياس درجة من محيط الارض وذلك من قبل فريق عمل منهم الخوارزمي واولاد موسى •

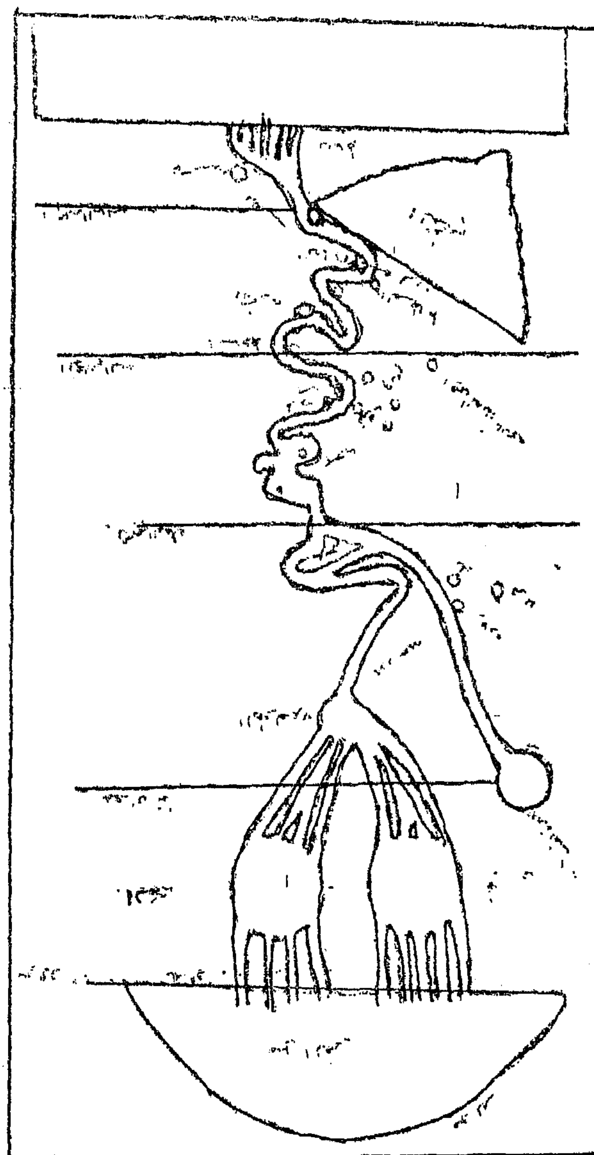
لقد ابدع الخوارزمي في مجال الخرائط بتقسيمه العالم المغمور وقتذاك الى سبعة اقاليم عرضانية تسير مع امتداد خطوط العرض وعينت على اساس طول النهار صيفا والفرق بين اقليم واخر نصف ساعة ، حين تزداد ساعات النهار مع التقدم شمالا ويمثل ذلك تعديلا لاقاليم العالم السبعة التي تأخذ شكل دوائر تتوسطها بابل •

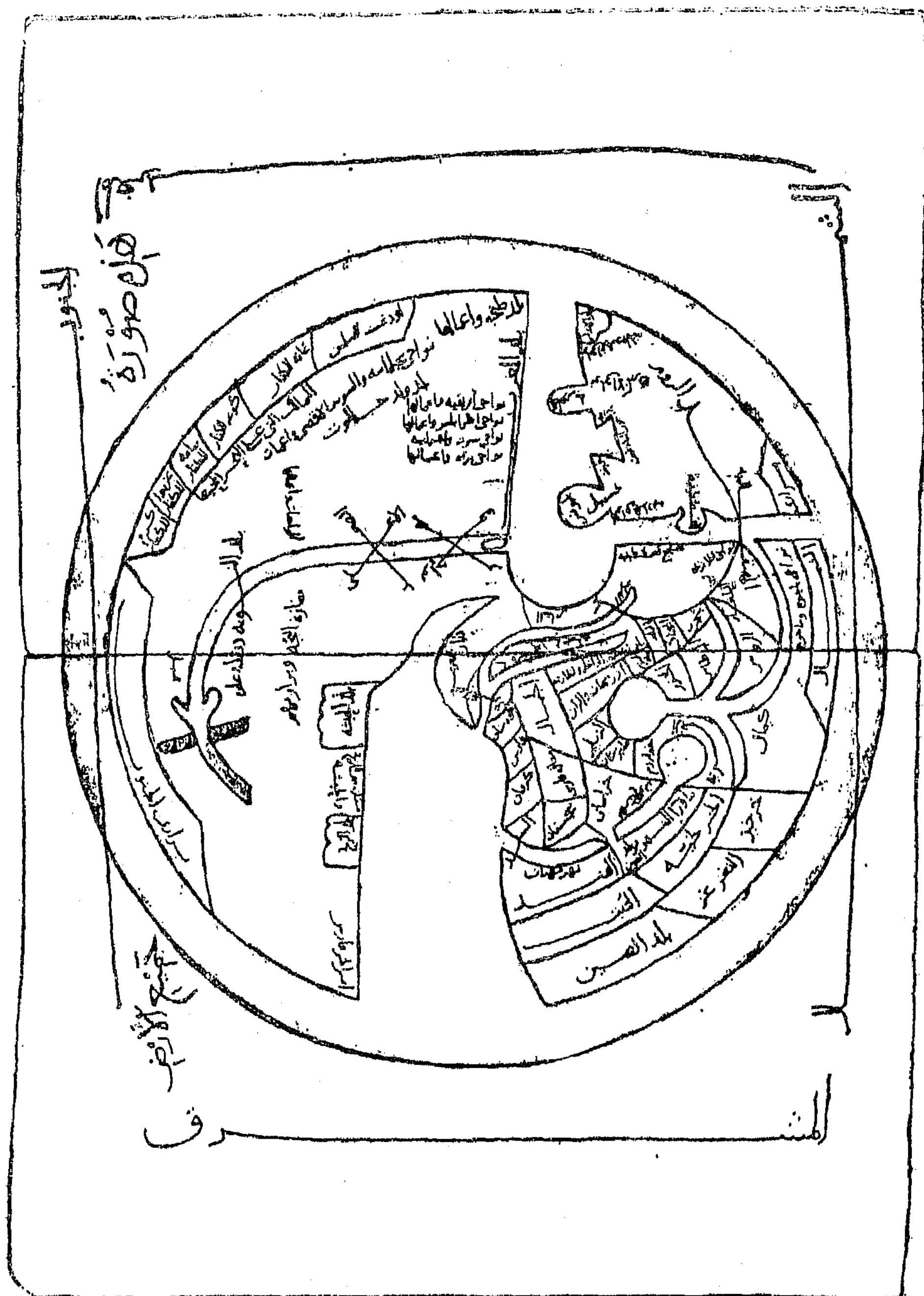
ومن ابداعات الخوارزمي في كتابه صورة الارض استعماله المسقط الاسطواني البسيط بالاشتراك مع صانعي الخريطة المأمونية حيث تتوازى فيه خطوط الطول وكذلك درجات العرض ، اضافة الى دقة خرائطه كما في خارطة وادي النيل واستعماله للتلوين •





شكل رقم (٦) ط





شكل ٨ ـ صورة عموم الارض لابن حوقل

وتعتبر الخارطة المأمونية اول خارطة عربية تستند في معلوماتهـا على نتائج الارصادات الفلكية وما طور من ازياج وبذلك تصحيح لاخطاء يونانية كثيرة في خرائطهم (خرائط بطليموس) التي تعالج اوربا بالدرجة الرئيسة •

تمثل الخارطة المأمونية ابداعا وشمولية ودقـة في تثبيـت المعلومـات الجغرافية عن المدن والاقطار المعروفة ، لقد بدأ خـط الصفر في الخارطـة المأمـونيـة مـن السـاحل الافريقـي لينتهـي عنـد خط ١٨٠° شـرق الصين (شـكل رقـم ٧) • وقـد وضـعت خارطـة واستمر التطور في علم الخرائط على يد ابن يونس بالتعاون مـع آخرين في المرحلة اللاحقة (مرحلة النضج والازدهار) من اجراء تعديلات على الخريطة المأمونية وبالاستفادة من نتائج الارصـادات • وقـد وضـعت خارطـة (صورة) للبطيحة بدافع تنظيم الري زمـن المنصور[١٤٤] • حدث في هذه المرحلة تطور نوعي وكمي لعلم الخرائط التي اصبحت في حـالات معينـة جزءاً من المتن والتي اقتربت في عدد من الجوانب مـن مواصفات الخرائط المعاصرة • وتمثل خرائط (اطلس الاسلام) والبالغة (٢١) خريطة للعالـم واجزائه ، اهم انتاج لهذه المرحلة حيث الاهتمام بالجانب الاقليمي • لقـد فاقت الخرائط في هذه المرحلة في جودتها وتفاصيلها كثيرا خرائط اليونانيين ممثلة بخرائط بطليموس ، وقد غطت هذه الخرائط أقاليم الدولة العربيـة الاسلامية التي عاصمتها بغداد وبما يتفق والتقسيم الجغرافي الجديد الذي اوجده هؤلاء مخالفين بذلك التقسيم السياسي التقليدي للمعمورة •

ان اهم عامل لتطور علم المساحة ورسم الخرائط هو الثروة المعرفيـة الجغرافية المتنامية التي طورها وكونها العرب • وتمكن جغرافيو العراق في هذه المرحلة من انجاح تحويل السطوح الكرويـة الـى سـطوح مسـتوية وذلك بأسـتخدام المسـقط •

وقدم البتاني في هذه المرحلة خرائط فلكيـة متقدمـة بالاعتماد على الازياج لدوائر العرض ودرجات الطول •

ان أبرز من اسهم في تطوير خرائط هذه المرحلة اضافة الى المسعودي وابن حوقل في مؤلفاتهما الوصفية والاقليمية هو زكريا القزويني الذي رسم خريطة مستديرة للعالم وصورا وخرائط اخرى للكعبة والمسجد الحرام حولها وصورة مدينة تنيس في بحيرتها (بحيرة المنزلة) والقسطنطينية ومدينة قزوين ان البدء بخريطة للعالم شكل رقم (٨) تليها في ذلك خرائط أقاليم العالم العربي الاسلامي كما فعل ابن حوقل يدل على منهجية متقدمة في المعالجة كما حدث في اطلس الاسلام •

ـ ومن معالم التطور في خرائط هذه المرحلة عدم اعتماد الاقاليم السبعة التقليدية •

وجعل الخرائط جزءا اساسيا من المتن تدور معلوماته عنها وحولها كما ذكر سابقا مما يجري في الخرائط او الكتب الجغرافية المعاصرة •

ـ وازداد ثراء الخرائط بالمعلومات عن المستقرات البشرية وخاصة الحضرية والطرق والمراحل اضافة الى المعلومات الطبيعية بما فيها تفاصيل عن مجاري الانهار • واستخدمت الالوان ربما أول مرة •

ـ اما الترميز للظواهر الطبيعية والبشرية المختلفة فقد تطور اصلاحيا وعمليا كما فعل ابن حوقل في خرائطه بكتابه (صورة الارض) ، ولم تعتمد الصور والرسومات (للحيوانات والناس) والزخرفة والتزويق التي تظهر في خرائط العصور الوسطى الاوربية[١٤٥] •

استمر التطور ممثلا في ابداعات معينة منها صناعة الكرة الارضية البرونزية كالتي اعدها ابو هلا الموصلي عام ١٢٧٥ م •

ان من عوامل الابداع في مجال الخرائط هو الاطلاع على جهود الغير (مترجما أو باللغات الاصلية) ، اضافة الى وصول معرفة واعداد الازياج الى الذروة عند العراقيين اضافة الى الثروة الهائلة في المعرفة الجغرافية العامة التي

وظفت وخاصة المعرفة الفلكية الرياضية منها لتطوير علم الخرائط . يتفاعل مع ذلك اعتماد منهجية متطورة في رسم الخرائط التي تعتمد تقويم الجهود السابقة في مجال الخرائط نقديا وتوظيف نتائج الدراسة الميدانية لذلك[١٤٦] .

تأثير المدرسة الجغرافية العربية العراقية على الفكر الجغرافي العالمي :

لابد من التوضيح هنا الى ان تأثير المدرسة الجغرافية العربية العراقية على العالم جاء اما متزامنا مع تطورها أو غير متزامن ، وفي الحالة الثانية اما ان تكون الهوة الزمنية بسيطة أو كبيرة . وفي الحالتين فقد جاءت التأثيرات عبر قنوات مختلفة وبأبعاد متباينة في العمق والافق ، وبهذا يتفاعل متغيرا الزمان والمكان فيحددان شبكة التأثيرات التي من خلالها تركت المدرسة الجغرافية العربية العراقية اضافاتها على الفكر الجغرافي العالمي وخاصة في اوربا التي لولا العرب لتأخرت نهضتها عدة قرون كما يذكر العالم ليبري Libri . ومن اجل تسهيل متابعة التأثير هذا فسيصنف الى المراحل الرئيسة الثلاث التي اعتمدتها هذه الدراسة .

وهنا لابد من الاشارة الى ان تقسيم هذه المراحل لا يعني بالضرورة ان التأثير جاء ضمن الحدود الزمنية لكل مرحلة ، وان كان من المفروض ان يكون ذلك . يعود السبب لذلك هو أن الكشف عن التأثير لم يظهر الا بتاريخ متأخر رافق عصر النهضة الاوربية . وبمعنى آخر انه من الممكن اثراء ما ستأتي به هذه الدراسة بهذا الخصوص على ضوء التنقيبات التي ندعو الى دعمها بالعمق الزماني والشمولية المكانية ، وكذلك مسح المصادر التاريخية والادبية والآثار الشعرية والروايات والمصادر الاقتصادية والمصنفات الفلسفية والجغرافية والنباتية والمعاجم والمخطوطات والخرائط والوثائق ، مما يتناثر على مكتبات ومتاحف ومؤسسات العالم شرقه وغربه مما سيوفر الضياء الكافي لانارة الدرب وتوضيح التأثير الفعلي بكل ثقله ليس في المجال

الجغرافي حسب بل في الميادين العلمية والحضارية المختلفة • وبذلك فسيتم استعراض تأثير المدرسة الجغرافية العربية العراقية في كل مرحلة حتى لو جاء الكشف عن هذا التأثير متأخرا بزمن يقصر او يطول •

المرحلـة الاولـى :

انها لحقيقة ملموسة الان كما كانت سابقا ، هي ان الاغريق والرومان قد اقتبسوا وتعلموا في أكثر من ميدان مـن ميادين المعرفـة الجغرافية التي ابدعها العراق زمن السومرين والبابليين وخاصة العلـوم الفلكية والعمارة والتخطيط يضاف الى ذلك تأثير المدرسة الجغرافية العربيـة العراقيـة في المرحلتين اللاحقتين ، مما يوضح كيف ان النهضة الغربية المعاصرة تدين الى الحضارة العربية وأضافتها بما فيه الفكر الجغرافي •

ان من يستقرىء مقومات الحضارة الاغريقية التي تبلورت في الفتـرة من ١١٠٠ ــ ٦٥٠ ق•م يتضح له انها قد استقت من الحضارات التي نشأت في الوطن العربي بما فيه وادي الرافدين ، بما في ذلك حضارة حلف ، ذلـك ان العراق قد طور علاقات مختلفة مع جزيرة كريت التي تكونت منها الحضارة (المنية)***** وقد امتدت فترة ازدهار العلاقة مـع كريت للفترة مـن ٢٠٠٠ ــ ١٤٠٠ ق•م(١٤٧) •

ان ترتيب بنايات بعض القصور في كريت حيث وجود الساحة الوسطية يدل على انهم استقوا هذا العنصر العماري من العراق واجزاء الوطن العربي الاخرى مثل سوريا ومصر(١٤٨) • ان ذلك يدل على الاستيعاب البيئي للعمارة العراقية القديمة والذي قد وظف في ابنية البحر المتوسط وبنجاح •

ومن المعالم الاخرى التي تدل على تأثير الفكر العراقي هو الابعاد التي وردت في قصة ملك الوركاء السومري كلكامش مع مجريات قصة الاودية وخاصة في مجال العلاقة بالوطن حيث رجع بطل قصة الاودية الى بلده مثلما رجع كلكامش • وفي كلتا القصتين اشارات ومواضيع بيئية وجغرافية لابدان استقوها من الفينيقيين ، كما تقلد بعض الاساطير اليونانية مثيلاتها في العراق وخاصة في مجال الاديان حيث تكون شعبية الارباب الجدد اكثر من آبائهم واجدادهم[149] • يضاف الى ذلك انتقال مفردات لغوية أكدية وجدت في الـواح في كريت[150] •

توضح الادلة المتوافرة وكما اشير أن العراقيين القدماء قد سبقوا غيرهم في رسم أقدم الخرائط التي وضعوها لمساعدتهم على تحديد الملكيات وتسجيلها • تمثل خريطة وصلت من مدينة اومّا غربي بلدة الشطرة الحالية وتعود الى نهاية الالف الثالث ق٠م اقدم خريطة كاوسترو لقطعة زراعية وخريطة ثانية تعود لآخر ملوك سلالة اور الثالثة لمقاطعة زراعية من قبل المساح والرسام الى اجزاء (اشكال) هندسية جمعت فيما بعد مساحتها كي تعرف المساحة الكلية للارض ، كما وجدت خرائط كاوسترو اخرى توضح كيفية فرز الارض الزراعية الى اشكال هندسية ضمن آثار لكش السومرية وعلى ضفة بابل[151] • ومن الخرائط الاخرى التي عثر عليها هي خريطة مدينة نفر واخرى لمدينة بابل من القرن السادس ق٠م • لقد صورت خريطة بابل على شكل دائرة محاطة بالمحيط السماوي الذي يدور في دائرة اخرى حول الارض • لقد ظهر الفرات متجها من الشمال الى الجنوب مخترقا وسط الدائرة وقد رسم على شكل خطين متوازيين وقعت مدينة بابل عليه بشكل مستطيل ، وقد كتب داخل دائرة صغيرة بلاد (اشور) وقد وضعت دوائر اخرى لمدن اخرى تقع على يمين ويسار نهر الفرات مع تثبيت اسماء بعضها مثل دير وبيت باكين كما رسمت سبعة مثلثات على اطراف البحر

خارج المحيط السماوي ربما لتدل على بيوت الالهة ، وقد كتب على المثلث الشمالي لا ترى الشمس ، الامر الذي قد يدل على معرفة العراقيين القدماء بالقطب الشمالي[١٥٢] ، كما حددت الاتجاهات الاربعة في خارطة تعود الى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد[١٥٣] .

لقد أخذ اليونانيون والرومان الفكرة العراقية القديمة التي تصور الارض على أنها مستديرة تأخذ صورة الجزيرة المحاطة بالمحيط من كل الجهات حيث تصور هوميروس العالم على هيئة قرص محاط بالمحيط العظيم .

لقد اعتبر العراقيون القدماء بابل مركزا للعالم وانتقلت هذه الفكرة الى بلاد اليونان حيث اعتبروا جبل اولمبوس مركزا للعالم وكذلك الرومان حيث اعتبروا روما مركزا للعالم وذلك حتى القرن السادس عشر .

وقد استعار اليونانيون من العراقيين القدماء فكرة وضع خارطة معروفة في ملاطية (مليتوس) المدينة اليونانية بآسيا الصغرى في الفترة ٦١٠ ـ ٥٤٥ ق .م[١٥٤] . ويضاف الى ذلك تأثر كتاب مارينوس الصوري الذي ترجم الى السريانية فالعربية وخرائطه بالمعرفة الجغرافية الفينيقية المتأثرة بالفكر الجغرافي العراقي البابلي وبهذا تأثر بطليموس في مؤلفه الموسوم بـ (جغرافيا) وخاصة في اعتماده على مادة وجداول وخطوط الطول والعرض والخرائط .

اما في مجال المعرفة الفلكية المرتبطة بالمعرفة الجغرافية الرياضية فلم يكن بمقدور الاغريق والرومان تطوير معلوماتهم الفلكية دون استيعاب وفهم الارث العراقي القديم بما فيه البابلي والذي توزع على العديد من الانجازات المتطورة . فقد رصد البابليون الكواكب والنجوم والقمر وحركاتها على مدار السنة بصورة دقيقة . وأعدوا جداول بذلك وقوائم بما عرفوه من كواكب ونجوم ، وقدروا حجم كل من الشمس والقمر وبعديهما عن الارض ، كما لاحظوا خسوف القمر وكسوف الشمس . كما استوعب

البابليون أن اشعة الشمس وزوايا سقوطها على سطح الارض هي العامل الرئيس لتوزيع الحرارة . ومن معالم تأثر اليونانيين بأساتذتهم البابليين هو الابقاء على ابراج النجوم اسماءً لآلهتهم كما فعل البابليون .

وبالنسبة للارض فقد اعتبروها مركز الكون الثابت كما اعتقدوا بكروية الارض بصيغة او اخرى وبرز من فلكي البابليين نابوريماني الذي وضع جداول بحركات الشمس والقمر . وكدينو الذي وضع جداول لارصاداته وحدد دورة الشمس والقمر السنوية وبخطأ قدره ثانية واحدة لكل سنة فقط(١٥٥) .

لقد اخذ اليونانون بما توصل اليه علماء الفلك البابليون كما ان (طاليس) الفينيقي وابو العلم كما لقبه اليونانيون المتأثرون به يعود الى عائلة فينيقية وهو متأثر الى حد بعيد بالمعرفة الفلكية البابلية وانه بتجاربه بين ان هناك ونامیس وأسساً وقوانين ثابتة يخضع الكون لها مما شكل خط الانطلاق للبحث العلمي . لقد ادخل طاليس الذي توقع الكسوف قبل حدوثه الكومون Gnomon « وهو اشارة الى ساعة شمسية لقياس الوقت بالظل الذي تسببه » ويقاس بواسطة الانتقال الشمسي والاعتدالين الذي اخذه الاغريق عن البابليين(١٥٦) .

المرحلة الثانية : من بداية الاسلام ـ منتصف القرن السابع للهجرة

لقد نمت المدرسة الجغرافية العربية العراقية في هذه المرحلة وتطورت حيث اتت على كم ونوع الأرث العراقي الذاتي السابق الذي يعود الى العرب في العراق وغيره من الاقطار العربية قبل الاسلام والى المعرفة غير العربية (اليونانية والاغريقية والهندية والسريانية) التي ترجمها العرب وهضموا ما فيها وطوروه واضافوا اليه واثروه وصححوا ما فيه من اخطاء

وأن من يقرأ على سبيل المثال كتاب كراتشوفسكي سيجد الدليل والاعتراف المنصف بذلك على مدى زمان ومكان المدرسة الجغرافية العربية بما فيها العراقية التي تعدى تأثيرها العالم الاسلامي الى العالم سواء بالابعاد والآفاق والمنطلقات والمفاهيم أم بأستعمال المفردات التي استعملها العراقيون(١٥٧) •

تمكنت المدرسة الجغرافية العربية العراقية من تحقيق تأثيراتها لجملة أسباب متفاعلة منها الامن المستتب الذي انعش تطور العلاقات التي من خلالها زادت فاعلية التأثير • كما ان الصفة القومية العالمية لبغداد حيث جذبت السكان بما فيهم العلماء والباحثون من مختلف انحاء الدنيا والتي تنتمي الى حضارات مختلفة صهرتهم بغداد بحضارتها العربية •

- ومما يساعد على تحقيق التأثير هو الاحتكاك من خلال الحروب كما حدث زمن الحروب الصليبية •
- رغبة العديد من المسؤولين في انحاء مختلفة من العالم في مجاورة التطور الذي وصلت اليه بغداد حضاريا سواء كان ذلك بدافع التقليد او بدافع التطوير الحضاري الفعلي •
- وجود جاليات اجنبية في انحاء مختلفة من الدولة العربية العباسية مما سهل عملية نقل التأثيرات الحضارية •
- يعود السبب بعدم تأثر سكان غالبية الاجزاء الاجنبية بحضارات غير عربية الى ضعف وتداعي تلك الحضارات ، مقارنة مع نضج الحضارة العربية ، خاصة وان الاضطراب السياسي كان يسود عددا من هذه الاجزاء •
- يضاف الى ذلك مالقيته الترجمة من العربية ومنذ القرن الثاني عشر للميلاد (السادس للهجرة) حيث أوجدت مدارس للترجمة فترجم فيها علوم العرب بما فيها الكتب الجغرافية مثل كتب الحموي والمسعودي وغيرهما كثيرة •

- ولا يمكن في هذا المجال اهمال عامل الوفود الرسمية — على انواعها التي يرسلها العراق (الدولة العربية العباسية) أو التي تزور بغداد موفدة من دول اخرى بما في ذلك البعوث العلمية الرسمية او الشخصية .
- وجود مئات الالوف من المخطوطات والكتب العربية في مكتبات الغرب والشرق .
- الرحلة من أجل العلم التي قام بها جغرافيو العراق مما له اثره على اوربا.
- دور التجار في نقل الكتب العلمية وبيعها في الاندلس وغيرها حيث مازالت مفردات عربية عديدة تستعمل في هذه التجارة باكثر من بلد .

يضاف الى هذه العوامل عامل آخر هو هجرة العلماء وخاصة في فترات علم الاستقرار السياسي الى الاندلس وغيرها . وكذلك لاسباب ضعف الدخل مثل اسحق بن عمران العراقي الطبيب العراقي الذي رحل الى الاندلس[١٥٨] ومن معالم التأثير أنتشار الآثار العربية الاسلامية (بما فيها العراقية) في متاحف عديدة في العالم اذ يندر ان يوجد متحف اوربي دون جناح أو جزء من جناح للاثار والفنون العربية الاسلامية ، ولا داعي لسرد هذه المتاحف التي وضعها مرزوق عند (٧٣) متحفا موزعة في بريطانيا والدانيمارك واسبانيا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا وهولندا والمانيا والنمسا والمجر وتركيا واليونان والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية[١٥٩] .

ومن اجل تسهيل متابعة التأثير ستتم المعالجة وفق الميادين الرئيسة التي ثبت ووثق تأثيرها وبأنتظار مزيد من التوثيق المنصف المستند على مزيد من الدراسات والذي سيلقي الضوء على التأثيرات الاخرى المختلفة ، ولن تكرر هنا التأثيرات التي وردت عند الكلام عن الحقول الجغرافية للمدرسة العربية العراقية .

الجغرافيـة الفلكيـة :

ان من يقرأ كتب الجغرافية الفلكية التي سبقت في تأثيراتهـا حقـول الجغرافية الاخرى في اللغـات العالمية المختلفة سيجدهـا مليئـة بأسـماء اعلام ومفردات عربية لا مجال لسردها هنا وبحاجة الى ان توضع في معجـم قائم بنفسه مما يعكس شمولية وعمق التأثير العربي العراقي الجغرافي في هذا الميدان المعرفي الذي اسسه وطوره العـرب سابقين علمـاء اوربـا مثـل كوبرنيكوس وكيلر(١٦٠) .

لقد ذكرت مخطوطـة للخوارزمي اكثر مـن ٤٣ طريقـة لاسـتعمال الاسطرلاب مقارنة مع العدد القليل الذي كان يعرفها اليونانيون وقد وصف الف استعمال لها قوبلت هذه الآلة الفلكية او (حاجبة النجوم) وساعة الايام السوالف بأعجاب كبير تمثل في الرغبة في اقتنائها التي لم تتحقق الا لمن ساعدته الظروف . واعتبر (زيجة الخوارزمي) أهم زيج عمل بها الاوربيون حتى ايام كوبرنيكس(١٦١) .

ومن دلائل اهمية الخوارزمي وتأثير اتناجه ترجمه كتابـه (صـورة الارض) عام ١٩٢٦ .

كانت اسبانيا السباقة الى ترجمة المصنفات العربية بما فيها العراقية في الفلك . لقد بدأت الترجمات الاولى متواضعة وبما يتفق والمستوى المتخلف لاوربا الوسيطة وثبت تأثيرها على مسيرة العلم الاوربي .

ومن دلائل تأثير المدرسة الجغرافية العربية العراقية في ميدان الفلـك هو الاشارة برواد بارزين كما فعل المستشرق (مونتوكلا) بقوله ان حساب سند بن علي حساب موثوق به(١٦٢) .

ونشر المستشرق دي بور بالفرنسية (رسالة في سبب المـد والجزر) للكندي كما نشر المستشرق الهولندي دي خويه كتاب (فتوح البلـدان)

للبلاذري وقد ترجم كتاب البلدان لليعقوبي المتوفى عام ٢٨٤/٨٩٧ الى عدد من اللغات وطبع في ليدن مرتين الاولى عام (١٩٦٠) وبعناية المستشرق الهولندي البروفسور وليم جونبول والثانية نشرها المستشرق دي خويه ضمن مجموعته الجغرافية بليدن عام ١٨٩٢[١٦٣] .

ويأخذ التأثير صيغ أخرى حيث ان وجود المخطوطات والكتب العربية العراقية في البلدان الاجنبية يشكل معيناً للدارسين ، بما فيهم الاجانب ، فعلى سبيل المثال يوجد بعض كتب علي بن عيسى الاسطرلابي مثل (الصحيفة الافاقية) في لندن وكتاب (العمل بالاسطرلاب) في مكتبة الفاتيكان بروما والذي طبع في بيروت عام ١٨٢٨ ومخطوطة رسالة بالعمل في الصحيفة القمرية) في مكتبة اسطانبول ، ومخطوطة (رسالة في تحاويل السنين) للكندي التي مازالت موجودة في مكتبة الاسكوريال في مدريد ومخطوطة (الاصول في خواص النجوم) للصيمري في برلين[١٦٤] . لقد اضاف الكندي والمسعودي الى المعرفة عندما اثبتا ان سطوح الماء كروية مثل سطوح اليابسة قبل والاس بألف سنة والذي نسبها لنفسه .

وقد اعترف المستشرق الفرنسي كارادي فو بابداعات ثابت بن قرة المتوفى عام ٢٨٨ هـ / ٩٧٤ م في مجال حساب ارتفاع الشمس وطول سنتها[١٦٥] .

كما ان للمسعودي كتبا مخطوطة في اوربا فـ (كتاب التنبيه والاشراف) مطبوع في ليدن عام ١٨٩٣ ويوجد جزء واحد من كتاب (اخبار الزمان ومن اباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة) اذ ان الاجزاء الاخرى مفقودة هذا الى جانب وجود (الكتاب الاوسط) في المكتبة البودلية باكسفورد مخطوطة ومن الكتب الفلكية الموجودة في اوربا كتاب (الاوقات) مخطوطا في برلين[١٦٦] .

واستمر تأثير علم الفلك العربي العراقي على اوربا من خلال ترجمة كتاب الزيج الصابي للبتاني الذي قدرته أوربا كثيرا كما فعل سارتون مؤرخ

العلوم ، واثر في معارفهم الفكرية في المجال الفلكي وخاصة في مجال التقاويم والرصد حيث ترجم الى اللاتينية خلال القرن الثاني عشر للميلاد باسم علم النجوم ثم نشر في نور نبرج عام ١٥٧٣ ، واعيد نشره عام ١٦٤٥ في بولونيا ، وترجم مرتين بأمر من ملك قشتالة (الفونس العاشر) الى الاسبانية ولهـذه الترجمة مخطوط غير كامل في المكتبة الوطنية بباريس ، وطبع في رومـا عام ١٨٩٩ وفي ميلانو عام ١٩١٠[١٦٧] .

لقد ظلت كتب بنو موسى الرياضية الفلكية حتى عهد النهضـة مـن امهات المراجع في اوربا ذلك ان ما قام به محمد واخواه من قياسات خاصـة فاقت ما قام به بطليموس . لقد تمت ترجمة كتاب (في قيـاس مسـاحات مسطحة أو مستديرة) لمحمد بـن موسى الى اللاتينية مـن قبـل جيررد الكريموني Geralddon Cremana بالقرن الثالث عشر وعرف بالغـرب باسم (كتاب الاخوة الثلاث) الذين تخطوا في اكثر من انتـاج لهـم آراء الاغريق[١٦٨] ، وقد شكل انتاجهم مصدرا ايجابيا كبيرا خدم التعليـم في اوربا المتخلفة ولم تقتصر استفادة الغرب من العطاء النظري بل استفادوا من العطاء العملي ممثلا بأستخدامهم لآلات المراقبة والقياس التي اخذها الغرب عن بني موسى مستمرين في استخدامها لذلك امداً طويلاً[١٦٩] .

وجاء ابن الهيثم لتشكل كتبه في علم الفلك مصادر هامة اعتمد عليهـا علماء الغرب في دراساتهم كما فعل الفيلسوف البريطاني روجـر بيكـون وعمليا فقـد استـرشد ملـوك الغـرب بالخلفـاء العباسـيين ببغـداد لحل المسائل الفلكية[١٧٠] . واستمر التأثير الجغرافي على اوربا ليأتي ابـن الجوزي المتوفى عام ٥٩٧/١٢٠١ بعلمه الغزير وانتاجه الوفير ويتـرك بعض من مخطوطاته في برلين واكسفورد[١٧١] .

حقل الجغرافية الطبيعية :

لفتت اضافات جغرافيو العراق في ميدان الجغرافية الطبيعية انظار المختصين في اكثر من بلد اجنبي مثال ذلك ترجمة مختصر أحد كتب المسعودي الموسوم (جواهر البحور ومواقع الامور) الى التركية(١٧٢) .

وفي هذا المجال يقول هميولدت ، ينبغي على الاوربيين ان ينظروا الى العرب بأعتبارهم المؤسسين الحقيقيين للعلوم الطبيعية بما فيها الدراسات الجغرافية الطبيعية . وابرز من اسهم بالتأثير على الغرب من خلال ما نشر او ترجم من كتبه والتي تعالج جوانب طبيعية مختلفة بما فيها المناخ وعلم وصف الكون (الكوزفوغرافيا) هو زكريا القزويني المتوفى في الربع الاخير من القرن الثالث عشر ، حيث توجد نسخ من مخطوطاته في ميونخ والمانيا وفرنسا وبلاد فارس وروسيا وامريكا كما ترجمت بعض من مؤلفاته الى الفارسية والالمانية والانكليزية والفرنسية والروسية والتركية في فترات مختلفة من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر(١٧٣) .

وقد استفاد الغرب من المعلومات عن الحركات الباطنية للارض كالبراكين وثورانها وما قام به من تصحيح لخرافات الاوربيين الذين لم يكونوا يعرفون تعليلا للحمم المقذوفة مثلاً(١٧٤) .

ولأهمية تتاج ياقوت الحموي فقد نشر المستشرق الالماني وستنفيلد مخطوطة (معجم البلدان) في ليبزك بعد ان حققها مقابلاً اياها على ثلاث نسخ في برلين وباريس وبطرسبرغ(١٧٥) .

حقل الجغرافية الاقليمية ـ الوصفية ـ السياحية :

ادرك العلماء الاوربيون ان الاهمية الاساسية لأدب الرحلات العربي ، بما فيه العراقي ، تقوم على ما قدموه من اسهامات كمية ونوعية في المادة

الجغرافية الجديدة عن العالم المعروف والذي اكتشفوه اذ كانت الرحلات الاداة الرئيسة للجغرافي في زيادة معلوماته الجغرافية .

بدأ تأثير ما جاءت فيه الجغرافية الاقليمية مبكرا فقد آشار كراتشكوفسكي الى مخطوطة (المسالك والممالك) على انها موجودة في فرنسا كما قال أن الكتاب قد ترجم الى الروسية وتأثر بمنهجية وما فيه جغرافيو الفرس الى جانب الترجمة الفرنسية للكتاب قام بها دي خويه De Goeje عام ١٨٨٩ م[١٧٦]

ومن معالم تأثير المدرسة الجغرافية العربية العراقية هو دخول ادب الرحلات والقصص الجغرافية الى اوربا مثال ذلك حكاية اشعار القديس براندن Brandun حيث استعارتها لعناصر شرقية . وازداد تأثير المدرسة الجغرافية في مجال الجغرافية الوصفية ـ الاقليمية تدريجيا حيث أشيد بوصف عبداللطيف البغدادي المتوفى عام (١٢٣١ م) لمصر حيث ترجمت مخطوطته الى الفرنسية عام ١٨١٠ كما ترجمت رسالة ابن فضلان عام ١٨٣٢ الروسية مما شكل الاساس الذي قامت عليه الدراسة العلمية للادب الجغرافي الغربي . أما المعجم الجغرافي الشهير لياقوت الحموي فقد ترجم الى الالمانية عام ١٨٦٦ و ١٨٧٦ مما اثرى المعرفة بالادب الجغرافي العربي العراقي في أوربا على ضوء اهمية هذا المعجم[١٧٧] .

كما تم نشر سلسلة (مكتبة الجغرافيين العرب)[١٧٨] بتسعة اجزاء من قبل العالم الهولندي دي خويه De Goeje بطريقة علمية متقدمة وان هذه المجلدات تدور حول مؤلفي مرحلة الازدهار في المدرسة الجغرافية العربية العراقية حيث احتوت على ترجمة كتاب (البلدان) لليعقوبي وكتاب (المسالك والممالك) لأبن خرداذبة و (المسالك والممالك) لابن حوقل وكتاب (المسالك والممالك) للكرخي وكتاب (التنبيه ومرآة الزمان) للمسعودي[١٧٩] .

واستمر الاطلاع على الدراسات الاقليمية الوصفية مؤثراً في الفكر الجغرافي الاوربي حيث قدم شفارتز Schwartz ملاحظات عامة عن جغرافيين ضمنتهم قائمة (مكتبة الجغرافيين العرب) بما فيهم ابن خرداذبة[١٨٠] •

واستمرت الدراسات الاوربية الغربية والشرقية (الروسية) عن الجغرافية العربية بما فيها العراقية وخاصة في حقل الجغرافية الاقليمية في الفترة بين ١٨٧٥ و ١٩٢٨ في روسيا وبين ١٨٩٨ و ١٩٣٩ في الغرب[١٨١] • وتوجد مخطوطة نادرة لـ (كتاب البلدان) لياقوت الحموي في ميونخ ومخطوطة اخرى له توجد في المكتبة البروسية ، واخرى مخطوطة في مكتبة جامعة ييل في الولايات المتحدة الامريكية • اضافة الى ذلك تشير عدد من المخطوطات الموجودة بالمكتبة الاهلية بباريس الى دراسات المسعودي[١٨٢] •

الا ان اكبر تأثير جاء لانتاج المسعودي هو ترجمة كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) الذي ترجمه الى الفرنسية المستشرق باربيهدي ميثار وطبع في ٩ مجلدات بين سنة ١٨٧١ — ١٨٧٧ ونقله الى الانكليزية سبر ڤقر عام ١٨٤١[١٨٣] وطبع في ليدن عام ١٨٩٤ وتوجد نسخة من الجزء الاول في ڤينا •

ان زيادة المسعودي وعمق وشمولية تأثيره في الفكر الجغرافي الاوربي هو الذي دفع الدوميلي الى اعتبار العالم الروماني (بلينوس) ضئيلا أمام المسعودي وعطائه الذي اعتبره من اعظم الجغرافيين[١٨٤] •

كما اخرجه دي خويه (المستشرق الفرنسي) ضمن مجموعته الجغرافية عام ١٨٩٤ واعترافا بموسوعته وغزارة علم المسعودي يصفه كراتشكوفسكي بأنه على قمة المعارف الجغرافية لعصره[١٨٥] • كما لقب بأنه هيرودت العرب، ومما يدعم ذلك ماذكرته الجمعية الاسيوية الفرنسية حول سعة معلوماته وتنوعها •

وتوجد نسخة من كتاب (صورة الارض لابن حوقل) في اسطانبول اضافة الى نسخة اخرى في خزانة الجامعة في ليدن والتي اعتمد عليها دي خويه الذي طبعه ضمن مكتبته الجغرافية في المجلد الثاني وترجم الى الانكليزية عام ١٨٠٠ م والى الالمانية في مجلدين طبعا في ليدن عام ١٩٣٨ ــ ١٩٣٩[١٨٦] ٠

واستمر العطاء العربي العراقي يتوزع في العالم ليظهر كتابا للجاحظ في المتحف البريطاني عنوانه (مجموعة من رسائل الجاحظ) يعالج فيه جوانب أقليمية بما فيها بعض المدن[١٨٧] ٠

وذاعت شهرة ياقوت الحموي في القرن التاسع عشر بواسطة راسموسن Rasmussen (١٨١٤) وفرين Fralin (١٨٢٣) حيث نقلا عن المعجم الجزء الخاص بأبن فضلان كما كتب فرين عن الحموي[١٨٨] ٠ وقد طبع (معجم البلدان) في ستة اجزاء في الفترة بين ١٨٦٦ و ١٨٧٣ فردنيانو فستنفلد وقوم هذا الانتاج فلشر Fleisher وقد ترجمت خمسة ابواب من المعجم الى الانكليزية عام ١٩٥٩ وطبعت بلندن واستمر الاهتمام بنتاج الرحلات حيث ترجم كتاب (رحلة البغدادي) الى الفرنسية ونشرت عام ١٨١٠ في باريس ٠ ووجدت مخطوطة قديمة لعبداللطيف البغدادي في المكتبة البودليه Bodleyyau وطبعت عام ١٧٨٩ واعيد طبعها عام ١٨٠٠ وترجم الكتاب الى الالمانية واللاتينية كما ترجمت مخطوطة البغدادي ترجمة علمية من قبل سلفسترساي Silvester de Say [١٨٩] وقد أثنى كراتشكوفسكي على حجم معلوماته ومنهجيته[١٩٠] ٠

وتواصل الاهتمام بالادب الجغرافي العربي ليغطي عطاء المرحلة الثالثة مثال ذلك ترجمة ونشر كتاب (مسالك الابصار في ممالك الامصار) لشهاب الدين بن فضل العمري في باريس عام ١٩٢٧[١٩١] ٠ وهكذا فقد حلت

كتب الادب الجغرافي العربي محل جميع الكتب السابقة والتي اقتصر الغرب على استنساخها وحدها عدة قرون[١٩٢] .

حقل جغرافية المدن :

جذبت المعلومات الغنية عن مدينة بغداد وشبكة قنواتها للخطيب البغدادي انظار لي سترانج Le-Strange في تسعينيات القرن الماضي واستقر فيها الكثير من مؤلفاته عن بغداد[١٩٣] .

كما واوضحت الترجمة الفرنسية لكتاب تاريخ بغداد التي قام بها سلمون Salmon عام ١٩٠٤ كما ان هذا النتاج كان مهما في فهم تطور بغداد رغم صعوبة استخلاص المادة الجغرافية فيه[١٩٤] . مما يوفر خلفية لدراسات حضرية طوبوغرافية لاحقة . اما في مجال العمارة فقد تأثرت العمارة الفارسية وخاصة الدينية بالعمارة العربية العراقية ومن امثلة التأثير المسجد الجامع في مدينة دمغان والمسجد الجامع في مدينة نايين والمسجد الجامع في شيراز (شيدت بين القرن الثاني للهجرة والرابع للهجرة) ومشهد السلطان اسماعيل الساماني في مدينة بخاري والمسجد الجامع في مدينة اصفهان (النصف الثاني من القرن الخامس الهجري) والمسجد الجامع في مدينة اردستان ومشهد السلطان قابوس في اقليم جرمان شرقي ايران .

ومن معالم التأثير العربي العراقي (العباسي) ارتفاع هذه الابنية نسبيا وهياكلها التي تأخذ شكل المربع او المثمن او الدائري المقطع الذي تعلوها قباب بعضها مخروطية وبعضها مضلعة بزخارفها المتنوعة . ولكل من هذه المشاهد مدخل واحد فقط يقع في الغالب في الجهة الشمالية[١٩٥] .

ويظهر التأثير العمراني التخطيطي العربي العراقي في كل من الاندلس وصقلية وكريت واسيا الصغرى والهند والصين ، ممثلا بالمساجد

والمشاهد والقصور والعمارة العسكرية والتصاميم والريـازة والاسـاليب الزخرفية والمدارس والخانات والمدافن[١٩٦] .

ومن يستعرض المدن التي بنيت في المرحلة العربية الاسلامية التي كانت بغداد عاصمة لها لفترة طويلة ، سيظهر له أن عددا من المدن قد بناها العرب خارج وطنهم العربي . وبغض النظر عن كون اسماء هـذه المـدن عربيـة ام غير عربيـة[١٩٧] .

حقـل الخرائط والمسـاحة :

أثر علم الخرائط العربي العراقي في اوربا في القرون الوسطى حيـث تأثرت خرائطها بخرائط اطلس الاسلام كما يظهر في خريطـة العالـم التي وضعها مارينو سانودو Marino Sanudo عـام ١٣٢١ كما ان لجمع خرائط أطلس الاسلام التي قام بها المستشرق الالماني كونراد او ميلر Muller اثـره على تطور حقل علم الخرائط لدى الاوربيين .

لقد نشرت العديد من الدراسات والمقالات في العقود الاربعة الاولى من القرن العشرين في المجلة الجغرافية الامريكية وكذلك في دوائر المعارف الاسلامية Enayyclopaedia Islam اضافة الى كتاب (تاريخ الادب العربي) لبروكلمان Brockelmaun الذي يشكل مرجعا مهما للمؤلفين ذوي العلاقة بالجغرافية والخرائط . كما أن سارتون مؤرخ العلوم الشهير قـد وضـح ما بلغه العرب في حقل الجغرافية بما فيه الخرائط .

اما في روسيا فقد ظهرت دراسات وترجمات لنتاجات الجغرافيين العرب بما فيهم العراقيون وفي مختلف حقول المعرفة وخاصة في مجـال الاقليميـة والخرائط وذلك في الفترة من ١٨٧٥ ــ ١٩٢٨[١٩٨] .

ولابد من التوضيح هنا الى انه لا يمكن الا استعراض طريق آخر هام للتأثير هو طريق الدراسات والبحوث التي قدمت من قبل العديد من المعنيين في اللغات غير العربية مثال ذلك الدراسات الهامة التي دارت حول البلداني اليعقوبي كما حدث في الفترة بين ١٨٣٨ و ١٨٩٢(١٩٩) . وفي هذا السياق فقد اعترف الفلكي الفرنسي المشهور لالاند بأن من بين اشهر ٢٠ فلكيا مشهورين في العالم (البتاني وتيوموس) كما اطرى الفرنسي سيديو Sedillot ما توصل اليه فلكيو بغداد في مرحلة الازدهار ووصفه بأنه اقصى ما يمكن ان يتوصل اليه انسان في الارصاد بالعين المجردة، ومن ادلة ذلك ما قام به عبدالرحمن الصوفي في بغداد في مرحلة الازدهار ذاتها من تصحيحات للاخطاء التي اوردها أبرخس(٢٠٠) وبالاستفادة من ارصادات مرصد البصرة(٢٠١) .

وفي هذا المجال لابد من الاشارة الى الدراسات الموسعة التي صدرت حول رحلة ابن فضلان في روسيا والارشادات التي لفتت الانظار لها في الدانيمارك وقد افردت لها بحوث رائعة من قبل باحثين مثل المستشرقين الروس امثال فرين **Frahn** وروزن وبارتولد وكوفاليفسكي Kevalevski عام ١٩٣٩(٢٠٢) .

وقد درس انتاج اخوان الصفا العلمي كما فعل المستشرق دي بور الذي شبهها بدائرة معارف لغزارة وتنوع ما جاء بها من معلومات(٢٠٣) . وعرض گولدتسهر Goldziher بكثير من المهارة رحلات الهروي المتوفى عام ١٢١٥ أعقبه بلوح Bloch يبحث عن نتاجه(٢٠٤) .

وعلى ضوء انتاج ياقوت الحموي فقد لفت انظار عدد من المستشرقين الهولنديين الانظار اليه والى انتاجه مثل غوليوس Golius وعرفه كوهلر

Kothler الذي نشر الجزء الخاص بالشام من جغرافية ابن الوردي[٢٠٥] . وبذلك تضع المدرسة الجغرافية العراقيـة أمـام جغرافيينـا المعاصـرين مسؤولية حضارية تاريخية هي ضمان مواصلة العطاء المؤصل وبمـا ينسجم وعملية التواصل الذي جاء هذا البحث قناة لها وبهـدف ضمان تحقيـق الاسهام العربي العراقي مـن جديد وبأطاره العربـي للاسـهام في بنـاء حضـارة بني الانسـان .

* ان ذلك يزيد على الطول الحقيقي للسنة بـ (٢٦) دقيقة و (٥٥) ثانية فقط .

** المزولة : آلة يقاس بها الوقت من حركة الشمس (الظاهرية) ، والارض حقيقة ، لطول أيام السنة . وقد عملت الآلة على عدة أشكال منهـا المعقد ومنها البسيط على نمطين عمـودي وأفقـي ، يقيـس بالظـل زاويـة الشـمس .

*** تجنبا للتكرار يمكن معرفة المزيد من ابداعات وانجازات كل مرحلة عند الكلام عن الحقول الجغرافية وتأثيراتها في هذه المدرسة .

**** سجستان : قرية من قرى البصرة .

***** تأسست هذه الحضارة في جزيرة كريت بين الالف الثالـث ق.م ومنتصف الالف الثاني ق.م ونسبت الى مينوس احد ملوكها .

المصــــادر

(١) د. طه باقر ، موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارات العربية الاسلامية ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٨٠ ــ ٨١ .

(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة زكي نجيب محفوظ ، ج ١ ، القاهــرة / ١٩٦٥ ، ص ١٣٤ .

(٣) د. طه باقر ود. فاضل عبدالواحد ود. عامر سليمان ، تاريخ العــراق القديم ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٨٣ ــ ٨٥ .

(٤) جورج رو / العراق القديم ، ترجمة حسين علوان ، بغــداد ، ١٩٨٤ ص ٨٥ ــ ٨٦ ، ١١٢ ــ ١١٣ .

(٥) د . طه باقر ، د . فاضل عبدالواحد ، د . عامر سليمان مصدر ســابق

(٦) د . طه باقر ، المصدر نفسه ، ١٩٨٠ ص ٢٢ ــ ٢٣ .

(٧) عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٤٠ـ٤٢ .

(٨) عمر فروخ ، المصدر نفسه ، ص ٤٠ ــ ٤٢ .

(٩) د. شريف محمد شريف ، تطور الفكــر الجغــرافي ، ج ١ ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٨٩ ــ ٩٢ ، عمر فروخ ، المصــدر نفســـه ، صــ ٥٥ ــ ٦٦ .

(١٠) طه باقر ، (١٩٨٠) المصدر نفسه ، ص ٨٦ ــ ٩١ .

(١١) جورج كونتينو ، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور ، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٨٦ ص٣٠ـ٣١ .

(١٢) زيفريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغــرب ، أثر الحضـــاره العربية في أوربا نقله عن الالمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١٢٩ ــ ١٣١ .

(١٣) عمر فروخ ، المصدر نفسه ، ص ٥٥ ، د. شريف محمـد شــريف ، المصدر نفسه ، ص ٨٩ ــ ٩٢ ؛ جورج رو ، المصدر نفسه ٤٧٩ـ٤٨٠ .

(١٤) د. صبري الهيتي ، د. ابراهيم المشهداني ، د. سعدي الســعدي ، الفكر الجغرافي وطرق البحث ، بغداد ١٩٨٥ ، ص ١٨ ــ ١٩ .

(١٥) د. شريف محمد شريف ، المصدر نفســه ، ص ٩٣ـ٩٩ جورج رو ، المصدر نفسه ص ٤٨٠ ــ ٤٨٢ .

(١٦) د. تقي العاني ، نظرية القيمة في فكر ابن خلدون ، من بحوث الموسم الثقافي الثاني لمركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٩٨٦ . بغداد ، ١٩٨٠ . ماجد الشمس ، أجهزة الارواء في القرنين السادس

(١٧) د. أحمد سوسة ، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين، والعاشر الهجري ، من بحوث الندوة القطرية الثانية لتاريخ العلوم عند العرب لمركز احياء التراث العلمي العربي ، ١٥ ــ ١٩٨٦/٤/١٧ .

(١٨) د. أحمد سوسة ، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور ، بغداد ، ١٩٧٩ ص ١٣٥ ــ ١٦٢ .

(١٩) عباس محمود العقاد ، أثر العرب في الحضارة الاوربية ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠ ، ص ٤٨ ــ ٥٠ .

(٢٠) د. شريف محمد شريف ، المصدر نفسه ص ٩٣ ــ ٩٩ .

(٢١) ليو وبنهايم ، بلاد مابين الرافدين ، ترجمة سعدي فيضي عبدالرزاق ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٨٦ ص ١٢٧ ــ ١٧١ ، جورج كونتينو ، المصدر نفسه ص ٣٠ ــ ٧٩ .

(٢٢) جورج كونتينو ، المصدر نفسه ، ص ٤٥٣ ــ ٤٥٤ .

(٢٣) جورج كونتينو ، المصدر نفسه ، ص ٣٧٥ .

(٢٤) د. طه باقر ، د. فاضل عبدالواحد ، د. عامر سليمان ، المصدر نفسه (١٩٨٠) ص ١١٢ ــ ١١٤ .

(٢٥) د. سهل السنوي ، د. عدنان النقاش ، تاريخ وفلسفة العلم مع التأكيد على العلوم الجيلوجية ، طبعة اولية ، جامعة بغداد ، ١٩٨٥ ، غير منشور ، ص ٢٠٤ .

(٢٦) جورج كونتينور ، المصدر نفسه ، ص ٣٨٣ ــ ٣٨٤ .

(٢٧) جورج كونتينو ، المصدر نفسه ، ص ٣٧٤ ــ ٣٧٥ .

(٢٨) د. طه باقر ، المصدر نفسه ، ١٩٨٠ ، ص ١٧٩ ــ ١٨٠ .

(٢٩) د. شاكر خصباك، في الجغرافية العربية، بغداد، ١٩٧٥، ص ٩ــ١٨ ، د. سهل السنوي، د. عدنان النقاش، المصدر نفسه ، ص٨٧ــ١٥٣ .

(٣٠) اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، نقله الى العربية صلاح‌الدين عثمان هاشم ، جـ١ ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٥٩ ، د. ياسين خليل ، التراث العلمي العربي ، جـ١ ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٤٦ ــ ٤٧ ، د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه (١٩٧٥) ص ٩ ــ ١٠ .

(٣١) صبري محمد حسن ، الجغرافيون العرب ، جـ١ ، النجف ، ١٩٥٨ ، ص ٢٠ — ٢١ ، ٦٢ — ٦٣ ، ٧٥ — ٧٦ ، ١٠٧ — ١٠٨ ، ١٢٥—١٢٧ ، ١٨٣ — ١٨٤ ، ١٩٦ .

(٣٢) صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ١٢٥ — ١٢٧ ، د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه ، (١٩٧٥) ، ص ٣٦٦ ، عباس محمود العقاد ، المصدر نفسه ، ص ٥٣ — ٥٤ ، ٦٢ .
الدوميلي ، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ، نقله الى العربية د. عبدالحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٤٩ .

(٣٣) د . شاكر خصباك ، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٦ ، د. سهل السنوي ، د. عدنان النفاش ، المصدر نفسه ، ص ٢ — ٣ .

(٣٤) جلال مظهر ، مآثر العرب على الحضارة الاوربية ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١١١ ، كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ص ٢٠ — ٢١ .

(٣٥) د . شاكر خصباك ، المصدر نفسه (١٩٧٥) ص ١٨ ، جلال مظهر ، المصدر نفسه ص ١٧٠ .

(٣٦) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ١٧٧ .

(٣٧) د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه (١٩٧٠) ص ١١ — ١٢ .

(٣٨) جلال مظهر ، المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .

(٣٩) الدوميلي ، المصدر نفسه ، ص ٣٩٢—٣٩٣ .

(٤٠) د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه ، (١٩٧٨) ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٤١) ابن عبدالحق البغدادي ، مراصد الاطلاع ، جـ ١ ، ص ٧٦ ، ٤١٩ — ٤٢٣ ، جـ٢ ص ٨٤١ ، جـ٣ ، ص ٣ — ١٣ .

(٤٢) ابن عبدالحق البغدادي ، جـ٣ ، المصدر نفسه ، ص ١٢٧٧ ، ١٤٠٧ .

(٤٣) كراتشكوفسكي ، القسم الثاني ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٧٠١—٧٠٥ .

(٤٤) صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ٢٠ — ٢١ .

(٤٥) المصدر السابق ص ٧٥ — ٧٦ .

(٤٦) المصدر السابق ص ٦٢ — ٦٣ .

(٤٧) المصدر السابق ، ص ١٢٥ — ١٢٧ .

(٤٨) المصدر السابق ، ص ١٨٣ — ١٨٤ .

(٤٩) المصدر السابق ، ص ، ٩٦ — ٩٨ .

(٥٠) المصدر السابق ، ص .

(٥١) المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(٥٢) المصدر السابق ، ص ١٠٧ — ١٠٨ .

(٥٣) المصدر السابق ، ص ٢٧ — ٢٩ .
(٥٤) المصدر السابق ، ص ٨٠ — ٨٢ .
(٥٥) المصدر السابق ، ص ٢٢٦ — ٢٣٢ .
(٥٦) عبدالصاحب عمران الدجيلي ، اعلام العرب في العلوم والفنون ، ج ١ ، ط٢ ، النجف ، ١٩٦٦ ، ص ١٢١ — ١٢٦ ، عمر فروخ ، المصدر نفسه ص ٢٥٧ ، صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ١٩٠ — ١٩٥ .
(٥٧) د. طه باقر ، ١٩٨٠ ، المصدر نفسه ، ٢٣٦ ، صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ١٧٤ — ١٧٥ ، د. محمد الصادق عفيفي ، تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، القاهرة ، ١٩٧٦—١٩٧٧ ، ص ٩١ .
(٥٨) صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ١٣٥ — ١٣٦ .
(٥٩) المصدر نفسه ، ص ٤٢ — ٤٤ .
(٦٠) المصدر نفسه ، ص ٣٠ — ٣١ ، د. شاكر خصباك المصدر نفسه (١٩٧٥) ص ٣٦٦ — ٣٦٧ ، د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه ، (١٩٧٨) ، ص ٩ .
(٦١) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ١٦٠ — ١٦١ .
(٦٢) د. طه باقر ، المصدر نفسه (١٩٨٠) ص ٢٣٧ — ٢٣٨ ، صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ٥٧ — ٦٠ ، زيفريد هونكه ، المصدر نفسه ، ص ١٢٥ — ١٢٦ .
(٦٣) الدوميلي ، المصدر نفسه ، ص ١٤٩ ، د. سهل السنوي ، د. عدنان النقاش ، المصدر نفسه ، ص ٢٦٤ ، د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه (١٩٧٥) ص ٣٦٦ ، د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه (١٩٧٨) ص ٢١ .
(٦٤) صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ص ٦٧ — ٦٨ .
(٦٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٠ — ١٢٢ .
(٦٦) المصدر نفسه ، ص ١١٩ — ١٢٠ .
(٦٧) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ — ١٧١ ، عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ١٠٦ — ١٠٧ .
(٦٨) صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ١٤٤ — ١٤٥ .
(٦٩) المصدر نفسه ، ص ٢٢ — ٢٣ .
(٧٠) المصدر نفسه ، ص ٧٧ — ٧٨ .
(٧١) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ — ١١٠ .
(٧٢) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ١٧٦ — ١٨٢ ، الدجيلي ، المصدر نفسه ، ص ١٧٣ — ١٧٥ ، د. سهل السنوي ، د. عدنان النقاش ، المصدر نفسه ، ص ٢١٨ — ٢١٩ ، أبو الحسن على ابن الحسين بن علي المسعودي ، التنبيه والاشراف ، بيروت ، ١٩٨١

(٧٣) المسعودي ، المصدر نفسه ، صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ٩٣ — ٩٥ .

(٧٤) صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ٢٣ — ٢٥ .

(٧٥) المصدر نفسه ص ١٦٧ — ١٦٨ .

(٧٦) المصدر نفسه ، ص ٧٨ — ٨٠ .

(٧٧) المصدر نفسه ، ص ٩٥ — ٩٦ .

(٧٨) المصدر نفسه ، ص ٣٥ — ٣٦ ، د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه (١٩٧٨) ص ١٠٠ ، كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ١٨٧—١٨٨ .

(٧٩) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ١٠٣ — ١٠٤ ، د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه ، (١٩٧٥) ص ٣٦٩ .

(٨٠) رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ م ١ ص ٥ — ٢٧٠ ، م ٢ ص ٣٠ — ٢٢٣ .

(٨١) صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ١٤١ — ١٤٤ .

(٨٢) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ١٢٢ — ١٢٥ ، كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ — ٢٠٥ ، صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ١٦٢ — ١٦٥ ، د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه (١٩٧٨) ص ٥٦—٥٧ .

(٨٣) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ١٦٧ .

(٨٤) صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ١٨٧ — ١٨٨ .

(٨٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٦ — ١٦٧ .

(٨٦) المصدر نفسه ، ص ٨٧ — ٨٨ ، ١٧٨ — ١٧٩ .

(٨٧) المصدر نفسه ، ص ١٤٦ — ١٤٧ .

(٨٨) الجاحظ ، كتاب البلدان ، نشر وتعليق د. صالح احمد العلي ، مجلة كلية الاداب ، ١٩٧٠ ، ص ٤٣٩ — ٤٦٩ ، ٤٩١ — ٥٠٦ .

(٨٩) زكريا القزويني عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، دار الافاق الجديدة ط٣ ، بيروت ، ١٩٧٨ ، كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ٣٥٩ — ٣٦٤ ، صبري محمد حسن، المصدر نفسه، ص ٧١—٧٢، د. سهل السنوي ، د. عدنان النقاش ص ٢٥٢ — ٢٥٣ .

(٩٠) نقولا زيادة ، المصدر نفسه ، ص ١٥٦ — ١٥٩ ، كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ص ٣٢٠ — ٣٢٢ .

(٩١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م ١ ، طهران ، ١٩٦٥ ، نقولا زيادة المصدر نفسه ، ص ٥٨ — ٦٧ كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ص ٣٣٦ — ٣٤٣ .

(٩٢) نقولا زيادة ، المصدر نفسه ، ص ١٧٧ — ١٧٩ ، كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ٣٤٤ — ٣٤٧ ، صبري محمد حسن المصدر نفسه ، ص ٩١ — ٩٣ .

(٩٣) صفي الدين عبدالمومن بن عبدالحق البغدادي ، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق علي محمد البجاري ، ط ١ بيروت ، ١٩٥٤ ، ط ، ص ١٤ ، ٧٦ ، ٤٧٣ ج٢ ص ١٢٩٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٩ ، ١٣٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٧ .

(٩٤) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ٧٠١ — ٧٠٥ ، الدوميلي ، المصدر نفسه ، ص ٥٣٥ .

(٩٥) البغدادي ، المصدر نفسه ، ج ١ ص ١٤ ، كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ص ٢٣ — ٢٥ ، ابن حوقل ، صورة الارض ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١٧٤ .

(٩٦) الحموي ، المصدر نفسه ، م ١ ص ٧ — ١٠ ، جلال مظهر ، المصدر نفسه ، ص ١٦٦ — ١٦٧ .

(٩٧) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ١٥٩ — ١٦١ ، نقولا زيادة ، المصدر نفسه ، ص ٧ — ١٠ .

(٩٨) ابن حوقل ، المصدر نفسه ، ص ١٠ — ١١ نقولا زيادة ، المصدر نفسه ص ١٧٧ — ١٧٩ ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٩ مجلدات ، باريس ١×٢٢٢٢ MD

(٩٩) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، المصدر نفسه ، د. خالص الاشعب . منهجية بحث الجمعية ، الجغرافية .

(١٠٠) جلال مظهر ، المصدر نفسه ، ص ١٦٦—١٦٧ ، صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ص ١٦٨ — ١٧١ .

(١٠١) الدوميلي ، المصدر نفسه ص ٢٢٦ ، د . سهل السنوي ، د . عدنان النقاش المصدر نفسه ، ص ١٤٩ ، ١٥٣ ، د. شاكر خصباك ،المصدر نفسه (١٩٧٨) ص ٤ — ٧ .

(١٠٢) جلال مظهر ، المصدر نفسه ، ص ١٥٧ — ١٥٨ .

(١٠٣) عمر فروخ ، المصدر نفسه ، ص ١٤٨ ، ١٩٤ — ١٩٥ ، امين محمد عثمان، تراثنا العربي في ضوء العلم الحديث، بيروت، ١٩٥٨، ص١٣٤ .

(١٠٤) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ٨٧ .

(١٠٥) د. سهل السنوي ، ملاحظات في التراث العلمي العربي ، من بحوث الندوة القطرية الثانية ، لتاريخ العلوم عند العرب لمركز احياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، ١٥ — ١٩٨٦/٤/١٧ .

(١٠٦) د. وفيق شاكر ، ارصاد مذنب هالي عند العرب ، من بحوث الندوة القطرية الثامنة لتاريخ العلوم عند العرب لمركز احياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، ١٥ ـ ١٧ /١٩٨٦/٤ .
(١٠٧) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ٨٥ .
(١٠٨) العقاد ، المصدر نفسه ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .
(١٠٩) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ١٨ ـ ٢٠ ، الهيتي وزملاؤه ، المصدر نفسه ، ص ٤٥ ـ ٤٦ ، خليل السامرائي ، أثر العراق الحضاري على الاندلس ، مجلة المؤرخ العربي ، بغداد ٢٧ عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ٣١ ـ ٣٩ .
(١١٠) د. سهل السنوي، د. عدنان النقاش، المصدر نفسه، ص١٤٦ـ١٤٧ .
(١١١) عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ٤١ ، ٥٥ .
(١١٢) د. سهل السنوي، د. عدنان النقاش ، المصدر نفسه، ص ٨٧ـ٨٨ .
(١١٣) د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه ، (١٩٧٥) ص ٢٠ ـ ٢١ .
(١١٤) عمر فروخ ، المصدر نفسه ، ص ١٩١ ـ ١٩٢ .
(١١٥) د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه ، (١٩٧٥) ص ٣٢٩ـ٣٣٣ .
(١١٦) المصدر نفسه ، ص ١٨ ـ ١٩ .
(١١٧) المصدر نفسه ، ص ٣٥٨ ، عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ١٠٨ .
(١١٨) هونكه ، المصدر نفسه ، ص ١٢١ ، صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ٥٧ـ٦٠ ، ١٠٧ـ١٠٨ ، ١٦٨ ـ ١٧١ ، ١٧٤ ـ ١٧٥ ، ١٩٠ ـ ١٩٦ .
(١١٩) المسعودي ، التنبيه ، المصدر نفسه ، ص ٢٥ ـ ٣٦ .
(١٢٠) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ١٣٢ ، د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه ، (١٩٧٥) ص ١٤ ـ ١٦ ، ٣٩ـ٤٠ ، ٩٦ أخوان الصفا، المصدر نفسه ، ص ١٤١ ـ ١٤٢ .
(١٢١) المسعودي التنبيه ، المصدر نفسه ، ص٣٩ ـ ٤٠ ، د . شاكر خصباك المصدر نفسه (١٩٧٥) ١٤ ـ ١٦ ، ٣٩ ـ ٤٠ ، ٩٦ .
(١٢٢) عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ٢٦٣ .
(١٢٣) الهيتي وزملاؤه ، المصدر نفسه ، ص ٧٨ ـ ٨٠ .
(١٢٤) صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ ـ ٢٣٢ .
(١٢٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٠ ـ ١٢٢ .
(١٢٦) محمود كامل ، السياسة الحديثة ، علما وتطبيقا ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٣٠ ، نعمان دهشي العقيلي ، الرحالة العرب والادب الجغرافي السياحي ، من بحوث دورة اسهامات العرب في علم الجغرافية والخرائط ، أقامها مركز احياء التراث العلمي العربي ، ١٦ـ١٩٨٥/١١/٢٨ .

(١٢٧) اخوان الصفا المصدر نفسه ، المسعودي ، مروج الذهب ، المصدر نفسه عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ٥٥٣ .

(١٢٨) د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه (١٩٧٥) ص ١٨٠ — ١٨١ .

(١٢٩) صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ٣٠—٣١ ، ١٩٠ — ١٩٥ .

(١٣٠) المصدر نفسه ، ص ١١٩—١٢٠ .

(١٣١) المصدر نفسه ، ص ١١٢ — ١١٧ .

(١٣٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٦ — ١٤٧ .

(١٣٣) د. اكرم الصالحي ، اسهامات العرب في الملاحة وعلوم البحار ، من بحوث دورة اسهامات العرب في الملاحة وعلوم البحار ، أقامها مركز احياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، ١٦—٩٨٥/١١/٢٨ .

(١٣٤) ابن حوقل ، المصدر نفسه .

(١٣٥) المسعودي ، التنبيه ، المصدر نفسه ، اكرم الصالحي المصدر نفسه ، د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه (١٩٧٥) ص ١٩٦ — ١٩٨ .

(١٣٦) ابن حوقل ، المصدر نفسه ، ص ١٣٧ ، ١٤٥ ، ٢١٢ — ٢١٨ ، ٢٤٧ ، ٣٢١ ، ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ، ص ٥٣٢ ، ٦٨٣ ، د. ناجي معروف ، عروبة المدن الاسلامية ، ط١ ، بغداد ، ١٩٦٤ ، ص ٣—١٠، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ بيروت ، بدون تاريخ ص٦٩ .

(١٣٧) ابن حوقل ، المصدر نفسه ، ص ٣٧ — ٤١ ، ٢١٢/١٩٤ ، الحموي ، المصدر نفسه ، م١ ، ص ٩٣ ، اليعقوبي ، المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

(١٣٨) ابن حوقل ، المصدر نفسه ، ص ٤٣ ، ٧٨ ، عبداللطيف البغدادي ، مقالتان في الحواس ومسائل طبيعية ، دراسة وتحقيق الدكتور بول عليوتجي والدكتور سعيد عبده ، الكويت ، ١٩٧٢ ، ص ٤٨ المسعودي، التنبيه والاشراف ، المصدر نفسه ص ٣١١ ، المسعودي مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المصدر نفسه ، ص ٤١٠ .

(١٣٩) ابن حوقل ، المصدر نفسه ، ص ٧١ — ٧٢ ، الحموي ، المصدر نفسه م ٣ ص ٨٩ المسعودي ، الاشراف والتنبيه ، المصدر نفسه ص ٣٠٩ ، اخوان الصفا ابن الجلدي ومن معه من الحكماء ، لكنهو ، بدون تاريخ ، ص ١٩٦ .

(١٤٠) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص١٦٠ .

(١٤١) لمزيد من التفاصيل ، راجع : د. خالص الاشعب ، المدينة في الفكر الجغرافي العربي في العراق ، مجلة آفاق عربية ، ١٩٨٦ ، د. خالص الاشعب ، المدينة ، منهجية البحث ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، ١٩٨٦ .

(١٤٢) د. أحمد سوسه ، المكتبة الجغرافية ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، العدد الاول ، ١٩٦٣ ، ص ٢٣٣ ، د. احمد سوسه ،

العراق في لخرائط القديمة ، نشر المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص ٥ ـ ٧ .

(١٤٣) د. سعدي السعدي ، العلاقة بين استعمالات الارض والمصادر المائية بين الماضي والحاضر عند العرب ، من بحوث دورة اسهامات العرب في الملاحة وعلوم البحار أقامها مركز احياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ١٦ ـ ١٩٨٥/١١/٢٨ .

(١٤٤) د. فلاح شاكر اسود ، علم الخرائط في المدرسة العربية ، د. صالح فليح حسن ، اسهامات الخوارزمي في تطوير رسم الخرائط ، من بحوث دورة اسهامات العرب في علم الجغرافية والخرائط ، أقامها مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٦ ـ ١٩٨٥/١١/٢٨، د. ابراهيم شوكة ، خرائط جغرافيي العرب الاول ، مجلة الاستاذ ، العدد ٢٠ ، ١٩٦٢ .

(١٤٥) د. عبدالعال الشامي ، جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط ، نشرة ٣٦ ، يصدرها قسم الجغرافية بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية الكويت ، ١٩٨١ ص ٢٦ ـ ٣٥ .

(١٤٦) الشامي ، المصدر نفسه ، ص ٨ ـ ١٣ ، د. فلاح شاكر اسود ، المصدر نفسه .

(١٤٧) عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ٤١ ، د. سامي سعيد الاحمد ، حضارات الوطن العربي كخلفية للمدينة اليونانية ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٦٥ .

(١٤٨) الاحمد ، المصدر نفسه ، ص ١١ ـ ١٥ .

(١٤٩) المصدر نفسه ، ص ٣٣ ـ ٣٧ ، ٧١ ـ ٧٢ .

(١٥٠) المصدر نفسه ، ص ٤٠ .

(١٥١) المصدر نفسه ص ٧٠ ، د. سعدي السعدي ، المصدر نفسه .

(١٥٢) الاحمد ، المصدر نفسه ، ص ٧١ ـ ٧٢ .

(١٥٣) د. أحمد سوسه ، المصدر نفسه (١٩٦٣) ص ٢٣٣ ، د. أحمد سوسه ، المصدر نفسه ، (١٩٥٩) ص ٥ ـ ٧ .

(١٥٤) الاحمد ، المصدر نفسه ، ص ٧١ ـ ٧٢ .

(١٥٥) المصدر نفسه ، ص ٧٢ ـ ٧٣ ، د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه (١٩٧٥) ص ٢٠ـ٢١ ، هونكه ، المصدر نفسه ، ص ١١٧ ، العقاد ، المصدر نفسه ، ٦٣ .

(١٥٦) الاحمد ، المصدر نفسه ، ص ٧٢ ـ ٧٣ ، العقاد ، المصدر نفسه ، ص ٦٣ .

(١٥٧) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٥ .

(١٥٨) د. سهل السنوي ، د. عدنان النقاش ، المصدر نفسه ، ص ١٥ ـ ١٦٤ ، الهيتي وزملاؤه ، المصدر نفسه ، ص ٨٣ ـ ٨٥ ، د. خليل

السامرائي المصدر نفسه ، ص ١٣٠ .

(١٥٩) د. محمد عبدالعزيز مرزوق ، الفن الاسلامي ، بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ١٠٥ — ١١٤ .

(١٦٠) العقاد ، المصدر نفسه ، ص ٦٠ — ٦١ ، جلال مظهر ، المصدر نفسه ، ص ١٤٥ — ١٤٦ .

(١٦١) هونكه ، المصدر نفسه ، ص ١٣٨ — ١٣٩ ، ١٤٤ — ١٤٥ .

(١٦٢) صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ٧٥ —٧٦ .

(١٦٣) المصدر نفسه ، ص ٣٠ — ٣١ ، ٤٢ — ٤٤ .

(١٦٤) المصدر نفسه ، ص ٤٢ — ٤٤ ، ١٠٧ — ١٠٨ ، ١٣٥ — ١٣٦ .

(١٦٥) المصدر نفسه ، ص ٥٧ — ٦٠ ، كراتشكوفسكي المصدر نفسه ص ١٩٠ — ١٩٥ .

(١٦٦) نقولا زيادة ، المصدر نفسه ، ص ١٤٦ — ١٤٨ ، صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ٧٨ — ٨٠ .

(١٦٧) عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ١٠٦ — ١١٠ ، هونكه ، المصدر نفسه ، ص ١٤٥ — ١٤٦ ، د. طه باقر ، المصدر نفسه (١٩٨٠) ص ٣٤٣ .

(١٦٨) هونكه ، المصدر نفسه ، ص ١١٩ — ١٢٦ ، د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه ، (١٩٧٥) ص ٢٥ — ٢٨ .

(١٦٩) هونكه ، المصدر نفسه ، ص ١٣٤ .

(١٧٠) صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ١٤١—١٤٤ ، ١٧٨—١٧٩ .

(١٧١) المصدر نفسه ، ص ٨٧ — ٨٨ .

(١٧٢) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ١٨٥ ، جلال مظهر ، المصدر نفسه ، ص ١١١ .

(١٧٣) زكريا القزويني ، المصدر نفسه ، ص ٩ — ١٣ ، كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ٣٥٩ — ٣٦٤ ، د. سهل السنوي ، د. عدنان النقاش ، المصدر نفسه ، ص ٢٥٢ — ٢٥٣ ، صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ٧١ — ٧٢ .

(١٧٤) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ٣٢٠ — ٣٢٢ .

(١٧٥) الحموي ، المصدر نفسه ، م ١ ، ص ٥ .

(١٧٦) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ص ١٥٦ — ١٥٨ .

(١٧٧) المصدر نفسه ، ص ٢٧ — ٢٨ .

(١٧٨) حبذا لو ترجمت الى العربية .

(١٧٩) صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

(١٨٠) كراتشكوفسكي، المصدر نفسه، ص ٢٧ — ٢٨ — ٣٤ ، ١٦٠ — ١٦١ — ١٨٤ — ١٨٥ .

(١٨١) نقولا زيادة ، المصدر نفسه ، ص ١٤٦ — ١٤٨ ، الدجيلي ، المصدر

نفسه ، ص ١٧٣ – ١٧٥ ، صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ١١٢ – ١١٧ ، الدوميلي ، المصدر نفسه ، ص ٢٣٠ .

(١٨٢) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ٢٧ – ٣٤ ، ١٦٠ – ١٨٥ .

(١٨٣) نقولا زيادة ، المصدر نفسه ، ١٤٦ – ١٤٨ .

(١٨٤) الدوميلي ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٥ – ٢٢٦ .

(١٨٥) الدجيلي ، المصدر نفسه ، ص ١٧٣ – ١٧٥ ، د. شاكر خصباك ، المصدر نفسه ، (١٩٧٥) ص ٢٧٥ – ٢٧٦ ، صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ١١٢ – ١١٧ .

(١٨٦) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ – ٢٠٥ ، صبري محمد حسن ، المصدر نفسه ، ص ١٦٢ – ١٦٥ .

(١٨٧) العلي ، المصدر نفسه .

(١٨٨) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ٣٣٦ .

(١٨٩) المصدر نفسه ، ص ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ – ٣٤٧ .

(١٩٠) المصدر نفسه ٣٤٤ – ٣٤٧ .

(١٩١) الدوميلي ، المصدر نفسه ، ص ٥٣٥ .

(١٩٢) جلال مظهر ، المصدر نفسه ، ص ١٧٠ .

(١٩٣) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ١٠٣ – ١٠٤ .

(١٩٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٧ .

(١٩٥) د. عبدالعزيز حميد ، د. صلاح العبيدي ، الفنون العربية الاسلامية، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ١٤٦ – ١٤٨ ، مرزوق ، المصدر نفسه ص ٨٧ – ٨٨ .

(١٩٦) مرزوق ، المصدر نفسه ، ص ٢٩ – ٣٠ ، ٤٥ – ٤٦ ، ٦٣ – ٦٤ ، ٨٧–٨٨ ، ٩٠–٩٥ ، ٩٩–١٠١ ، مجلة آفاق عربية ، العدد الاول ، ك٢ ، ١٩٨٧ ، ص ١٣٨ – ١٣٩ ، جلال مظهر ، المصدر نفسه ، ص ١٥٩ – ١٦٠ .

(١٩٧) ناجي معروف ، المصدر نفسه ، ص ١٤ – ١٧ .

(١٩٨) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ٣٣ – ٦٤ ، د. شاكر خصباك المصدر نفسه (١٩٧٥) ص١٥١ .

(١٩٩) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ١٦٠ – ١٦١ .

(٢٠٠) عفيفي ، المصدر نفسه ، ص ٩٢ ، هونكه المصدر نفسه ، ص ١٤٤ – ١٥١ .

(٢٠١) ولد ابرخس عام ١٩٠ ق.م وتوفي عام ١٢٥ ق.م .

(٢٠٢) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ١٨٧ – ١٨٨ .

(٢٠٣) اخوان الصفا ، المصدر نفسه ، م ١ ، ص ١٩ .

(٢٠٤) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، ص ٣٢٠ – ٣٢٢

(٢٠٥) المصدر نفسه ، ص ٣٣٦ .

الفصل الثاني عشر

المدرســة العراقيــة

عـلم الكلام ـ الفلسفة والتصوف

د . عرفان عبدالحميد فتاح

لاعطاء صور تأريخية شاملة عن دور العراق المتميز في مجمل الحركة العقلية والروحية في التاريخ العربي الاسلامي ، لابد من التعريف باختصار بالتيارات الفكرية المختلفة التي ولدت وتطورت في دائرة هذا الفكر ، والتي أسـهمت في بلورة المراكز الثقافية في العراق ، وهيأت لها اسهاما ممتدا ، زمانيا ومكانيا ، من الفعل والتأثير في بنية الحضارة العربية ، وتجاوزتها الى التفاعل والتأثير في الفكر الانساني ابان عصور التألق والابداع . اذ المعروف الثابت عند متابعي حركة الفكر في الاسلام تميزه بصفة عامة بـ « التعددية في المواقف والاجتهادات Multiplicity of Approaches » وهي النزعة التي جاءت ـ كما يشير مؤرخو التراث الشرقي ـ وليدة نظرة تميل عموما الى مواجهة أية مشكلة من جهات عدة ، والعبارة عنها بصيغ مختلفة ، خلافا للعقلية اليونانية التي كانت تتعامل مع المشكلات بمفاهيم صارمة وواضحة .

وهكذا امكن القول بان الفكر العربي ـ الاسلامي ، اتخذ في نشأته ومراحل تطوره اللاحقة احد الاتجاهات الآتية :

اولا : الاتجاه الظاهري الذي وقف أتباعه وأنصاره عند الدلالات اللغوية المباشرة للنصوص الدينية ، ومنعوا تبعا لذلك الاجتهاد العقلي في فهمها ، خشية ان تصرف النصوص المعصومة الى معان بعيدة عن المراد منها ، ومخافة ان يدفـع الاختلاف في التأويل والتفسير الى الفرقة والاختلاف والى التباغض

والتناحر • لذا منع انصار هـذا الاتجاه التأويلات العقلية في العقائـد ولا سيما العقائد النظرية بدعوى « ان العقل معزول أصالة عـن النظر في الشرع » ، ولان العقيدة لا سبيل الى اثباتها الا عن طريق الوحي المعصوم عن الخطأ ، وان القرآن الكريم المنزل بلغة العرب ، الواضحة البينة في دلالاتها ، يفسر ذاته بنفسه • وبناء على هذا الفهم والتصور وقف اتباع هـذا المنهج الظاهري بحزم واصرار ضد عمليات التثاقف مع دوائر الفكر والحضارة الاجنبية التي وصموا علومها بـ « بالعلوم المهجورة او الغامضة والمستترة » واتهموا كل رغبة في الاقتباس منها ، او التفاعل معها ، بانها محاولة عبثية تنم عن سذاجة في التفكير ، وخروج عن الدين وتوقيفاته ، واغفال لوجوه المفارقة والتمايز بين : التصور الاسلامي ومعطيات الثقافة الاجنبية التي تعتمد ـ في منهجهم وادراكهم ـ على مسلمات عامة لا تنسجم وأوليات العقيدة الاسلامية ولوازمها • وهكذا آمن أصحاب هذا الاتجاه بان الاسلام وحدة منطقية قائمة بذاتها ، تفسر ذاتها بنفسها ، ومن ثم فان أي مشروع للتوفيق بينه وبين غيره لا يمثل في أفضل صوره وحالاته ، الا تلفيقا يشوه كلا طرفي المعادلة ، لذا وقف اتباع هذاالمنهج « الاتباعي الظاهري » وقفة عداء شديدة استمرت قرونا ضد كل جهد عقلي يهدف الى التوفيق بين الوحي ومعطيات العقـل التجريبي ، وعدوا عمليات الاستمداد الثقافي متابعة فكرية للموروث الاجنبي وجهدا يدفع صاحبه بعيدا عن دائرة الاسلام وعقائده •

ومن هذا المنطلق ايضا اتخذ انصار هذا « المنهج الاتباعي التقليدي » موقفا صارما من اتباع الاتجاهات الداعية الـى التثاقف الحضاري والتي سنفصل الكلام على مناهجها وأصولها ، من الذين آمنوا بجدوى التعرف على « علوم الاوائل المهجورة » ، بما تتضمه عمليات التثاقف الايجابية من : أخذ واقتباس ، او تصويب وتعديل ، او نقض ورد لموارد الثقافة المقابلـة وعناصـرها •

لقد تشكل هذا التيار الاتباعي الظاهري في العراق ، ولا سيما بغداد في مذاهب المفسرين والمحدثين عامة ومدرسة الحنابلة وامامها أحمد بن حنبل (ت/٢٤١ ــ ٨٥٥ م) الذي حمل بقسوة وعنف على اتباع المناهج العقلية من المتكلمين والاصوليين واستمر انصاره من بعده يقاومون بعزم وحزم وتشدد كل الصيغ حتى المعتدلة المتوازنة منها التي دشنها الاصوليون والمتكلمون ، وصنفوا عددا لا يحصى من المدونات التي تصب في المجرى العام للمذهب والذي أريد له ان يقف معارضا ومنددا بالاتجاهات العقلانية التي آمن انصارها بالحوار الفكري بين الحضارات لاقتناعهم الجازم بوجود حقائق مطلقة ، لا يلتجأ في اثباتها الى النظر والبحث ، ولا التفكير والعقل ولا تقبل التجزئة المادية ، ولا تتوقف على البراهين المنطقية وهكذا أقدم أئمة هذا الاتجاه التقليدي الصارم على كتابة المدونات التي تنقض على خصومهم ومنهجهم وما ألفوا ، فكتب جمال الدين الخوارزمي (ت/٣٨٣ ــ ٩٨٣ م) والهروي الانصاري (ت/٤٨١ ــ) وابن قدامة المقدسي (ت/٦٢٠هـ/) وابن الصلاح الشهرزوري [ت ٦٤٣/ ــ] وابن تيمية الحراني [ت/٧٢٨/١٣٢٨] وابن تيم الجوزية [ت/٧٥١ــ٦٧٧] وجلال الدين السيوطي [ت ٩١١ ــ ١٥٠٥ م] وغيرهم كتبا في الرد على اتباع المناهج العقلية .

لقد شكل هذا المنهج في اسلوبه واهدافه « نزعة لا تأريخية » أسقطت من الاعتبار جملة المتغيرات المستجدة في عالم الفكر والحضارة ، وتشخصت نظرتها في « النموذج الكامل الامثل » الذي بدأه السلف الاول فأوجبوا الوقوف عند حدوده ورسومه ، وعدوا كل تجاوز لمفرداته ردة وزندقة وكفرا ، بدعوى « ان ما يمكن التفكير فيه قد تم استيعابه ، واكتمل التفكير فيه » وليس بعد ذلك امام العقل البشري الا التقليد ــ والترديد والمحافظة على ما تم انجازه من قبل طبقة السلف « التي كان لها ــ كما يقولون قوة الحفظ

والفقه في الدين والبصر والتأويل ، ففجرت مـن النصوص أنهـار العلوم ، واستنبطت منها كنوزها ورزقت فيهما فهما خاصا •

ثانيا : الاتجاه العقلي :

وهو الذي آمن اتباعه ومشايعوه بالمتغيرات الحضارية التي صحبت حركـة الفتوح العربية الاسلامية ، وتنامت مع الزمن تحت تأثيرات عمليات التثاقف الحضارية •

لقد اقتنع اصحاب هذا المنهج بان معركـة الفكر العربي الاسلامي مع الخصوم والمخالفين ، من جهة ، وقدرته على الاستجابة الواعية لوقائع الحياة المتجددة ، من جهة اخرى ، تقتضيان معا نقل الصراع والمواجهة الحضارية من « دائرة النص والاستشهاد بالرواية والنقل » الى ميدان « العقل والمنطق والخبرة الانسانية المتراكمة » ، وان الاستجابة المستنيرة للتحديات الثقافية لا تكون بالانغلاق والتمحور حول الذات ، بل من خلال وجهة نظر نقدية متسائلة ، ودراسة علمية متقنة وعميقة لدعاوى الفكر المقابل ومن ثم التصدي لها • وهكذا انصرف اتباع هذا الاتجاه الى دراسة شاملة لعلوم الاوائل ، بعد ترجمتها في مراكز النقل والترجمة المتخصصة التي ازدهرت ببغداد و « دار الحكمة » فيها ، مع ما يلتزم لهذه المراجعة النقدية من : نقل وترجمة ، او تصحيح وتعديل او نقض ورفض لآراء المخالفين ، او هضم وتمثيل لعناصر من الفكر الاجنبي الموروث •

وكان من نتائج هذا الحوار الثقافي المتمكن الواثق من نفسه « نشـأة علم الكلام » وولادة « الفكر الفلسفي » على اساس من منهج عقلي مستنير ، تتباين صوره وأشكاله ودرجاته ، الا انه قام وتأسس على قواعد من النظر والمناقشة ، متخذا من المنطق أداة مختارة له في ترتيب مسائله ومشكلاته وتركيب حججه وقضاياه •

وقد أعان على نماء هذا المنهج العقلي الذي اتسم بحكم بنيته ، بقــدر كبير من السماحة وســعة الافــق وحريــة الانتخاب والانتقاء في الاخــذ والاستمداد ، ان أنصاره كانوا يتعاملون في أغلب الاحايين مع تراث أجنبي (اليوناني منه على وجه التخصيص) كان قد فقد قدرته على النمو والتطور وانحسر سلطانه السياسي وتقلص نفوذ سيادته المادية ، في حين كانت الدولة العربية بما لها من قوة الفعل السياسي والانتشار تشكل قوة روحية هائلة تعزز الثقة بالنفس وتهيىء لابنائها مساحة مرموقة من « حريــة الانتخاب والانتقاء » فيما تأخذ او ترفض من مفردات دوائر الحضارة السابقة التي تعرف العرب المسلمون على تراثها الفكري المتراكم .

ثم افترق اتباع هذا المنهج العقلاني في القرون التالية الرابع والخامس للهجرة ، الى مدرسة فلسفية آمن انصارها « بالعقل الانساني المســتقل في أحكامه » مقياسا في الفصل في المسائل والامور ، فيستفتونه فيما عرض لهم من قضايا الوجود العام ، والمعرفــة ، ويتابعون في حلولهم لها ما انتهى اليهم من تراث اليونان الفلسفي ، على اختلاف مذاهبه ومدارسه واتجاهاته ، فمنهم من مال الى أفلاطون ونزعته المثالية ، ومنهم من تابع ارسطو وفلسفته الطبيعية، مع نزعة مشتركة عامة دفعتهم الى الجمع بين العملاقين اليونانين وما أثر عنهما من تعاليم واتجاهات . ومن هنا فقد عرف « المعجميون » في تراثنا هذا المنهج الفلسفي الخلفي بقولهم « البحث في الفلسفة يكون على مقتضى العقل » غير المقيد في اسدلالاته الا بمنطقه هو ، حتى اذا ما انتهى الفلاســفة الى حكم حسبوه حقا ، والى حل لمشكلة فلسفية قائمة عدوه صحيحا ، قاموا بتأويل النصوص الدينية على مقتضى ما انتهوا اليه من أنظار وحلول للمشكلات التي تصدوا لمعالجتها .

اما الجناح الآخر من هذا الاتجاه العقلي الذي عرف بعلم الكلام فقد هضم وتمثل متابعوه المنهج الاعتزالي الذي بدأ أصوله وقواعده شيوخ معتزلة

بغداد والبصرة ، ثم أجروا عليه تعديلات قد لا تبدو جوهرية في حقيقتها ، اريـد ايجاد صيغ « توفيقية ومركبة » المنزع والغاية ، وأجهدوا أنفسهم من أجل ابتداع طرائق للجمع بين حقائق الدين الثابتة وحيا والحقائق الفلسفية التي تحققت عندهم بالبرهان ، منطلقين اساسا من القول « ان الحقيقة الدينية تسبق الدليل » ولا تتقدمه •

وهذه المدارس المتوسطة التوفيقية بين العقل والنبوة ، او بين الدين والفلسفة هي التي عرف أتباعها بالمتكلمين Scholastic Theologians " وعرفت موضوعات دراساتهم في جملتها « بعلم الكلام او أصول الدين » ، واستهدفوا منه الى « وضع فلسفة صحيحة للدين » تؤاخي بين الوحي والعقل• وسترى فيما بعد بان هذه المدارس الكلامية ، لا سـيما في مراحـل نضجها المتأخرة قد قامت بدور أساسي ومثير على الساحة العراقية عبر التأريخ ، وامتدت تأثيراتها الى دوائر الفكر الديني الاخرى عموما ، لاسيما الفكـر الديني عند اليهود الذين تتلمذوا في العراق لاساتذة المدارس الكلامية من المعتزلة والاشاعرة •

ثالثا : الاتجاه الصوفي الذوقي :

تجاوز أنصار هذا الاتجاه واتباعه معطيات العقل الانساني وتقريراته لاعتقادهم العام « بان الافكار محل الغلط والخطأ » وان العلم الحقيقي لا يكون الا عن « كشف وشهود لا عن فكر ونظر وتخمين » ، بدعوى « ان علوم الفكر ــ بكل وجه ــ ما تقوم مقام علوم الذكر والوحي والوهب الالهي في الرفعة والمكانة » • كذلك هم تجاوزوا : المعطيات اللغوية المباشرة للنصوص الدينية ، بدعوى ان « الوقوف عند ظواهر الاحكام حجاب يحـول دون الوصول الى حقيقة الدين وغاياته القصوى » ، فلا بد من فهم ومعرفة اساسها « الكشف والالهام والبصيرة الباطنية » •

وقد انتهى الامر بأنصار هذا الاتجاه الذوقي الى اتخاذ مواقف معارضة في دائرة المعرفـة الانسانية ، من اتباع المناهج السابقة ، وأقاموا لانفسهم « منهجا جوانيا » يعتمد « الكشف الصوفي والالهام والمعرفة الذوقية المباشرة » طرائق يتوسلون بها الى معرفـة يقينية ـ في زعمهم ـ تعلو وتتسامى في صدقها ووضوحها ألوان المعرفة المستقاة من الخبرة الحسية او النظر العقلي او الرواية المنقولة . وهكذا دون هؤلاء دقائق منهجهم الجواني في مؤلفات كبرى معروفة ومشهورة ظهرت بأرض العراق وفي مدارسه ، وعدت المصادر الموثوقـة المعتمدة في التعريف بمناهجهم وطرائق سلوكهم في الحياة ودقائق تجربتهم الروحية الثرية الغنية بألوان المواهب والاشارات الالهية ، التـي سنفصل الحديث في تفصيلاتها فيما بعد .

من هذه الخلاصة التي أسقطت قصدا عن الاعتبار : دقائـق التأريخ وتفاصيله الجزئية ، يتبين لنا ان الاتجاهات العامة والاطر الكلية للفكر العربي الاسلامي قد اتخذت واحدا من مناهـج ثلاثة تكاد تكون مظهرا عاما في الاديان جميعا ، تلك هي : المناهج الاتباعية التقليدية ـ TRADITIONALISM والمناهج العقلية ـ RATIONALISM والمناهج الذوقية او الصوفيية الروحية ـ SPIRITUALISM

علم الكلام وبواكير المنهج العقلي واتجاهاته :

يذهب الباحثون الى ان بواكير الحركة العقلية في الاسلام عامة ، وفي دائرة العقائد النظرية خاصة قد ظهرت بأرض العراق في مدن البصرة والكوفة، ابتداء ثم ترسخت وتأكدت من بعد ببغداد بعد تمصيرها . وهم يرون ايضا بان الداعية والسبب في نشأة هذه الحركـة العلمية الواسـعة كانت جملة أمور نجملها فيما يأتي :

أ ـ ان ارض العراق واجهت حركات فكرية ارتيابية مضادة للاسلام عقيدة وشريعة ، دولة وسيادة قيما وسلوكا في الحياة تمثلت في الغلاة والزنادقة والشعوبية التي جمعت بينها نزعات تحريفية خطيرة تهددت السيادة العربية والثقافية الاسلامية والعقائد الدينية ، بصفة عامة •

ولقد تشكلت هذه الاتجاهات الغالية في حركة هدم واسعة النطاق جمعت بينها قواسـم مشتركة تقوم على الجمـع « والتلفيق والانتخاب العشوائي » من مصادر الموروث الاجنبي عامة والمجوسي منه خاصة ، والتبشير بعقائد تتناقض ولا تتفق واوليات العقيدة الاسلامية واصولها الثابتة كالقول : بالتشبيه والتجسيم والمحايثة واضفاء صفات المخلوقين على الخالق تعالى ، وبالحلول والتجسيد الالهي في الانسان ورفعه الى مقام الالوهية والربوبية وبالتناسخ في الارواح وتقديس الاعداد والحروف ونزعة الميل الى استحلال المحرمات واسقاط الفرائض ، وسوى هذه الامور مما اصطلح كتاب المذاهب والاديان على تسميتها بالغلو والزندقـة •

وفي دائرة الثقافة والادب حاول الشعوبيون الدعوة الى صور وألوان من الادب فيها خروج على المألوف من اساليب التعبير ومقاصد الشعر وفنون الادب المعروفة عند العرب ، مما اسماه المستشرق المعروف هاملتون كيب بـ « ثقافة الدواوين » التي اتسمت بالضحالة والقشرية واستهدفت اتباع رغبات جيل من المثقفين المولدين مالوا الى حياة الترف والابتذال والثقافة القشرية المشاعة ، وأرادوا بنشرها والدعوة اليها اقصاء الادب العربي الجاد المتصـل بتراث العرب وأمجادهم ومآثرهم وقيمهم الخلقية وطرائق حياتهم العامة ، والاجتماعية منها خاصة • وهكذا جاءت هذه « الثقافة الشعبية المبتذلة » في صورها ومقاصدها تعكس وضعا اجتماعيا نابيا وشـاذا ، تمكن فيه دعاة الشعوبية من التسلط عليه وتوجيهه صوب مصالحهم الهدامة • فكان لزاما على أنصار التصور الاسلامي السليم الملتزمين بمآثر الامـة وأصول ثقافتها

الرصينة من شعر وادب وملاحم او التصدي لحملات التغريب هذه والعودة الى « المنابت والاصول والجذور » الاصيلة للثقافة العربية بغية اقصاء هذا الادب الشعبي الماجن عن الساحة الثقافية والذي كان يشير به ويدعو اليه ويناصره اولاد اكاسرة الفرس ودهاقنة المجوس المقهورين • ولعل في هـذا التفسير ما يعلل كون الكثير من « علماء الكلام » ادباء من الطراز المتميز ايضا من امثال ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت / ٢٥٥ ـ ٨٨٩) وابي حيان التوحيدي (ت /٤٠١ ـ) وجار الله الزمخشري (ت /٥٣٨ ـ ١١١٤) وغيرهم • ممن اخذوا على عاتقهم صيانـة العقيدة وبيان تهافت دعـاوى الشعوبية ، ومعارضتها بذكر فضائل العرب ومآثرهم وأمجادهم •

ب ـ ومن جهة اخرى وجد المتكلمون في العقائد الدينية الموصولة بالتراث الاجنبي خطرا داخليا يتهدد أصول العقيدة الاسلامية ، وتحققوا من ان معارضتها بالرواية والنقل مما لا يجدي نفعا في الرد عليها ونقض مقولاتها ، لـذا بادر القوم الى خوض عالـم المعارف المتصلة بالاديـان المقارنـة ، واجتهدوا من أجل معرفـة دقائق تفصيلات المذاهب والملل والنحل ، ومن ثم الرد عليها وبيان تهافت حججها ونقض مسائلها التي لا تتفق مع العقيدة الاسلامية وتتعارض معها • والحق فان الدافـع الرئيس لنشأة علم الكلام بوصفه محاولة استهدفت وضع اسس فلسفية صحيحة للدين ، تمثل في هذه الرغبة الصادقة للاستجابة لتحديات الاصول الثقافية والعقدية للامم التي فتح العرب المسلمون اراضيها ، تلك الاصول التي استمرت بعد الفتح ولمدة زمانية ممتدة لقرون تتهدد صفاء العقيدة الاسلامية والسيادة العربية فتبشر بعقائدها الدينية الموروثـة ، وطرز حياتها وقيمها المندثرة ، متخذة من ذلك كله قاعدة انطلاق لتحقيق ما ابتغت من سوء وتخريب •

وغني عن البيان بان جملة الحركات السياسية الهدمية التي استهدفت تقويض السيادة العربية كانت في الوقت عينه تبشر بمنظومات فكرية هجينة

كانت تشكل القاعدة الفكرية المشتركة لذوي الاهواء والمآرب السياسية مما ينتهي بنا الى تثبيت حقيقة تاريخية وموضوعية مفادها ان الحركات السياسية ـ الدينية كأبا مسلمية والمقنعية والخرمية والقرمطية ، كانت في الوقت ذاته مذاهب في العقيدة وقواعــد السلوك والاخلاق ، وانها كانت تعمل على ساحتين متوازيتين معا وفي آن واحد : الساحة السياسية ممثلة في حركات تمرد وعصيان وفتن مسلحة ، والساحة العقدية ، مشخصة في دعاوى الغلو والزندقــة ، مما يلخصه لنا الجاحظ في صورة جامعة بالقول « .. عامة من ارتاب بالاسلام انما جاءه هذا عن طريق الشعوبية ، فاذا ابغض شيئا ابغض اهله ، وان ابغض تلك اللغة ابغض تلك الجزيرة . فلا تزال الحالات تنتقل بــه حتى ينسلخ من الاسلام ، اذ كانت العرب هي التي جاءت به وكانــوا السـلف » .

من هذا الفهم والمنطلق ندرك القيمة التأريخية لجهود المتكلمين لا سيما رجال المدرسة الاعتزالية ، ممن برزوا على الساحتين الفكرية والسياســية وحاولوا بما بذلوا من جهد رائع ومثير للاعجاب والتقدير ان يتصدوا لحملات التشويه والتمويه والتضليل ومحاولات الهدم والتحريف ، فأقاموا العقيدة الاسلامية على اسس رصينة من التعقل والتبصر والمنطق والبرهان ، وبدأوا في تاريخ الثقافــة العربية مشروعا انسانيا للتثاقف الحضاري مع دوائر الفكر الاجنبي مما حمل المستشرق المعروف نيبرج على القول « وانا اميل الى القول بانه لم يكن في التاريخ أحد منجح نجاح النظام (ابراهيم بن سيار النظام المعتزلي ، من مشاهير رجال المدرسة البصرية ت/٢٣١ـ٨٤٥) في ابطال كلام الثنويــة واسقاطهم عن مركزهم وشأنهم في الشرق الادنى وتؤيده المستشرقة الالمانية سوسنه فلزر فتقول « ومما خدمت به المعتزله دين الاسلام انها جادلت الثنوية ، وردت مقالاتهم ووطأت لاهل السنة الطريق الى اثبات عقيدتهم عند مجادلتهم للثنوية ولغيرها من الفرق [الغالية] » .

ومن الممكن احصاء وجوه الاستجابة الحضارية المستنيرة التي مثلتها حركة المعتزلة في دائرة الفكر العربي الاسلامي فيما يأتي :

اولا : نقل المعتزلة صورة الصراع والمحاكة بين العقائد الاسلامية وما يخالفها من انظار وفلسفات وعقائد من دائرة النقل والرواية الى ساحة العقل والمناظرة الفلسفية ، مما استوجب البحث تفصيلا في موارد المعرفة الانسانية ومصادرها وطبيعتها ، وتفصيل القول في أصناف المعرفة : الفطرية الاولية (الضرورية) والمكتسبة بحيلة الدليل والبرهان ، والقسمة الثلاثية المعروفة لمصادر المعرفة : العقل ، الحس والنبوة الصادقة وطبيعة كل لون من هذه المعارف وحدوده ودائرته ، ونفي الكشف والالهام الصوفي ورده ومنع ان يكون سببا في المعرفة باعتباره مما لا يمكن تقويمه بالعقل ولا يخضع للنقد والقول واعادة التأويل والتفسير ، ثم دراسة الاسباب الموجبة للنظر العقلي والقول ان النظر (أي التفكير) هو اول الواجبات المفروضة من الله تعالى على عباده ، ورد التقليد ، وهو قبول قول الغير من غير حجة وبينة هذه هي القيمة الجوهرية والحقيقية للمنهج الاعتزالي الذي صار ينمو ويتطور باطراد ، سواء على ايدي المتأخرين من رجال المعتزلة ام على ايدي علماء المدارس الكلامية التي قامت من بعدهم كالاشعري (ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري البصري المؤسس للمدرسة (ت/٣٢٤ —) وابو بكر الباقلاني البغدادي (٤٠٣ هـ) وامام الحرمين الجويني (ت :   ) وحجة الاسلام ابو حامد الغزالي (ت /٥٠٥/١١١١ م) ، ممن انتهوا في تحقيقاتهم الى اثبات أصلين جليلين في دائرة الفكر الديني ، اولهما : القول بانه « اذا تعارض المعقول والمنقول ، لزم تأويل المنقول (الثابت بالوحي والنبوة) على مقتضى ما يثبت بالعقل ، لان الدين لم يثبت عندنا أصلا الا بالعقل ودليله ، وثانيهما : رفض التقليد عامة في الاصول وفي الفروع والقول بانه ليس مؤمنا من لم يستدل . وقد ادت هذه الاصول العقلية التي

بدأها ودعا اليها شيوخ معتزلة بغداد والبصرة الى الغاء « ثنائية الحقيقة »، واعتماد منهج عام كتب له الهيمنة والاستمرار مفاده لزوم التوافق والاتفاق بين ما يثبت في الدين وحيا وما يثبت في العقل ، استدلالا واستبصارا .

ثانيا : بدأ معتزلة بغداد والبصرة منهج التأويل العقلي للنصوص الدينية الثابتة بالوحي والنبوة . وكانت الغاية القصوى من هذا السعي ، بصرف النظر عما صاحبه من عيوب ونقائص عارضة احيانا ، الدعوة الى اعطاء العقل الانساني دوره في فهم النصوص ، واعادة تفسيرها ، وفهمها تبعا لمراحل النضج العقلي للانسان وتنامي وعيه الثقافي وتفاعله مع مسيرة الحياة ومطالبيها المتجددة .

وكانت لهذه الخطوة الجريئة في عالم الفكر الديني نتائجها الايجابية في نماء التفكير الفلسفي في الاعلام وتشعب صوره وتنوع اشكاله باختلاف مدارسه واتجاهاته . ذلك ان الدعوة الى اخراج النصوص الشرعية من دائرة الدلالة اللغوية المباشرة واحالة فهمها الى الادراك الانساني كانت لا تعني في الغاية والنهاية الا السمو بالعقل الانساني وقدرته على اعادة التأويل والتفسير ، مع ما يلزم هذه العملية من قدرة على النقد والتميز ، واستعداد للهضم والتمثيل لمعطيات الثقافة الانسانية المتجددة ، مما ينتهي الى موقف يؤمن بان المعرفة الانسانية : « معرفة تراكمية تجريبية » و « قابلة للنقد واعادة البناء » .

وهكذا تشكلت الثقافة العربية في صيغة مواقف واجتهادات ، تتباين في درجاتها ، مما يعني قدرا كبيرا من التسامح وسعة الصدر وحرية الفكر تطرد عن الفكر الديني عموما : المواقف الاتباعية التقليدية المنغلقة على نفسها والمكتفية بذاتها . ولهذه الاعتبارات جميعا جاءت تقويمات الباحثين لمدرسة الاعتزال على انها « المدرسة العقلية المتميزة في الاسلام » ، على حد تعبير

جالان الفرنسي ، وان اساتذتها كانوا روادا لحرية الفكر ، كما وصفهم بذلك هنري شتينر الالماني • ومما يجب التنبيه اليه في هذا المجال ، انـه لا يستقيم مع منطلق الفكر والتاريخ ان نحكم على اجتهادات رجال هـذه المدرسـة بمقاييس الحياة المعاصرة ومعطياتها العلمية ، بل الذي ينبغي ان تدركـه وتثمنه من جهود شيوخ الاعتزال قدرتهم على الفهم والاستيعاب ، والاخـذ والعطاء وتقبل التنوع والتفاوت في الاجتهادات ، مما لا نجد له شبيها او نظيرا في فترات الركود والجمود التي تلت انهيار الخلافـة وسقوط السيادة العربية مع تسلط الاقـوام الاعجمية التي مالت الى التقليد وسد منافـذ الاجتهاد والاعتماد على ما انجزه الاولون بوصفه الاصل الذي لا يجـوز التسامي عليه ، او تجاوزه ، بل الخير كل الخير في استنساخه واجتراره بـلا مراجعة ونقد وتمحيص •

كذلك تظهر قيمة هذا الجهد العقلي للمعتزلة اذا ما قارناه بما تحقق ويتحقق في عالم الفكر الديني الاسلامي اليوم حيث رضي الاكثرون أمـا « بمقارنات صورية » بين الاسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة ، مما يشكل في أغلب الاحايين اسقاطا فكريا غريبا وفهما غير سوي لطرفي المعادلة يتجلى في اصدار احكـام اسلامية مستقاة من اجتهادات الاولين في قضايا معاصرة هي وليدة ظروفها الراهنة القائمة ، او مالوا الى صياغة الفكر الديني في صورة « منظومة فكرية متعالية » مطلقة في مضامينها ، مما لا يمكن تجاوزها او اعادة صياغتها في ضوء ما استجدت وتتجد من الكشوف العلمية في دوائر المعرفة الانسانية ، مما انتهى بأصحابه الى « نزعـة تراجعية ولا تأريخية » ، لا يمكن ان يقاس بحالات الابداع والابتكار والاستقلال والتفوق التي ميزت عصر التألق الفكري الذي مثله الاقدمون من رجال مدرستي البصرة وبغـداد الاعتزالية ، وهكذا وبدلا من ان نجاري ما أقدموا عليه من تأصيل للاراء ينم عن نشاط فكري مثير للدهشة والاعجاب ، صرنا نتخذ من انجازاتهم وسيلة

نبرربها عجزنا وتماوتنا ، فنصور ما استطاعوا تحقيقه في « صورة الكمال » الذي لا يمكن تجاوزه ، او اعادة تأويله وتفسيره مما يعكس فهمنا المستقل لانفسنا ومشكلات العصر التي تحيط بنا من كل حدب وصوب ؟!

ثالثا : تعاليم المعتزلة بشأن الحرية الانسانية :

تناول المعتزلة مشكلة الجبر والاختيار ، او القضاء والقدر بالشرح والتفصيل ، وشكلت هذه المسألة الخلقية برمتها اصلا من أصولهم الفلسفية الخمسة التي عرفوا بها ، ونعني به « أصل العدل » ، وكان على المعتزلة في هذا الخصوص مصارعة اكثر من طرف وجهة تنكبت عن القصد وسواء السبيل . فالمدرسة الجبرية ، وعلى رأسها الجهم بن صفوان (ت/١٢٨ ــ ٧٤٥ م) قد صاغت نظرية صارمة في المسؤولية الخلقية للانسان ، كان من شأنها ان تسوي بين الانسان والجمادات ، فقد نفى الجهم بن صفوان عن الانسان حرية الارادة والاختيار وسلبه القدرة والاستطاعة على الفعل وانكر ان تكون للانسان استطاعة ذاتية بها يقدر افعاله بذاته ويأتيها طوعا واختيارا بمشيئته .

فكان يقول : ان الانسان لا يقدر على شيء ، ولا يوصف بالاستطاعة ، وانما هو مجبور في افعاله ، وان الله هو الذي يخلق فيه افعاله على نحو ما يخلق في سائر الجمادات ، فتنسب افعاله اليه مجازا كنسبتها الى الجمادات ، وكقولنا : أثمرت الشجرة ، وطلعت الشمس . وكما ان الافعال جبر كذلك التكليف جبر ، والثواب والعقاب جبر .

وعلى نحو مخالف ونقيض لما ذهبت اليه الجبرية قالت القدرية اتباع معبد الجهني (ت/٨٠ــ٦٩٩م) وغيلان الدمشقي (٩٩ ــ ٧١٩ م) بالقدر الخالص وانكرت علم الله الازلي بافعال العباد ، وقالوا بمقالتهم المشهورة المعروفة « لا قدر والامر أنف » مما ينتهي الى جملة استحالات لا تتفق مع التصور السليم والصحيح لطبيعة العلاقة القائمة بين الذات المتدينة وخالقها عز وجل .

وهكذا جاءت تعاليم المعتزلة وسطا معتدلا ، وأمرا بين أمرين ، يحفظ للالوهية سموها وقدرتها المطلقة ، العامة الشاملة ، المنشئة للموجودات : خلقا وابداعا وايجادا ، ويعترف — من جهة اخرى — ويحفظ للانسان كرامته وعقله وحريته • فاثبتوا للانسان قدرة خاصة واستطاعة ذاتية مخلوقة فيه ، بها يأتي الافعال اختيارا بارادته الحرة ، بلا ضعف من داخل ، او اكراه ملجىء من الخارج ، وقالوا : ان الارادة الحرة تسبق الفعل ، وان الاستطاعة الانسانية تصلح لفعل الضدين : الفعل او تركه ، وفهموا القدرة الالهية وفسروها على انها « القوانين الطبيعية » المطردة التي تتحكم في ظواهر الوجود المادي واكدوا ان الامر والارادة في الله تعالى متلازمتان ، فالله تعالى لا يريد الشر ولا يأمر به ، واراد الخير للانسان وأمر به وأوجبوا على الله تعالى اللطف وفعل الاصلح بالانسان قبل معاقبته ، وقالوا ان افعال الله تعالى تهدف الى غاية مقصودة فهي معللة بمقاصدها ، والا كانت عبثا لا يجوز في حقه تعالى ، واكدوا : القول بان الحسن والقبيح من الاشياء ذاتيان ، فالافعال تحسن وتقبح لذاتها ، بمعنى ان الحسن صفة ذاتية للفعل الحسن كما ان القبح صفة ذاتية لازمة للفعل القبيح ، وان العقل يدرك الحسن والقبح قبل ورد الشرع بذلك ، وهكذا فان العقل كاشف عن وجه الحسن او القبح في كل فعل بعينه ، ومن ثم ينبغي النظر والتأمل في الصفة التي يتقرر بها الحكم على الفعل حسنا او قبحا • فمتى ما كشف العقل عن وجه من وجوه القبح في الفعل نحو كونه (أي الفعل) مفسدة او جهلا او عبثا او حصول ضرر يوفي على النفع ، او ألما غير مستحق : علم انه من المقبحات العقلية ، ومن ثم علم قبحه باضطرار ، واستحقاق صاحبه الذم عليه • ومتى ما علم في الفعل انتفاء وجوه القبح عنه ، او حصول نفع يوفي على الضرر ، او دفع ضرر ، او رد حقوق ، او كونه مصلحة : علم حسنه باضطرار • فالمستدل في حاجة آنئذ الى الاستدلال ليعرف ما من أجله

يحســن الحسن ويقبح القبيح ، وفي حصولهما في بعض المواضــع والافعال ، ولكنه متى علم ذلك بالعقل ، علم عنده الحسن او القبح ضرورة •

وقد حاول المعتزلة تبرير هذه النظرية الاخلاقية بآيات من القرآن الكريم وبأدلة العقل والمنطق والبرهان وقالوا : أن الافعال لو كانت جبرا لانتفت المسؤوليه الاخلاقية وانتفت الفائدة من بعثة الرســل والانبياء والا تكون ضرورة لارسال الرسل ، اذا كان الله هو الذي يقدر افعال عباده ويقرر أزلا من سيكون منهم مؤمنا ومن سيكون كافرا ، كذلك احتجوا على صدق مذهبهم وسلامته بالقول : اذا كان الله تعالى خالق أفعال عباده ، وكان العباد لا فعل لهم فقد بطل التكليف ، وبطل الوعد والوعيد ، والعقاب والثواب ، والجنة والنار ، ذلك ان التكليف طلب ، والطلب يستدعي مطلوبا ممكنا من المطلوب منه فاذا لم يتصور منه فعل بطل الطلب •

واخيرا فان تعظيم المعتزلة للعقل البشري وقولهم الذي اوردناه في الحرية والارادة والقدرة الانسانية قد حملهم على البحث في مسألتين اخريين ، لهمــا قيمتهما في دائرة المباحث الاخلاقية ، وهما : حقيقة البلوغ بمعنى متى يصبح الطفل قادرا على المعرفة ، وحكم من لم تبلغه دعوة الاسلام • فقال اكثرهم ان البلوغ الحقيقي هو كمال العقل ، وليس البلوغ الجسدي • فالانسان قد يبلغ البلوغ الجسدي و بعده ، وربما لا يبلغ ابدا • ولذلك قالوا : ان الطفل يجب ان يعرف بارئه « بالعقل قبل ورود الشرع » اذا كمل عقله ، ولو حصل ذلك قبل البلوغ الجسدي ، وان قصر في تلك المعرفة كان كافرا مستحقا الخلود في النار • اما من لم تبلغه دعوة الاسلام ،فكان حكم اكثرهم فيه : انه ان عرف توحيد ربه ، وصفاته ، وعدله ، وحكمته بالضرورة ، فحكمه حكــم المسلمين ، وهو معذور في جهله بالنبوة واحكام الشريعة ، وان لم يكن يعرفه بالضرورة فلا تكليف عليه ، وليس له في الاخرة ثواب ولا عقاب • ولا يخفى ان هذا القول في فيمن لم تبلغه دعوة الاسلام نتيجة لازمة لعقيدتهم في العدل

الالهي ، بمعنى : ان الله تعالى يثيب من عرفه ، وعمل صالحا ولو لم نبلغه الدعوة •

وهكذا • ان نحن جمعنا هذه الاصول العقلية العامة معا من : قول بارادة انسانية حرة وقدرة فاعلة ، وان الطبيعة انما تفعل بأسبابها واثبات للعلية المادية ، ومن قول باستقلال العقل في ادراك الحسن والقبح الذاتيين في الاشياء ، انتهينا الى حكم عام مفاده : ان معتزلة البصرة وبغداد قد أوجدوا بذلك منهجا عقليا في الفكر الديني في الاسلام كان له الفضل في تحقيق جملة أهداف جوهرية وذات قيمة حاسمة في تاريخ الفكر الاسلامي ، وكان لهم السبق في بدء عملية ايجابية مثمرة وبناءة في التثاقف الحضاري مع دوائر الحضارة الانسانية التي عاصروها ، مما يقدم صورة تاريخية مثلى للمحاكاة في يومنا القائم ، لا باعتبار متابعة موضوعات بحثهم التي قد تجاوزها الزمن وعفى على طرف منها وانما بما يهيىء هذا المنهج الاعتزالي للمثقف العربي من ثقة بالذات، وجرأة على المواجهة الفكرية مع الخصوم ، وموقف نقدي صارم من الاراء المألوفة والمعتقدات السائدة ، والوقوف بعزم وحزم بوجه الاتجاهات الحشوية التي وقفت عند حدود النقل والرواية ، من غير تحقيق وتدقيق عقلي للمضمون والمحتوى من شأنه ان يميز المعقول عن الخرافة والاسطورة ، اذ الثابت تاريخيا ان هذه المناهج النقلية القائمة على الحشو والنقل بلا تبصر وروية كادت تؤول بالعقيدة الاسلامية الى صورة او أخرى من : ديانة شعبية فطرية وساذجة، تكتنفها الاسطورة وتحف بها الخرافات وتنفرج على ساحتها الابواب والمنافذ أمام الشعبذة والمخاريق ، كما مثلتها فرق الغلاة والزنادقة من الحلولية والمجسمة والحشوية ، الامر الذي لخصه لنا الجاحظ المعتزلي في قول محكم وسديد : « وكرهت الحكماء الرؤساء أصحاب الاستنباط والتفكير جودة الحفظ لمكان الاتكال عليه ، واغفال العقل من التمييز ، حتى قالوا : الحفظ عدو الذهن ، ولان مستعمل الحفظ لا يكون الا مقلدا ••• وليس يكون المتكلم

جامعا لاقطار الكلام متمكنا في الصناعة ، يصلح للرئاسة ، حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة ، والعالم عندنا هو الذي يجمعهما ، والصيب هو الذي يجمع بين تحقيق التوحيد واعطاء الطبائع حقائقها من الاعمال . ومن زعم ان التوحيد لا يصلح الا بابطال حقائق الطبائع فقد حمل عجزه على الكلام في التوحيد ، وكذلك اذا زعم ان الطبائع لا تصح اذا قرنتها بالتوحيد . ومن قال فقد حمل عجزه على الكلام في الطبائع » .

مدرسة بغداد الفلسفية :

تشكلت ببغداد بعد تأسيسها مدرسة فلسفية ذات تقاليد علمية راسخة واستمرت نشيطة فاعلة عدة قرون . وقد بدأت المدرسة بفيلسوف العرب (أبي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي (ت/٢٦٠هـ ــ ٨٧٣ م) وتواصلت في نموها وتطورها بفضل جهود الفارابي (أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان ت/ ٣٣٩هـ ــ ٩٥٠ م) الذي عرف بالمعلم الثاني وفيلسوف المسلمين بالحقيقة، والمؤسس للفلسفة العربية ، وحلقة من الطلبة النجباء الذين احاطوا به ، فأخذوا عنه ، ونشروا مقالته ، وأذاعوا تعاليمه ، كان من مشاهيرهم ابو زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي اليعقوبي المذهب (ت ٣٦٤هـ ــ ٧٩١ م) الذي انتهت اليه الرياسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقته . وابو سليمان محمد بن طاهر السجستاني (ت : ٣٧١ ــ ٩٨١ م) الذي كان فاضلا في العلوم الحكمية ،مطلعا على دقائقها والذي نقل الينا ابو حيان التوحيدي (ت ــ ٣٩٩ ــ ١٠٠٩ م) في « مناسباته » ما كان يدور في حلقات درسه ببغداد من مباحث فلسفية ومناقشات علمية ، شملت أطراف المعرفة الانسانية المتنوعة ، من علم وفلسفة وادب وعقائد دينية . ومن الممكن تشخيص أهم معالم هذه المدرسة الفلسفية ومفردات مباحثها ومراحل تطورها فيما يأتي :

١ ــ مرحلة الترجمة والنقل والاقتباس ، وفيها بذلت جهود علمية مكثفة قصد التعرف على الموروث من عناصر الثقافات الاجنبية عامة ، واليوناني منها خاصة وقد تركزت هذه الجهود بعد نضجها في « مؤسسة دار الحكمة » ببغداد التي تهيأ لها من المترجمين المحترفين والنقلة الحاذقين وأسباب النشر والتوثيق ، ما أعانها على القيام بحملة تعريب واسعة وشاملة • وكانت هذه « الترجمات » احيانا تتضمن الى جانب النصوص المترجمة شروحا وتفسيرات على مضمون المنقول ومقاصده • وهكذا لم يقتصر عمل النقلة والمترجمين ــ كما يشير « فالتزر » على ترجمة النصوص اليونانية وانما اوجدوا تحت تأثير المتكلمين والفقهاء المسلمين حينا ، ومندفعين من تلقاء انفسهم في اكثر الاحيان مصطلحات فلسفية واضحة ومركبة ، وطوعوا اللغة العربية على تقبل المعاني الفلسفية المجردة والتعبير عنها بدقة ووضوح ، فوضعوا بذلك الاساس لاسلوب تجريدي عربي خالص • وقد ظهرت اللغة العربية في هذه المراحل الاولية من نشأة الفكر الفلسفي العربي ، قدرة استثنائية في التعبير والاستيعاب بوصفها لغة حضارة عالمية ، وأبدت طواعية اشتقاقية ونحوية فائقة ــ كما يشير العلامة ماسنيون ــ مكنتها من التعبير الدقيق عن الافكار والفلسفة • وقد لخص لنا الاستاذ والدكتور ابراهيم بيومي مدكور هذه الاهمية المزدوجة لاعمال النقلة والمترجمين بالقول « لقد ادى النقلة للفكر العربي ــ الى جانب عملهم الرئيسي في الترجمة خدمة جليلة • فرغبتهم في نشر المعرفة حملتهم على تصنيف مؤلفات مختلفة من طب وطبيعيات وكيمياء وفلك ورياضيات وفلسفة ــ وهذه « المؤلفات » او « المداخل » وفقا للتسمية الوضعية التي اطلقها عليها أصحابها ، نشرت الشعاعة الاولى للدراسات العقلية في العالم الاسلامي ، وهما عبارة عن ملخصات تعطي القارىء فكرة مجملة عن العلوم آنذاك ، ويكون اكثرها عملا يساعد على تعميم العلم ونشره ، اعقبته دراسات التخصص والابحاث العلمية التي سيقوم بها العرب المسلمون في مدارسهم المختلفة » •

وهكذا نقلت ثقافة اليونان ، ورحبت بها الصفوة المفكرة ، كما رحبت بها الدولة الرسمية لتكون أداة فعالة بعقلانيتها في محاربة الحركات اللاعقلانية التي تشد اطرافا من المتظاهرين بالاسلام الى ما قبل الاسلام من عقائد : زردشت وماني ومزدك وغيرهم ، وكان المتكلمون ــ والمعتزلة منهم خاصة ، هم اول من استخدم هذه الاداة العقلية اليونانية في دفاعها عن الاسلام وقيمه وعقائده وشرائعه •

٢ ــ مرحلة الهضم والتمثيل والابداع :

وفيها حاول الفلاسفة العرب قراءة النصوص المترجمة واصلاح ما فيها من عيوب ونقد لمحتوياتها ، واعادة ترجمة ما شابه شيء من الانتحال والتحريف على ايدي اوائل النقلة المترجمين • يقول حاجي خليفة في كتابه « كشف الظنون » ان « مترجمي المأمون أتوا بتراجم مخلوطة لا توافق ترجمة أحدهم ترجمة الآخر فبقيت تلك التراجم هكذا غير محررة،بل أشرف ان عفت رسومها، الى زمن الحكيم الفارابي ، ثم انه التمس منه ملك زمانه ان يجمع تلك التراجم ، ويجعل من بينها ترجمة ملخصة محررة مهذبة مطابقة لما عليه الحكمة ، فأجاب الفارابي ، وفعل كما اراد ، وسمى كتابه « بالتعليم الثاني » فلذلك لقب بالمعلم الثاني » •

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام ان نؤكد الموقف النقدي المتميز لفلاسفة مدرسة بغداد من الموروث الفلسفي اليوناني ، فهم على خلاف ما أشاعه غلاة المستشرقين من فرية تبعيتهم المطلقة لآراء فلاسفة اليونان ، فانهم ــ أي الفلاسفة العرب ــ لم يستسلموا لهذه الفلسفة واتجاهاتها بلا تبصر وروية ، أو نقد لها او مراجعة وتمحيص لمشكلاتها وما عرضوا لها من حلول فلم يتابعوا خطى العملاقين اليونانيين ، بلا تمييز او تدقيق ، وليس من الحق في شيء ان يقال عن فلاسفتنا ، أنهم كانوا « أفلاطونيين مثاليين » او « ارسطين مشائيين »

باطلاق ، وقد يكونون كذلك في طرف من فلسفتهم العامة ، وليس في ذلك ما يعيبهم او ينتقص من قدرهم ، ما دمنا نعتقد ان الفكر الانساني حلقات متصلة، ودوائر متداخلة يؤثر ويتأثر بعضه ببعض ، وما دامت الادلة القاطعة تؤكد — بما لا يقبل الريب — انه « كيفما كانت الافكار الاجنبية التي سرت الى المسلمين ، فانهم استطاعوا ان يخلقوا بيئة عقلية خاصة بهم ، ويكونوا حياة فكرية مستقلة . فمن الخطأ — أذن — ان نحاول تفسير هذه الحياة في ضوء المؤثرات الخارجية وحدها التي يظن انها لم تهضم ، ولم تتأقلم ، ولم تنسجم مع العالم الاسلامي ، أو ان نستهين بشأن العوامل الداخلية التي امتزجت بها فكانت أوثق اتصالا وانفذ أثرا ... وفي وسعنا ان نذهب الى ما هو ابعد من هذا ، فنقرر انه ليس ثمة بحث عقلي عرفه العرب المسلمون الا وله نقطة بدء اسلامية . بدأ اولا في ضوء تعاليم الاسلام ، وشب تحت كنفه ، وتغذى ما استطاع من الكتاب والسنة ، ثم لم يلبث ان سعى وراء غذاء خارجي ومدد أجنبي ، فنما وترعرع ، وتفرع وتشعب ، ولكنه بقي وثيق الصلة بالبيئة التي نشأ فيها ، والظروف المحيطة به » .

لقد تقبل الفلاسفة العرب الفكر اليوناني — كما يقول فالتزر — بفكر منفتح ، وصدر رحب ، ونظرة بعيدة ، واستوعبوه استيعابا مثمرا . لقد كان عملهم ذاك محاولة جدية لتحويل هذا الفكر الاجنبي المغاير لمعطيات العقيدة الاسلامية ، كل المغايرة ، وجعله جزءا حيا من الثقافة الاسلامية . وتاريخ الفلسفة العربية الاسلامية هذا تاريخ ممتع، متنوع النواحي ، متشعب المسالك. ونحن كلما ازددنا معرفة بتاريخ البشر ، ازددنا ادراكا بانه لا يوجد خلق ذاتي في التاريخ ، وانما هو اعطاء اشكال جديدة ، لمواد كانت موجودة من قبل . والفلسفة العربية الاسلامية : مثال ممتع لهذه العملية التي يقوم عليها استمرار الحضارة البشرية . ولنستشهد باثنين من اكابر الفلسفة العربية للتدليل على هذا « الموقف النقدي المستقل » الذي اتخذوه لانفسهم سنة ومنهاجا ،

مما يعكس قدرا كبيرا من الثقة بالنفس ، والتفوق في الراي ، والاستقلال في الحكم والتقدير . يقول ابن سينا في مقدمة كتابه « منطق المشرقيين » :
وبعد . فقد نزعت الهمة بنا الى ان نجمع كلاما فيما اختلف أهل الحديث فيه ، لا نلتفت فيه لفت عصبية او هوى او عادة او الف ، ولا نبالي مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلمو كتب اليونانيين الفا عن غفلة وقلة فهم ، ولما سمع منا في كتب ألفناها للعاميين من المتفلسفة ، المشغوفين بالمشائيين ، الظانين ان الله لم يهد الا اياهم ، ولم ينل رحمته سواهم ، مع اعتراف منا بفضل افضل سلفهم (يريد به ارسطو) في تنبهه لما قام عنه ذووه واستاذوه ، وفي تمييزه أقسام العلوم بعضها عن بعض ، وفي ترتيبه العلوم خيرا مما ربوه ، وفي ادراكه الحق في كثير من الاشياء ، وفي تفطنه لاصول صحيحة سرية في اكثر العلوم ، وفي اطلاعه الناس على ما بينها فيه السلف واهل بلاده ، وهذا أقصى ما يقدر عليه انسان يكون اول من مد يديه الى تمييز مخلوط وتهذيب مفسد . وحق على من بعده ان يلموا شعثه ، ويرموا ثلما يجدونه فيما بناه ، ويفرعوا أصولا اعطاها . فما قدر من بعده ان يفرغ نفسه من عهدة ما ورثه منه ، فذهب عمره في تفهم ما أحسن فيه ، والتعصب لبعض ما فرط من تقصيره ، فهو مشغول عمره بما سلف ، ليس له مهلة يراجع فيها عقله ولو وجدها ما استحل ان يضع ما قاله الاولون موضع المفتقر الى مزيد عليه ، او اصلاح له او تنقيح اياه . واما نحن فسهل علينا التفهم لما قالوه اول ما اشتغلنا به ، ولا يبعد ان يكون قد وقع الينا من غير جهة اليونانيين علوم . وكان الزمان الذي اشتغلنا فيه بذلك ريعان الحداثة ، ووجدنا من توفيق الله ما قصر علينا بسببه مدة التفطن لما اورثوه ، ثم قابلنا جميع ذلك بالنمط من العلم الذي يسميه اليونانيون « المنطق » — ولا يبعد ان يكون له عند المشرقيين اسم غيره — حرفا حرفا ، فوقفنا على ما تقابل وعلى ما عصى ، وطلبنا لكل شيء وجهة ، فحق ما حق ، وزاف ما زاف . ولما كان المشتغلون بالعلم شديدي

الاعتزاء الى المشائيين من اليونانيين ، كرهنا شق العصا ومخالفة الجمهور •
فأنحزنا اليهم ، وتعصبنا للمشائيين ، اذ كانوا أولى فرقهم بالتعصب لهم ،
وأكملنا ما أرادوه وقصروا فيه ولم يبلغوا أربهم منه • واغضينا عما تخبطوا
فيه وجعلنا له وجها ومخرجا ، ونحن بدخلته شاعرون ، وعلى ظله واقفون.
فان جاهرنا بمخالفتهم فعن الشيء الذي لم يكن الصبر عليه ، وأما الكثير
فقد غطيناه باغطية التغافل •

ويقول قاضي قرطبة وفيلسوفها ابن رشد (ابو الوليد محمد بن أحمد
بن محمد (ت/٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) الـذي لقبه دانتي في « الكوميديا
الالهية » « بالشارح » لما دون من شروح ملخصة او مبسوطة على فلسفة
ارسطو : « ثم ننظر في الذي قالوه (فلاسفة اليونان) وما أثبتوه • فما كان
موافقا للحق قبلناه منهم ، وسررنا به ، وشكرناهم عليه • وما كان غـير
موافق للحق نبهنا عليه ، وحذرنا منه ، وعذرناهم » •

٢ ـ ان الفلاسفة العرب ، من اتباع المدرسة البغدادية ، لاسيما الكندي
والفارابي ، صدروا ـ بصفة عامـة ـ في آرائهم واجتهاداتهم عن وجهة نظر
كلية حددت تصوراتهم العامة وملامح فلسفتهم ، تلك هي : محاولة الجمع
والتوفيق بين الدين والفلسفة ، او بين الوحي وتقريراته والعقل واحكامه
وقضاياه الثابتة بالاستدلال ، وجاءت هذه المحاولات أصالة نتيجة قناعة
جازمـة في ان الحقيقة كما يشير ابن رشد قضية لا يمكن ان تتبعض او
تضاد ولان « الحق لا يضاد الحق ، بل يوافقه ، ويشهد له » • واذا كان
الا مـر كذلك : « فانا معشر المسلمين نعلم على القطع انه لا يؤدي النظر
البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع » •

والثابت تاريخيا ان هذا المسعى التوفيقي قد بدأه في الفلسفة العربيـة
الكندي الذي كـان موصولا بمدرسة المعتزلة الكلامية وصادرا في اجتهاده

عنها ، فيذكر عنه ظهير الدين البيهقي انه « قد جمع في بعض تصانيفه بين أصول الشرع وأصول المعقولات » ويؤكـد هذا المعنى الشيخ مصطفى عبدالرزاق بقوله « ان الكندي هو الذي وجه الفلسفة الاسلامية وجهة الجمع بـين افلاطون وأرسطو ، وهو لذي وجهها في سبيل التوفيق بين الفلسفة والدين »: مع حرصـه الشديد وانتباهه الحاذق الى الفروق بين الفلسفة ، التي هـي من العلوم الانسانية التي يبلغها الفيلسوف « بطلب وتكلف البشر وحيلهم » وبين العلم الالهي (الوحي) وهو اعلى مرتبـة ، اذ يتم « بلا طلب ، ولا تكلف ،ولا بحيلة بشرية ، ولا زمان » •

ثم ترسخ هذا الاتجاه التوفيقي وتأكد بمجيء الفارابي ومن حولـه حوارييه وتلامذته متخذا صيغة محاولة استهدفت « الجمع بين رأيي الحكيمين » وصدرت عن رغبة فيها ـ كما يقول دي بور ـ « من روح الدين اكثر مما فيها من روح العلم » ، دفعت صاحبها الى تجاوز الفوارق التي تميز المذاهب الفلسفية بعضها عن بعض • فهو يرى : « ان افلاطون وارسطو انما يختلفان في المنهج ، وفي العبارة اللغوية ، وفي السيرة العلمية لكل منهما ، اما مذهبهما الفلسـفي فواحـد • وغني عن البيان ان هذه النزعة التوفيقية المفتعلة بين الاثنين جاءت وليدة ترجمات منتحلة لكتب نسبب الى ارسطو اسـبغت عليه كمـا يقول فان دنبرغ مسحة صوفية غريبة عنه،طارئة على فلسفته،ابتدعها رجال الافلاطونية المحدثة وشراحها ، من جهة ، وهي أيضا عكست رغبة جامحة وصـادقة عند الفارابي للجمع ، ومحو ما يتوهمه الناس خلافا بينهما لقناعته الاكيدة بانهمـا امامان للفلسفة ، فلابد من ان يكونا متفقين في الرأي ، ولان اجماعهما علـى رأي بعينه يعـد أوثق برهـان على صدق الاحكام •

ومع طغيان هذه النزعة التوفيقية وغلبتها على مدرسة بغداد الفلسفية ، فانا لا نعدم بين اساتذتها من رفض هذا المشروع التلفيقي جملة وتفصيلا ، لمـا بين الديـن والفلسفة في رايهم من الاختلاف الذي يمنع الجمع بينهما • فلقد

أورد التوحيدي في « الامتاع والمؤانسة » على لسان السجستاني قوله فيمن يزعمون انه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة الاسلامية فقد حصل الكمال : « ظنوا ما لا يكون ، ولا يمكن ، ولا يستطاع ، ظنوا انه يمكنهم ان يدسوا الفلسفة في الشريعة ، وان يضموا الشريعة في الفلسفة ، وهذا مرام دونه حدد . قيل له : ولِم ؟ قال : لان الشريعة مأخوذة عن الله عز وجل بواسطة السفير بينه وبين الخلق من طريق الوحي ... وفي اثنائها ما لا سبيل الى البحث عنه ، والغوص فيه ، ولابد من التسليم للداعي اليه ، والمنبه عليه ، وهنا يسقط لم ، ويبطل كيف ، ويزول هلا ، لو وليت في الريح » ، ثم يستطرد في بيان أوجه الخلاف بين الدين والفلسفة ، فيقول : « ان الفلسفة حق ، ولكنها ليست من الشريعة في شيء ، والشريعة حق ، ولكنها ليست من الفلسفة في شيء وذلك لان الفلسفة مصدرها العقل ، والدين مصدره الوحي » ، ولهذا الاختلاف في المعين والطبيعة ، يجب عدم خلط أحدهما بالآخر وكل من حاول دفع هذا فقد « حاول نفي الطباع ، وقلب الاصل ، وعكس الامر ، وهذا غير مستطاع ».

مدرسة العراق الصوفية :

ليس القصد من هذا الاستعراض السريع كتابة تاريخ مفصل للحركة الروحية التي نشأت بارض العراق ، سواء من حيث دوافع نشأتها الاولى ، أم عوامل تطورها الداخلي ، وما انتهت اليه من نضج ونماء وتطور عبر القرون ، فذلك أمر لا يقع ضمن حدود هذه الدراسة ومقاصدها .

وانما اردنا التعريف بالمراكز الروحية في العراق ، وما قدمتها من جهد مخلص مكثف ودؤوب ارادت به : صيانة التصوف من صور الانحراف الفكري والعقدي التي شابته ، وكادت تدفع به بعيدة عن دائرة الاسلام وأصوله وقواعده ، وتدخله في جملة الحركات الهدمية والغلو والزندقة ، من جهة ، وحفظت للتصوف الملتزم بادب العقل والدين مساره العربي الاسلامي الصحيح

وكرست تأثيره الايجابي الفعال في الحياة الاسلامية وبنية الفكر الديني عبر القرون ، من جهة اخرى .

والثابت تأريخيا ان شطرا واسعا وعريضا من حركة الزهد ، بوصفها بداية التصوف ومرحلة المنشئة الاولى ، انما تأسس وقام بارض العراق ، في مدن الكوفة والبصرة على وجه التخصيص ، فنحن نقرأ عن زهاد الكوفة وزهاد البصرة ، وما اختص به كل قوم من مميزات وخصائص ، جاءت وليدة أسباب تاريخية متباينة : اقتصادية واجتماعية وسياسية،متنوعة ومختلفة،دفعت بخواص من الناس الى سلوك مناهج الزهد في : التبتل والنسك والعبادة ، وممارسة رياضة العزلة والسهر والصوم والصمت ، وامتهان الفقر والجوع والبكاء ، ووسائل لتطهير النفس وتزكية القلب وجلاء البصيرة او استنكارا لمظاهر من الحياة الارستقراطية الباذخة المسرفة التي شاعت في أوساط الموسرين ، او انطلاقا من فهم جواني ورع وتقي لآيات الذكر الحكيم دفع بهم الى المبالغة في الشعور بالخطيئة واستشعار الرعب والخوف الذي استولى على قلوب المؤمنين من عقاب الله وعذاب الآخرة . يقول ابن تيمية « كان صوفية البصرة يبالغون في الزهد والعبادات والخوف من الله . وكانوا يمتازون بهذا عن بقية المدن الاخرى ، وصار هذا مضربا للمثل بقولهم : فقه الكوفي وزهد البصري » . وهكذا نقرأ في كتب « السير والتاريخ » و « طبقات الاولياء والصوفية » عن نماذج من هؤلاء الزهاد ، يمثل كل واحد منهم صورة قائمة بذاتها ، وطريقة معينة ومعاشة في الحياة ، وأسلوبا خاصا في فهم الدين ومقاصده ، يعكس ــ بلا ريب ــ عنصرا او اكثر من العناصر التي ادت مجتمعة الى : نشأة حركة الزهد المنظمة التي شملت انحاء العالم الاسلامي آنئذ ، من أقصاه الى اقصاه ، وهكذا اصطبغ زهد كل واحد منهم بصبغة تعكس في صدق واخلاص همومه ومشاعره الجوانية وظروف البيئة التي عاشها ، من امثال : الحسن بن ابي الحسن البصري (ت : ١١٠ هـ ــ ٧٢٨ م) ، ومالك بن

دينار (ت : ١٣١ ــ ٧٤٨) وسفيان الثوري (١٦١ ــ ٧٧٦) وداود الطائي (ت : ١٦٥ ــ ٧٨١) ورابعة العدوية البصرية (ت : ١٨٥ ؟) والفضيل بن عياض (ت : ١٨٦ ــ ٨٠٣) وعبدالواحد بن زيد (ت : ١٧٧ ــ ٧٩٣) ورياح بن عمر القيسي (ت ١٩٨ ــ ٨١٣) ، وغيرهم كثيرون .

كذلك من الثابت في التاريخ ايضا ان انتقال الحركـة الروحية من زهد منظم ، كان له دوافعه واسبابه ، الخاصة به الى تصوف عملي ونظري وفلسفة ثيو صوفية معقدة ومركبة ، قد تحقق ايضا بارض العـراق ، اذ المدون ان « مصطلح التصوف » الذي ذاع وانتشر مع نهاية القرن الثاني للهجرة ، قـد ارتبط باسماء اشخاص ثلاثة من اهل الكوفـة هم جابر بـن حيان (ت : ٢٠٨ هـ) وأبو هاشم الصوفي الكوفي ، وعبدك الصوفي (ت : ٢١٠ هـ) .

والذي ينبغي التنبيه عليه في هذا المجال هو ان هذه المرحلة هي بعينها التي بلغ فيها اهتمام العرب المسلمين بترجمة التراث الاجنبي الى اللغة العربية ، وذلك رجاء الوقوف عليه في صورته المدونـة المحققة بعد أن عرفوا امشاجا منه شفاها من خلال الاختلاط الحضاري واستقرار العرب الفاتحين في الاقاليم والامصار المفتوحـة . وليس من شك انـه كان للمعارف الاجنبية أثرهـا العميق والفعال في جوانب الفكر الديني وبنيته وتطوره ، سواء في صورة التأثر بهذه الثقافات ، والتلبس بها والدعوة اليها ، بنشر مقالتها وعقائدهـا ، والتلفيق بينها وبين العقائد الاسلامية ، أم في صورة الرد عليها ونقضها وبيان تهافتها ومعارضتها لاسس العقيدة الاسلامية . وهكذا بدأت الحركة الروحية كغيرها من جوانب الفكر العربي الاسلامي تستوعب انظارا وافكارا فلسفية ودينية استمدتها من مصادر الموروث الاجنبي ، يهودية ومسيحية ، يونانية وغنوصية ، فارسية وهندية ، وتحاول ان تصوغ ذلك كله لبنات ثابتة في هيكل الفكر الديني في الاسلام وبنيانه .

ويشير الاستاذ نيكلسون الى هذه الحقيقة بقوله « واذا اخذنا بالحكم الذي انتهيت اليه بعد دراسة « تذكرة الاولياء » لفريد الدين العطار ، وغيرها من المراجع : وهو ان التصوف المقابل لمجرد الزهد قد ظهر ووصل درجة عالية من التطور في نصف القرن الذي وقعت فيه خلافة المأمون والواثق والمتوكل، اي بين سنة ٨٩٧ ــ ٩٤٧ م ، كان الواجب علينا ان نبحث في الحال : عن الاثر الذي كان للفلسفة اليونانية بوجه عام ، والفلسفة الافلاطونية المحدثة بوجه خاص في هذه الحقبة من الزمن » •

والذي نميل اليه ونصححه ، وتدل عليه حقائق الامور هو ان غياب مصطلح « الزهد » ، عنوانا للحركة الروحية في الاسلام وفشو لفظ « التصوف » بديلا عنه ، يستغرقه ويزيد عليه ، يشير في ذاته الى بدء مرحلة جديدة في منحنى تطور الحركة الروحية في الاسلام ، وهي مرحلة تنبىء ــ بلا ريب ــ عن عملية استمداد واسعة من مصادر الموروث الثقافي الاجنبي، على اختلاف منابعه وألوانه ، وهكذا تحول الامر من « زهد وعبادة وتبتل ونسك » الى نظريات فلسفية ذات طابع اشراقي » ، عليها مسحة من الغلو والزندقة والاغتراب عن الاسلام وعقائده واحكامه ، يدل على ذلك جملة امور كثيرة،منها : أن المصادر الاسلامية ربطت المصطلح أصلا بهؤلاء الاشخاص الثلاثة ، ممن لم تحفل بهم المصادر الصوفية من بعد ولم يرد ذكرهم في طبقات الصوفية ، وغاب في سلاسل الطرق الصوفية ، بوصفهم من ذوي الاتجاهات العقيدية الفاسدة ، ودعاة للعلوم المستترة الغامضة ، واشتغالهم بالسحر والتنجيم ، بل من الباحثين من نسب عبدك الصوفي الى الحلول والزندقة ، فيقول عنه ابو الحسين الملطي : « العبدكية زعموا ان الدنيا كلها حرام محرم لا يحل الاخذ منها الا للقوت » • ومنها ايضا : ان اسم الصوفي بقي مقرونا لقرون ثلث بمعاني الرياء والنفاق الديني والتحرر الفكري ، وتجاوز الحرمات واسقاط العبادات ، ولعل هذا الامر هو ما حمل ثقات المؤرخين الى الفصل بين

الزهد والتصوف ، والتمييز بينهما • يقول ابن الجوزي : « التصوف مذهب معروف يزيد على الزهد • يدل على الفرق بينهما ، ان الزهد لم يذمه احد وقد ذموا التصوف :والى قريب من هذا الرأي ذهب ابن خلدون الذي ميز بوضوح بين الزهد والتصوف فعد الاول منهما عربيا اسلاميا في أصوله ومبانيه ، وعد الاخر انظارا فلسفية ، ومعتقدات اجنبية لا تمت الى الاسلام وعقائده بصلة • وقد لخص الاستاذ نيكلسون هذه الفروق بينهما بقوله : « وأقدم انواع التصوف الاسلامي (يعني الزهد) كان تصوف زهد وورع ، لا تصوف فلسفة ونظر ••• فالصوفية الاولون كانوا في الحقيقة زهادا وادعين اكثر منهم صوفية •

وازاء هذه الاتجاهات التحريفية والنزعات الهدمية التي شابت التصوف في القرنين الثالث والرابع للهجرة ، والتي نفذت الى بنيته من تعاليم فوق الباطنية الغلاة المتراكمة عبر القرون ، او من خلال تأثيرات الثقافات الاجنبية التي اتصل العرب المسلمون بها : قامت « مدرسة صوفية عربية ، بغدادية الاصل والمنشأ » ، ارتبطت باسم ابي القاسم الجنيد بن محمد البغدادي الخزاز القواريري وعرفت بمدرسة « الصحو » في مقابلة ومعارضة لمدرسة خراسان الاعجمية التي عرفت بمدرسة « السكر والشطحات » وارتبطت باسم ابي يزيد طيفور بن عيسى البسطامي (ت : ٢٦١ — ٨٧٤) وآخرين سلكوا طريقته وتابعوا منهجه وتأثروا بأجواء خراسان التي اكد الدكتور كامل الشيبي « كانت فارسية أصيلة لم يؤثر الاسلام ولا تقاليده ولا سيوف الفاتحين ولا منطق اصحاب الفرق في قوميتها وتقاليدها » • ويؤكد هذا المعنى الدكتور ابو العلا عفيفي فيقول : « ان ابا يزيد البسطامي يمثل نزعة غالية لا نستطيع ان نصفها بانها اسلامية خالصة • فقد كان هذا الصوفي « الوارث الحقيقي للعقلية الايرانية » ، ولذا تجاوز تصوفه الحدود السنية التي ذكرناها » •

لقد جهد شيوخ المدرسة البغدادية من اجل اقصاء عناصر الغلو والانحراف عن دائرة التجربة الصوفية ونهضوا من أجل تثبيت الرابطة المحكمة بين الشريعة والحقيقة ، اي بين : اصول الدين وقواعد الشرع الثابتة بالوحي والنبوة وبين معطيات التجربة الصوفية الجوانية التي هي ثمرة الكشف والالهام والتلقي مباشرة عن الله تعالى ، واستطاعوا بجهدهم هذا ان يحصلوا على « اعتراف الاجماع الاسلامي » بشرعية المنهج الصوفي ، وانتسابه الى السنة ، والتزامه الناجز بالقواعد والاركان المعروفة من الدين بالضرورة وحركته المشروعة ضمن دائرة المذاهب الاسلامية المقررة اجماعا ، فكان الجنيد يقول : « الطرق كلها مسدودة على الخلق الا من اقتفى أثر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ واتبع سنته ، ولزم طريقته » ، فان طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه » . وكان السري السقطي يقول : « التصوف اسم لثلاثة معان : وهو الذي لا يطفيء نور معرفته نور ورعه ، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه الكتاب والسنة ، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الشريعة » ، وكان سهل بن عبدالله التستري (ت : ٢٧٥ ـ ٨٨٨ م) يقول : « أصولنا سبعة أشياء : التمسك بكتاب الله تعالى ، والاقتداء بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأكل الحلال ، وكف الاذى ، واجتناب الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق » .

وهكذا تواصلت جهود صوفية المدرسة البغدادية الملتزمة بادب الدين والعقل من أجل طرد جملة الاراء الضالة والعقائد الباطلة عن دائرة التجربة الصوفية . ثم تكاملت هذه الجهود وبلغت سؤلها وغايتها من خلال كتابات مشايخ الصوفية ، ممن صارت مدوناتهم مراجع موثوقة في التعريف . بالتصوف : منهجا وسلوكا ، غاية ومقصدا ، من امثال : ابي نصر السراج ، صاحب اللمع (ت ٣٧٨ ـ ٩٨٧) وابي طالب محمد بن علي المكي ، صاحب « قوت‌القلوب في معاملة المحبوب » (ت : ٣٨٦ ـ ٩٩٦) وابي بكر محمد الكلاباذي صاحب « التعرف لمذهب أهل التصوف » . (ت : ٣٨٠ ـ ٩٩٠)

ومحمد بن عبدالجبار النفري ، صاحب « المواقف » (ت : ٣٥٤ ـ ٩٦٥) وغيرهم ، وبمثل هذه الجهود العلمية المكثفة وتواصلها اصبحت المدرسة البغدادية ، عنوانا للتصوف العربي ، الذي تفرع عنه ابتداء من القرن السادس الهجري الطرق الصوفية الكبرى التي نشرت منهج المدرسة وأصولها في دنيا العرب والعالم الاسلامي عامة .

ومتابعة لمنهج المدرسة البغدادية وترسيخا لاصولها وقواعدها حاول القشيري في « الرسالة » التنبيه على ما يحيط التصوف ويكتنفه من مخاطر التشويه والتحريف ، فأقدم ، بما عرف عنه من علم راسخ في الفقه والاصول والكلام على استعرض العقائد الباطلة التي سرت الى بنية التصوف وتعاليمه ، وضرورة اسقاطها وتجاوزها بوصفها شوائب عرضية علقت بالتصوف خلال مسيرته التأريخية فشوهت اصوله ومعالمه ، فقال في مقدمة رسالته : « ارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ، فعدوا قلة المبالاة بالدين اوثق ذريعة ، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ، ودانوا بترك الاحترام ، وطرح الاحتشام ، واستخفوا باداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة ، وركضوا في ميدان الغفلات ، وركنوا الى اتباع الشهوات ، وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات ، ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الافعال حتى اشاروا الى أعلى الحقائق والاحوال ، فادعوا انهم تحرروا عن رق الاغلال ، وتحققوا بحقائق الوصال ، وانهم قائمون بالحق ، لا تجري عليهم أحكامه وهم محو ، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه او يرونه عتب ولا لوم ، وأنهم كوشفوا بأنوار الاحدية ، واختطفوا عنهم بالكلية ، وزالت عنهم أحكام البشرية ، ثم يحدد القشيري الصلة بين الحقيقة والشريعة دفعا للالتباس وتوكيد للترابط بينهما فيقول : الشريعة أمر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية . فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول . فالشريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة انباء عن تصريف الحق . فالشريعة

ان تعبده ، والحقيقة ان تشهده ، والشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر ، وأخفى وأظهر . وجاء من بعده حجة الاسلام الغزالي (ت : ٥٠٥ ــ ١١١١) ليزيد هذه المعاني قوة ورسوخا . وليقيم التجربة الصوفية ، جملة وتفصيلا وبصورة حاسمة ونهائية ، على قواعد رصينة واسس واضحة صارت تشكل الملامح العامة والمعالم الفاصلة التي تميز التصوف الملتزم بالكتاب والسنة ، وبين دعاوى اصحاب الاتجاهات الباطنية والحلولية وسواها من النزعات الغارقة في الغربة الفكرية عن الاسلام ، وهكذا أبان الغزالي في اكثر من رسالة ومصنف عن حقيقة التجربة الصوفية وأوضح بدقة وتفصيل مخاطر أنصار النزعات الحلولية والاباحية الداعين الى التأويلات الباطنية واستباحة الحرمات واسقاط التكاليف ، فيقول عنهم : « ... وفرقة اخرى وقعت في الاباحة ، وطووا بساط الشرع ، ورفضوا الاحكام ، وسروا بين الحلال والحرام ، فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملي ، فلم اتعب نفسي .... ومنهم من يدعي : الوجد والحب لله تعالى قبل معرفته ، ثم لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل ، وعن ايثار هوى نفسه على أمر الله » .... وبعضهم يقول : الاعمال بالجوارح لا وزن لها ، وانما النظر الى القلوب ، وقلوبنا والهة بحب الله ، وواصلة الى معرفة الله ، وانما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية ، فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ، ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام ، واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية ، وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة ... » ويقول في رسالته : « ميزان العمل » : أعلم ان سالك سبيل الله قليل ، والمدعي فيه كثير . ونحن نعرفك علامتين تجعلهما أمام عينيك ، وتعتبر بها نفسك وغيرك ، فالعلامة الاولى : ان تكون جميع افعالك الاختيارية موزونة بميزان الشرع ، موقوفة على حد توقيفاته ، ايرادا و اصدارا ، واقداما واحجاما . اذ لا يمكن سلوك هذا السبيل ، الا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها ... » .

والحق : فان المدرسة البغدادية قد حققت هدفين رئيسين كان لهما ابلغ الاثر في تحديد معالم الفكر الديني في الاسلام بصورة عامة ، وفي دائرة التجربة الصوفية خاصة اولهما : ان انتصار التصوف الملتزم بادب الدين والعقل قد سد نهائيا وبصورة حاسمة المنافذ والمسارب التي كانت تسلكها الاتجاهات التحريفية الغالية التي اتخذت من التاويلات الباطنية وسيلة لها على مدى قرون متطاولة ارادت بها ، ومن خلالها تشويه الاسلام ، وحرف معالمه ، وضرب أصوله وقواعده ، وهكذا جاءت النزعة الصوفية الجوانية المعتدلة بمثابة القهر النهائي للدعوات الباطنية واسقطتها من الاعتبار ، سواء عن طريق تقديم « البديل الشرعي المعتمد للنزعات الباطنية » ، او عن طريق الدعوة الى تجربة دينية ، اتخذت فيما بعد صورة « اخوة دينية » ، واتسمت بقدر كبير من القدرة على المشاركة والانتشار بين الجمهور ، مع ما رافقت هذه الطرق الصوفية من حلقات عامة للذكر والانشاد والسماع ، هيأت فرصة واسعة أمام المشاركة الشعبية وابعدت العامة والجمهور عن دائرة الحلقات الباطنية التي كانت تشيع في اوساط العامة ألوانا من العبادات الشعبية التي تيسر لها أسباب التسلط والانتشار ، وهكذا سلب التصوف سلاح الباطنية ، واستغرق ما فيها من اغواء واستهواء وميل الى الطقوس الجمعية والاسرار الخفية . وثانيهما : ان ظهور الطرق الصوفية الكبرى الثلاث : السهروردية ، الرفاعية والقادرية ، التي تفرعت عن مدرسة الجنيد البغدادية ، وانتسبت اليها روحيا ، وقد استطاعت ان تنشر تعاليم المدرسة البغدادية في اطراف العالم الاسلامي برمته ، وذلك من خلال هذه الطرق نفسها ، او تلك التي توالدت عنها ، وهي كثيرة لا تكاد تعد وتحصى* : مما هيأ للعراق ومراكزه الروحية مساحة واسعة من التأثير في الوعي الاسلامي العام عبر القرون ، وحققت لبغداد لقبها المشرق الدال على مركزها الروحي : « بغدادي شريف » .

والمعروف الثابت عن السلاسل الروحية لهذه الطرق الصوفية الكبرى انها تلتقي جميعا في نسبتها الروحية عند الشيخ ابي القاسم الجنيد البغدادي (ت/٢٩٨ ــ ٩١٠) بتوسط معروف الكرخي (ت : ٢٠٠ ــ ٨١٥) والسري بن المغلس السقطي (ت : ٢٥٣ ــ ٨٦٧) : ومن الامثلة البارزة على هــذه السلاسل ما يورده ابن النديم في « الفهرست » عن ابي محمد جعفر الخلدي (ت : ٩٩٥ م) من قوله : اخذت الطريقة عن أبى القاسم الجنيد بن محمــد (ت : ٩١٠) • وقال لي اخذت عن ابى الحسن السري بن المغلس السقطي (ت : ٨٦٥م) ، وقال : اخذ السري عن معروف الكرخي (ت : ٨١٥ م) واخذ معروف عــن فرقد بن يعقوب السبخي (ت : ١٣١هـ ــ ٧٤٨ م) : وأخذ فرقد عــن الحسن البصري (ت : ٧٢٨ م) ، واخذ الحسن البصري عن مالك بن أنســ (الصحابــي صاحب الحديث ، ت : ٧٠٩ م) ولقي الحســن ســبعين مــن البدريين » • واثبت لنا القشيري سلسلة اخرى رواها عن ابي على الدقاق (ت : ١٠١٦ م) : قال : اخذت هذا الطريق عن ابي القاســم ابراهيم النصر آباذي (ت:٩٧٩م) عن الشبلي (ت:٩٤٥م) والشبلي عن الجنيد ، والجنيد عن السري ، والسري عن معروف الكرخي ، ومعروف عن داوود الطائي ، وداود لقي التابعين •

ان هذا المنهج الصوفي الذي اتسم بالاعتدال والذي نما وترعرع ببغداد وارض العراق ، واسميناه « بالتصوف العراقي العربي » هو الذي استطاع ان يحصل لنفسه على الشرعية الدينية مــن جمهور العلماء والفقهاء ، على اختلاف مذاهبهم ، وهو الذي تمكن ايضا ، من خلال كتابات عبدالرحمن السلمي (ت : ٤١٢ ــ ١٠٢١) المؤرخ المفسر المعروف ، وتلميذه الشيخ ابى القاسم القشيري (ت : ٤٦٥ ــ ١٠٧٢) الذي تربع على كرسي العلم والتدريس في نظامية بغداد، وتمرس في علم الكلام على المذهب الاشعري ودون فيه ، والامام حجة الاسلام

أبو حامد الغزالي (ت : ٥٠٥ — ١١١١ م) بما عرف عنه من قوة التمكين والتأثير والمعرفة العميقة في الفقه والفلسفة والتصوف ، ان يزدهر ويتطور مع الزمن ، وايضا من خلال مناصرة الايوبيين عامة للطرق الصوفية على أيام صلاح الدين — وولاته ومساعديه الذين بادروا الى تأسيس الزوايا والتكايا التي تحولت الى مراكز روحية تقوم بمسؤولية الدعوة ونشر الصحبة الصوفية في الآفاق .

نشأة الطرق الصوفية الاولى في العراق

اولا : الطريقة السهروردية :

ترجع هذه الطريقة في نشأتها الى مبادرات الشيخ ضياء الدين أبي النجيب السهروردي البكري [٤٩٠ — ٥٦٣ /١٠٩٧ — ١١٦٨] وجهود ابن اخيه الشيخ شهاب الدين أبى حفص عمر السهروردي [٥٣٩ — ٦٣٢ / ١١٤٥ — ١٢٣٤] .

ترك الشيخ ابو النجيب مسقط رأسه وقدم بغداد فأقام فيها وتلقى علومه الشرعية في الفقه والاصول وعلم الكلام بالمدرسة النظامية على مشايخ بغداد من امثال الشيخ حماد الدباس وأسعد المهيني وغيرهم ، وندب الى التدريس بالنظامية فأجاب ودرس بها مدة ، وظهرت بركاته على تلاميذه . ثم ترك التدريس والتحق بحلقة الشيخ أحمد الغزالي [أبى الفتوح احمد بن محمد ، الشقيق الاصغر للامام الغزالي ت : ٥٢٠/١١٢٦] الذي أرشده الى الحياة الصوفية ، ونفخ فيه روح الطمأنينة واليقين ، ثم اعتزل الشيخ شؤون الحياة العامة وسلك طريق الصوفية وحبب اليه الانقطاع والعزلة ، فاجتمع من حوله المريدون وذاعت شهرته كما يقول السبكي في طبقاته ، في كل طرف وناحية ، وبنى لنفسه رباطا على الشط من الجانب الغربي ببغداد ، وألف رسالة في « أداب المريدين » أجمل فيها القواعد العامة للصحبة الصوفية ، فكثر اتباعه وتلامذته الذين يأخذون العلم وحقائق التصوف عنه ، كان من بينهم : أبو محمد روزبهان

البقلي الشيرازي (ت : ٦٠٦ ــ ١٢٠٩) واسماعيل القصري (ت : ٥٨٩ ــ ١١٩٣ م) وعماد البدليسي (ت : ١٢٠٠ م) ، وكان الاخيران من شيوخ نجم الدين الكبرى (٥٤٠ ــ ٦١٨ / ١١٤٥ ــ ١٢٢١) ، الصوفي الخوارزمي المعروف ومؤسس « الطريقة الكبراوية » • والحق فان مؤسس الطريقة السهروردية الحقيقي كان ابن أخي الشيخ : شهاب الدين ابو حفص عمر (٥٣٩ ــ ٦٣٢ / ١١٤٥ ــ ١٢٣٤) وكان كما ينقل ابن خلكان : شيخا صالحا ورعا كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة ، وتخرج عليه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة ، ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله ، صحب ابتداء عمه الشيخ أبا النجيب وعنه اخذ التصوف والوعظ ، وحصل طرفا صالحا من الفقه والخلاف وقرأ الادب ، وعقد مجالس الوعظ سنين حتى صار شيخ الشيوخ ببغداد ، وكان على وعظه قبول كثير ، وله نفس مبارك » • لم يكن الشيخ عمر من اولئك الصوفية الذين اعتزلوا مناشط الحياة العامة بل انخرط في سياسات عصره فحظي بمنزلة سامية عند الخليفة الناصر لدين الله الذي أسند اليه مهمة الاشراف على نظام الفتوة الذي أوجده ، كذلك أرسله سفيرا الى حاكم قونية السلجوقي كيقباد الاول ، والملك العادل الايوبي وآخرين ، وقد شيد له الناصر رباطا واسعا (رباط المأمونية) اشتمل على حدائق وحمامات ومكتبة عامرة • وقد أدخل الشيخ عمر « عادة الشد » الى دائرة الصوفية ، بوصفها علامة الدخول في السلوك والصحبة الصوفية ، وكان الى جانب ذلك صوفيا نظريا ألف كثيرا من الرسائل والكتب ، منها « عوارف المعارف » وهو أشهرها • ونظرا لما كان يتمتع به من علم وتقى فقد كان ارباب الطريق من مشايخ عصره يكتبون اليه من البلاد صورة فتاوى يسألونه عن شيء من أحوالهم • يقول ابن خلكان : سمعت ان بعضهم كتب اليه : يا سيدي ان تركت العمل أخلدت الى البطالة ، وان عملت داخلني العجب ، فايهما أولى • فكتب في جوابه : اعمل ، واستغفر لله تعالى من العجب • وله من هذا شيء

كثير » • وقد تفرعت عن السهروردية طوائف وطرائق صوفية كثيرة ويذكر عبدالرحمن الواسطي عام ١٣٢٥ م في كتابه « ترياق المحبين في طبقات خرقة المشايخ العارفين » ان للسهروردية فروعا اكثر من اية طريقة صوفية اخرى •

الطريقة الرفاعية :

وهي المنسوبة الى الشيخ ابي العباس احمد بن ابي الحسن علي الرفاعي (ت : ٥٧٠ ــ ١١٧٣) ، كان رجلا صالحا فقيها ، شافعي المذهب انضم اليه خلق عظيم من الفقراء ، واحسنوا الاعتقاد فيه وتبعوه ، والطائفة المعروفة بالرفاعية والبطائحية من الفقراء منسوبة اليه ، ولأقيانه ــ كما ينقل ابن خلكان، احوال عجيبة : من اكل الحيات وهي حية ، والنزول في التنانير وهي تتضرم بالنار فيطفئونها ، ومثل هذا وأشباهه ، ولهم مواسم يجتمع عندهم من الفقراء عالم لا يعد ولا يحصى ويقومون هم بكفاية الجميع • وينقل لنا ابن بطوطة صورة حية لما كان عليه القوم يوم مروره بواسط عام ١٣٢٧ م ، فيقول : ••• ولما نزلنا مدينة واسط ، أقامت القافلة ثلاثا بخارجها للتجارة ، فسنح لي زيارة قبر الولي ابي العباس احمد الرفاعي وهو بقرية تعرف « بأم عبيدة » ، على مسيرة يوم من واسط ، فطلبت من الشيخ تقي الدين (عبدالمحسن الواسطي من كبار فقهاء واسط وأهلها) أن يبعث معي من يوصلني اليها ، فبعث معي ثلاثة من عرب بني أسد ، وهم قطان تلك الجهة ، واركبني فرسا له ، وخرجت ظهرا ، فبت تلك الليلة بحوش بني أسد ووصلنا في ظهر اليوم الثاني الى الرواق ، وهو رباط عظيم فيه الآف من الفقراء ، وصادفنا به قدوم الشيخ « احمد كوجك » ، حفيد ولي الله ابي العباس الرفاعي الذي قصدنا زيارته ، وقد قدم من موضع سكناه من بلاد الروم برسم زيارة قبر جده ، واليه انتهت الشياخة بالرواق • ولما انقضت صلاة العصر ضربت الطبول والدفوف ، واخذ الفقراء في الرقص ، ثم صلوا المغرب ، وقدموا

السماط وهو خبز الارز والسمك واللبن والتمر ، فأكل الناس ثم صلوا العشاء الآخرة واخذوا في الذكر والشيخ احمد (كوجك) قاعد على سجادة جده المذكور ، ثم اخذوا في السماع ، وقد اعدوا احمالا من الحطب فأججوا نـــارا ودخلوا في وسطها يرقصون ، ومنهم من يتمرغ فيها ، ومنهم من يأكلها بفمه حتى اطفأوها جميعا ، وهكذا دأبهم • وهذه الطائفة الاحمدية مخصصون بهذا، وفيهم من يأكل الحية العظيمة فيعض بأسنانه على رأســها حتى يقطعــه » • والمعروف عن الشيخ احمد انه لم يترك مسقط رأسه في أم عبيدة بمنطقة البطائح ــ وهي عدة قرى مجتمعة في وسط الماء بين واسط والبصرة ــ الا مرة واحدة لاداء فريضة الحج ، وهذه المنطقة كانت المعقل الام للتصوف العربي ، كما يشير المؤرخون • وكان الشيخ قد تلقى الحرفة الصوفية من الشيخ ابي الفضل القاري الواسطي ، كذلك ورث عن عمه الشيخ منصور البطائحي (ت : ٥٤٠ ــ ١١٤٥) سجادة التصوف ومشيخة اخوة دينية والطائفة الرفاعية ، لم يكن الشيخ احمد الرفاعي من أصحاب الرسائل والمدونات الصوفية ولم يترك أثرا مكتوبا سوى مجموعة الاوراد والاذكار المنسوبة اليه •

ولقد تفرعت عن الرفاعية مجموعة كبيرة من الطوائف والطرق ، كالبدوية (الشيخ احمد البدوي ت : ٦٧٥ ــ ١٢٧٦) والدسوقية (الشيخ ابراهيم بن أبي المجد ، (ت : ٦٨٧ ــ ١٢٨٨) والشاذلية (الشيخ ابو الحســن علــي الشاذلي ، ت : ١٢٥٨) والعلوانية (الشيخ ابو الحسن صفي الدين احمد بن عطاف اليمني ، ت : ٦٦٥ ــ ١٢٦٦) •

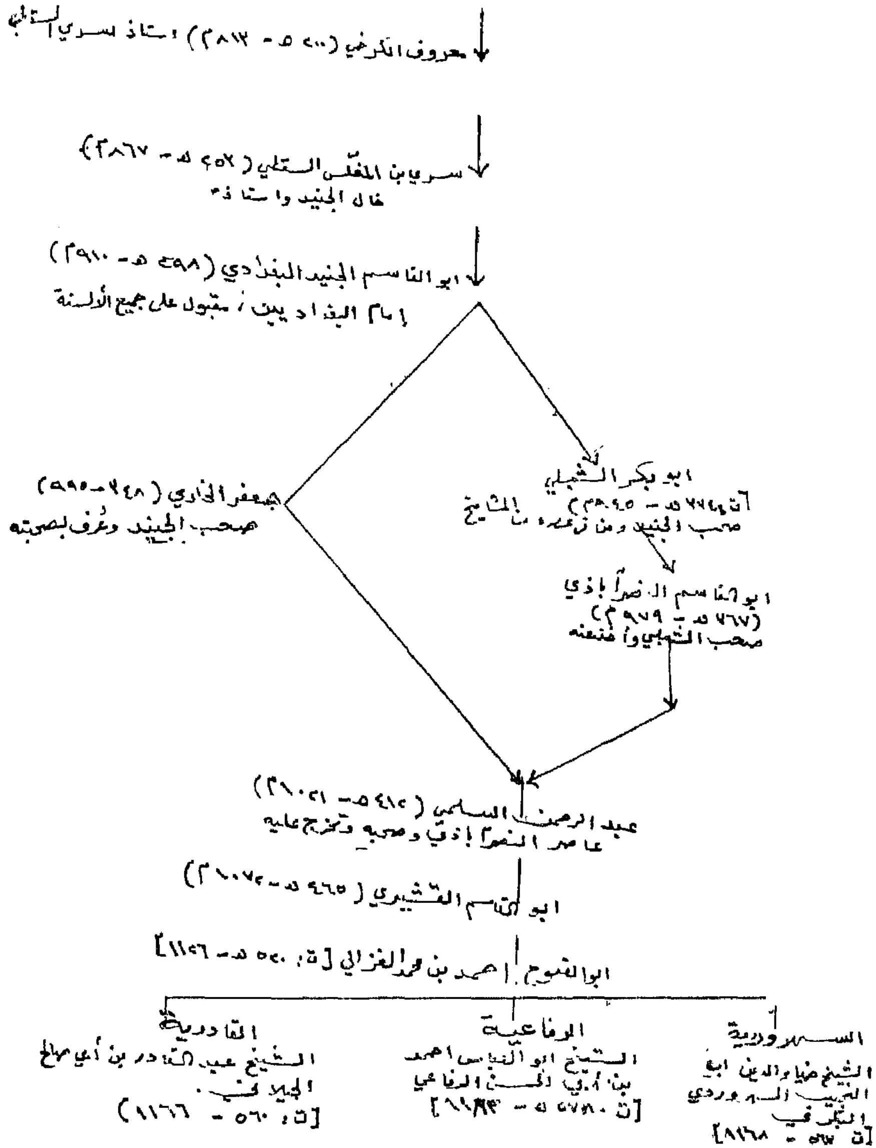
وقد انتشرت الطريقة في سوريا من خلال جهود الشيخ ابى محمد الحريري (الطريقة الحريرية) وفي مصر بفضل جهود ابى الفتح الواسطي (ت : ٦٣٢ ــ ١٢٣٤) ، وصارت للطريقة في مصر وسوريا من بعد شعب كثيرة منها «الطالبية» و « الصيادية » و « الوفائية » و « العروسية » • [لمعرفة تفصيلات أوفى عن

الطرق المتشعبة عن الرفاعية ، انظر : محمد ابو الهدى الصيادي : تنوير الابصار في طبقات السادات الرفاعية ، القاهرة /١٩٨٨] •

الطريقة القادرية :

ليس من السهل تلمس اسباب ذيوع شهرة الشيخ الامام عبد القادر بن ابي صالح الجيلي ، بسهولة ويسر وسط سيل الكتابات المتراكمة حـول شخصيته الخارقـة ، سواء من الذين عاصروه ، ام من اولئك المعجبين بسيرته من المتأخرين ، والتي رفعته الى مكانة سامية ومقام مرموق لايدانيه فيه غيره من شيوخ الصوفية وأئمتهم ، وجعلته قطبا روحيا تقصده الملايين التماسا لبركته واعترافا بفضله • وخلال العقود التالية لوفاته اسبغ عليه مريدوه من ايات القداسة ومعاني الكرامة والوهب الالهي ما أثار استنكار الفقهاء في كل حين ، علما بان الشيخ عبدالقادر كان فقيها حنبليا لم يكن يتعاون وينسجم مع مذهبه في شيء اضفاء كل هذه القدسية على ذاته •

ولد الشيخ في جيلان عام (٤٧٠ ــ ١٠٧٧) ثم قدم بغداد سنة ٤٨٨ حيث تلقى علومه الشرعية ورفضه الالتحاق بالمدرسـة النظامية التي كان يقـوم بالتدريس فيها آنئذ ابو الفتوح احمد الغزالي الذي ورث كرسي الدراسة عن اخيه الامام أبي حامـد الغزالي ، وسلك الشيخ طريقة الصوفية فتلقى الخرقة الصوفية مباشرة من الشيخ ابي سعيد المخرمي بأمـر من الخضر ، كما تقـول الروايات • وليس في الآثار المروية عنه ما يشير الى ممارسـته قواعد الصحبة وآداب المريدين قبل اتصاله بحلقة الشيخ أبي الخير حماد الدباس (ت : ٥٢٥ ــ ١١٣١) وعن غير رضى من مريديه الذين أوجسوا خيفة من مقدم هـذا الشيخ الحنبلي الصارم وانضمامه الى حلقتهم الصوفية • بعد ذلك قضـى الشيخ عبدالقادر خمسا وعشرين عاما في الرياضة والزهد والخلوة والانقطاع الى العبادة ، مع التنقل في اطراف الصحراء العراقية وتخومها • وعند بلوغه



مدرسة بغداد الصوفية
معروف الكرخي (٢٠٠ هـ - ٨١٥م) استاذ سري السقطي
سري بن المغلس السقطي (٢٥٣ هـ - ٨٦٧م)
خال الجنيد واستاذه
ابو القاسم الجنيد البغدادي (٢٩٨ هـ - ٩١٠م)
إمام البغداديين، مقبول على جميع الألسنة
جعفر الخلدي (٣٤٨هـ-٩٥٩م)
صحب الجنيد وعُرف بصحبته
ابو بكر الشبلي
[ت ٣٣٤ هـ - ٩٤٥م]
صحب الجنيد ومن في عصره من المشايخ
ابو القاسم النصرآباذي
(٣٦٧ هـ - ٩٧٩م)
صحب الشبلي
عبد الرحمن السلمي (٤١٢ هـ - ١٠٢١م)
عاصر النصرآباذي وصحبه وتخرج عليه
ابو القاسم القشيري (٤٦٥ هـ - ١٠٧٢م)
ابو الفتوح احمد بن محمد الغزالي [ت ٥٢٠ هـ - ١١٢٦م]
القادرية
الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني
[ت ٥٦١ - ١١٦٦م]
الرفاعية
الشيخ ابو العباس احمد بن ابي الحسن الرفاعي
[ت ٥٧٨ هـ - ١١٨٢م]
السهروردية
الشيخ ضياء الدين ابو النجيب السهروردي
[ت ٥٦٣ - ١١٦٨م]

الخمسين كانت شهرته قد طبقت الافاق فشيدت له ولعائلته عام ٥٢٨ للهجرة مدرسة واسعة ورباط فسيح صار مجمعا للفقراء والدراويش الذين احسنوا الاعتقاد فيه وتبعوه . واشتهر الشيخ في حياته بمجالس الوعظ والارشاد وكتابة الرسائل والمدونات كان من بينها « الغنية لطالبي طريق الحق » و « الفتح الرباني » و « فتوح الغيب » و « سر الاسرار ومظهر الانوار » وعقب وفاته ، ومع مرور الزمن ، آمن كثيرون ببركة خرقته واعتقدوا بكراماته وتابع ابناؤه من بعده – عبدالرزاق وعبدالعزيز – الدعوة الى طريقة ابيهم ونشر تعاليمه : وأعانهم فيما سعوا اليه نخبة من الاتباع والاصحاب المخلصين لمذهب أبيهم ، وهكذا ظهرت الوجود « الطريقة القادرية » التي اطبقت شهرتها كل سهل ومرتفع من الارض . وعلى الرغم من ظهور عدد من التكايا القادرية في حدود نهاية القرن الثالث عشر في كل من العراق وسورية ، فليس في الروايات التأريخية ما يشير الى الانتشار الواسع للطريقة قبيل عام ١٥٠٠ ، حيث انتشرت الطريقة بعدئذ سراعا في صفوف الاكراد ، واقيمت اول تكية قادرية بدمشق وهي المعروفة بالداودية في اوائل القرن الخامس عشر الميلادي ، وفي القارة الهندية بدأت القادرية بمقدم محمد غوث (ت : ١٥١٧) الذي ادعى نسبته الى الشيخ عبدالقادر ، وفي مناطق النيل السفلى انتشرت بفضل جهود الشيخ تاج‌الدين البهاري البغدادي.ومع اتساع نفوذ العثمانيين في بلاد آسيا الصغرى بدأت الطريقة انتشارها الواسع والمكثف لاسيما في العاصمة اسطنبول ونواحيها حيث اقام الشيخ اسماعيل رومي (١٠٥٣ – ١٦٤٣) الملقب بـ « پيرثاني » اول تكية قادرية فيها اعقبتها سلسلة من التكايا التي جاوزت الاربعين ، مما جاء على ذكرها ڤون هامر برغشتال في مدونته التاريخية المعروفة « تاريخ الامبراطورية العثمانية (باريس : ١٨٣٥ – ١٨٤٣) ، ومن ابرز الطوائف المتفرعة عن الطريقة القادرية (الاهدلية) في اليمن و (العمارية) في الجزائر و (الاسدية) و (الرومية) و (الهندية) و (الخلوصية) في تركية ، و

(الصمدية) في سوريا و (الفارضية) و (الغوثية) في مصر و (العرابية) في اليمن و (البكائية) في الصحراء الافريقية والسودان ، و (الزنجيرية) في جزيرة كريت ، وغيرها .

مراجـع منتخبة

المصادر العربية الاولية :

ابن رشـد : (القاضي الفيلسوف أبو الوليد محمد بن احمد المتوفى سـنة ٥٩٥ هـ ــ ١١٩٨م) :

★ « تهافت التهافت » : نشر وتحقيق الاب بويج ، بيروت ١٩٣٠ .

★ « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » / طبعة القاهرة ، بلا تأريخ .

★ « الكشف عن مناهج الادلة » ، بتحقيق الدكتـور محمود قاسـم ١٩٦٤ .

ابن سـينا : (الفيلسوف الرئيس الحسـين بن عبدالله (ت ٤٢٨ ــ ١٠٣٧) :

★ « الاشارات والتنبيهات » : بتحقيق سليمان دنيا القاهرة ١٩٥٧ ــ ١٩٦٠ .

★ « كتاب النجاة » : مطبعة الكردي ١٩٣٨ .

الاسفراييني : (أبو المظفر عماد الدين بن محمد المتوفى ٤٧١هـ/١٠٧٨ م) :

★ « التبصير في الدين » ، تحقيق عزة عطار الحسيني دمشق ١٩٤٠ .

الاشعري : (أبو الحسن علي بن اسماعيل المتوفى ٣٢٣ هـ ــ ٩٣٦ م) :

★ « الابانة عن اصول الديانة » ، حيدر آباد ١٣٦٧ هـ .

★ « اللمع في الرد على اهل الزيغ والبدع » ، تحقيق الاب مكارثي بيروت ١٩٣٥ .

الباقلاني : (القاضي ابو بكر محمد بن الطيب المتوفى ٤٠٣ هـ ــ ١٠١٣) :

★ « الانصاف فيما يجب اعتقاده » ، تحقيق عزة عطار الحسيني دمشق ١٩٥٠ .

★ « كتاب التمهيد » ، تحقيق الاب مكارثي بيروت ١٩٥٧ .

البزدوي : (فخر الاسلام المتوفى ٤٨٢ ــ ١٠٨٩) :

★ « اصول الدين » ، تحقيق المستشرق بيترلانز ، القاهرة ١٩٦٤ .
البغدادي : (ابو منصور عبدالقاهر بن طاهر المتوفى ٤٢٩ هـ ــ ١٠٣٤) :
★ « أصول الدين » ، اسطنبول ١٩١٠ .
الجويني : (امام الحرمين ابو المعالي المتوفى ٤٧٨هـ ــ ١٠٨٥) .
★ « الارشاد الى قواطع الادلة في الاعتقاد » ، تحقيق لوسياني باريس ١٩٣٨ .
★ « لمع الادلة في قواعد عقائد اهل السنة والجماعة » ، تحقيق الدكتورة فوقية حسين ، القاهرة ١٩٦٥ .
الخياط المعتزلي : (ابو الحسين عبدالرحيم بن محمد بن عثمان المتوفى ٣٠٠ هـ) :
★ « كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي » ، تحقيق المستشرق السويدي نيبرج . القاهرة ١٩٢٥ .
الرازي : (فخر الدين محمد بن محمد بن عمر المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ــ ١٢٠٩) :
★ « الاربعين في اصول الدين » ، حيدر آباد ١٩٣٥ .
★ « اساس التقديس في علم الكلام » ، القاهرة ١٩٣٥ .
★ « محصل افكار المتقدمين والمتأخرين » ، القاهرة ١٣٢٣ هـ .
★ « معالم أصول الدين » ، على هامش كتابه : المحصل .
الشهرستاني : (ابو الفتح محمد بن عبدالكريم المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ــ ١١٥٥) :
★ « الملل والنحل » ، طبعة القاهرة ١٩٢٩٨ ــ ١٩٢٩ .
★ « نهاية الاقدام في علم الكلام » ، تحقيق المستشرق الفريد كيوم لندن ١٩٦٤ .
الطوسي : (ابو نصر عبدالله بن علي السراج المتوفى سنة ٣٧٨ هـ) :
★ « كتاب اللمع » بتحقيق الدكتور عبدالحليم محمود وطه عبدالباقي سرور ، دار الكتب الحديثة . القاهرة ١٩٦٠ .
الغزالي : (حجة الاسلام ابو حامد محمد المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ــ ١١١١ م) :
★ « احياء علوم الدين » ، القاهرة .
★ « الاقتصاد في الاعتقاد » ، القاهرة ١٣٢٧ هـ .
★ « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » ، بتحقيق الدكتور سليمان دنيا . القاهرة ١٩٦١ .
★ « المنقذ من الضلال » ، القاهرة ١٩٣٤ .
الفارابي : (ابو نصر المعلم الثاني المتوفى سنة ٣٣٥هـ ــ ٩٥٠ م) :
★ « آراء اهل المدينة الفاضلة » ، بتحقيق الدكتور البير نصري نادر بيروت ١٩٥٩ .
★ « احصاء العلوم » ، بتحقيق الدكتور عثمان امين . القاهرة ١٩٤٨ .

★ « الجمع بين رأيي الحكيمين » ، بتحقيق الدكتور البير نصر. نادر بيروت ١٩٥٩ .

القاضي : (عبدالجبار المعتزلي المتوفى سنة ٤١٥ هـ) :

★ « شرح الاصول الخمسة » ، بتحقيق الدكتور عبدالكريم عثمان . القاهرة ١٩٦٥ .

★ موسوعة : « المغني في ابواب العدل التوحيد » .

القشيري : (أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن المتوفى سنة ٤٦٥ ـ ١٠٧٣) :

★ « الرسالة القشيرية » ، القاهرة بلا تأريخ .

الكلاباذي : (ابو بكر محمد المتوفى سنة ٣٩٠ هـ ـ ١٠٠٠ م) :

★ « التعرف لمذهب اهل التصوف » ، تحقيق محمود أمين النواوي . القاهرة ١٩٦٩ .

الكندي : (ابو يوسف يعقوب بن اسحق المتوفى سنة ٢٥٢ هـ ـ ٨٦٦) :

★ « رسائل الكندي الفلسفية » ، بتحقيق الدكتور محمد عبدالهادي ابو ريده . القاهرة ١٩٥٠ .

المكي : (ابو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المتوفى سنة ٣٨٦ هـ ـ ٩٦٦ م) :

★ « قوت القلوب في معاملة المحبوب » ، القاهرة ١٩٦١ .

النفري : (محمد عبدالجبار المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ـ ١٩٦١) :

★ « كتاب المواقف والمخاطبات » ، حققه وترجمه الى الانجليزية المستشرق آرثر جون اربري ، لندن ١٩٣٥ .

دراسات استشراقية مترجمة :

* بنس : « مذهب الذرة عند المسلمين » ، ترجمة الدكتور محمد عبدالهادي أبو ريدة القاهرة ١٩٤٨ .
* دى بور : « تاريخ الفلسفة في الاسلام » ، ترجمة محمد عبدالهادي ابو ريدة . القاهرة ١٩٤٨ .
* رينان : (ارنست) : « ابن رشد والرشدية » ، ترجمة عادل زعيتر ، دار احياء الكتب العربية . القاهرة ١٩٥٧ .
* فالتزر (ريتشارد) : « الفلسفة الاسلامية ومركزها في التفكير الانساني » ، ترجمة الاستاذ محمد توفيق حسين ، بيروت ١٩٥٨ .
* كرادو فو : « ابن سينا » ، ترجمة عادل زعيتر ، بيروت ١٩٧٠ .
  « الغزالي » ترجمة عادل زعيتر . القاهرة . ١٩٥٩ .
* كولدزيهر : « العقيدة والشريعة في الاسلام » ، ترجمة الدكتورين : محمد يوسف موسى وعلي عبدالقادر : الطبعة الثانية القاهرة ١٩٥٩ .

* كوربان (هنري) : « تاريخ الفلسفة الاسلامية » ، ترجمة : حسين مروة وحسن قبيسي عويدات . بيروت ١٩٦٦ .
* كيوم (الفريد) : « تراث الاسلام » ـ مقالة علم الكلام والفلسفة ، ترجمة جرجيس فتح‌الله . الموصل ـ العراق ١٩٥٥ .
* نكلسون (ارنولد) : « في التصوف الاسلامي وتاريخه » ، ترجمة الدكتور ابو العلا عفيفي . القاهرة ١٩٤٧ .

المصادر العربية الحديثة :

* الدكتور أبراهيم بسيوني : « نشأة التصوف الاسلامي » ، دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٩ .
* الدكتور ابراهيم بيومي مدكور : « في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه » ، دار المعارف ١٩٦٨ .
* الدكتور أبو العلا عفيفي : « التصوف ، الثورة الروحية في الاسلام » ، القاهرة ١٩٦٣ .
* الدكتور البير نصري نادر : « فلسفة المعتزلة » ، الجزء الاول ، الاسكندرية ١٩٥٠ .
* احمد امين : « ضحى الاسلام » ، النهضة المصرية ١٩٥٦ .
ظهر الاسلام النهضة المصرية ١٩٥٦ .
* الدكتور حسام الالوسي : « دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي » ، بيروت ١٩٨٠ .
* الدكتور حمودة غرابة : « الاشعري » ـ رسالة دكتوراه ، القاهرة ١٩٥٣
* زهدي حسن جارالله : « المعتزلة » ، القاهرة ١٩٤٧ .
* الدكتور عبدالرحمن بدوي : « تاريخ التصوف الاسلامي » ، الكويت ١٩٧٥ . « التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية » ، مجموعة مقالات وبحوث لكبار المستشرقين . القاهرة ١٩٤٠ .
« مذاهب الاسلاميين » ، الكويت ١٩٧٥ .
* الدكتور عبدالستار عز الدين : « العقل والحرية » ـ دراسة في فكر القاضي عبدالجبار المعتزلي . بيروت ١٩٨٠ .
* الدكتور عثمان امين : « محمد عبده وآراؤه الفلسفية والدينية » ، القاهرة
* الدكتور عبدالقادر محمود : « الفلسفة الصوفية في الاسلام » ، القاهرة ١٩٦٧ .
* الدكتور عرفان عبدالحميد فتاح : « دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية » طبعة ثالثة . بيروت ١٩٨٤ .
« الفلسفة في الاسلام » ـ دراسة ونقد ، بغداد ١٩٧٤ .
« نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها في الاسلام » ، بيروت ١٩٧٤ .

* الدكتور علي سامي النشار : « نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام » ، القاهرة ١٩٥٤ .
* الدكتور كامل مصطفى الشيبي : « شرح ديوان الحلاج » ، مكتبة النهضة ــ بغداد ، بيروت ١٩٧٤ .
« الصلة بين التصوف والتشيع » ، دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٦٩ .
* الدكتور الشيخ مصطفى عبدالرزاق : « تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية »، القاهرة ١٩٥٩ .
* الدكتور محمد عبدالهادي ابو ريده : « النظام وآراؤه الفلسفة » ، القاهرة ١٩٤٦ .
* الدكتور محمد علي أبو ريان : « أصول الفلسفة الاشراقية » ، القاهرة ١٩٥٩ .
* الدكتور محمد مصطفى حلمي : « الحياة الروحية في الاسلام » . القاهرة ١٩٧٠ .

المصادر الاجنبية :

* Arbeery (A.J.) : "An Introduction to the History of Sufism", Oxford, 1942.

— "Sufism, An Account of the Mystics of Islam," London 2ed Edition, 1966.

* Gibb (H.A.R.) : "Mohammadanism" 2ed Edition, 1961.

— "Studies on the Civilization of Islam," London, 1961.

* Nicholson (R.A) : "Studies in Islamic Mysticism", Cambridge 1961.

* Spencer Trimingham. J :" Sufi Orders in Islam", Oxford, 1971.

* Sweetman (J.W) : "Islam and Christian Theology", London, 1945.

* Vandenberg; Simon : "Averroes' Tahafut Al-Tahafut", Oxford, 1954.

* Von Grunebaum. G.E : "Modern Islam - The Search for cultural identity", California, 1962.
* Watt (W.M) : Free Will and Predestination in Early Islam", London, 1948.
— "Islamic Philosophy and Theology", Edinbourgh, 1962.
* Wensinck (A.J) : "The Muslim Greed", Cambridge, 1932.

* الوقوف على التفرعات المتكاثرة عن هذه الطـرق الكبرى ، يستحسن مراجعة كتاب : چي . سبنسر تريمنفهام : « الطرق الصوفية في الاسلام » اكسفورد ، ١٩٧١ ، فهو من أوفى المصادر ذات الصلة بمتابعة التطور التاريخي لهذه الطرق .

الفصل الثالث عشر : في العلوم البحتة

الرياضيـــات والفــلك

الدكتور تقي الدين عارف الدوري
كلية التربية للبنات ـ جامعة بغداد

مقدمـــة :

تكون الرياضيات والفلك جانبين مهمين من جوانب التراث العلمـــي العربي الذي يعتبر من الاسس المهمة التي كونت الحضارة العربية • ومـــن المعلوم ان النهضة العلمية العربية ومنها الرياضية والفلكية قد قامت في العراق أيام الدولة العربية في العصر العباسي وخاصة في عصري المنصور والمأمون ، فالمنصور نفسه كان فلكيا (حيدر بامات ، ١٢٥) والمأمون كان عالما رياضيا ، وكانت بغداد مركزا للخلافة والبحث العلمي •

استطاع العلماء العرب في العراق من استيعاب علوم العرب الاولين ، وما وصل اليهم من حضارة سومر وبابل وآشور والاغريـــق ، وطوروهـــا ، وزادوا عليها • وابتكروا واكتشفوا نتائج جديدة لم يسبقهم اليها غيرهم ، بينما كان العالم ومنه اوربا في عصور من التخلف والجهل ، وفي المســـتوى المتدني للرياضيات الاوربية يقول أحمد سعيد الدمرداش : وصلتنا مسائل رياضية اوربية منـــذ ســـنة ١٢١٥ بين رئيس مدرستين همـــا رجيمبولد من كولونيه وادولف من لييج ، انها بلا شك تستحق الاشفاق (البيروني ، مقدمة كتاب استخراج الاوتار ••• ص ١٨) • وكان العلماء العرب كما قال عنهم نهرو في كتابه « لمحات من تاريخ العالم » بحق آباء العلـــم الحديـــث ، وان بغداد تفوقت على كل العواصم الاوربية (انظر الكتاب المذكور ، ص ٣٤)•

فمن العراق شع العلم الى اقاصي المعمورة ، وأدى العـراق دورا كبيرا في ركب الفكر الرياضي والفلكي العالمي المعاصر ، حيث سـاهست الرياضيات والفلك العربيتان مساهمة كبيرة في تقدم ذلك الفكر . وحتى الرياضـيات والفلك الاغريقيتان لم تصل الى العالم المعاصر الا عن طريق المصادر العربية، فان اوربا تعرفت على المؤلفات الاساسية في الرياضيات والفلك اليونانيتين عن طريق ترجماتها من جانب الرياضيين والفلكيين العرب الذيـن شرحوها وعلقوا عليها وأضافوا اليها ، ومن بينها مؤلفات مشهورة ، مثـل هندسـة اقليدس التي تضمنها كتابه الشهير « الاصول » وكتابات أرخميدس وزينو وديوفانتس وغيرهم من اليونان (طه باقر ، موجز في تاريخ العلوم ، ١٩٧). لذلك انتقلت الرياضيات والفلك الاغريقيتان الى اوربـا بواسـطة العـرب. (جلال شوقي ، العلوم الرياضية ، ٢٢) .

الرياضيات

يرجع الفضل الى العلماء العرب في العراق ــ بغير منازع ــ في ارسـاء اصول وقواعد علمي الحساب والجبر ، وتعليمها للعالم أجمع ، فالارقـام الشائعة الاستعمال في عصرنا الحالي تعرف بالارقام العربية ، كذلك فان كلمه « جبر » قد دخلت معظم اللغات الحية للدلالة على هذا العلم الذي وضـع أول كتاب فيه عالمنا العربي العراق الفذ محمد بن موسى الخوارزمي في اوائل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي . وهو أيضا أول مـن كتـب في الحساب العربي ، وهذان الكتابان هما الاساس الـذي شـيد عليه صـرح الرياضيات من بعده (العاملي ، الاعمال الرياضية ، مقدمة المحقق ، ٥) .

وقد زخر العراق بعشرات من علماء الرياضيات الذين قدموا للعالم عدة مئات من المؤلفات القيمة في الحساب والجبر والهندسة والمثلثات مازالـت الغالبية العظمى منها اسيرة خزانات المخطوطات .

وقد ظهر في صدر الدولة العربية العباسية جمهرة من العلماء العراقيين المبرزين في العلوم الرياضية ، فنبغ فيما يطلق عليه عصر الخوارزمي جماعة من هؤلاء العلماء نذكر أشهرهم — اضافة الى الخوارزمي : الكندي ، موسى بن شاكر وبنوه الثلاثة ، ثابت بن قرة ، حنين بن اسحق ، ابو بكر الرازي ، محمد بن جابر البتاني ، ابو الوفاء البوزجاني ، والحجاج بن يوسف . تلاهم عراقيون آخرون مثل الكرخي وابن الهيثم (طه باقر ، مقدمة في تاريخ الرياضيات ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١٠٨) :

١ — علم الحساب وانتقاله الى اوربا مع الارقام :

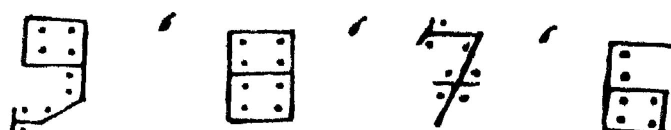
كان العرب قبل الاسلام وحتى قيام الدولة العربية في العصر العباسي يستخدمون طريقتين في الترقيم :

١ — الحروف الهجائية العربية الاولى (أبجدهوز) للتعبير عن الاعداد .
٢ — تدوين الارقام بالكلمات مثل (خمسمائة وخمسة دنانير) يعتقد بعضهم ان العرب استخدموا سلسلتين من الرموز لكتابة الارقام ، سلسلة فضلها عرب المشرق العربي (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ...) ، وهي التي جاء ذكرها في كتاب « الفهرست » لابن النديم ، وسلسلة وجدت طريقها الى عرب المغرب العربي ، وقد عرفت السلسلة المستخدمة في المشرق العربي « بالارقام الهندية » ، بينما عرفت السلسلة الثانية المستخدمة في المغرب العربي « بالارقام الغبارية » وهي السلسلة التي انتقلت الى اوربا واطلق عليها اسم «الارقام العربية» وهي (1, 2, 3, 4, 5, 6, 7, 8, 9) . كما يعتقد بعضهم ان الارقام الاخيرة التي تكاد تكون مستعملة في انحاء المعمورة كافة ترتبط بتسعة اشكال كان يستعملها أهل الهند ، وقد نقلت هذه الارقام الى العرب الذين هذبوها وأدخلوها الى اوربا . ويقال ان العالم العربي العراقي محمد بن موسى الخوارزمي هو الذي قام بهذا التهذيب وهو الذي اختار

هاتين السلسلتين المهمتين (طه باقر موجز في تاريخ العلوم ، ٩٩ ، على الدفاع ، اسهام علماء المسلمين ، ٤٠) • وان كتابه في الحساب كان الاول من بين المؤلفات الرياضية التي تستعمل فيه الرموز العشرة التي يستعملها الاوربيون اليوم ، ذلك الترقيم المعروف بالارقام العربية •

وقد بنى الرياضيون العرب معرفتهم للارقام الغبارية (وهذا الاسم جاء بسبب كتابتها على منضدة أو لوحة من الرمل عند أجراء العمليات الحسابية على نظرية الزاوية ، وذلك بتعيين زاوية لكل رقم ، فمثلا الرقم (١) له زاوية واحدة 1 وللرقم (٢) زاويتان 2 (انظر على الدفاع ، العلوم البحتة ، ١٠٤ ــ ١٠٥) كما يظهر بالشكل الآتي :





ان أصل الارقام التي يسميها العرب أنفسهم بالارقام الهندية ، أمر يعتريه الشك والغموض ، وقد أشار بعض الكتاب الى ان كلمة « هندي » لا تعني بالضرورة ان الارقام نشأت في الهند حيث ان هذه الكلمة كانت لها معان كثيرة عند العرب ، وقد يكون جديراً بالذكر الاشارة هنا الى ان أول كتاب عربي جاء بالارقام العربية كتب عام ٢٦١ هـ /٨٧٤ م ، بينما ظهر

أول كتاب هندي يحتوي على هذه الارقام بعد الكتاب العربي بعامين (على الدفاع ، اسهام ، ٤٠ ــ ٤١) •

ويقول أحد المستشرقين الانكليز « هناك بعض الفحوص حول أصل العلامات العشر للارقام فقد أشار اليهـا الكتاب العربي على انها ذات أصل هندي الا انه لم يعثر على أية اشارة في اي من كتب الرياضيات العربية الى مؤلف او كتاب هندي في هذا المجال ، الامر الـذي يثير الاسـتغراب » (مونتكمري واط ، تاثير الاسلام على اوربا ، ٥٦) •

وسواء نسب اكتشاف الارقام الى الهنود أو الى العرب ، فمن المسلم به على وجه اليقين ان رياضيي العرب هم الذين استخدموا هـذه الارقـام وأدخلوا النظام العشري وعلموها للعالم أجمع • ان الفكرة الفذة التي يعبر بمقتضاها عن جميع الاعداد باستخدام عشرة رموز ، حيث يتخذ كل رمـز قيمة ناشئة عن موضعه أو موقعه (أي حسب وقوع الرقم في خانة الآحـاد أو خانة العشرات أو المئات ••• الخ) بالاضافة الى قيمة مطلقة ، ان تلـك الفكرة قد فاتت علماء مدرسة الاغريق وعلماء مدرسـة الاسكندرية (على الدفاع ، اسهام ، ٤١) •

وعرف العرب الصفر واستعملوه للدلالة على لاشيء ، كما يبـدو في أحد أبيات قصيدة لحاتم الطائي المتوفى ٦٠٥ م •

ترى ان هلكت لم يك ضرني وان يدي مما بخلت به صفر

وقد جاء تعريف الصفر في كتاب « شرح النزهة » بما نصه : « والصفر بكسر الصاد وسكون الفاء في اللغة الشيء الخالي الفارغ ، يقال صفر الشيء بكسر الفاء إذا خلا ، علامة منزلة خالية من العدد ليحفظ تلك المنزلة وهـذه صورته ٥ دائرة صغيرة » (البيروني) شرح النزهة (مخطوط) نقلا عـن

مقدمة محققي كتاب مفتاح الحساب للكاشي ، ص ٦) وقد تطمس الدائرة فتكون نقطة بسيطة (القلصادي ، كشف الاستار عن علم حروف الغبار (مخطوط) نقلا عن مقدمة محققي كتاب مفتاح الحساب للكاشي ، ص٦) ٠

ولم ينقل العرب لفظ سونيا بل عرفوا مدلوله ووجدوا في خزائن اللغة العربية ما يغنيهم ، فكان الصفر (مقدمة محققي الكتاب نفسه والصفحة نفسها) ٠ وسماها العالم العراقي محمد بن موسى الخوارزمي بالذات « صفر » التي تعني لغويا « فراغاً » و « لا شيء » ٠ وقد فقد الاصل العربي لكتاب الخوارزمي في الحساب ٠ ولم يصل الينا الا ترجمته اللاتينية التي وضعت له في القرن الثاني عشر الميلادي تحت عنوان (Algoritmi de Numero Indorium) وعن طريق هذه الترجمة انتشر النظام العشري مع الارقام العربية والصفر ومبدأ المرتبة العددية وصار

يعرف لدى الاوربيين بمصطلح الخوارزم Algorism المأخوذ من اسم الخوارزمي ٠ (طه باقر ، موجز في تاريخ العلوم ، ١٩٩ ــ ٢٠٠ ، طوقان ، تراث العرب العلمي ، ١٩٦١) ٠

انتقلت الارقام والحساب العربي الى أوربا ، إذ فتح العرب الاندلس ٩٢ هـ /٧١١ م ونشروا فيها ثقافتهم وحضارتهم أكثر من ثمانية قرون ٠ وعن طريق الاندلس وصل جانب كبير من علوم العرب الى اوربا بنقله الى اللغة اللاتينية ٠ وقد ظهر أول مخطوط اسباني يحمل الارقام القادمة من العرب عام ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م (انظر شكل ــ ١ ــ) ٠ ومن الملاحظ انهذه الوثيقة لا تشتمل على رمز الصفر الذي كان معروفا عند العرب والذي كان يرد في كتاباتهم قبل ذلك التاريخ ٠

أ	1 2 3 4 5 6 7 8 9 0
ب	16 3 2 13 5 10 11 8 9 6 7 12 4 15 14 1
جـ	1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

شكل ٢ - نماذج من الأرقام العربية المستعملة فى أوروبا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر :

(أ) الأرقام العربية المستعملة فى أوروبا معظم القرن الخامس عشر الميلادى .

(ب) المربع السحرى للرسام الألمانى البرخت ديرر (Albrecht Dürer) الذى عاش فى الفترة من عام ١٤٧١ حتى عام ١٥٢٨ م ، وقد جاء هذا المربع فى لوحته الشهيرة (Melancholia) الموسومة عام ١٥١٤ م ، وهذا التاريخ مبين بالخانتين المتوسطتين فى أسفل المربع .

(جـ) الأرقام العربية المستعملة فى أوروبا فى القرن السادس عشر الميلادى .

نقلاً عن كتاب «العلوم الرياضية في الحضارة الاسلامية» تأليف جلال شوقي وعلي عبد الله الدفاع ... ص٦١

ويقدم الشكلان (١ و ٢) نماذج لتطور اشكال الاعداد العربية منذ ادخالها الى أوربا في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي ، وحتى القرن السادس عشر الميلادي .

وصلت كثير من كتب علماء العراق في مختلف العلوم الى الاندلس ، ومنها كتاب العالم العراقي الخوارزمي في الحساب السابق ذكره ، حيث قام هناك اديلارد البائي الانكليزي بنقله الى اللغة اللاتينية حوالي ١١٢٠ م .

وتوجد أقدم مخطوطة لهذا الكتاب في مكتبة فينا التي يرجع تاريخها الى عام ١١٤٣ م • ووجدت نسخة ثانية في دير سالم بالاندلس ، وهي الآن محفوظة في هيدليرج بالمانيا الغربية ، وقد ظل هذا الكتاب المرجع الاول في الحساب لاوربا حتى القرن السادس عشر •

وانتقل ايضا علم الحساب العربي المتضمن النظام العشري الى أوربا عن طريق كتاب الحساب الذي نشره ليوناردو بيزانا في عام ١٢٠٢ م حيث أخذ عن العرب طريقة كتابة رموز الارقام ، مع الوقوف على تأثير موضع الرقم على قيمته واستعمال رمز الصفر للدلالة على المرتبة الخالية • (جلال شوقي ، العلوم الرياضية ، ٥٨ — ٦٠)

ولقد كان لادخال الطريقة العربية الى أوربا وقعا عظيما ادى الى اسراع الخطى نحو تقدم العلوم الرياضية ، إذ ان نظام الارقام الرومانية الذي كان منتشرا في اوربا حتى ذلك الوقت كان أكبر عقبة في طريق تقدم الرياضيات في الغرب • فخرجت الاعداد غلاظا للقارىء والمحاسب على السواء • مثال ذلك العدد ٣٨٤٧ يكتب بالرومانية MMMDCCCXLVII وتزيد هذه الغلظة حينما نريد أن نجمع هذين العددين أو نطرح أحدهما من الاخر ، وعندما نريد ضرب هذين العددين أو قسمتهما تصبح القضية عويصة جدا (على الدفاع ، العلوم البحتة ، ١٠٧ ، جلال شوقي ، العلوم الرياضية ، ٦٠) •

وساعد أيضا على انتشار الحساب العربي قيام الحاسبين من العرب في المؤسسات التجارية التي تقوم بعمليات الشحن على البواخر في جنوا وهامبورج — بعمليات حسابية على الطريقة العربية بسرعة تفوق حسابات أقرانهم الذين يستخدمون الارقام الرومانية •

وقد وصلت الارقام العربية الى انجلترا في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي في كتاب صدر بعنوان :"Crafte of Nombrynge" وخضعت الاشكال

الدالة على العدد لسلسلة من التغيرات عبر القرون حتى اخترعت الطباعة في القرن الخامس عشر ، فكان لاختراعها أكبر الاثر في الاحتفاظ بأشكال العدد دون أن تطرأ عليها تغيرات جوهرية •

هذا وقد أدخل جوردانوس نيموراريوس النظام العشري العربي حوالي عام ١٢٢٠ م ، فظهرت كلمة صفر في اللغة الالمانية في لفظة Citra ثم تطورت الى الكلمة المعاصرة "Ziffer"، كما أن الكلمة الفرنسية "Ch'ffre" مأخوذة من الكلمة العربية •

كما أن كلمة « صفر » العربية قد دخلت اللغات الاجنبية المختلفة ، ففي اللغة الانجليزية مثلا نجد كلمة Cipher و "Cyfre" و Cybure • ومن الواضح أنها مأخوذة من الكلمة العربية ، كما أن كلمة صفر قد تحولت الى كلمة (Zephirum) في اللغة اللاتينية ، وقد طرأت على هذه الكلمة عدة تطورات عبر القرون ، فاتخذت في اللغة الايطالية صورة "Zepiro" الى أن ظهرت مبسطة في اللغة الانجليزية في كلمة "Zero" •

وتنبع الكلمات "Algorismus, Algorism, Algorithm" كلها من اسم علامة الرياضيات العربي العراقي الخوارزمي ، وكانت هذه الكلمة تشير سابقا الى طريقة الحساب العربية المستخدمة للرموز التسعة ومعها الصفر ، أما في الوقت الحاضر فان هذه الكلمة تطلق على طريقة الحساب المشتملة على مجموعة من الرموز أيا كان نوعها • ويمثل الشكل ــ ٣ ــ تطور أشكال العدد بدءاً بالقرن الرابع الهجري وحتى الوقت الحاضر (جلال شوقي ، العلوم الرياضية ، ٦٢) •

لم يكن انتقال الارقام الى أوربا فقط ، فان أرقام السلسلة المستخدمة في المشرق العربي انتقلت الى الشرق مثل ايران وباكستان والهند • ومما

يجدر ذكره ان ترقيم الآيات القرآنية نجده مستعملا في مصاحف المشـرق العربي ، وكذلك في مصاحف ايران وباكستان والهند مع تغيير بسيط فـي أشكال الاربعة والخمسة والسبعة (جلال شوقي ، العلوم الرياضية ٦٤) •

٢ ـ الجبـر : ـ

كان العالم الرياضي العراقي محمـد بن موسى الخوارزمي أول مـن ألف في علم الجبر (الخوارزمي ، الجبر والمقابلة ، المقدمـة ، ١٥ ، جـلال مظهر ، الحضارة ، ٨٥) • وقد كتب كتابه العظيم « الجبر والمقابلة » تحقيقا

أشكال العدد ...	واحد	إثنان	ثلاثة	اربعة	خمسة	ستة	سبعة	ثمانية	تسعة	عشرة	ملاحظات
رموز المشرق العربي في صدر الحضارة العربية (حتى القرن العاشر الميلادي)	.١	٢	٣	عو	[illegible]	ع	٧	[illegible]	٩	!	من كتاب الفهرست لابن النديم ٩٨٧ م .
	١	٢	٣	۴	[illegible]	۶	٧	٨	۹	١٥	من كتاب الشفاء لابن سينا ـ مخطوط الأزهر .
الرموز المستعملة في المشرق العربي في القرن العاشر الميلادي	١	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	y	٧	[illegible]	9	١٥	عن دائرة المعارف البريطانية .
أول ظهور للأرقام العربية في اسبانيا ـ عام ٩٧٦ م	I	[illegible]	[illegible]	[illegible]	y	[illegible]	7	8	9		من كتاب تاريخ الرياضيات لسميث .
أشكال الغبار في المغرب العربي في القرن الثاني عشر الميلادي	١	2	3	ع	[illegible]	6	7	8	9		عن ابن الياسمين .
أرقام المشرق العربي في القرن السادس عشر الميلادي	١	٢	٣	۴	٥	۶	٧	٨	٩	١٠	حوالى عام ١٥٧٥ م .
الأرقام المستعملة حاليا في المشرق العربي .	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	
الأرقام المعروفة بالأرقام العربية	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	تستعمل في الغالبية العظمى من بلدان العالم .

شكل ٣ ـ تطور أشكال العدد خلال عشرة قـرون من الزمان .

نقل بتصرف عن كتاب ((المعالم الرياضية في الحضارة الاسلامية)) تأليف جلال شوقي وعلي عبد الله الدفاع ، ط ٤ ، ص ٦٥

لرغبة الخليفة المأمون عام ٢٠٨ هـ/٨٢٠م (الخوارزمي ، المقدمة ، ١٠ ، ١٥) • وقد ورد في كتاب الفهرست لابن النديم (ص ٣٨٣) عن انقطاعه لمكتبـة الحكمة للمأمون • ولا يعرف تاريخ ولادته ولا وفاته • وكان العالم المذكور أول من استعمل علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب (جلال مظهر ، ٨٥) •

وقد أشار الخوارزمي الى انه ألف كتابه في الجبر ليخدم الاحتياجات العملية للناس فيما يختص بالمواريث والوصايا والتقسيم والحقوق والتجارة، وكذلك في استخراج مساحة الاراضي والهندسة وغير ذلك (انظر الجبر والمقابلة ، طبعة دار الكاتب العربي ١٦) .

والحقيقة ان الخوارزمي في اصالته وتأثيره في العالم شرقا وغربا يمكن اعتباره أبرز مثال لمسيرة العراق في ركب الحضارة . وكان له أبلغ الأثر في الفكر الرياضي عن أي مؤلف آخر في العصور الوسطى ، وذلك بايجاده طريقة تحليلية لحل معادلات الدرجة الاولى والدرجة الثانية في مجهول واحد ، وذلك بكل من الوسائل الجبرية والهندسية . (الدفاع ، اسهام ، ٥٩) .

وفي باب المساحة في كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي عمليات هندسية حلها بطرق جبرية ، مما يدل على ان العرب في العراق هم أول من استعان بالجبر في مسائل هندسية ، ورغم البحوث المستفيضة في تاريخ الرياضيات عند الاغريق والهنود ، فانه لم يعثر على كتاب واحد يشبه كتاب العالم العراقي الخوارزمي ، وعليه فانه لم يكن قبل الخوارزمي علم يسمى علم الجبر (مشرفة ، مقدمة كتاب الجبر والمقابلة ، ١٤ ، جلال مظهر ، ٨٥ــ٨٦ ، طوقان ، تراث ، ٦٨ ، ٧١) وهو أول من استعمل كلمة جبر التي دخلت اللغات الاوربية بنطقها العربي Algebra (جلال مظهر ، ٨٥) . وقد ترجم كتابه « الجبر والمقابلة » جيرارد الكريموني الايطالي في النصف الثاني عشر (جلال مظهر ، ٨٦ ، الدفاع، اسهام، ٦١ ، بدوي ، ابحاث المستشرقين، ٣١) (انظر شكل ــ ٤ ــ صفحة من النسخة العربية وشكل ــ ٥ ــ صفحة من

الترجمة اللاتينية المذكورة) • وترجمه روبرت التشستري ، وظل علماء الغرب يستخدمونه حتى القرن السادس عشر (الدفاع ، اسهام ، ٦١) ويقول الدفاع وعن ترجمة روبرت ياتي سارتون بملاحظة تعطي الحق لاهله يقول فيها « يصعب ان نكون مبالغين في أهمية هذه الترجمة بالذات ، اذ انه يمكن القول بانها بداية الجبر الاوربي » •

وقد ترجم كتاب الخوارزمي المذكور الى اللاتينية في النصف الاول من القرن الثاني عشر ادلارد الباني ــ الذي تعلم اللغة العربية في الاندلس ــ ونشره تحت عنوان الغورتمي نسبة الى اسم صاحبه العربي العراقي ، ومن الغريب ان ترجم لفظ الغورتمي أي الخوارزمي في اللغة العربية باللوغاريتمات، ووجه الاصالة في هذا الفرع من الرياضيات ــ الجداول الخوارزمية التي ترجمناها خطأ باللوغاريتمات ــ ان صاحبها العالم العربي العراقي هو الذي بدأها وهو الذي أنهاها ، فلم يشاركه في وصفها ولا تطويرها أحد سواه •

وأوجد الخوارزمي ايضا رموزا للجذور والمربع والمكعب والمجهول وطورها من جاء بعده من علماء العرب والمسلمين •

وقسم الخوارزمي الكميات الجبرية الى ثلاثة أنواع :

١ ــ جذر أي (س) ٢ ــ مال أي (س^{٢}) ٣ ــ مفرد وهو العدد أو الكمية الخالية من (س) (الدفاع ، العلوم البحتة ، ١٢٣ ــ ١٢٥) •

وشرح الخوارزمي ستة أنواع من معادلات الدرجة الثانية مع حلولها كما شرح العمليات الاربع في الجبر ، أي جمع الكميات الجبرية وطرحها وضربها وقسمها ، وأوجد الخوارزمي حجوم بعض الاجسام الهندسية البسيطة كالهرم الثلاثي والهرم الرباعي والمخروط (الدفاع ، العلوم البحتة ،

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب وضعه محمد بن موسى الخوارزمي افتتحه بان قال

الحمد لله على نعمه بما هو اهله من محامده التي باداء ما افترض منها على من يعبده

من خلقه يقع اسم الشكر ويستوجب المزيد ويؤمن من الغير اقرارا بربوبيته

وتذللا لعزته وخشوعا لعظمته

شكل ٤ - الصفحة الأولى من مخطوطة « كتاب الجبر والمقابلة » لمحمد ابن موسى الخوارزمي المحفوظة بمكتبه بودليان - باكسفورد ببريطانيا ، رقم : M.S.Hunt 214.

نقلنا عن كتاب ((العلوم الرياضية في الحضارة الاسلامية)) تأليف جلال شوقي وعلى عبدالله الدفاع ، ط١ ، ص ٢٩١.

PROLOGVS

شكل ٥ - صفحة من الترجمة اللاتينية ، لكتاب الجبر والمقابلة ، لمحمد بن موسى الخوارزمى . (ترجم من اللغة العربية الى اللاتينية بواسطة العالم الرياضى الأوروبى جيرارد المنتمى الى كريمونا (Gerard of Cremona) وذلك فى القرن الثانى عشر الميلادى ، وعُرف باسمه اللاتينى : (Liber Algebrae et Elmucqabalae)

نقلاً عن كتاب «العلوم الرياضية في الحضارة الإسلامية» تأليف جلال شوقي، وعلي عبدالله الدفاع، ط ٢ ص٢٤٣

١٢٥) • وكان أول من استعمل كلمة (أصم) لتدل على العدد الذي لا جذر له ، ومن هذه الكلمة أو من معنى هذه الكلمة استعمل الاوربيون لفظه (Surd) وهي تعني أخرس أطرش (طوقان ، تراث ، ٨٢ ، عبدالحليم منتصر ، أثر العرب والاسلام ، ٢٢١) • وقال كاجوري في كتابه « مبادىء تاريخ الرياضيات » : « ان حل المعادلات التكعيبية بواسطة قطوع المخروط من أعظم الاعمال التي قام بها علماء المسلمين وفي مقدمتهم عملاق القرون الوسطى في علم الرياضيات محمد بن موسى الخوارزمي » (نقلا عن الدفاع ، العلوم البحتة ، ١٣٥) •

وعن عالمنا العراقي الخوارزمي وتأثيره في الفكر الرياضي للعالم الخارجي شرقه وغربه نذكر هذه الشهادات من أقوال علماء كبار منصفين : يقول سارتون ان كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي قد أثر في الفكر الرياضي لاوربا أكثر من أي كتاب آخر لاي كاتب من كتاب العصور الوسطى ، وقد استخدم متنا تعليميا في الجامعات الاوربية حتى القرن السادس عشر • وان ليوناردو فيبوناتشي البيزي ، وهو أحد علماء الجبر الاوربيين المبرزين ، يقرر انه يدين للعرب ، وانه سرد الاوضاع الستة للمعادلات التربيعية كما وصفها الخوارزمي تماما (جلال مظهر ، الحضارة ، ٨٦) • ويشير سارتون أيضا الى النصف الاول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي بعصر الخوارزمي لانه « كان أعظم رياضيي عصره ، واذا ما أخذنا كل الظروف في الاعتبار ، فانه يعد واحدا من أعظم الرياضيين في كل العصور » • ويقول أ• فيدمان « ان اعماله ـــ وجانب منها هام ومبتكر ـــ تكشف في شخصية الخوارزمي عن عبقرية علمية فذة » (الدفاع ، اسهام ، ٥٩) • وقد وسم سمث العالم العراقي الخوارزمي بما يأتي « المعلم العظيم للعصر الذهبي لبغداد ••• وكان هذا الرجل عالما عظيم القدر يدين له العالم كثيرا بمعارفه الحالية في الجبر والحساب (المصدر نفسه ٥٩ ـــ ٦٠) • ويقول محمد

خان « الخوارزمي يقف في مقدمة علماء الرياضيات لكل العصور ، إذ انه كتب أقدم الاعمال في الحساب وفي الجبر ، تلك الاعمال التي كانت المنهل الرئيس للمعرفة الرياضية لقرون أتت من بعده سواء في الشرق أو الغرب .. » . ويلقب جانذز الخوارزمي بلقب « أبو الجبر » ويعد جبره أساس العلوم وحجر الزاوية فيها (المصدر نفسه ، ٦٠ ، ٦١) .

ولاهمية كتاب الجبر والمقابلة عمل كثير من الرياضيين على شرحه والتأليف على غراره والاقتباس منه في شرق العالم الخارجي وغربه (واذا تركنا العلماء العرب في العراق والاقطار العربية الاخرى ، الذين قاموا بعمل شروح له أو التأليف على غراره مثل عبدالله الصيدلاني وابن اسلم المصري وسنان بن الفتح الحراني وثابت بن قره وسند بن علي ويعقوب الصيدلاني الذين شرحوه والسمؤال المغربي وابن ياسمين واللبودي الذين ألفوا بالعنوان نفسه ، انظر ، كحالة ، العلوم ، ١٢٤ — ١٣١) نذكر ان رياضيي الاندلس وبلاد فارس وخراسان واذربيجان والهند قد تأثروا به .

ففي الاندلس قام العالم الاشبيلي محمد بن عمر المعروف بابن بدر (القرن السابع الهجري) باختصار كتاب الجبر والمقابلة الذي طبع في مدريد ١٩١٦ فهو يذكر فيه مثلا المسائل الست وهي المذكورة في كتاب الخوارزمي . ويقول طوقان ان هذا المختصر يمثل أثراً من الآثار الخالدة التي تركها العرب والتي كانت من أهم عوامل تقدم الرياضيات العالية ، وسائر العلوم الطبيعية التي قامت عليها الاعمال الهندسية الكبرى . (تراث العرب ، ٤١٨ — ٤٢٣) .

وقد تأثر عمر الخيام المتوفى في نيسابور عام ٥١٥ هـ /١١٢١ م بكتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي ، فألف كتابا يحمل نفس الاسم ، واستعمل في كتابه بعض المعادلات التي استعملها الخوارزمي ومن هذه المعادلات :

$$س^{٢} + ١٠ س = ٣٩$$

$$س^{٢} + ٢٠ = ١٠ س$$

$$٣ س + ٤ = س^{٢}$$

(انظر طوقان ، تراث ، ٣٥٩) • ولعل أكبر شاهد على امامة الخوارزمي في علم الجبر تكرار استخدام معادلاته المذكورة وغيرها في جميع المؤلفات الجبرية منذ عصره الى أوائل العصر الحديث • بل ان بعض هذه المحاولات لاتزال ترد في كتب الجبر الى الوقت الحاضر ناطقة بفضل العالم العراقي الخوارزمي على علم الجبر (الخوارزمي ، الجبر والمقابلة ، المقدمة ، ١٢) •

وقد تأثر محمد بن محمد الطوسي المعروف بنصير الدين الطوسي (٥٩٧ — ٦٧٢ م /١٢٠١ — ١٢٧٤ م) ، بالعلم العراقي ، فقد تتلمذ على يد العالم العراقي كمال الدين بن يونس الموصلي ، وألف كتابا في الجبر يحمل نفس عنوان كتاب الخوارزمي « في الجبر والمقابلة » (طوقان ، تراث ٤٠٧ ، ٤١٢) •

أما عالم الرياضيات ابو الريحان البيروني (ت ٤٤٠ هـ /١٠٤٨ م) ، فبعد ان اكتسب معلوماته المدرسية البغدادية ، ذهب الى الهند ، ومكث فيها أربعين سنة ، بعد فتح الغزنويين للهند ، واصبح مستشارا وصديقا للامير الغزنوي (طوقان ، تراث ، ٣١٠ — ٣١١) • ومن المعروف ان للبيروني ما لا يقل عن ثلاثة مؤلفات كلها شروح لكتب العالم العراقي الخوارزمي (الخوارزمي ، الجبر والمقابلة ، المقدمة ، ١١ — ١٢) •

وقد أوجد العالم الرياضي والمهندس العراقي ابو بكر محمد بن الحسن الكرخي — وهو اللقب الصحيح للقبه وليس الكرجي ، (انظر الدفاع ، العلوم البحتة ، ٢١٠) — المتوفى عام ٤٢٠ هـ /١٠٢٠ م وصاحب كتاب « الفخري في الجبر والمقابلة » صيغة لنتيجة جمع المتوالية العددية الثلاثية :

$١^{٣}+٢^{٣}+٣^{٣}+٠٠٠+ن^{٣} = (١+٢+٣+٠٠٠+ن)^{٢}$ وكذلك صيغة لنتيجة جمع المتوالية العددية الرباعية ، وقام أيضا ببحث المعادلات من الدرجة الثانية ، وفي بحثه هذا تمكن من حل هذه المعادلات بطريقة هندسية وبطريقة جبرية ، واستعمل في حله هذه المعادلات بالطريقة الجبرية التيمازالت تستعمل حتى هذا اليوم وهي طريقة اكمال المربع • وقد كانهذا العالم أول منتوسع في موضوع المعادلات ذات الجذور المزدوجة (الوهابي ، أثر العرب في تقدم علم الرياضيات ١١٠) •

ويعد الكرخي الذي عاش وتوفي في بغداد من أعظم الرياضيين الذين أسهموا اسهاما حقيقيا في تقدم العلوم كلها • (الدفاع • العلوم البحتة، ٢١٠)•

وكان العالم الرياضي العراقي الكرخي من العلماء العرب المبتكرين الذين يكرهون النقل والترجمة ، وان صفة الاصالة هي التي ميزته ، إذا كان يفضل التأليف والتحليل والتعليق على مؤلفات غيره ، وقد شرح الكثير من النقاط الغامضة في كتاب « الجبر والمقابلة » للخوارزمي ، وأكدها بأمثلة كثيرة ، ويقول روس بول في كتابه « ملخص الرياضيات » : « ان الكرخي طور قانون مجموع مربعات الاعداد الطبيعية الى درجة لم يسبقه لها أحد ، ولاتزال في القرن العشرين تستعمل دون ايتغيير فيها » • وقال كاجوري في كتابه « تاريخ الرياضيات » « ان الكرخي يجب ان يعتبر مبتكرا لنظرية مجموع الاعداد الطبيعية » ومما يجدر ذكره ان كثيرا من علماء الغرب المتأخرين نسبوا بعض انتاج الكرخي لانفسهم ، ومثال ذلك مجموع عددين مكعبين لا يكون عددا مكعبا ، اذ يظن الغربيون ان مبتكر هذه النظرية هو العالم الفرنسي بيير فرمات الذي عاش في الفترة (١٦٠١ ــ ١٦٦٥ م) والذي يعتبر أحد عباقرة الرياضيات • وهذا خطأ صريح لان هذه النظريات موجودة في مؤلفات عالمنا العراقي الكرخي • وانه من المؤسف حقا ، ان لا يعترف علماء الغرب بما أخذوه من عالمنا المذكور المعروف بابتكاراته الكثيرة ذات

الفائدة الجمة ، لكن قيمة كتب الكرخي وابحاثه قد أخذت تظهر بوضوح بعد أن قام المحققون بدراسة كتبه التي كانت مخطوطة ومهملة في خزائن العالم (الدفاع ، العلوم البحتة ، ٢١٩) .

ان مؤثرات رياضيات الرياضي الكرخي كانت في الشرق وخاصة في بلاد فارس والصين مثلما كانت في الغرب ، فقد اكتشفت مخطوطة اسمها « الباهر في الجبر » للسموأل المغربي في مكتبة أسعد افندي في اسطنبول تحت رقم ٣١٥٥ ويتضح مما جاء فيها ان مثلث معادلات ذات الحدين يجب ان ينسب لصاحبه الكرخي وليس كما يسميه علماء الغرب مثلث باسكال ـ نسبة الى العالم الفرنسي الذي عاش في الفترة ١٦٢٣ ـ ١٦٦٢ ـ كما ان بعض مؤرخي الرياضيات كانوا يعتبرون الى وقت قريب جدا ان مثلث معادلات ذات الحدين المدعو باسم « مثلث باسكال » من تصميم عمر الخيام . وبعد ذلك عثر على كتاب صيني في الرياضيات اسمه « المرآة الثمينة للعناصر الاربعة » الفه العالم الصيني تشوشي كي سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م ، شرح فيه طريقة ايجاد معاملات ذات الحدين باستخدام مثلث الكرخي . وقد اعترف تشوشي كي ان هذه الطريقة معروفة قبله بسنوات كثيرة. وبعد تحقيق كتاب «جوامع الحساب في التخت والتراب» للطوسي اتضح ان الطوسي ذكر مثلث الكرخي لمعاملات ذات الحدين في كتابه المذكور، واستعمله بطريقة تدل ان هذا المثلث كان شائع الاستعمال لدى العلماء العرب المسلمين . ومما يجدر ذكره ان الطوسي كان يدير مرصد أولغ بك ، ويستخدم فيه عددا كبيرا من الصينيين ، فليس من المستبعد ان تكون معرفة مثلث الكرخي لمعاملات ذات الحدين قد انتقلت من الطوسي الى تشوشي كي بواسطة هؤلاء العلماء الصينيين (الدفاع ، العلوم البحتة ، ٢١٢) .

وان العالم ثابت بن قرة (ولد ٢٢١ هـ ـ توفي في بغداد ٢٨٨ هـ) الذي لقي حظوة في بلاط الخليفة المعتضد (ابن النديم ، الفهرست ، ٣٧٥) ،

كان من الذين مهدوا لايجاد التفاضل والتكامل • ولا يخفى لما لهذا العلم من أهمية على الاختراع والاكتشاف ، فهو الذي وجد حجم الجسم المتولد من دوران القطع المكافىء حول محوره على حد قول سمث في تاريخ الرياضيات (طوقان ، التراث العلمي ، ٨٧) • وفوق ذلك فقد حل بعض المعادلات التكعيبية بطرق هندسية ، استعان بها بعض علماء الغرب في بحوثهم الرياضية في القرن السادس عشر الميلادي مثل كاردان (المصدر السابق، ١٥٩) •

٣ ــ الهندسة :

تتجلى العبقرية العربية في الهندسة قبل الاسلام وبعده بما أقاموه وشيدوه من سدود وقصور مثل سد مأرب وقصور غمدان في اليمن وقصور عرب المناذرة في العراق كالخورنق والسدير ، اضافة الى بناء الكعبة الشريفة• وبعد الاسلام ازداد الاهتمام بهندسة المدن والمساجد • وفي العصر العباسي وتتيجة للرخاء الاقتصادي ازداد الاهتمام بهندسة المدن ، وان بناء مدينة بغداد ثم سامراء وما فيهما من قصور ودور ومساجد امثلة حية على ذلك • (ناجي معروف ، اصالة الحضارة العربية ، ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، خليل السامرائي ، دراسات في تاريخ الفكر العربي ، ٣٥١ ــ ٣٥٢) •

الا ان الاهتمام بعلم الهندسة النظري ظهر في العصر العباسي ، إذ ترجم علماء العراق كتاب اقليدس اليوناني في الهندسة المسمى « الاصول » أو « الاركان » في أيام الخليفة ابو جعفر المنصور وهو أول كتاب يوناني يترجم ثم ترجم عدة ترجمات منها : ترجمة الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفي (ت ٢٢٠ هـ /٨٣٥ م) ، ترجمه بامر من الخليفة هارون الرشيد فسمي بالهاروني والثاني بالمأموني نسبة الى الخليفة المأمون ، وترجمه حنين بن اسحق (ت ٢٥٩ هـ /٨٧٣ م) ، وثابت بن قرة (٢٨٨ هـ/٩٠١ م) • (طوقان ، تراث ، ٢١٠ ، الدفاع ، اسهام ، ١٠٩) •

وقد قام عدد كبير من العلماء العرب في العراق بدراسة كتاب الاصول لاقليدس ، كما ألفوا كتبا على نسقه ، وقام آخرون باختصاره وغيرهم بشرحه (ومن أراد الاطلاع على هذه المؤلفات العديدة ، فليراجع الكتب التي الفت في العلوم العربية ، وعلى سبيل المثال كتاب العلوم البحتة لعمر رضا كحالة ، ١٣٢ – ١٥٠) . وأدخل بعضهم تمارين لم يعرفها القدماء اليونان ، ومنهم من ابتكر حلولا لبعض المسائل الهندسية مغايرة للحلول التي عرفها اولئك القدماء ، ومنهم من توصل الى ما لم يتوصل اليهم القدماء المذكورون ، ومنهم من أبرز الصلة وأكد التتابع بين النظريات والتمارين الهندسية ، مما لم يلحظه القدماء أمثال أقليدس وأبولونيوس .

وللعلماء العرب في العراق خاصة مؤلفات كثيرة في المساحات والحجوم وتحليل المسائل الهندسية واستخراج المسائل الحسابية بالتحليل الهندسي وتقسيم الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية . وقد استعمل المهندس البصري ابن الهيثم (ت حوالي ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م) الهندسة بنوعيها المستوية والمجسمة في بحوث الضوء وتعيين نقطة الارتكاز في المرايا الكرية والاسطوانية والمخروطية المحدبة منها والمقعرة . كما انه لم يكن لابن الهيثم ان يبتكر في علم الضوء ، ولا ان يوفق في شرح بعض طرقه وعملياته ونظرياته ، لولا استعانته بالهندسة وتطبيقها في مسائل الضوء ، مما جعل لبحوث ابن الهيثم قيمة عملية وعلمية كانت ولاتزال محل تقدير الباحثين والعلماء في الشرق والغرب على السواء . (طوقان ، تراث ، ٩٥ – ٩٧) .

وقد عرفت مؤلفات ابن الهيثم في أوربا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين . واطلع علماء الرياضيات الاوربيون على أبحاث ابن الهيثم في الضوء عن طريق جون بكهام اسقف كنتربري عام ١٢٧٩ م (الدفاع ، اسهام ، ١٠٣) .

وأوضح كذلك ابن الهيثم كيف ترسم مستقيمين من نقطتين مفروضتين داخل دائرة معلومة الى نقطة مفروضة على محيطها بحيث يصنعان المماس المرسوم من تلك النقطة زاويتين متساويتين • (عبدالحليم منتصر ، اثر العرب ، ٣٢١ ــ ٣٢٢ ، طوقان ، تراث ، ٩٢) •

ومن أمثلة التنقيحات والاضافات التي أدخلها العرب على هندسة اقليدس « فرضية التوازي » التي لم يستطع اقليدس ان يثبتها أو يعرضها على شكل نظرية ، وكان ابن الهيثم قد عالج هذا الموضوع (الدفاع ، العلوم البحتة ، ١٣٨) •

وقد وضع ابن الهيثم كتابا « يستحق ان يعتبر واسطة بين كتاب « القواعد المفروضة والبراهين الارستقرائية » لاقليدس وكتاب « المحال المستوية السطوح » لابولونيوس وبين كتابي سمسون وستيوارت، فانه بمثل تلك الكتب كمال الهندسة الابتدائية المعدة لتسهيل حل الدعاوى النظرية » (طوقان ، تراث ، ٨٩) •

ويعترف ابن القفطي بفضل العالم العراقي البصري ابن الهيثم في الهندسة فيقول انه « صاحب التصانيف والتآليف المذكورة في علم الهندسة ، كان عالما بهذا الشأن متقنا له ، متفننا فيه قيما بغوامضه ومعانيه ، مشاركا في علوم الاوائل ، أخذ الناس عنه واستفادوا منه » (اخبار العلماء ، ١١٤) •

وقد ألف عالمنا العراقي المذكور كتباً في الهندسة تدل على استقلال في التفكير ، وسلك طرقا لم يسلكها المتقدمون ، فقد وضع ابن الهيثم كتابه الجامع في اصول الحساب جاء فيه « واستخرجت اصوله لجميع أنواع الحساب من أوضاع « اقليدس » في اصول الهندسة والعدد ، وجعلت السلوك في استخراج المسائل الحسابية بجهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي، وعدلت فيه عن أوضاع الجبريين وألفاظهم » (طوقان، تراث، ٩٠) •

وقد طبق علماء الهندسة في العراق الهندسة على المنطق فقد ألف ابن الهيثم أيضا في ذلك كتابا ، وهذا لم يقم به علماء الاغريق (انظر ما قاله ابن الهيثم في كتابه هذا في كتاب تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك لمؤلفه قدري حافظ طوقان ، ٩٠) .

وقد أدخل علماء العرب في علم الهندسة كثيرا من التعديلات على مكتشفات اليونان ، وزادوا عليها فروعا جديدة كانت من ابتكاراتهم دون سواهم منها : علم الهندسة التحليلية . فللعالم الرياضي العراقي ثابت بن قرة مؤلفات وابتكارات في الهندسة التحليلية ، ووضع كتابا بين فيه علاقة الجبر بالهندسة ، وله بحث في المثلث القائم الزاوية ، وكتاب في المخروط المكافىء وثان في المربع وقطره ، وكتاب في تصحيح الجبر بالبراهين الهندسية (عبدالحليم منتصر ، أثر العرب ، ٢٣٣) . ويقول روس بول في كتابه « مختصر التاريخ » : ان العالم العراقي ثابت بن قرة قد حل معادلات من الدرجة الثالثة بطرق هندسية مشابهة لطرق علماء اوربا في القرن السادس عشر الميلادي فيكون بذلك قد سبق ديكارت وبيكن وغيرهما في هذا البحث (الدفاع ، المدخل الى تاريخ الرياضيات ، ٢٤٢) ولهذا سمي ابو الهندسة التحليلية . ويقول عنه كارل فنك « يعتبر ثابت بن قرة المولود في الجزيرة بين دجلة والفرات مؤسس الهندسة التحليلية ، وأعظم عالم هندسي في القرون الوسطى » (المنشداوي ، من مآثر العرب ، ١٢ ــ ١٣ ، الدفاع ، اسهام ، ١٠٦) . وحل العلماء العرب في الرياضيات بعض أنواع المعادلات ذات الدرجة الرابعة ، واكتشفوا النظرية القائلة (بان مجموع مكعبين لا يكون مكعبا) وبذلك نجحوا في ربط علم الجبر بعلم الهندسة (الدفاع ، المدخل الى تاريخ الرياضيات ، ٢٤٢) .

وألف محمد البغدادي رسالة في الهندسة فيها سبع مقالات في المثلث وتسع في المربع وست في المخمس (طوقان ، تراث ، ٩٠ ، كحالة ، العلوم

البحتة ، ١٣٣ ؛ عبدالحليم منتصر ، اثر العرب ، ٢٢٣) • وأورد العالم العراقي الخوارزمي في باب المساحة في كتابه الجبر والمقابلة عمليات هندسية حلها بطريقة جبرية ، مما يدل على ان العلماء العرب كانوا أول من استعان بالجبر في حل مسائل هندسية ، كما ابتكروا طرقا هندسية لحل بعض المعادلات من الدرجة الثانية (عبدالحليم منتصر ، أثر العرب ، ٢٢٣) •

أما ابو الوفاء البوزجاني الذي عاش في بغداد في الفترة ٣٤٨ ـ ٣٨٨ هـ ، فيعتبر من أئمة العلوم الرياضية ، ومن أشهر الذين برعوا في الهندسة وزاد على بحوث الخوارزمي • واقتصر في كتابه « ما يحتاج اليه الصانع في علم الهندسة » على وصف الممارسات العملية والتطبيقات (انظر مقدمة الكتاب ص ١٠ ، عبدالحليم منتصر ، أثر ، ص ٢٢٣) •

واستعمل علماء الهندسة العراقيون بنو موسى بن شاكر ـ وهم أربعة الاب موسى وأبناؤه الثلاثة عاشوا في بلاط الخليفة العباسي ، فقد عاش الاب في بلاط المأمون والباقون في بلاطه وبلاط الخلفاء الذين جاءوا بعده ـ الطريقة المعروفة الان في انشاء الشكل الاهليليجي ، كما استعملوا القانون المعروف بقانون هيرون لتقدير مساحة المثلث اذا علم طول كل ضلع من اضلاعه (طوقان ، تراث ، ١٩٠ ، عبدالحليم منتصر ، اثر العرب ، ٢٢٣ ـ ٢٢٤) •

اضافة الى ما تقدم فان انتقال الهندسة الاغريقية الى الغرب كان عن طريق العرب ، فالاوربيون لم يعرفوها الا عن طريقهم ، فمن المعروف ان العالم العراقي ثابت بن قرة ترجم بعض اعمال اقليدس وارشميدس وبطليموس ، تلك الترجمات التي أصبحت فيما بعد مراجع معتمدة • وان العمل الاصلي لارشميدس في المسبع المنتظم كان قد فقد في حين ان ترجمته العربية على يد ثابت بن قرة ، قد وجد مخطوطتها كارل شوي في القاهرة ،

وكشف النقاب عنها للعالم الغربي . ثم ترجمت الى اللغة الالمانية (الدفاع ، اسهام ، ١٠٦) .

وقد وجد أحد العلماء الانكليز في أوائل هذا القرن (حوالي ١٩١٠) مقالتين قديمتين في الهندسة في مكتبة وستر ، الاولى : كتبها جربرت الذي صار بابا سنة ٩٧٩ م وعرف باسم البابا سلفستر الثاني ، ولم يكن كتاب اقليدس في الهندسة معروفا آنذاك الا في اللغة العربية ، والمقالة الثانية يعود تاريخها الى اوائل القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، وكاتبها راهب اسمه ادلارد الباني ، كان قد تعلم اللغة العربية في مدارس الاندلس العربية ، والمقالتان باللاتينية من نسخة ترجمت عن ترجمة اقليدس العربية ، وبقيت هذه الترجمة في جميع مدارس اوربا الى سنة ١٥٨٣ م ، حينما كشف أصل هندسة اقليدس اليوناني (طوقان ، تراث ، ٩٨) .

٤ ــ المثلثات :

ان الفكرة الاساسية في حساب المثلثات هي قياس المسافات بطريقة غير مباشرة ، فهناك استحالة مادية في قياس ارتفاع الهرم الاكبر في مصر ، أو قياس مسافات اخرى ، فهناك مسائل كثيرة في مجال المساحة والملاحة تعتمد على حل مثلثات (الدفاع ، اسهام ، ٨٤) .

ويرجع الفضل الاكبر للعلماء العرب في وضع علم المثلثات بشكل علمي منظم مستقل عن الفلك ، وفي الاضافات الهامة ، التي جعلت الكثيرين يعتبرونه علما عربيا (كحالة ، العلوم البحتة ، ١٤٤) . ويقول موتتوكلا الذي كشف عن وجه الحق في مسألة من أهم مسائل تاريخ العلوم عند العرب « وعلم المثلثات من العلوم الرياضية التي عني العرب بها كثيرا لما كان من تطبيقه على علم الفلك ، وعلم المثلثات مدين للعرب بما أدخلوا اليه من التحسينات الكثيرة التي اكتسب بها شكلا جديدا وصار بها صالحا

لتطبيقات كان الاغارقة لا يقدرون عليها الا بشق الانفس » (حيدر بامات ، مجالـــي الاسلام ، ١٣٦) .

اما العالم العراقي محمد بن جابر البتاني الحراني ــ المولود في بتـــان بين دجلة والفرات سنة ٢٣٥ هـ والمتوفى في قصر الحضر أو في قصر الجص قرب سامراء ــ فقد قيل في ريادته لعلم المثلثات ما يلي : « ويرجع أول تقدم في علم المثلثات الى البتاني ، فقد بدا لهذا العالم العظيم الملقب ببطليموس العرب ، (أو لمن ظهر قبله من علماء مدرسة بغداد على الاقل) ، فكر خصيب مبارك ، بدا له ان يستبدل بالاقواس الاوتار التي كان الاغارقة يستخدمونها في حساباتهم المثلثية ، أي أنصاف الاوتار للاقواس المضاعفة ، أي جيـــوب الاقواس المقترحة ، ومن أقوال البتاني : « لم يستعمل بطليموس الاوتـــار الكاملة الا لتسهيل التطبيقات ، وأما نحن فقد اتخذنا انصـــاف الاقـــواس المضاعفة » ، وانتهى البتاني الى الدستور الاساسي للمثلثات الكرية فطبقه كثيراً ، وتجد في كتب البتاني ، أول مرة ، مبدأ مماس القوس وتعبير جيب تمام الجيب الذي لم يستعمله الاغارقة قط ، وأدخل البتاني هذا المبـــدأ الى حسابات الساعة الشمسية فسماه الظل الممدود ، وليس هذا سوى المـــاس المثلثي لدى علماء الزمن الحاضر » . (حيدر بامات ، الصفحة نفسها) .

ويعتبر ادخال المماسات الى علم المثلثات ذا أهمية عظيمة « ولم يقـــع هذا الانقلاب المبارك الذي تحرر العلم به من تلك التعابير المزعجة المشـــتملة على جيب المجهول وتمام جيبه الا بعد خمسمائة سنة لدى المعاصرين ، بفضل ريجيمونتانوس ، مع ان كوبرنيكوس جهله بعد قرن » (حيـــدر بامـــات ، ١٣٧) .

فالعرب أول من استعمل المعادلات المثلثية ، ويرجع الفضل في ذلـــك الى العالم العراقي البتاني الذي أدخل الجيب وبقية المصطلحات الى المثلثات . وان الفكرة التي طرأت على بال العالم العراقي العظيم وهي قياس طول ظل

عصا متوازية على جدار عمودي وطول عصا عمودية على سطح مستوى متواز مهدت السبيل لادخال الظل وظل التمام الى علم المثلثات •

وقد حل العلماء العرب في العراق بعض العمليات جبريا ، فقد استخرج البتاني من المعادلة $\frac{\text{جام}}{\text{جتام}}$ = س قيمة زاوية م بالكيفية الاتية :

$$\text{حام} = \frac{\text{س}}{\text{س}^{٢}+١}$$

وهذه لم تكن معروفة عند القدماء وهي من مبتكرات العرب في العراق (طوقان ، تراث ، ١٠٧) وبذلك قدم اسهاما عربيا أصيلا في علم المثلثات (المنشداوي ، من مآثر العرب ، ١٨) •

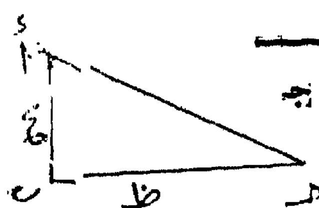
كتب البتاني ـــ الذي يطلق عليه ايضا بطليموس بغداد ـــ عن الظل ، لكن علماء الغرب الاولين لم يعترفوا بميزاته ، وقد أشار اليه رياضيون كثيرون في القرن الثالث عشر الميلادي بكلمة Umbra بمعنى أثر أو ظل ، وفي القرن الرابع عشر ناقش ليفي بن جرشون الظل في كتابه « عن الجيب والاوتار والقسي ، وكذا عن الأدوات التي لاتزال سراً » وهو أول مرجع غربي في حساب المثلثات ، لكن ريجيو منتانوس الذي ولد في كرنجزبرج عام ١٤٣٦ م كان ممن يقدر فائدة الظل ، الامر الذي حدا به الى مراجعة الكتاب بالجملة في ضوء كتابات البتاني • وقد أورد البتاني قاعدة لحساب ارتفاع الشمس بالنسبة الى ارتفاع برج وظله • (الدفاع ، اسهام ، ٨٩) •

ومما تجدر الاشارة اليه تأكيد قول روم لاندو وهو ان معظم الرياضيين العرب كانوا علماء فلك ، ومن أبرز علماء الفلك العرب (وكان عالما رياضيا ايضا) البتاني • وفي أثره في النسب المثلثية في علـم المثلثات المستعملة في الوقت الحاضر يقول روم لاندو « ونحن مدينون له بفكرتنا عن النسب المثلثية على الوجه الذي لاتزال تستعمل به حتى يوم الناس هذا ، وباحلال الجيب محل الوتر ، وباصطناع الظلال وظلال التمام » (انظـر الاسـلام والعـرب ، ٢٥٢) •

وقد استخدم اخوان الصفا في رسائلهم — وهي جماعة عراقية مركـز نشاطها البصرة — الظل والجيب والجيب تمام وهـذا نص ما جاء في تلك الرسائل « ••• ومن أمثال ذلك ما يظهر في ظل الاشخاص من التناسب بينها ، وذلك ان كل شخص مستوي القد منتصب القوام فان له ظلاً وان نسبة طول ظل ذلك الشخص الى طول قامته في جميع الاوقات كنسبة جيب الارتفاع في ذلك الى جيب تمام الارتفاع » • أي في المثلث القائم الزاوية آ ب جـ • اذا فرضنا (ع) طول الشخص وطول ظله ظ فيكون :

$$\frac{\text{ع}}{\text{ظ}} = \frac{\text{جا آ}}{\text{جتا أ}} \quad \text{وذلك لان جا أ} = \frac{\text{أ حـ}}{\text{أ حـ}}$$

$$\text{وجتا أ} = \frac{\text{ب جـ}}{\text{أ جـ}} \quad \text{فيكون} \quad \frac{\text{جا أ}}{\text{جتا أ}} = \frac{\text{أ ب} \times \text{أ جـ}}{\text{أ جـ} \times \text{ب جـ}}$$



$$\frac{\text{أ ب}}{\text{ب جـ}} = \frac{\text{ع}}{\text{ظ}}$$

(طه باقر ، موجز ، ٢٠٣)

ويرجع الفضل في اعطاء الظل وظل التمام والقاطع والقاطع التمام معانيها الحقيقية الى العالم الرياضي الفلكي سابق الذكر أبي الوفاء البوزجاني المتوفى في بغداد عام ٣٨٨ هـ /٩٩٨ م الذي كان أول من نجرأ على فرض قيمة نصف قطر = ١ (نصق = ١) . كما انه حسب قيمة جيب ½° الى تسعة أرقام عشرية بطريقة مبتكرة ومضبوطة . اضافة الى انه اكتشف براهين جديدة لقانون المثلثات الكروية ، وهو موضوع دراسة المثلثات المرسومة على سطح الكرة . (الوهابي ، اثر العرب ، ١٠٤ — ١٠٦) . وقال عنه سوتر : ان معظم فضله يرجع الى مساهمته في تقدم حساب المثلثات ، وخاصة حسابات المثلثات الكرية (دائرة المعارف الاسلامية ، م٢ ، ص٣٠) . وما قام به من دراسات في هذا المجال كان له أثره في تطور حساب المثلثات الكروي في أوربا في العصور الوسطى وبداية عصر النهضة (الدفاع ، اسهام ، ٨٩) . ويقول روم لاندو في كتابه « الاسلام والعرب ص ٢٥٢ » ثم جاء ابو الوفاء البوزجاني الذي لم تسبق دراساته في علم المثلثات كوبر نيكوس فحسب بل تجاوزتها في بعض النواحي أيضا .

وفي ذلك يقول سيديو « زعم » في زمن قصير ان العرب لم يصنعوا غير استنساخ مؤلفات اليونان ، ولا يؤيد مثل هذا الزعم في الوقت الحاضر غير جاهل ضال ، فنشكر لمدرسة بغداد ما خلعته من شكل على علم المثلثات الكريه » (حيدر بامات ، مجالي الاسلام ، ١٣٥ نقلا عن سيديو) .

الفلك :

تقدم علم الفلك تقدما كبيرا في العصر العباسي ، وكان الذي دفع العرب المسلمون الى التعمق فيه رغبتهم القوية لمعرفة اوقات الصلاة التي تختلف بحسب موقع البلد ومن يوم الى آخر ، واتجاه الكعبة المشرفة (القبلة) ، وهلال شهر رمضان ، وصلاتي الكسوف والخسوف . واقتناعهم بدوران

الشمس والقمر والنجوم حول الارض ، وان القمر هو أقرب الاجرام السماوية . (الدفاع ، العلوم البحتة ، ٣٥٦ ، كحالة ، العلوم البحتة ، ١٦٣ ـ ١٦٤ ، طه باقر ، موجز ، ٢١٧)

وأول من عني بالفلك الخليفة العباسي الثاني ابو جعفر المنصور ، وبلغ شغفه بالمشتغلين بالفلك درجة جعلته يصطحب معه دائما أحد الفلكيين ، وكان في حاشيته : أبو سهل بن نونجت وابراهيم الفزاري المنجم وابنه محمد وعلي بن عيسى الاسطرلابي المنجم وغيرهم . (طوقان ، تراث ، ص ١١٠ ـ ١١١) .

زاد اهتمام الناس بعلم الفلك ، وزادت رغبة المنصور فيه ، فشجع العلماء ، وأغدق العطايا ، واحاطهم بضروب من العناية والرعاية ، وفي مدة خلافته تم ترجمة كتابين احدهما يوناني والثاني هندي ، الاول تولى ترجمته ابو يحيى البطريق ، وهو « كتاب الاربع مقالات » لبطليموس ، والثاني في حساب السند هنتا ، وقد كلف المنصور محمد بن ابراهيم الفزاري ترجمته ، وقد سماه المنجمون « كتاب السند هند الكبير » الذي بقي معمولا به الى أيام المأمون ، واختصره الخوارزمي وصنع منه زيجه الذي اشتهر في كل البلاد الاسلامية ، واخترع فيه أبوابا حسنة ، استحسنه أهل ذلك الزمان ونشروه في الآفاق . (طوقان ، تراث ، ١١١) .

وبعد ان ترجم العلماء العرب المؤلفات الفلكية للامم الاخرى ، صححوا بعضها ، ونقحوا بعضها الآخر وزادوا عليها ، ولم يقفوا في علم الفلك عند حد النظريات ، بل خرجوا الى العمليات والرصد (المصدر السابق ، ١١٥ ، طه باقر ، موجز ، ٢١٧) .

وسار الخلفاء الذين جاءوا بعد المنصور على نهجه في نشر العلوم وتشجيع المشتغلين بها ، ففي زمن الخليفتين المهدي وهارون الرشيد اشتهر

علماء فلكيون عراقيون أمثال : ما شاء الله الذي الف في الاسطراب ودوائره النحاسية ، وأحمد بن محمد النهاوندي . وفي زمن الخليفة المأمون ألف يحيى بن أبي منصور زيجا فلكيا مع سند بن علي . وهذا أيضا عمل أرصادا مع علي بن عيسى وعلي بن البحتري . وفي زمن المأمون ايضا اصلحت اغلاط المجسطي لبطليموس ، وألف موسى بن شاكر أزياجه المشهورة ، وكذلك عمل أحمد بن عبدالله بن حبش ثلاثة أزياج في حركة الكواكب (طوقان ، تراث ، ١١١ ـ ١١٣) .

وقد تم في زمن الخليفة المأمون وبأمر منه قياس محيط الكرة الارضية، فقد أمر المأمون علماء الفلك العراقيين قياس طول درجة من خط نصف النهار بطريقة علمية ، وقد وضعوا طريقة مبتكرة لحسابها أدت الى نتائج قريبة من الحقيقة . (طوقان ، تراث ، ١٢٠) . وقد عدها المستشرق الايطالي نلّينو « من أجل آثار العرب في ميدان الفلكيات » . وبناء على أوامر المأمون تم تشكيل فرقتي عمل من هؤلاء العلماء ـ منهم سند بن علي وخالد ابن عبدالملك وعلي بن عيسى وعلي بن البحتري ـ لاجراء العملية في مكانين هما : ١ ـ في البرية الكائنة شمال تدمر ٢ ـ في برية سنجار (نلينو ، علم الفلك ، ٢٨١ ـ ٢٨٤ ، طه باقر موجز ، ١١٧) . وقد توصل فلكيو المأمون الى ان طول الدرجة ١١١٨١٥ متراً ، وعلى هذا فطول محيط الكرة الارضية ٤٠٢٥٣ كم ، والمعروف الآن ان محيط الارض هو ٤٠٠٧٠ كم ، وهو كما لا يخفى قريب من الحقيقة ، ودال على ما كان لعلماء الفلك العرب في العراق من الباع الطويل في الارصاد وأعمال المساحة (نلينو ، ٢٨٩ ، عبدالرحمن بدوي ، دور العرب ، ٧١ ، ٢٥١ . علما ان نلينو توهم فذكر محيط الارض ٤١٢٤٨ والصحيح ما ذكرناه) . ويقول نلّينو « أما قياس العرب فهو أول قياس حقيقي أُجري كله مباشرة مع كل ما اقتضته تلك المساحة من المدة الطويلة والصعوبة والمشقة واشراك جماعة من الفلكيين والمساحين في

العمل • فلابد لنا من عداد ذلك القياس في أعمال العرب العلمية المجيدة المأثورة » (نلينو ، ٢٨٩) •

ان علماء العراق اكتشفوا كروية الارض وحركتها حول الشمس قبل كوبر نيكوس بعدة قرون (الدفاع ، العلوم البحتة ، ٣٥٥) • وفي ذلك يقول المؤرخ والجغرافي العراقي المسعودي في كتابه مروج الذهب : « ان الشمس اذا غابت في أقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة في بحر اوقيانوس الغربي ، واذاغابت في هذه الجزائر كان طلوعها في أقصى الصين • وذلك نصف دائرة الارض » (مروج الذهب ، ١/١٠١) • ويقول ايضا عند الكلام عن رصد الشمس بناء على أوامر الخليفة المأمون في برية سنجار « فوجدوا دور كرة الارض المحيطة بالبر والبحر ••• » (مروج ، ١/١٠٢) •

واختلف علماء الغرب في من اكتشف بعض انواع الخلل في حركة القمر هل هو العالم العراقي البوزجاني أم تيخو براهي ، ولكن ظهر حديثا ان اكتشاف هذا الخلل يرجع الى البوزجاني لا الى غيره (طوقان، تراث، ١٢٤) •

وقد حسب العالم العراقي البتاني طول السنة الشمسية فلم يكن الخطأ سوى دقيقتين و ٢٢ ثانية (الدفاع ، اسهام ، ٩٠ ، طه باقر ، موجز ، ٣١٧ — ٣١٨) •

ودقق البتاني في حساب اهليليجية فلك الشمس ، وكانت النتيجة التي توصل اليها عن بعد الشمس عن مركز الارض قريبة من النتائج التي وصل اليها العلماء في العصر الحاضر • كما انه حقق مواضع كثير من النجوم ، فوجد ان مواقع بعضها تغير عما كانت عليه في زمن بطليموس ، وان تدقيقاته في وصف ارصاده ، حدا بعلماء اوربا ان يجعلوا البتاني في المحل الاول بين علماء الهيئة في كل العصور • (طوقان ، تراث ، ١٢٥) •

وصنع البتاني زيجا تمثلت فيه الاصالة والتأثير العراقيين ، أثبتت فيه الكواكب الثابتة (النجوم الثوابت) لسنة ٢٩٩ هـ ، ولهذا منزلة عالية

عند علماء الفلك في عصرنا الحاضر ، اذ لا يستغنون عنه عند البحث في تاريخ الكواكب وحركتها . (فروخ ، تاريخ العلوم ، ١٦٣ ، طوقان ، تراث ، ١٢٦) .

وقد ساعدت المراصد الفلكية التي أقيمت في العصر العباسي على تقدم علم الفلك ، فانشأ المأمون اول دار للرصد في الشماسية ببغداد وجعلها منشأة علمية أوقف لها المال الوفير ، وهيأ لها العلماء مثل سند بن علي والعباس بن سعيد الجوهري وعلم الدين البغدادي واولاد موسى بن شاكر المنجم وغيرهم ، وامرهم باستعمال آلات الرصد . وانشأ المأمون مرصدا آخرا على جبل قاسيون في دمشق عام ٢١٤ هـ وانشأ اولاد موسى بن شاكر المنجم مرصدا على طرف الجسر المتصل بباب الطاق في بغداد واستخرجوا فيه حساب العرض الاكبر من عروض القمر ، وكان انشاء هذا المرصد بعد عصر المأمون . ومن المراصد الاخرى التي بنيت مرصد بني الاعلم ، كان أحد علماء الفلك المشرفين عليه علي بن الحسن المعروف بابن أعلم ـ وهو بغدادي المولد والمنشأ توفي عام ٣٧٥ هـ/٩٨٥ م . وأقيم بدار المملكة ببغداد مرصد سمي بالمرصد الشرقي ، ومن أشهر علماء الفلك الذين عملوا فيه الصاغاني (ت ٣٧٩ هـ) والبوزجاني (ت ٣٨٨ هـ) وابو اسحاق بن هلال الحراني (ت ٣٨٤) وعبدالرحمن الصوفي (ت ٣٧٦ هـ) (السامرائي ، دراسات ، ٣٧٠ ـ ٣٧١) . ولم تخل مدن العراق الاخرى من المراصد مثل مرصد سامراء (السامرائي ، ٣٧٠) ومرصد واسط (شريف ، الفكر الاسلامي ، ٦٥) .

واحتذت الحواضر الاسلامية حذو بغداد في بناء المراصد الفلكية ، ومن أشهرها مرصد مراغة في أذربيجان الذي بناه الطوسي سنة ٦٥٧ هـ ، وجمع لبنائه جماعة من العلماء كان أحدهم عالم الموصل الفخر المراغي ، ومرصد الدينوري باصبهان ، ومرصد أولغ بك بسمرقند (طوقان ، تراث ،

١٣٢) • ومراصد اخرى في كل من الــري وشيراز ونيسابور وجنديسابور (شريف ، الفكر الاسلامي ، ٦٥) •

وفي المراصد العراقية وغيرها أجرى العرب أرصــادا كثيرة ، ووضعوا الأزياج القيمة الدقيقة ومفردها زيج (طوقان ، تراث ، ١٣٥ ــ ١٣٦) وهي جداول مرتبة بعضها لمعرفــة مواضــع الكواكب في أفلاكها وبعضها لمعرفــة الشهور والأيام والتقاويم المختلفة (طه باقر ، موجز ، ٢١٩) • ونذكر فيمــا يلي أشهر الازياج العراقية التي صنعها علماء عراقيــون : زيــج ابراهيــم الفزاري وزيج الخوارزمي وزيــج البتاني وأزيــاج المأمون وزيــج عبدالله البغدادي والشامل لأبي الوفاء البوزجاني (طوقان ، تراث ، ١٣٦) •

ومن علماء العرب من آمن بالتنجيم ومنهم من حاربه ودعى الى بطلانه وتسخيف المعتقدين به ، ففيلسوف العرب الكندي ــ وهو عراقي ــ لا يؤمن بأثر الكواكب في أحوال الناس ولا يقول بما يقول به المنجسون في التنبؤات القائمة على حركات الكواكب • ولكن هذا لا يعني انه لم يشتغل بالفلك ، فقد وجه اهتمامه الى علم النجوم وارصادها ، وأتى باراء خطيرة وجريئة في نشأة التنجيم ، وقال ان القول بان بعض الكواكب يجلــب الســعادة وان بعضها يجلب النحس ودعاوى المنجمين ونبوءاتهــم لا تســتحق الا النــك والارتياب ، مما دفع الكثيرين الى الاعتراف بان الكندي مفكر عسيق مــن الطراز الاول • كذلك قال الفيلسوف الفارابي بابطــال صــناعة التنجيــم (عبدالحليم منتصر ، أثر العرب ٢٧٧ ، طوقان ، تراث ، ١٢٧ ــ ١٢٨) •

من تأثيرات العراق على أوربا في علم الفلك ان الفرغاني أحــد فلكيي الخليفة المأمون (كان حيا ٢١٨ هـ /٨٣٣ م) حدد قطر الارض واقطار بعض الكواكب ، كما حدد الابعاد بينها • وكانت قياساته للمسافات بين الكواكب وتحديده لحجومها مقبولة بغير تعديــل تقريبا حتــى زمــن كوبرنيكوس (١٤٧٣ ــ ١٥٤٣) وقد أثر مؤلفه في الفلك الغربي الاوربي تأثيرا كبيرا حتى

عصر جوهان مولر الملقب بريجيو مونتانوس (١٤٣٣ ــ ١٤٧٦ م) (جلال مظهر ، الحضارة ، ٨٨ ، شريف ، الفكر الاسلامي ، ٦٧) • وقد ترجم كتابه المعنون « المدخل الى علم الهيئة الافلاك وحركات النجوم » الى اللغة اللاتينية ثلاث مرات • اولاها قام بها يوحنا الاشبيلي في القرن الثاني عشر الميلادي وطبعت بفيرار سنة ١٤٩٢ م والاخيرة طبعت سنة ١٦٦٩ م (القاضي ، أثــر المدينــة ، ٢١٦) •

وقد قام كل من يوحنا الاشبيلي وادلارد الباثي بترجمة مؤلفات فلكية أربعة للعالم العراقــي ابــي معشــر ، وكذلك الجــدول الفلكــي الــذي صــنعه الخوارزمــي •

اما الجدول الفلكي المعروف بالزيج الصابي الذي صنعه العالم الفلكي البتاني ، فقد ترجمه الى اللاتينية بلاتو التريفولي • ثم اعاد ترجمته بعد ذلك الفونسو العاشر ، وانتفع كوبرنيكوس بثقافة الفلكي العراقي المذكور بدليل انه أورد في أحد كتبه اقتباسات منه (شريف، الفكر الاسلامي، ٦٧ ــ ٦٨) • وقد طبعت ترجمة الزيج الصابي اللاتينية بنورنبرج عام ١٥٣٧ م (القاضي ، أثر المدينة ، ٢١٦) • ولم تعرف اوربا البتاني عن طريــق جداولة الفلكية ، بل ان مختصره في الفلك ترجمه جيرارد الكريموني وجوهانس هسبلنسر في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي ، ذلك الكتاب الذي نال استحسانا كبيرا، وقام ريجيو مونتانوس بتدريسه في عصر النهضة • وللبتاني رصود جليلــة للكسوف والخسوف اعتمد عليها دنثرون في سنة ١٧٤٩ م في تحديد تسارع القمر في حركته خلال قرن من الزمان • (جلال مظهر ، الحضارة، ٨٩ ــ ٩٠)• وقد عرف البتاني في المؤلفات اللاتينية باسم Allategnius (الدفــاع ، اسهام ، ٨٧ ، حكمت نجيب ، دراسات ، ٢٠٨) • وقــد عده لا لاند مــن العشرين فلكيا المشهورين في العالم (عبدالحليم منتصر، أثر العرب، ٢٢٦) • وقد كانت لابحاث الفلكيين العرب ومنهم البتاني والفرغاني أثر في تقدم هذا

العلم في اوربا ، فمن المسلم به ان الجداول الفلكية التي وضعها الفونسين. وأكملها الفونسو العاشر لم تكن الا تجديدا للفكر العربي في علم الفلك • ومثل ذلك يقال عن الجداول الطليطلية التي اتخذت اساسا لها ما كتبه هؤلاء العلماء العرب (شريف ، الفكر الاسلامي ، ٦٧) • وقد حلت الجداول الفلكية التي صنعها العرب محل جداول اليونان والهنود وأغنت عنها ، وقد شاع استعمالها حتى وصلت الصين • (شريف ، الفكر الاسلامي ، ٦٨) •

أما أبو الوفاء البوزجاني ذلك العالم الذي ظل اسمه رنانا في أوربا خلال المناقشات الكاديمية زمانا طويلا ، فقد أخذ على عاتقه كغيره من علماء العرب تصحيح اخطاء الفلكيين القدماء • ولما أدرك العجز الظاهر في نظرية بطليموس القمرية ، صحح الارصاد القديمة واكتشف التفاوت الثالث (أي التفاوت في سرعة القمر تبعا لجاذبية الارض) وهذا لم يكن غير الانحراف الذي حدده تيخوا براهي (١٥٤٦ — ١٦٠١ م) بعد أبي الوفاء بستة قرون. (جلال مظهر ، الحضارة ، ٩٠) •

أما عن أثر ابن الهيثم في اوربا فقد كثرت ترجمات الغربيين لكتب العالم العراقي البصري المذكور في الفلك والفيزياء منذ القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي الى مطلع القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي ، فكانت هي التي أثرت في اتجاه العلم في أوربا وجهته الصحيحة • أما الترجمات المتأخرة — على كثرتها — فقد كانت من نطاق تاريخ العلم فقط ، وبدافع الاعجاب المحض ، بعد ان تخطى العلم الاوربي في العصر الحديث حدود العبقرية العربية في العصور الوسطى • ومن هذه الترجمات ترجمة كتاب «هيئة العالم» في الفلك الى اللغة الاسبانية، ترجمة فيها تصرف ، قام بها الحكيم الطليطلي ، وترجمة البالمي (ت ٩٢٩ هـ/١٥٢٣ م) ، وترجمة الى اللاتينية ايضا بعنوان « العالم والسماء » لمترجم مجهول • اضافة

الى الترجمات الى اللغة العبرية التي قام بها كل من : الحكيم الطليطلي، المذكور الذي كان معاصرا للملك الفونسو العاشر الحكيم ، ويعقوب بن ماهر بن طبون عام ٦٨٠ أو ٦٨٤ هـ / ١٢٧١ أو ١٢٧٥ م ، وسليمان بن باطر البرغشي عام ٧٢٢ هـ/١٣٢٢ م ، وغوليبلمو رايموندو مونكادا . (فروخ ، تاريخ العلوم ، ٤٠٧ ــ ٤١٠) .

وقد تضمنت الكتب التي تبحث في الفلك عند العرب العديد من الاسماء التي اقتبسها الاوربيون عن العرب فمثلا أورد قدري حافظ طوقان فقط في كتابه تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ستة وستين اسما من اسماء النجوم والمصطلحات الفلكية التي اقتبسها الاوربيون عن العرب ، والتي تؤكد ان تراثا عربيا ضخما تسرب الى اوربا (انظر ص ١٣٦ــ١٣٨) .

وخلاصة القول ان لعلماء العرب وفي مقدمتهم العلماء العراقيون فضلا كبيرا على الفلك فهم :

١ ــ نقلوا العلوم الفلكية عند اليونان والهنود وغيرهم ، وصححوا بعض اغلاطها وتوسعوا فيها . وهذا عمل جليل جدا ــ لاسيما ــ اذا ماعرفنا ان اصول تلك الكتب قد ضاعت ولم يبق منها غير ترجماتها باللغة العربية ، وهذا طبعا جعل الاوربيين يأخذون هذا العلم عن العرب ، فكان العلماء العرب حقاً اساتذة العالم فيه .

٢ ــ الاضافات الهامة والاكتشافات الجليلة التي قدمت علم الفلك شوطاً بعيداً .

٣ ــ في جعلهم علم الفلك استقرائيا ، وفي عدم وقوفهم فيه عند حد النظريات .

٤ ــ في تطهير علم الفلك من ادران التنجيم .

(انظر طوقان ، العلوم عند العرب ، ٧٠ ، تراث العرب ، ١٣٨) .

المصادر

أحمـد سـعيد الدمرداش

١ ـ « تاريخ العلـوم عند العـرب » مطابـع دار المعـارف بمصـر ، ١٩٧٧ (سلسلة كتابك) .

البوزجاني (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) أبو الوفاء محمد بن محمد بن يحيى

٢ ـ « علم الحساب العربي » الجزء الاول ، « حساب اليد » ، « المنازل السبع » مع مقدمة ودراسة بالمقارنة بكتاب « الكافي في الحسـاب » لأبي بكر الكرخي الحاسب ، بقلم أحميد سليم سعيدان .

٣ ـ « ما يحتاج اليه الصانع من علم الهندسة » تحقيق د. صـالح أحمـد العلي، مطبعة جامعة بغداد، البيروني ١٩٧٩ (ت ٤٤٠ هـ/١٠٤٨م) أبو الريحان محمد بن أحمـد .

٤ ـ « استخراج الاوتار في الدائرة بخواص المنحني فيهـا » تحقيـق أحمد سعيد الدمرداش ، مراجعة عبدالحميد لطفي ، المؤسسـة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر ، الدار المصرية للتأليـف والترجمـة .

ـ « ما يحتاج اليه الصانع من علم الهندسة » تحقيق الدكتور صالح أحمد العلى ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٧٩ .

جلال شوقي وعلي عبدالله الدفاع

٥ ـ « العلوم الرياضية في الحضـارة الاسـلامية » دار جـون وايلـي وابنائه ، نيويورك ، شيشتر ، بربسبين ، تورنتو ، سنغافورة ، ١٩٨٣ ، الجـزء الاول .

جـلال مظهـر

٦ ـ « الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمي الحديث » نشر مركز كتب الشـرق الاوسط ، القاهرة .

حيـدر بامـات

٧ ـ « مجالي الاسلام » نقله الى العربية عادل زعيتر

حكمت نجيب عبدالرحمن

٨ ـ « دراسات في تاريخ العلوم عند العرب » ١٩٧٧

خضير عباس المنشداوي

٩ ـ « من مآثر العرب في الحساب والجبر والمثلثات والهندسة » مركـز احياء التراث العلمي العربي ، ١٩٨٦ ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) عبدالرحمن بن خلدون .

١٠ ـ « مقدمة ابن خلدون » مؤسسة جمال للطباعة والنشر . بيروت . ١٩٧٧ .
خليل ابراهيم السـامرائي
١١ـ « دراسات في تاريخ الفكر العربي » مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، بدون تاريخ .

الخوارزمي (كان حيا في الفترة ١٩٨ ـ ٢١٨ هـ/٨١٣-٨٣٣ م) محمد بن موسى
١٢ـ « كتاب الجبر والمقابلة » تقديم وتعليق علي مصطفى مشرفه ومحمد مرسي أحمد ، مطبعة فتح‌الله الياس نوري واولاده . مصر ، ١٩٣٩ (من اصدارات كلية العلوم ـ الجامعة المصرية) .
وطبعة دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، مصر ، ١٩٦٨
بسوتر ، هـ
١٣ ـ « دائرة المعارف الاسلامية » طبعة دار الشعب ، المجلد الثاني . مادة « ابو الوفاء)
شريف ، م . م
١٤ ـ « الفكر الاسلامي ، منابعه وآثاره » ترجمة د. احمد شلبي . دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٦
طه باقر
١٥ـ «موجز في تاريخ العلوم والمعارف في الحضارات القديمة والحضارة العربية الاسلامية » مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٠ .
١٦ـ « مقدمة في تاريخ الرياضيات في الحضارات القديمة » مطبوع بالالة الكاتبة ، مكتب السعدون ، ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ .

العاملي (ت ١٠٣١هـ/١٦٢٢م) بهاءالدين محمد بن حسين بن عبدالصمد الحارثي
١٧ـ « الاعمال الكاملة لبهاءالدين العاملي » تحقيق د. جلال شوقي . دار الشروق ، ١٩٨١ .

عبدالحليم منتصر
١٨ـ « تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه » مطبعة دار نشر الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
١٩ـ « أثر العرب والاسلام في النهضة الاوربية » « الفصل الثالث من الكتاب في العلوم والطبيعة » الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ .

عبدالرحمن بدوي
٢٠ـ « ابحاث المستشرقين في تاريخ العلوم عند العرب » مجلة قضايا عربية ، السنة الثامنة ، العدد الثالث ، آذار مارس ، ١٩٨١ .
٢١ـ « دور العرب في تكوين الفكر الاوربي » المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

علي عبدالله الدفاع
٢٢ــ « اسهام علماء المسلمين في الرياضيات » تعريف الدكتور جلال شوقي ، مطابع الشروق ، بيروت ، ١٩٨١ .
٢٣ــ « العلوم البحتة في الحضارة العربية والاسلامية » مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١ .
٢٤ــ « المدخل الى تاريخ الرياضيات عند العرب المسلمين » مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١ .
عمر رضا كحالة
٢٥ــ « العلوم البحتة في العصور الاسلامية » مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٧٢ .
عمر فروخ
٢٦ــ « تاريخ العلوم عند العرب » دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ ، الطبعة الثالثة .
قدري حافظ طوقان
٢٧ــ « تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك » مطابع الشروق ،
٢٨ــ « العلوم عند العرب » . دار اقرأ ، بيروت ١٩٨٣ ، الطبعة الثانية
(ت ٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م) جمال‌الدين علي .
٢٩ــ « اخبار العلماء باخبار الحكماء » دار الاثار بيروت ٥٠ .
بيروت .
قيس الوهابي
٣٠ــ « أثر العرب في تقدم علم الرياضيات » مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الخامس والعشرون ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٧٤ الكاشي (ت ٨٣٩ هـ/ ١٤٣٦ م) جمشيد غياث‌الدين بن مسعود بن محمود
٣١ــ « مفتاح الحساب » تحقيق وشرح احمد سعيد الدمرداش ومحمد حمدي الحفني الشيخ ، مراجعة عبدالحميد لطفي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ .
لاندو ، روم
٣٢ــ « الاسلام والعرب » نقله عن الانكليزية منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٧ ، الطبعة الثانية .
مختار القاضي
٣٣ــ « أثر المدينة الاسلامية في الحضارة الغربية » من اصدارات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، مطابع الاهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٢

المسعودي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) علي بن الحسن بن علي
٣٤ـ « مروج الذهب ومعادن الجوهر » تحقيق يوسف أسعد داغر .
دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٧٨ .
ناجـي معـروف
٣٥ـ « أصالة الحضارة العربية » مطبعة الزمان ، بغداد ، ١٩٦٩ .
ابن النديم (الفه سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨١ م) محمد بن اسحاق
٣٦ـ « الفهرست » دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .
نلينـو ، كرلو
٣٧ـ « علم الفلك ، تاريخه عند العرب في القرون الوسطى »
رومـا ، ١٩١١ .
نهرو ، البانديت جواهر لال
٣٨ـ « لمحات من تاريخ العالم » نقله الى العربية لجنة مـن الاسـاتذة الجامعيين (منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع) الطبعة الثانية ، مطابع دار الكشاف ، بيروت ، ١٩٥٧
واط ، و . مونتكمري
٣٩ـ « تأثير الاسلام على أوربا في العصور الوسطى » ترجمة د. عادل نجم عبو ، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشـر ، جامعـة الموصـل ، ١٩٨٢ .

الفصل الرابع عشر

الطب · الصيدلة · الكيمياء

الدكتور : جابر الشكري
عضو المجمع العلمي العراقي

تمهيد :

تتناول في هذا المبحث ثلاثة موضوعات كان لهـا الصدارة في تاريـخ الحضارة العربية الاسلامية ، وهي العلوم الطبية والصيدلانية والكيميائية •

لقد وضعت بغداد أسس ودعائم علم الكيمياء بكل مقوماته ومناهجه الجديدة • وتبلورت الصيدلة في بغداد بصورة أصبحت علما وفنا وصنعة • أما الطب فهو صنعة وعلم جميع الشعوب والامم في كل أدوار تاريخها ، وقد أسهم فيه العرب اسهاما فعالا ، وخلدت بغداد مآثر جمة في هذا الحقل مـن حقول المعرفة ، وقدمت للانسانية من خلاله خدمات واسعة ، ستبقى خالـدة الى ما شاء الله •

لقد استطاع الفلاسفة والحكماء والاطبـاء العـرب ، المسـلمون وغير المسلمين ــ في العراق خاصة ــ أن يجمعوا بين كثير من جوانب هذه العلوم الثلاثة ، ويدخلوا الكيمياء في الطب والصيدلة ، مما ساعد على حل العديد من المعضلات والمشاكل التي تتعلق بتحضير وتيسير الادوية والعقاقير للمرضى والمحتاجين اليها • وهذا يعد ، بلا ريب ، من روائع الابتكارات العلمية في الحضـارة العربيـة •

الطـب

الطب علاج الجسم والنفس[1] ، وان المخلوق الحي يحتاج الى الطب والطبيب دائما وأبدا منذ خلق الله عز وجل النبي آدم عليه السلام • ولا ندري كيف اهتدى الانسان القديم الى تناول هذا الدواء أو هذا العشب ، أو ذلك التراب لشفاء علة فيه أو جرح حدث له ، أو كسر عظم حصل • ومن المرجح انه عرف ذلك من حيواناته المعلولة ، التي اهتدت بالغريزة الى تناول عشب معين أو التهمت ترابا خاصا ، شفاها من علتها • ومما لا شك فيه ان الانسان حاول — ويحاول دائما — أن يجد الدواء الافضل لمعالجة مرضه ، ومداواة أفراد عائلته • ولذا سار الطب دوما نحو الاحسن والافضل •

ومن المتفق عليه ان سكان وادي الرافدين هم من أقدم شعوب العالم ، وحضارتهم من أقدم الحضارات البشرية التي قدمت للشعوب والامم التي أعقبتها جل الخدمات ، وبقيت مآثرها حتى الآن ، ومن هذه المآثر الطب وما يتعلق به من علم وصنعة ومهنة •

لقد كان الطب عند سكان وادي الرافدين من أبرز مميزات تلك الحضارة ، وتدلنا آثارهم التي نقشوها على الالواح الطينية التي اكتشفت في مكتبة الملك آشور بانيبال (٦٦٩ — ٦٢٦ ق•م) •على مدى اهتمام سكان وادي الرافدين بالطب ومدى تقدمه عندهم •

لقد ضمت هذه الالواح التي يربو عددها على ست مئة جميع أنواع المعرفة الطبية منذ العصور الموغلة في القدم وحتى عصر هذا الملك الآشوري العظيم • ومن بين ذلك أسماء أكثر من مئة وعشرين مادة معدنية ، ومئتين وخمسين مادة نباتية كانت تحت تصرف الطبيب المعالج ، وتوصف للمرضى •

وقد توج طب وادي الرافدين ماورد في شريعة الملك البابلي حمورابي (١٧٩٢ — ١٧٥٠ ق•م) اذ تعد النصوص الطبية التي ذكرت في هذه الشريعة

أقدم قوانين طبية في كل الحضارات البشرية • لقد ورد في هذه الشريعة نحو خمس عشرة مادة تخص الطبيب الجراح ، لانه كان يعد صاحب مهنة ، وعليه العقاب اذا أساء مهنته ، ولـه الثواب اذا أحسنها وصـانها • اما الطبيـب المتخصص بالامراض الباطنية فكان شخصا مقدسا ، وهـو فوق القانـون وبعيد عـن طائلتـه •

وأعقبت حضارة وادي الرافدين الحضارة اليونانية التي برزت للعيـان بحدود الالف الخامس قبل الميلاد ، وكان الطب من المظاهر البارزة في تلـك الحضارة الساطعة • ومما لا شك فيه ان الطب اليوناني تأثر كثيرا بطب وادي الرافدين • وهناك شواهد كثيرة على ذلك ، منها أسماء كثير مـن الادويـة والاعشاب الطبية التي وردت على لسان الاطباء اليونانيين وفي كتبهـم مـن مخلفـات حضارة العـراق القديم •

ثم سطع ضوء الحضارة العربية وشع نورها منذ أوائل الالف الخامس للميلاد ، وتبلورت هذه الحضارة الجبارة في عاصمة العراق ــ بغداد ــ مدينة السلم والعلم • وليس ذلك بغريب ، فالعـراق مهد الحضارات ، ومنه بـدأ ركب الحضارة الانسانية مسيرته •

ان الحديث في موضوع الطب طويل وعريض ، ولا يسعنا في هذا المجال الضيق الا عرض لمحات بمآثر العراق الذي أسهم اسهامات جليلة في جميـع ميادين الفكر الانساني ، ومنها ميدان الطب الذي نحن بصدد الحديث عنه •

بغـداد ومجدها الطبي[٢]

أسس الخليفة أبو جعفر المنصور مدينته المدورة بغداد سنة ١٤٥ هـ ــ ٧٦٣ م لتكون عاصمة للدولة العباسية الفتية • ويذكر المؤرخون أنه أصـيب بمرض في معدته ، ولم يستطع الاطباء معرفة سبب هذا المرض • ولما اشتدت عليه الاوجاع أمر بأستدعاء أحد مشاهير أطباء بيمارسـتان جنديسـابور ،

فحضر الى بغداد سنة ١٤٨ هـ ــ ٧٦٥ م رئيس الاطباء جورجيس بن جبرائيل ابن بختيشوع النسطوري وعالج الخليفة حتى شفي من مرضه ، فأكرمه المنصور وأغدق عليه العطايا وعرض عليه البقاء في بغداد ليكون طبيب الخليفة ، فوافق جورجيس وبقي في بغداد ، ثم رجع الى جنديسابور وتوفي فيها نحو سنة ١٥٢ هـ ــ ٧٦٩ م ، وخلفه ابنه بختيشوع في رآسة البيمارستان • وجاء بختيشوع الى بغداد مرة لمعالجة الخليفة موسى الهادي (ت ١٧٠ ــ ٧٨٦ م) وأخرى عندما استدعاه الخليفة هارون الرشيد (سنة ١٧١ هـ /٧٨٧ م) ليكون طبيبه الخاص ، وعينه رئيسا للاطباء في بغداد •

كان أبو جعفر المنصور سياسيا بارعا ، ملما بأمور الدولة ما ظهر منها وما خفي ، فضلا عن انه كان عالما فقيها ، محبا للعلوم الدينية والدنيوية • وقد عزم ان تكون بغداد مركز اشعاع للثقافة والمعرفة في العالم الاسلامي كله ، فضلا عن المركز السياسي • فجلب اليها من الكوفة والبصرة أكابر العلماء في الحديث والفقه واللغة ، وأخذ يشجع النقل الى العربية • ويذكر ان أول كتاب ترجم هو كتاب « كليلة ودمنة » حيث نقله « عبدالله بن المقفع » من اللغة الفهلوية ، وأصل الكتاب للفيلسوف الهندي « بَيْدبا » ويقال في هذه الفترة من الزمن جاء رحالة هندي الى بغداد ومعه كتاب في الفلك اسمه « سدذانتا أو السانتاهانتا » ولما اطلع عليه المنصور أمر بترجمته الى العربية• وقد ترجمه «محمد بن ابراهيم الفزاري» (ت نحو ١٨٠ هـ ــ ٧٩٦ م) وسماه كتاب « السندهند » ويعد ابن الفزاري أول عالم فلكي في الاسلام •

بيت الحكمة

أخذت حركة الترجمة تسير سيرا سريعا ، وتناولت جميع أصناف الفكر والمعرفة ، ونقلت أمهات الكتب اليونانية وكتب الاسكندرية الى العربية ،

ثم نقلت من اليونانية الى العربية مباشرة • وكان ذلك بتشجيع من الخلفاء أنفسهم ، ومن الامراء والوزراء ، وممن شغفوا بالعلم والفلسفة •

ولما تولى الحكم الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ هـ ـ ٧٨٦ م) وضع أساس مركز للترجمة سمي « بيت الحكمة » وعندما اعتلى ابنه المأمون كرسي الخلافة (١٩٨ ـ ٨١٣ م) اهتم ببيت الحكمة اهتماما بالغا ، فعلا شأنه وأصبح من أهم المراكز الثقافية في عصر النهضة العربية الاسلامية ، وعلى غراره شيدت مراكز أخرى ، من أشهرها « بيت الحكمة التونسي » في مدينة الرقادة قرب القيروان ، الذي أنشأه الامير ابراهيم الثاني الاغلبي (٢٦١ ـ ٢٨٩ هـ ـ ٨٧٥ ـ ٩٠٢ م) ، ودار الحكمة في القاهرة الذي أسسه الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٧٥ ـ ٤١١ هـ / ٩٨٥ ـ ١٠٢١ م) •

المترجمـــون

يذكر ان عدد العلماء الذين عملوا في بيت الحكمة كان يربو على المئة ، وليس من السهل حصر من قام بترجمة الكتب الطبية فقط ، وهو مدار حديثنا • وان بعض هؤلاء كانوا أطباء نالوا شهرة واسعة في العلوم الاخرى ، فضلا عن الصناعة الطبيـة •

وهذه نبذة عن بعض فطاحل النقل والترجمة ، سواء أكانوا في بيت الحكمة أم لم تكن لهم صلة فيه •

١ ـ جورجيوس (جورجيس) بن جبرائيل بن بختيشوع النسطوري :

(وقد مر ذكره) • نقل جورجيوس الى أبي جعفر المنصور بعض الكتب الطبية من اليونانية الى السريانية ، ثم من اليونانية والسريانية الى العربيـة مباشرة • وله « كناش » باللغة السريانية ترجمه فيما بعد « حنين بن اسحاق » الى العربية •ويقال ان هذا أول كتاب طبي نقل الى العربية في بغداد •

٢ ــ يوحنــا بن ماسويه :

كان ابن ماسويه من كبار أطباء بغداد ، سرياني الاصل ، عربي المنشأ • نبغ بترجمة الكتب اليونانية الى العربية • وقد عهد اليه هارون الرشيد بترجمة ما وجد من الكتب القديمة التي جلبت الى بغداد من أنقرة و عمورية وغيرهما من بلاد الروم • وفي سنة ٢١٥ هـ ــ ٨٣٠ م عينه الخليفة المأمون رئيســا لبيــت الحكمــة •

٣ ــ ثابت بــن قــرة :

ثابت بن قرة بن زهرون من صابئة حران ، كان مترجما وطبيبا وعالمــا وفيلسوفا • اتصل بالخليفة العباسي المعتضد بالله (٢٤٢ ــ ٢٨٩ هـ/ ٨٥٧ ــ ٩٠٢ م) فكانت له عنده منزلــة رفيعة • وكان ثابت يجيــد اللغة اليونانيــة والسريانية والعربية •

٤ ــ قسطا بن لوقــا :

ولد قسطا بن لوقا في بعلبك ، وكان جيد النقل فصيحا باللسان اليوناني والسرياني والعربي ، ترجم كثيرا من الكتب اليونانية والسريانية • وكــان قسطا بارعا في علوم كثيرة ، منها الطب والفلســفة والهندســة والاعــداد والموسيقى • وقد عاصر الخليفة العباســي المقتدر بالله (٢٨٢ ــ ٣٢٠ هـ / ٨٩٥ ــ ٩٣٢ م) ، وتوفى سنة ٣٠٠ هـ /٩١٢ م •

٥ ــ أيــوب الرهــاوي :

يعد أيوب الرهاوي من العلماء في اللغة اليونانية واللغــة السريانية • وترجم كتبا كثيرة الى السريانية • وقد أورد حنين ابن اسحاق قائمة طويلة في الكتب التي ترجمها أيوب الرهاوي ، وخصوصا كتب جالينوس الطبية •

٦ ــ اصطفــن بــن باســيل :

كان اصطفن يجيد ترجمة الكتب اليونانية الى العربية ، كثير الانتاج ، وكثيرا ما كان حنين بن اسحاق يراجع ترجماته •

٧ ـ حنين بن اسحاق العبادي :

هو أبو زيد حنين بن اسحاق العبادي من نساطرة الحيرة (بفتح العين وتخفيف الباء ، ويقول البعض بكسر العين) ولد في الحيرة سنة ١٩٤ هـ / ٨٠٩ م ، وكان أبو اسحاق عطارا ـ أي صيدلانيا .

وبدأ حنين يتعلم الطب على يد يوحنا بن ماسويه في بغداد ، فحدث بينهما حادث ، فقال له يوحنا « ما لأهل الحيرة والطب.... عليك ببيع الفلوس في الطريق » ويذكر القول « اذهب واشتغل بالصيرفة كأبناء بلدك » فخرج حنين مستاء من هذه الاهانة ، وعزم على دراسة الطب في مدرسة « جند يسابور » فسافر اليها وتعلم فيها شيئا من الطب اليوناني واللغة الفارسية . ثم سافر الى البصرة لدراسة اللغة العربية على يد تلامذة الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ويقال انه هو الذي أدخل كتاب « العين » الى بغداد .

ثم سافر حنين الى سوريا ومصر وبلاد الروم ، ودرس اللغة اليونانية وأتقنها ، واطلع على كتب التراث اليوناني ، وبخاصة كتب ابقراط وأرسطو وجالينوس وديسقوريدس ، ثم رجع الى بغداد سنة ٢١١ هـ /٨٢٦ م ، وجلب معه نفائس الكتب القديمة ، وكان ذلك في زمان خلافة المأمون .

كان حنين فصيحا لسنا بارعا وشاعرا ، واشتهر بالطب والفلسفة وبجميع أصناف العلوم . وكان له باع طويل بالترجمة ، ووصل الى حد لم يستطع به أحد مجاراته في هذا الفن . وقد ولاه الخليفة المأمون رئاسة « بيت الحكمة » ويقال انه كان يعطي حنينا من الذهب زنة ماينقله من الكتب .

ترجم حنين وألف بمختلف المحاور الطبية والعلمية والفلسفية والادبية والفنية . ويقال انه نقل من اليونانية الى السريانية والعربية أكثر من ستين ومئتين كتابا ، ووضع نحو خمسة عشر ومئة تأليفا .

توفي هذا الفيلسوف العالم العراقي في سامراء سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م ، وفي رواية اخرى سنة ٢٦٤ هـ /٨٧٧ م ، وله ولدان ، هما داود واسحاق . ويقول المؤرخون العرب : ان حنينا كان ينبوعا للعلم ومعدنا للفضائل .

وقال المستشرق الفرنسي الطبيب « لا كلير ، ١٨٤٦ ــ ١٨٩٣ م » : انه (أي حنين) أبرز شخصية في القرن التاسع للميلاد ، وأكبر العقول المتحلية بأسمى الاخلاق ، واذا لم يكن هذا الذي خلق النهضة في المشرق ، فليس من مخلوق عمل أكثر منه في سبيل العلم . وقال ماكس مايرهوف الطبيب الالماني (١٨٧٤ ــ ١٩٤٥ م) ان حنينا من أكبر رجال التاريخ ذكاء ، وأحسنهم خلقا ، وربما كان أكبر شخصية أنجبها القرن الثالث الهجري .

٨ ــ اسحاق بن حنين بن اسحاق العبادي :

ان اسحاق بغدادي المولد والنشأة . درس على يد أبيه ، وتعلم منه فنون الترجمة في بيت الحكمة ، وكان يجيد السريانية واليونانية والعربية . وترجم كثيرا من الكتب العلمية ، وأقل منها الكتب الطبية . وألف كتاب « تاريخ الاطباء » ويعد هذا الكتاب أقدم المؤلفات التي بحثت في تاريخ أطباء اليونان . والمعروف ان ابن جلجل الاندلسي في كتابه « طبقات الاطباء » وابن النديم صاحب « الفهرست » قد اعتمدا كثيرا على كتاب « تاريخ الاطباء » في وضع كتابيهما .

توفي اسحاق بن حنين في خلافة المقتدر بالله سنة ٢٩٨ هـ/ ٩١١ م .

المؤلفون والأطباء

لقد كثرت الكتب المترجمة من اللغات السريانية واليونانية والهندية وغيرها من اللغات . ومما ساعد على انتشار الكتب تيسر الورق وقلة ثمنه ، لأنه أخذ يصنع في المعامل التي انشئت في بغداد ، وكان قبل ذلك يجلب اليها من سمرقند .

ونتيجة لذلك زاد عدد الدارسين والطلاب ، ونبغ من بين هؤلاء علماء أصبح لهم شأن كبير في مسير الحضارة العربيـة • وقـد وصـف الدكتور السامرائي[٣] بغداد في تلك الفترة وصفا ممتازا ، فقال : يعتبر تاريخ تأسيس بغداد يوم ميلاد الطب العربي • وبغداد ام الحضارة العربية في كل مكان • ولد فيها الطب ونشأ وازدهر ، وانتشر الى كل العالمين في مشـارق الارض ومغاربها • والاطباء العرب ــ على هذا الاساس ــ أينما كانوا تلاميذ مدارس بغداد مباشرة آو عن طريق كتبها الموضوعة والمترجمة •

كان الاطباء على طبقات متباينة ، فمنهم من كان ممارسا للطب ، ضليعا بتخصصه ، ومنهم من اتجه الى ناحية التأليف وأخراج الكتب والموسوعات والكتب الطبية ، ولم يزاولوا صنعة الطب الا ما ندر • ولا غرو في ذلـك ، اذ نجد بين العلماء وأساتذة الجامعات في الوقت الحاضر الكثير مـن هـم على هذا النهج العلمي • وظهرت طبقة ثالثة سموا أنفسهم أطبـاء ، وهـم في الحقيقـة متطببون •

ويذكر ابن أبي أصيبعة[٤] ، نقلا عن ثابت بن سنان : انه في سنة تسع عشرة وثلثمائة اتصل بالخليفة المقتدر بالله ان غلطا جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين فمات الرجل • فأمر محمد بن بطحا (المحتسب) بمنـع سائر المتطببين من التصرف الا من امتحنه والدي (سنان بن ثابت بن قرة) وكتب له رقعة بخطه (يقصد بذلك اجازة ممارسة المهنة) بما يطلق له مـن الصناعة • فصاروا الى والدي وامتحنهم وأطلق لكل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف به • وبلغ عددهم في جانبي بغداد ثماني مئة رجل ونيفـا وستين وجل ، سوى من استغنى عن مهنته باشتهاره بالتقدم في صناعته ، وسـوى من كان في خدمة السلطان •

يعد هذا الاجراء خطوة علمية رائعة ، يمنح الطبيب بموجبهـا شـهادة حق الممارسة الطبية ، حفاظا على حياة أرواح الناس ، ومنح ممارسة الطب عمن لا يعرفه ويصون قدسيته •

١ ـ علي بن ربن الطبري

هو أبو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري ، من اسرة العلماء والكتاب بمدينة مرو • درس على يد أبيه الطب.واللغة العربية والسريانية والهندسة والفلسفة • وجاء الى بغداد ، منبع الحكمة والطب ، ومعقل الفلاسفة والعلماء• وخطر بباله وضع كتاب في الطب ليكون بديلا أو عونا للدارسين في الكتب اليونانية المترجمة • ويذكر انه كان معلما لابي بكر الرازي عند مكوثه في الري فترة من الزمن ، عاد بعدها الى بغداد مرة ثانية ، وتولى الكتابة في ديوان الخليفة المعتصم بالله في سامراء •

ولما تولى المتوكل الخلافة (٢٣٢ هـ/٨٤٧ م) دعاه الى الاسلام فلباه واعتنقه ، فلقبه المتوكل بلقب مولى أمير المؤمنين • ولشرف فضله جعله من ندمائه • وهنا أكمل كتابه « فردوس الحكمة في الطب » •

قال ابن ربن في مطلع الكتاب : اسم هذا الكتاب فردوس الحكمة ، فاما لقبه ، فبحر المنافع وشمس الآداب ، واما نسبته فانه ألفه علي بن ربن الطبري ، واستنبطه وجمعه من كتب ابقراط الحكيم وجالينوس وغيرهما من علماء الاطباء ، ومن كتب أرسطوطيلس الفيلسوف وسائر الفلاسفة في الطب وغير ذلك ، ومن كتب عدة من أهل زماننا مثل يوحنا بن ماسويه طبيب الملك اعزه الله وحنين الترجمان وغيرهما(٥) :

وتأتي أهمية هذا الكتاب من كونه أول كتاب جامع طبي ألف في اللغة العربية في بغداد ، حيث كانت الكتب المهمة منقولة من اللغة اليونانية وغيرها من اللغات •

لقد جعل كتاب فردوس الحكمة سبعة أنواع ، والانواع تحتوي على ثلاثين مقالة ، والمقالات تحتوي على ثلاثمائة وستين بابا • ولابن ربن كتب اخرى منها : كتاب منافع الاطعمة والإشربة والعقاقير • وكتاب حفظ الصحة• وكتاب في الحجامة • وكتاب في ترتيب الاغذية •

ولم يمارس ابن ربن الطب ممارسة فعالة ، فقد كان يعمل كثيرا في الدواوين والكتابة ، وقد اتجه الى ناحية التأليف وقضى فيه أكثر حياته • وتوفي سنة خمسين وثلاثمائة — حسبما جاء في مقدمة الكتاب • ويقال انه توفي سنة ٢٣٦ هـ •

٢ — الكندي

وهو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي ، من قبيلة كندة القحطانية، وأصلها في بلاد اليمن • وكان أبوه اسحاق واليا على الكوفة في خلافة المهدي وهارون الرشيد • وجده الاشعث بن قيص من أصحاب الرسول الكريم (ص) •

ولد الكندي في الكوفة — وقيل في واسط أو البصرة — في حدود سنة ١٧٠ هـ • ثم أقام في البصرة مدة من الزمن ، وجاء بعدها الى بغداد وأخذ يتعلم فيها • ولنبوغه الفذ ألمّ بجميع أصناف المعرفة ، شأنه في ذلك شأن الفلاسفة والعلماء العظام • وعلا شأنه في الفلسفة خاصة •

ويذكر ابن أبي أصيبعة أن مؤلفات الكندي بلغت أكثر من مئتين وخمسين كتابا ، في الفلسفة والعلوم الطبيعية والفلك والرياضيات والموسيقى، وكل شيء له صلة بالعلم والفن •

وبرز الكندي في الطب أيضا بوصفه مؤلفا ، لا طبيبا ممارسا ، وله في الطب نحو اثنين وعشرين كتابا • وله أيضا أقوال مأثورة ، كقوله في وصيته التي أوردها ابن أبي اصيبعة(٦) : —

(وليتق الله تعالى المتطبب ولا يخاطر ، فليس عن الانفس عوض • وقال : وكما يجب ان يقال له انه كان سبب عافية العليل وبرئه كذلك فليحذر أن يقال انه كان سبب تلفه وموته ، وقال : العاقل يظن ان فوق علمه علما ، فهو أبدا يتواضع لتلك الزيادة • والجاهل يظن أنه قد تناهى ، فتمقته النفوس لذلك •

قال أبو معشر في كتاب المذكرات لشاذان ، حذاق التراجمة في الاسلام، أربعة : حنين ابن اسحاق ، ويعقوب ابن اسحاق الكندي ، وثابت بن قرة الحراني ، وعمر بن الفرخان الطبري • ويرجح الكثير من المؤرخين ان المقصود ـ فيما يخص الكندي ـ انه كان يفسر له الكتاب ويصوغ التفسير بلغته العربية ، اذ المعروف ان الكندي لا يعرف اللغة اليونانية التي كتبت بها كتب أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان •

وكان للكندي خزانة كتب مشهورة في بغداد ، وقد نهبت لسبب وشاية به لدى الخليفة المتوكل ، ثم عفى عنه وعاد الى منزلته في بلاط الخليفة الذي دخله منذ زمان المأمون •

تفتخر الامم والشعوب بفلاسفتها وعلمائها ، لما ينتجون من أعمال جبارة لامتهم ووطنهم • ونحن نقول ان جل أعمال فلاسفتنا وعلمائنا كانت لخدمة الفكر الانساني قاطبة • ولنا مثل في ذلك فيلسوفنا العراقي العربي « الكندي » الذي قدم للحضارة العالمية أروع ما ينتجه العبقري من آراء وأفكار ونظريات وتوجيهات •

لقد قال العلماء في العصور الوسطى وفي العصر الحاضر أقوالا جمة في الكندي ، ونعتوه بأسمى الالقاب ، فلقب بـ « فيلسوف العرب » و « أرسطو العرب » واعترف الراهب الشهير الفيلسوف الانكليزي روجربيكن ، ١٢١٤ ـ ١٢٩٢ م « بفضل الكندي وعلمه ، فقال : ان الكندي والحسن ابن الهيثم من الصنف الاول مع بطليموس » • وقال الفيلسوف الايطالي « كاردان » ان الكندي من الاثنى عشر عبقريا الذين هم من الطراز الاول في الذكاء ، وقال المستشرق الفرنسي « ماسنيون: الكندي امام أول مذهب فلسفي اسلامي في بغداد » •

لقد اختلف المؤرخون في سنة وفاة الكندي • فقيل ٢٦٠ هـ و ٢٥٨ و ٢٥٦ و ٢٤٦ ، ولكن المرجح انه توفى سنة ٢٥٢ أو ٢٥٧ هـ /٨٧٠ م ،

وخلف بعده تلامذة عدة، منهم أحمد بن الطيب السرخسي، وأبو معشر..الخ.
ومن كتب الكندي الطبية :ـ

- ★ كتاب الأقرباذين ، ترجمه جيرارد الكريموني الى اللاتينية ، وطبع أول مرة في ستراسبورك سنة ١٥٣١ م .
- ★ كتاب تدبير الاصحاء .
- ★ رسالة في كيفية الدماغ .
- ★ كتاب في علة الجذام .
- ★ كتاب في عضة الكلب الكلب .
- ★ كتاب في وجع المعدة .
- ★ كتاب في الطب الروحاني .
- ★ كتاب الطب البقراطي .
- ★ كتاب في الغذاء والدواء المهلك .
- ★ كتاب في علة نفث الدم .
- ★ كتاب في قدر منفعة الطب .
- ★ كتاب الادوية المفردة لجالينوس .
- ★ رسالة في معرفة قوى الادوية المركبة .
- ★ كتاب في الابخرة المصلحة للجو من الاوباء .
- ★ رسالة في وجع المعدة والنقرس .

٣ـ علي بن عيسى الكحال

علي بن عيسى ، ولقبه شرف الدولة ، ولد وعاش في بغـداد ، وتوفي فيها بحدود سنة ٤٣٠ / ١٠٣٩ م . وكان طبيبا حاذقا في أمـراض العيون ومداواتها وجراحاتها ، ولذا لقب بـ « الكحال » وقد اشتهر بكتابه الموسوم « تذكرة الكحالين » و يعد هذا الكتاب أقدم وأجود الكتب العربية في طب العيون . ويقول ابن أبي أصيبعة « وقد اقتصر الناس عليه دون غيره مـن

سائر الكتب التي الفت في هذا الفن ، وصار ذلك مستمرا عندهم » ولقد اكتسب الكتاب شهرة واسعة في أوربا ، وترجم الى اللاتينية .

ويقع الكتاب في ثلاث مقالات هي المقالة الاولى : في حد العين وتشريحها وطبقاتها ، واعصابها وعضلاتها .

والمقالة الثانية : في أمراض العين الظاهرة للحس ، وعلاماتها ومداواتها . والمقالة الثالثة : في أمراض العين الخفية عن الحس وعلاماتها وعلاجاتها . ويبحث عن الرؤية من قريب أو من بعيد .

٤ ــ أبو الفرج بن الطيب

هو عبدالله بن الطيب أبو الفرج ، الفيلسوف العراقي ، حظي بمكانة عالية بين نصارى بغداد حيث كان كاتبا للجاثليق في الكنيسة .

اعتنى ابن الطيب بشروح كتب الفلسفة اليونانية من تآليف أرسطو خاصة ، وكتب جالينوس في الطب . وكان يعلم الطب في البيمارستان العضدي ، الذي شيده عضد الدولة سنة ٣٧٢ هـ ، ويعالج المرضى فيه . وكان معاصرا للشيخ الرئيس ابن سينا .

تتلمذ له الكثير من الاطباء مثل علي بن عيسى الكحال ، وابن بطلان البغدادي وغيرهما وكتب أكثر من أربعين كتابا في الطب والفلسفة توفى ابن الطيب في بغداد بحدود سنة ٤٣٥/١٠٤٣ م .

٥ ــ ابن التلميذ :

هو هبة الله بن أبي العلاء صاعد بن ابراهيم بن التلميذ ، ولقبه أمين الدولة موفق الملك ، بغدادي الولادة والمنشأ (٤٦٥ ــ ٥٦٠ هـ/١٠٧٣ ــ ١١٦٥ م) وكان أوحد زمانه في صناعة الطب ، وشيخ أطباء بغداد . وكان ابن التلميذ ساعورا (أي رئيس الاطباء) للبيمارستان العضدي حتى وفاته .

كان ابن التلميذ شاعرا عربيا مجيدا ، وملما باللغة اليونانية والسريانية والفارسية . وقد عرف بحسن المعشر وكرم الاخلاق والمروءة . وقيل من مروءته ان ظهر داره كان يلي النظامية ، فاذا مرض فقيه نقله اليه ، وقام في مرضه عليه ، فاذا أبل وهب له دينارين وصرفه .

كتب في الطب كتبا كثيرة منها : ـ

★ اقرباذين العشرين باباً ، وقد اشتهر الكتاب وتداوله الناس أكثر من سائر كتبه .
★ اختصار شرح جالينوس لكتاب الفصول لابقراط .
★ شرح مسائل حنين بن اسحاق .
★ مختار من كتاب الادوية لجالينوس .
★ اختيار كتاب الحاوي للرازي .

٦ ـ الرازي

هو أبو بكر محمد بن زكريا ، ولقبه الرازي ، نسبة الى « الري » مسقط رأسه ، وفيها ولد هارون الرشيد .

جاء الرازي الى بغداد وأقام فيها ، وكان عمره نحو ثلاثين سنة ، وأعجبه بيمارستان بغداد فعمل فيه ، ثم صار رئيسا له ، بعد أن كان رئيسا لبيمارستان الري . ويقال انه عكف على التبحر بالطب في بغداد ، وأصبح علما من أعلامه ، لا في القرون الوسطى فحسب بل وفي يومنا هذا .

وصفه ابن أبي أصيبعة بـ « جالينوس العرب » وقال فيه صاعد الاندلسي طبيب المسلمين غير مدافع فيه « وقال ابن النديم في الفهرست [٧] ، أوحد دهره ، وفريد عصره ، قد جمع المعرفة بعلوم القدماء وسيما الطب » .

كان الرازي معلما ممتازا ، فيقول ابن النديم « كان يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ ، ودونهم تلاميذهم ، ودونهم تلاميذ آخرون . وكان يجيء

الرجل فيصف ما يجد لاول من يلقاه ، فان كان عندهم علم ، والا تعداهم الى غيرهم ، فان أصابوا ، والا تكلم الرازي في ذلك . كان الرازي متفضلا بارا بالناس ، حسن الرأفة بالفقراء والاعلاء ، حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم . ولم يفارق الرازي المدارج والنسخ ، وما دخلت عليه قط الا رأيته ينسخ ، اما يسود أو يبيض » .

كان الرازي طبيبا سريريا بارعا ، وفيلسوفا وعالما ، وله باع طويل في الكيمياء . وقد قيل فيه أقوالا مأثورة ، ومثال ذلك « كان الطب معدوما فأحياه جالينوس ، وكان الطب متفرقا فجمعه الرازي » .

يعد الرازي من كبار المؤلفين في عصر النهضة العربية ، اذ بلغت تآليفه أكثر من مئتي كتاب ، منها أكثر من عشرين في الطب . ومن كتب الرازي :

★ كتاب الحصبة والجدري : وقد ترجم الكتاب الى اللاتينية ، وطبع في مدينة فيسنيسيا (ايطاليا) سنة ١٥٦٥ م . وترجم كذلك الى الانكليزية وطبع سنة ١٨٤٨ م . ثم ترجم الى الفرنسية والالمانية .

يقول المؤرخ الطبيب « نيوبركر » (الكتاب حلية الطب العربي) نظرا لاهميته في تاريخ الامراض الوبائية . وقد طبع الكتاب نحو أربعين طبعة بالانكليزية ما بين سنة ١٤٩٨ — ١٨٦٦ م .

★ المدخل في الطب .

★ الاقرباذين — أي الادوية وتركيبها .

★ كتاب المنصوري ، جمع فيه علوم الطب وحفظ الصحة والجراحات والقروح والسموم ، وكذلك الكيمياء . وقد ترجم جيرارد الكريموني كتاب المنصوري الى اللاتينية ، وطبع في ميلانو (ايطاليا) سنة ١٤٨١ م .

★ كتاب الحاوي في الطب :

يعد كتاب الحاوي من أجل الكتب الطبية في القرون الوسطى وأتقنها ، ولايزال « الحاوي » من المصادر الرئيسة في دراسة العلوم الطبية في عصر النهضـــة العربيـــة •

يقع الكتاب في ثلاثة وعشرين جزءاً ، وسمي الحاوي لانه حوى جميع علوم الطب والاطباء منذ العصور القديمة وحتى عصر الرازي وكان بصورة مسودات عند وفاة الرازي • ويقال كانت المسودات بحوزة أخته ، فجمعهـا « محمد بن العميد ، وزير ركن الدولة الديلمي ، ت سنة ٣٦٠ هـ » وبمساعدة تلامذة الرازي • وربما هم الذين أطلقوا عليه اسم « الحاوي » وليس الرازي نفســه •

ترجم كتاب الحاوي الطبيب الصقلي « فرج بن سالم ، ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م » الى اللاتينية سنة ١٢٨٠ م ، وأصبح من الكتب المعتمدة في دراسة الطب في جامعات أوربا وكان الحاوي أحد الكتب التسعة التي تتكون منها مكتبة الكلية الطبية في باريس سنة ١٣٩٥ م •

لقد اختلف المؤرخون في سنة وفاة الرازي ، وحسبما جاء في الاعــلام للزركلي (٦ /٣٦٤) انه توفى في بغداد سنة ٣١١ هـ /٩٢٣ م •

هذه نخبة مختارة من الاطباء الذين ظهروا في العصر الذهبي لبغداد • وقد أجاد السامرائي في « المختصر »[٨] في التحدث عن الأسر الطبية ، فقال :ــ أسرة بختيشوع ، وجدهم جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع الذي عالج المنصور ــ كما ذكرنا ــ ثم تعاقب الابناء والاحفاد من هــذه الاسرة على الصدارة في الطب وحظيت بمكانة مرموقة في القصور العباســية . وبــين مختلف طبقات الناس أيضا •

ثم اسرة ماسويه ، وهم جورجيوس الذي توفى في زمان المأمــون ، وأولاده يوحنا بن ماسويه طبيب الخليفة المتوكل في ســامراء ، وميخائيــل بن ماسوية •

وكان لحنين بن اسحاق العبادي ــ مر سابقا ــ المترجم الذائع الصيت، والفيلسوف ، والطبيب ، والعالم ، الأثر الكبير في التقدم الطبي والعلمي في عصر بغداد الذهبي ، لما ترجمه وألفه من نفائس الكتب . وقد ساعده في ذلك ابنه الطبيب اسحاق بن حنين ، وابن اخته جبيش الأعسم .

وجل هؤلاء الفلاسفة والاطباء ــ ان لم نقل كلهم ــ كان لهم الاثر المباشر في تقدم الطب العربي في بغداد ، ومن محاور شتى ، في الترجمة والتأليف ، والعلم العملي والنظري ، والابتكار والاختراع . ومنهم نقلت العلوم الطبية الى اوربا ، واعترف بهاالعلماء والفلاسفة الغربيون في العصور الوسطى وحتى عصرنا الحاضر .

المستشفيات (البيمارستانات)[9]

تأسست في بغداد مستشفيات عدة ، كانت على مستوى عال من حيث التنظيم الطبي والسريري والاداري. وقد توافر فيها كل أمر يحتاج اليه الطبيب لعلاج مرضاه ، وكل شيء يحتاج اليه المريض ويطلبه . ومن هذه المستشفيات[10] : ــ

بيمارستان الرشيد :

شيدت هذا البيمارستان الخليفة هارون الرشيد ، وهو أول مستشفى انشيء في الجانب الغربي من بغداد . وقد أشرف على بنائه جبرائيل بن بختيشوع ، وعين لرئاسته ماسويه الخوزي من أطباء جنديسابور . ويذكر « الشطي » ان الرازي كان بين الذين عملوا في هذا المستشفى .

● **بيمارستان السيدة :**

أسسته أم الخليفة المقتدر (٣٠٦ هـ /٩١٨ م) في الجانب الشرقي من بغداد . وكانت سيدة غنية محبة للخير ، تتصدق وتوقف كثيرا من أموالها

في الاعمال الخيرية ورعاية الفقراء والمحتاجين • وكان بقدر دخلها السنوي نحو الف الف دينار • وقد افتتحه سنان بن ثابت بن قرة سنة ٣٠٦ هـ •

- **البيمارستان المقتدري :**

وقد شيده الخليفة المقتدر بالله[١١] ، ويقع في الجانب الغربي من بغداد بباب الشام • ويقال ان الرازي تولى رئاسة هذا البيمارستان •

- **البيمارستان العضدي :**

أنشأه عضد الدولة بن بويه في عهد الخليفة الطائع لله الذي تولى الخلافة سنة ٩٧٤ هـ • ويعد هذا المستشفى من أشهر المستشفيات وأوسعها • ويقع في الجانب الغربي من بغداد • ويقال كان يعمل فيه أكثر من ستين طبيبا ، وفيه العدد الكثير من الوكلاء والخزان والطباخين والخدم • وقيل فيه انه ليس في الدنيا مثل ترتيبه وحسن تنظيمه •

لقد عمل فيه الاطباء جبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع (ت ٣٩٦ هـ / ١٠١١ م) وأبو الحسن علي ابن ابراهيم ، وأبو الفرج بن الطيب وكان من فضلاء المدرسين • وكان أمين الدولة ابن التلميذ ساعورا (أي رئيسا) له • وقد ذكره ابن جبير في رحلته المشهورة (سنة ٥٨٠ هـ/١١٨٤ م) •

بقي المستشفى قائما مدة طويلة ، ثم أتت عليه مصائب الدهر والدمار بسبب الاهمال والفيضانات وغيرها • وانتهى أمره في زمان الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ ــ ٦٢٢ هـ /١١٨٠ ــ ١٢٢٥ م) •

يقول « الشطي »[١٢] ان عضد الدولة انما جدد البيمارستان الرشيدي (يقصد البيمارستان الذي شيده هارون الرشيد) ووسعه وأضاف الى عمارته وأسماه بأسمه •

الصيدلة[١٣]

يكون حقل الصيدلة والادوية والاعشاب الطبية حقلا مهما وانجازا رائعا للعرب ، يضاف الى انجازاتهم العلمية القيمة • فقد برع الحكماء في استخلاص العقاقير من النباتات الطبية ، وحضروا منها المعاجين والمساحيق والاقراص والادوية بأشكالها المختلفة ، ووصلوا بتنقيتها الى درجة من النقاوة تضاهي بعضها تلك التي يتم تحضيرها في المختبرات الكيميائية الحديثة •

والعرب أول من غلف حبوب الادوية بغلاف حلو من السكر ليستطيع المريض استساغة الدواء المر ، وبخاصة الاطفال منهم • فالسكر كان مجهولا عند اليونانيين ولم يستعملوا الشراب الحلو الطعم ، فالاشربة الحلوة هي ابتكار طبي عربي ، ولا تزال الكلمة « سيروپ » متداولة طبيا في اللغات الاوربية ، وهي ترجمة للكلمة العربية « شراب » •

لقد أدخل العرب الكيمياء في الصيدلة والطب ، فكان الطبيب يستخلص الدواء من مصدره النباتي (أو الحيواني أو المعدني) حيث أتقنت الطرق الكيميائية الخاصة بالاستخلاص والتنقية ، وكما يفعل الكيميائي الصيدلاني الحديث •

ولما توسعت فروع العلم وتفرعت جوانبه ، اختص جماعة من بائعي الادوية و الاعشاب النباتية وهم « العطارون » بمهنة تدبير الادوية وتركيبها وعلاجها • فصار العطار هو المسؤول عنها ، وصار الطبيب يصف الدواء فقط ، وأخذ العطار مهمة تحضير الدواء ، وتعليم المريض كيفية استعماله •

لقد نظم العطار حانوته ، وحفظ أعشابه كلاً في درج أو وعاء أو قنينة خاصة به حصرا • وكتب عليها اسم ذلك العشب ، وكل ما يدور حوله من معلومات هامة • وقد أصبح هذا الحانوت هو « الصيدلية » كما نراها

الآن • وقد افتتحت أول صيدلية عربية في بغداد سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م • ثم الحقت صيدلية بكل مستشفى • ومن بغداد انتشرت الصيدليات الى باقي الاقطار العربية والاسلامية ، ومنها انتقلت الى أوربا •

وكان من بين العطارين (أي الصيادلة) جماعة لهم دراية كاملة في الطب أيضا ، كما كانت للاطباء دراية في الصيدلة ، فقيل القول الطريف « الطبيب الصيدلاني ، والصيدلاني الطبيب » •

ان كثيرا من الاعشاب الطبية أو مستخلاصتها نادرة وغالية الثمن ، وتقاس أوزانها بالمثاقيل أو بأجزائها (المثقال خمسة غرامات) وكان جماعة من العطارين من ذوي النفوس الضعيفة يغشون الدواء ـ أو أنهم لا يجيدون معرفته ـ بمواد شبيهة له وأرخص ثمنا منه ، ومثال ذلك يغش ـ وحتى يومنا هذا ـ الزعفران بعشبه العصفر • فلما علم الخليفة المأمون بهذا الامر ، أمر بأجراء امتحان للصيادلة ، ثم أمر الخليفة المعتصم أن يمنح الصيدلاني الذي تثبت أمانته شهادة ممارسة العمل • وأخيرا أدخلت الصيدلة تحت مراقبة الحسبة •

يعد « نظام الحسبة ومراقبة الادوية » من أهم الانظمة الطبية ومراقبتها• وقد انتقل نظام الحسبة الى أوربا لما له من أهمية بالغة في المحافظة على صحة الانسان ، واتقان الدواء اللازم له • وقال المثل العربي المشهور « نعمتان ، مجهولتان ، الصحة والامان » •

وقد اشتهر جماعة بفن الصيدلة ومزاولتها ونذكر منهم : ـ

● **عيسى المعروف بابي قريش :**

قال ابن ابي أصيبعة [١٤] « أخبرني يوحنا بن ماسويه ان أبا قريش كان صيدلانيا يجلس على موضع نحو باب قصر الخليفة ، وكان دينا صالحا في نفسه ، متبحرا متخصصا بتركيب أنواع المياه والمعالجة بها • (بقصد

الاشربة ، ج شراب ، وهو كل ما يشرب) وله قصص طريفة مع (الخيزران) أم هارون الرشيد • وقد كناه الخليفة المهدي « أبا قريش » أي «أبا العرب» لانه بشر بولادة موسى الهادي ، وبعده هارون الرشيد • فصار أبو قريش عند المهدي نظير جورجيس ، بل أكبر منه حتى تقدمه في المرتبة •

عاصر أبو قريش ، فترة من الزمن ، الخليفة هارون الرشيد ، وله معه قصص أيضا ، وتوفي وخلف اثنين وعشرين الف دينار مع نعمة سنية •

- **ابن جزلـة :**

هو يحيى بن عيسى أبو علي ، ابن جزلة البغـدادي عاش في زمـان الخليفة المقتدي بأمر الله (٤٤٨ ــ ٤٨٧ هـ = ١٠٥٦ ــ ١٠٩٤ م) ، وصنف لـه كتب عـدة •

كان يحيى بن عيسى بن جزلة طبيب زمانه ، واشتهر بعطفه على الفقراء ومساعدتهم ، وكان لا يأخذ اجرا من أهل حارته • ولما دنت المنية منه اوقف مكتبته ومؤلفاته على تربة الامام ابي حنيفة • وتوفي ابن جزلـة في بغـداد سـنة ٤٩٣ هـ /١١٠٠ م ، وقيل سنة ٤٧٣ هـ /١٠٨٠ م •

كان ابن جزلة عارفا بالحشائش الطبية ، ملما بالادوية المفردة • واشتهر بكتابه الموسوم « منهاج البيان فيما يستعمله الانسان » وضـعه للخليفـة المقتدي بأمر الله • وقد جمع فيه اسماء الادوية والاعشاب ، وذكر خواصها واستعمالاتها • وقد ترجم الكتاب الى اللاتينية سنة ١٥٣٢ م •

- **اسـحاق العبـادي :**

وهو والد حنين ، وكان صيدلانيا مشهورا في الحيرة •

كتب الصيدلة والادويـة :

لقد أجمع المؤرخون ان العلماء العرب هم أول من أبرز علم الصيدلة والعقاقير وذلك من خلال ترجماتهم للكتب اليونانية القديمة ، ثم من خـلال تآليفهم الغنية في هذه الموضوعات التي بحثوا فيها عن النباتات والاعشـ..

الطبية ، وسبل استخلاص المواد منها ، اضافة الى تصنيف هذه المواد تصنيفا علميا بحسب مفرداتها وفائدة ومضار كل مادة منها ، ثم تركيب المواد تركيبا يتفق ووصفة الطبيب المعالج •

وأول كتاب نقل الى العربية وأشهرها هو كتاب (ديسقوريدس العين زربي ، في القرن الاول للميلاد ، والذي عاصر الطاغية نيرون ٤ ـ ٦٨ م) وعنوان الكتاب « الادوية المفردة ، أو كتاب هيولي علاج الطب . وقال بعضهم كتاب الحشائش والادوية » •

لقد ترجم الكتاب في بغداد أول مرة ، في عهد الخليفة المتوكل ، وقام بالترجمة « اسطفن بن باسيل » وأصلح الترجمة حنين بن اسحاق • وقد دخل الكتاب الى الاندلس بترجمة حنين في زمن الخليفة عبدالرحمن الناصر واصبح كتاب ديسقوريدس من المصادر الرئيسة في دراسة الاعشاب الطبية في المشرق والمغرب من العالم العربي • ولولا ترجمة حنين في بغداد لهذا الكتاب لطمست معالمه وانغمرت فائدته •

ان الكتب العربية التي وضعها الاطباء والعشابون العرب كثيرة جدا ، فلا يخلو كتاب طبي من جزء أو فصل أو باب يخصص مؤلفه فيه الحديث عن العقاقير والادوية المركبة منها والمفردة ، ومثال ذلك ما جاء في كتاب « الحاوي للرازي » وكتاب « القانون لابن سينا » وكتاب « العين للفراهيدي ١٠٠ ـ ١٧٥ هـ » وكتاب « أبي حنيفة الدينوري ٢٨٢ ـ ٢٨٢ هـ » • ويعد كتاب « الغافقي ٥٦٠ هـ /١١٦٤ م » الموسوم « كتاب الادوية المفردة » من الكتب المعتمدة في دراسة الاعشاب والادوية •

ومن أشهر ما ألف في هذا الموضوع هو كتاب « الجامع لمفردات الادوية والاغذية » لشيخ العشابين ضياءالدين ابي محمد عبدالرحمن المشهور بـ « ابن البيطار » من مَلَقَة في الاندلس (ت في الشام سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) •

ومن الكتب المهمة في الصيدلة هو كتاب « الصيدنة » الذي وضعه الاستاذ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (٣٢٢ ــ ٤٤٢ هـ / ٩٧٣ ــ ١٠٥٠ م) • وربما جاءت الكلمة « صيدنة » من الكلمة (جندل الهندية) • وتقول العرب « الصندل » وهو الخشب الطيب الرائحة الذي يستعمله العطارون في صناعة العطور ، وكذلك في الادوية • وقد فضل البيروني نفسه استعمال كلمة « صيدلة » بدلا من صيدنة[١٥] •

لقد بجل العلماء العرب العشاب الاول « ديسقوريدس » والطبيب (جالينوس ، ١٣٠ ــ ٢٠٠ م من برغامون ، بايطاليا) وأخذوا عنهما الشيء الكثير من علوم الطب وفن الصيدلة • ولجالينوس كتب كثيرة في المفردات منها :

كتاب الادوية المفردة المأخوذة من النبات والحيوان والطين والحجارة •

وكتاب الادوية ومايقابلها من الامراض • وكتاب السموم والترياق •

وقد ترجم العرب كتب جالينوس عن اليونانية وشرحوها شرحا وافيا وأضافوا عليها • والفضل في ذلك يعود بالدرجة الاولى الى الفيلسوف العراقي العالم الفذ ، المترجم « حنين بن اسحاق العبادي » وصارت الترجمات العراقية مرجعا مهما لدراسة الادوية والصيدلة في المعاهد الاوربية حتى أواخر القرن السابع عشر للميلاد •

الكيمياء

تمهيد :

لم يتفق الباحثون على رأي حول أصل كلمة « الكيمياء »[١٦] الا انهم مجمعون على انها من أصل مصري ، ولها مدلول الصنعة، ذات الطابع السري، وفيها معنى الرخاء والغنى ايضا ويقال ان المصريين القدماء كانوا يسمون مصر «كمت» ومعناها الارض السوداء، وهي كلمة مشتقة من الفعل «كم KM » ومعناه

« يسود لونه » وفي الكلمة اشارة الى تربة مصر ، وهي خصبة وغنية في عطائها • ثم حورت الكلمة في عهد البطالمة (البطالسة) فأصبحت « كميس chemis ، أو كيس chymes » وتدل على الصنعة التي اشتهر بها المصريون •

وجاء في لسان العرب : الكيمياء ، معروفة مثال السيمياء : اسم صنعة • قال الجوهري : هو عربي ، وقال ابن سيده : أحسبها أعجمية ، لا أدري أهي فعلياء أم فيعلاء • ويقال كمى الشيء وتكماه : ستره وأخفاه ، وكمى الشهادة يكميها كميا ، وأكماها كتمها وقمعها ، وقال الشاعر :

واني لأكمي الناس ما أنا مضمر
مخافة ان يثري بذلك كاشح

وقد فسرها أبو عبدالله محمد الكاتب الخوازمي (المتوفى سنة ٣٨٧ هـ) في كتابه « مفاتيح العلوم » حيث قال : اسم هذه الصنعة الكيمياء ، وهو عربي ، واشتقاقه من كمى يكمي ، اذا ستر و أخفى ، ويقال كمى الشهادة يكميها اذا كتمها •

استعمل العرب كلمة « كيمياء » ومع « الـ » التعريف أصبحت « الكيمياء » وعندما انتقلت الى أوربا أخذت الاسم نفسه مع « الـ » التعريف فصارت Alchemie او Alchemy • وقد استعملها الفيلسوف العالم الانكليزي « روبرت بويل ١٦٢٧ ــ ١٦٩٤ م » لكنه فرق بين الكيمياء التي كان يعمل بها الدجالون والسحرة الذين كثر عددهم في أوربا في ذلك الزمان ، والكيمياء ذات الطابع العلمي الاصيل • فقال Al-chemie للنوع الاول ، واقترح كلمة chemistry للنوع الثاني • وبقيت في اللغة الانكليزية والفرنسية الى اليوم • اما في اللغة الالمانية فلايزال الاسم على

ما هو عليه بالصيغة العربية ، عدا « ال » التعريف ، « وتكتب chemie وتلفظ الـ ch شين مخففة ، وفي بعض اللهجات الالمانية تلفظ لك . أما في أسبانيا فلا تزال «الـ» التعريف مضافة الى الكلمة الاصلية، فيقال Alchemie

وعندما انتقلت الكيمياء الى أوربا أخذ بعض الناس يعملون بها من أجل الحصول على الذهب ، فكثر المحتالون والدجالون ، ورويت في ذلك الكثير من القصص ، وقد سميت « سيمياء أو شيمياء » ولا يزال الاسم شائعا ، ونفضل عدم استعماله ، اذ لا جدوى من هذه التسمية ، والافضل أن يقال الكيمياء القديمة ، بدلا من سيمياء أو شيمياء . ومن الناس من عمل في الكيمياء بوصفها علما له منزلة بين العلوم الاخرى ، وكانوا يسمونها « الكيمياء » .

بدأة قصة الكيمياء

يقول المؤرخون ان الكيمياء ولدت في مصر ، وتبنتها مدرسة الاسكندرية أبان عصر البطالمة ، ثم احتضنتها بغداد ، فأحسنت تربيتها وأوصلتها الى مرتبة جليلة من مراتب الفكر والمعرفة ، ثم هاجرت من بغداد الى الغرب ، وأخذت بمرور الايام طورا جديدا ، اعتلت بموجبه أعلى درجات الرقي في الحضارة الانسانية الحاضرة .

ويذكر ان أول من تكلم في الكيمياء خالد بن يزيد بن معاوية والامام جعفر الصادق .

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان :

قال ابن النديم[١٧] : كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلا في نفسه وله همة ومحبة للعلوم . خطر بباله الصنعة (أي الكيمياء فأمر) باحضار جماعة من الفلاسفة اليونان ممن كان

ينزل مدينة مصر ، وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي ، وهذا أول نقل كان في الاسلام من لغة الى لغة » .

ومما جاء في « وفيات الاعيان »[١٨] كان خالد من أعلم قريش بفنون العلم ، وله كلام في صنعة الكيمياء والطب ، وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما ، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته ، وأخذ الصنعة من رجل عن الرهبان يقال له « مريانس الرومي » وله فيها ثلاث رسائل تضمنت احداهن ما جرى له مع مريانس المذكور ، وصورة تعلمه منه .

وكتاب وصيته الى ابنه في الصنعة .

وذكر حاجي خليفة[١٩] : أول من تكلم في علم الكيمياء ووضع فيها الكتب ، وبين صنعة الاكسير والميزان ، ونظر في كتب الفلاسفة من أهل الاسلام خالد بن يزيد بن معاوية . وأول من اشتهر هذا العلم عنه جابر بن حيان الصوفي ، كما قيل :

حكمة أورثناها جابر
عن امام صادق القول وفي
لوصي طاب في تربته
فهو كالمسك تراب النجف

وله من الكتب « فردوس الحكمة في علم الكيمياء » منظومة عدد أبياتها الفان وثلثمائة وخمسة عشر بيتا ، أولها :

الحمد لله العلي الفرد
الواحد القهار رب الحمد

وينسب الى خالد بن يزيد :ـ

« كتاب الصحيفة الكبير ، وكتاب الصحيفة الصغير ، ومقالتا ميرنانس الراهب في الكيمياء ، ووصيته الى ابنه في الصنعة » • توفي خالد سنة ٩٠ هـ /٧٠٨ م •

الامام جعفر الصادق

يقال ان الامام جعفر الصادق (٨٠ ـ ١٤٨ هـ/٧٠٠ ـ ٧٦٦ م) هو ثاني من تكلم في علم الكيمياء • ويذكر حاجي خليفة[٢٠] ان من مصنفات الامام جعفر الصادق :

١ ـ تقسيم الرؤيا • ٢ ـ كتاب الجفر •

لقد اختلف المؤرخون في الحديث عن كيمياء خالد بن يزيد ، ونخص منهم العلامة « ابن خلدون » حيث يذكر في « المقدمة »[٢١] علا خالد ذلك باعتباره من أهل البداوة ، وان العرب لم يصلوا الى مثل هذه المرحلة من الحضارة ليخوضوا في علوم غريبة كالكيمياء مثلا •

وهنا يرد السؤال ! لماذا لم يستطع عربي كخالد ، وان كان أقرب الى عصر البداوة من عصر الحضارة أن يخوض موضوعا علميا كالكيمياء ، ولاسيما انه عاش في عصر متحضر ، وفي منطقة زخرت بالفلاسفة والعلماء ، وان لم يكونوا من غير المسلمين ؟ •

اما الامام جعفر الصادق الرائد الثاني للكيمياء عند العرب ، فانه سليل الدوحة النبوية وسيد من سادات قريش ، وكانت له مكانة في مجتمعه والصدارة في تفقهه بأصول الدين والحكمة والمعرفة والعلم ، ومن ذلك نستطيع القول انه لا ضير في ان يعمل ويقول في العلم الجديد الكيمياء •

ان توجيه خالد بن يزيد المجتمع العربي الى علم الكيمياء ، ثم اهتمام الامام جعفر الصادق بهذا العلم ، قد وضع الكيمياء في منزلة مرموقة من

منازل العلم والمعرفة • وان الكيمياء علم رفيع له قدره بين العلوم الاخرى التي بدأ العرب الاخذ بها وأطلقوا عليها اسم « العلوم الدخيلة » فلقد أقبل الناس على دراسة الكيمياء والعمل بها ، ونبغ منهم علماء وفلاسفة ، وكان على رأسهم العالم العبقري العراقي « جابر بن حيان » مؤسس علم الكيمياء عنـد العـرب •

جابـر بـن حيان

واسمه الكامل « جابر بن حيان بـن عبدالله الازدي ، ويكنـى بأبي موسى » وكان والده يشتغل عطارا في الكوفة ، وكان مـن دعاة الدولـة العباسية ، فأخذ يتنقل من بلد الى آخر مبشراً وداعيا لها ، حتى وصل الـى طوس في خراسان ، وهناك ولد « جابر » في حدود سنة ١٠٠ هـ /٧٢٠ م • ولما قتل والده رجعت العائلة الى الكوفة ، ثم رحلت الى قبيلتها « الأزد » في تخوم اليمن ، وهناك ترعرع « جابر » وتعلم على يد راهب يسمى « حربي الحميري » وعندما تمت الخلافة العباسية (١٣٢ هـ/٧٤٩ م) رجعت العائلة الى الكوفة ، وانخرط « جابر » في حلقات التدريس التي كان يعقدها الامام جعفر الصادق في مسجد الكوفة •

ويظهر ان اتصال جابر بالامام جعفر الصـادق واحترامـه لسـيده ـ كما كان ينعته ـ سيد جعفر واطلاعه على الكيمياء التي عمل بها الامام جعفر الصادق ، قد أثار في نفسه حب هذا العلم ، فأخذ يتعمق بدراسته ، فرجـع الى ماقاله خالد بن يزيد والى ماترجم من كتب الاسكندرانيين وغيرها • وسرعان ما نبغ وأصبح أول عربي عراقي يضع أسس علم جديد ، ويجعله في مصـاف العلوم الجليلـة •

اختلف المؤرخون في عدد الكتب التي وضعها جابر بن حيان ، فذكـر ابن النديم [٢٢] قائمة طويلة تزيـد على خمسمائة كتاب ، وذكـر في هديـة العارفين[٢٣] ان كتـب جابر بلغت نحو اثنتين وثلاثين ومئتين كتابا • ولكـن

الرأي المتفق عليه تقريبا ، ان جابر بن حيان كتب نحو مئة واثنى عشر كتابا ، لا في الكيمياء حسب ، بل في موضوعات شتى ، كالطب والادوية والسموم واللغة والبيان والطلسمات وصناعة الذهب وصناعة الفولاذ ... الخ .

لقد ترجم الكثير من كتب جابر الى اللغة اللاتينية ، وأصبحت مرجعا مهما في دراسة الكيمياء في المعاهد والجامعات الاوربية خلال القرون الوسطى ، وحتى أواسط القرن الثامن عشر للميلاد . ثم ترجمت كتبه الى اللغات الفرنسية والايطالية والانكليزية والالمانية . ولا نجد الآن أية مكتبة شهيرة من مكتبات الغرب الا وفيها نسخ خطية لبعض مؤلفات جابر بن حيان.

ونذكر بعض كتبه المشهورة في الكيمياء على سبيل المثال لا الحصر :ـ

كتاب الخواص الكبير . كتاب الرحمة . كتاب الموازين . كتاب الخواص . كتاب الملاغم . كتاب الاحجار . كتاب السرالمكنون . كتاب الحديد . كتاب الاركان . كتاب المقابلة والمماثلة . كتاب العلم الالهي . كتاب الخالص . كتاب الايضاح . كتاب اسطقس الآس (الاول والثاني والثالث) .

نهج جابر بن حيان نهجا علميا في أكثر أبحاثه ، ورفع علم الكيمياء الى أعلى المراتب العلمية والتطبيقية . ويمكن تقسيم عمله الكيميائي على أقسام أربعة وعلى النحو الآتي :ـ

أولا : وضع الاسس والضوابط الكيميائية .

ثانيا : البحث في الكيمياء العامة .

ثالثا : البحث في الكيمياء التطبيقية .

رابعا : البحث في كيمياء الصنعة .

أولا : وضع جابر بن حيان اسسا وضوابط كيميائية أصبحت فيما بعد منهجا قويما لجميع العلوم التطبيقية . فقد شارك جابر باقي العلماء والفلاسفة

العرب بالمبدأ المثالي لدراسة العلوم وهو « مبدأ التجربة والترصد » وجعل « المختبر » دعامة اساسية في دراسة الكيمياء .

قال في كتاب « الخواص » والله قد عملته بيدي وبعقلي من قبل ، وبحثت عنه حتى صح ، وامتحنته فما كذب . ويقصد بهذه التعابير ، انه وضع النظرية ، ثم جرب ، وأكد التجربة حتى صحت .

وقال في كتاب « الموازين » ان كل نظرية تحتمل التصديق والتكذيب، فلا يصح الاخذ بها الا مع الدليل القاطع . ويقصد بذلك التجربة في المختبر طبعاً .

وذكر في كتاب « العلم الالهي » وصايا وتعليمات للباحث والمتعلم ، وأكد اتباعها ، وهذه أنماط منها : ـ

ـ عين الغرض من التجربة واتبع التعليمات الخاصة بها .

ـ تجنب المستحيل وما لا فائدة منه .

ـ كن صبورا ومثابرا وصامتا متحفظا .

ـ لا تغتر بالظواهر ، لان هذا قد يؤدي بتجربتك الى نتيجة خاطئة .

ثانيا : خاض جابر بن حيان موضوعات كثيرة، وتشير مؤلفاته والمراجع التاريخية العربية منها وغير العربية ، انه حقق أعمالا جبارة في حقل الكيمياء ، ومن الصعب حصر جميع انجازاته ، لكثرتها من جهة ، وتشعب حقولها من جهة أخرى . ونلخص النزر اليسير من أعماله :ـ

أ ـ حضر حامض الكبريت ، وسماه « زيت الزاج أو الزيت المذيب » والاسم مشتق من اسم المادة الاولية التي استعملها في تحضيره ، وهي الزاج الازرق (وكبريتات النحاس) وهذه المادة كانت معروفة عند البابليين القدماء .

ب ـ حضر أبيض الرصاص ، أي كربونات الرصاص القاعدية . وقد عرف هذا المركب قبل القرن السادس ق.م . وهو أحد خامات الرصاص

الطبيعية ، ويطلق عليه اسم « اسفيداج أو الأسرب » ويستعمل في الطب ، وفي التجميل وحتى يومنا هذا .

جـ ــ حضر الصودا الكاوية .

د ــ درس خواص الزيبق (الزئبق) وحضر منه عددا من الملاغم ، ووصفها وصفا متقنا ، وله في الملاغم كتاب جليل سماه « كتاب الملاغم » .

هـ ــ اكتشف طريقة فحص النحاس ، والمقصود هنا أيون النحاس ، فحصا نوعيا ، كمركبات النحاس تكسب اللهب لونا أزرق ، وهذا الكشف النوعي ــ المنسوب الى جابر بن حيان ــ لايزال يستخدم في الكيمياء التحليلية للكشف عن أيون النحاس .

و ــ حضر حامض النتريك وحامض الكلوريديك ، ومزجهما ، وحصل منهما على حامض جديد أذاب به الذهب الخالص .

ز ــ شرح وصنف الاجهزة والادوات المختبرية ، كالمواقد والافران ، وتعديل درجة الحرارة بحيث تلائم التجربة .

وقال في انواع التقطير (التصعيد) كالتقطير التجزيئي ، والتقطير بالبخار ، والتسامي ، والتبخر . وكذلك تكلم عن الاذابة والبلورة والتكليس والأكسدة والاختزال .... الخ .

ثالثا : عمل جابر بن حيان في حقل الكيمياء التطبيقية ، وتعزى اليه عمليات جليلة في هذا الحقل من حقول الكيمياء الصناعية . ونذكر منها :ــ

أ ــ ذكر في كتاب « الحديد » طرق صناعة الفولاذ وتنقيته .

ب ــ استطاع استخلاص كثير من الاصباغ النباتية المستعملة في صباغة الانسجة والجلود وغيرها . وعرف عددا من الاملاح المعدنية التي تستعمل في الصباغة ، والمعروفة اليوم بأسم « المثبتات » .

د ــ حضر أحبارا من المرقشيثا الذهبية ، مثل كبريتيد النحاس ، وكبريتيد الخارصين . واستخدمت ــ ولاتزال ــ في زخرفة المخطوطات بدلا من الذهب الخالص الغالي الثمن .

رابعا : آمن جابر بن حيان بنظرية العناصر الاربعة (الماء والهواء والنار والتراب) ، كما آمن بها غيره من الفلاسفة والعلماء ، ولكنه وضع نظرية جديدة ، وهي نظرية « الزئبق والكبريت » وقد شرحها في كثير من كتبه ، مثل كتاب الايضاح وكتاب المئة .... وخلاصتها ان المعادن تتكون من عنصرين ، أحدهما دخان أرضي والثاني بخار مائي ، ويتكاثف هذان العنصران في جوف الارض فيحصل الكبريت والزئبق . ومن اتحادهما تتكون المعادن . والفرق بين معدن وأخيه راجع الى الفرق في النسبة التي يحتويها من الكبريت والزئبق . ففي الذهب يكون بينهما اتزان تام ، وفي الفضة يكونان متساويين في الوزن . والنحاس يحتوي من العنصر الارضي ــ أي الكبريت على اكثر مما تحتويه الفضة . اما الحديد والرصاص والقصدير ففيهما أقل من ذلك .

لا شك ان جابر بن حيان اول فيلسوف وعالم عراقي عربي جعل من الكيمياء علما رفيعا ، وقد عمل بالصنعة ، أي تدبير الذهب . ومن المحتمل ان تناوله « للصنعة » ما هو الا امتداد للفكرة القديمة التي كانت مخيمة على الاذهان حتى العصور المتأخرة . فلقد بقيت فكرة « التدبير » قائمة حتى أيام العالم الانكليزي المشهور « روبرت بويل » الذي فند نظرية العناصر الاربعة والنظريات التي اشتقت منها بمختلف اتجاهاتها وألوانها .

ويمكن القول ، لو أن جابرا أنكر « الصنعة » بصراحة ، كما قال الكندي وابن سينا ، لكانت منزلته كمنزلة عبقري من عباقرة القرن العشرين في عالم الكيمياء .

قال الفلاسفة والمؤرخون عن جابر بن حيان أقوالا عظيمة • فقال الراهب الشهير « روجر بيكن » (ان جابر بن حيان استاذ الاساتذة) • وقال الفيلسوف الايطالي (كاردان ١٥٠١ ــ ١٥٧٦ م) ، كان جابر واحدا من كبار عباقرة الانسانية • وقال العالم الفرنسي « برتلوت ١٨٢٨ ــ ١٩٠٧ م » القول المأثور : لجابر بن حيان في الكيمياء مالارسطو من قبله في المنطق • وقال « جورج سارتون » ان جابرا كان شخصية فذة ومن أعظم الذين برزوا في ميدان العلم في القرون الوسطى •

الكندي :

تحدثنا عن الفيلسوف الكندي كطبيب ، ونقول فيه الآن الكندي الكيميائي • فقد اهتم بالكيمياء ، وكتب فيها رسائل كثيرة ، منها رسالة في تلوين الزجاج • ورسالة في ما يصبغ فيعطي لونا آخر • ورسالة في مايطرح على الحديد والسيوف حتى لا تنثلم ولا تكل • ورسالة في السيوف • وله كتابات في العطر •

وقد جاء الكندي برأي في غاية الاهمية بالنسبة للصنعة وتدبير الذهب• اذ هو القائل : ان طبائع المعادن لا يستحيل بعضها الى بعضها الاخر ــ المقصود بذلك بطلان الصنعة ــ وقال أيضا : ان الاشتغال في الكيمياء ــ أي الحصول على الذهب ــ يذهب بالعقل والجهود • وقد وضع رسالة في هذا الامر سماها «رسالة بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم» •

الرازي :

أبو بكر الرازي علم من أعلام الفلاسفة والعلماء في الكيمياء ، مثلما كان في الطب • فقد دفع البحوث الكيميائية الى الامام ، وأضاف اليها اضافات جديدة ، وجمع بين الطب والكيمياء ، ونهج طريق استاذه جابر بن حيان في تطبيق الكيمياء على الطب •

سلك الرازي في ابحاثه الكيميائية مسلكا علميا خاليا من الشوائب والمصطلحات الغامضة • فنعته مؤرخو العلم بالقول المأثور : ان الرازي مؤسس الكيمياء الحديثة في الشرق والغرب » •

يقول ابن ابي أصيبعة(٢٤) : ان الرازي ألف في الكيمياء اثني عشر كتابا من أشهرها : كتاب الاسرار • وكتاب سر الاسرار ، وهو موجز لكتاب الاسرار • ومما قاله الرازي في كتاب الاسرار : شرحنا شيئا مما ستره القدماء من الفلاسفة مثل هرمز وأرسطو طاليس وخالد بن يزيد واستاذنا جابر بن حيان . بل فيه أبواب لم ير مثلها • وكتابي هذا مشتمل على معرفة معانٍ ثلاثة : ــ

اولا : معرفة العقاقير ، وقد قسمها على ثلاثة أقسام هي :

أ ــ برانية (ترابية ومعدنية) : مثل الارواح ، أي المواد التي تتأثر بالحرارة مثل الزئبق والكبريت والزرنيخ والنوشادر •

والاجساد : وهي المعادن ، مثل الذهب والفضة والنحاس والخارصين والرصاص والقصدير والحديد •

والاحجار : مثل الكحل والجص والزجاج والمرقشيثا والطباشير •

والاملاح : مثل الملح الطيب الحلو (ملح الطعام) والملح المر (القلي)•

ب ــ حيوانية : مثل الشعر والصوف والعظام والدم والمرارة واللبن •••

جـ ــ نباتية : مثل الاشنان •

لقد قاد هذا التقسيم ــ فيما بعد الى تقسيم الكيمياء برمتها على قسمين كبيرين . اولاهما الكيمياء غير العضوية . أي البرانية ، وثانيهما الكيمياء العضوية •

ثانيا : معرفة الآلات ــ وقد ذكر الرازي الاجهزة والادوات المختبرية ، مثل آلات الاذابة كالكور والمنفاخ والمرجل والوجاق، وآلات التدبير كالانبيق والقرعة والقابلة والقارورة •••

ثالثا : معرفة التدابير ــ حضر الرازي الكحول (الغول) من تقطير المواد النشوية ، واستعمله في الصيدليات لتحضير الأدوية • وقد استعمل الفحم الحيواني ــ أول مرة في تاريخ الكيمياء ــ في قصر الالوان وازالة الاوساخ من المواد • وهذه الطريقة تعد اليوم من أهم الطرق لتنقية المواد الكيميائية •

الصناعات الكيميائية العراقية (٢٥)

اهتم العرب في النواحي التطبيقية ، وحولوا المفاهيم النظرية القديمة ، اليونانية منها وغير اليونانية ، الى مفاهيم علمية عملية ، وأدخلوا العلم في ميادين التقنيات ، معتمدين على النظريات والحقائق العلمية التي عرفوها من قبل ، أو التي ابتكروها ، وحاولوا الافادة منها في مختلف المجالات التطبيقية•

لقد أبدع الصانع الكيميائي العربي في صناعته ، واحتلت الصناعات العربية العراقية مكانة مهمة في تقدم وازدهار المدنية في العصور السابقة ، وشعت أنوارها على العالم الغربي ، فأضاءت له الطريق وفتحت له آفاق المعرفة •

ونذكر بايجاز أنماطا مما دون في كتب التراث عن الصناعات الكيميائية التي ازدهرت بها بغداد ابان عصرها الذهبي •

الـورق

كان الصينيون يصنعون الورق من الحشيش أو من شرانق الحرير • وعندما دخل العرب أرض الصين سنة ١٣٤ هـ أخذوا أسارى منهم ووضعوا في سمرقند ، فبدأوا يصنعون الورق الصيني فيها •

ثم نقلت صناعة الورق من سمرقند الى بغداد ، حيث أسس أول معمل فيها بحدود سنة ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م • ثم انتشرت صناعته بسرعة فائقة في باقي البلاد الاسلامية ، سورية ومصر وشمال افريقية ثم الاندلس •

لقد طور العرب صناعة الورق ، فاستعملوا الكتان والقطن في صناعته لانها أرخص ثمنا من الحرير ولوجوده في بلادهم ، وأخيرا صنعوا الورق من النفايات والخرق البالية • ويعد هذا من أهم الاختراعات العربية ، اذ خدم الانسانية والحضارة العالمية خدمة لا مثيل لها • ويذكر ذلك جميع المؤرخين، كما يذكر فضل العرب على لسان كل باحث ومؤرخ مهما كانت نزعته وجنسيته • وعن طريق العرب دخلت صناعة الورق الى أوربا ، حيث أسس أول معمل في ايطاليا سنة ١٢٧٦ م •

وذكر ياقوت الحموي[٢٦] محلة في بغداد تعرف بـ « دار القز » كان الكاغد يعمل بها ، وتقع هذه في الجانب الغربي من بغداد • وقد امتدح القلقشندي[٢٧] (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ورق بغداد ، فقال : هو ورق ثخين مع ليونة ورقة حاشية وتناسب أجزاء ، وقطعه وافر جدا ، ولا يكتب فيه في الغالب الا المصاحف الشريفة ، وربما استعمله كتاب الانشاء في مكاتبات القانات ونحوها •

الزجاج والتزجيج والبلور

تعد صناعة الزجاج من أدق وأعقد الصناعات الكيميائية ، من حيث موادها الاولية وأساليب الصناعة فيها ، فضلا عن انها تحتاج الى يد ماهرة وفن وابداع • وقد عرفت بغداد ومناطق كثيرة من العالم العربي بهذه الصنعة • واشتهرت بها مدن عراقية أيضا ، منها سامراء والمدائن والحيرة والقادسية • وكانت تصنع في هذه المدن وغيرها الالواح الزجاجية الملونة منها وغير الملونة ، وكذلك الصحون والكؤوس والقناني والاباريق والمصابيح وزجاجات الزينة لحفظ العطور ، وما شاكل ذلك في مواد • وقد زخرفت هذه الادوات زخرفة رائعة بالوان جميلة للغاية ، ورسمت عليها رسوم الحيوانات النادرة وكتبت عليها أبيات الشعر الرقيق •

أما التزجيج والخزف المطلي فالحديث فيه طويل ، ويكفي ما نشاهده من روائع هذا الفن في واجهات المساجد والجوامع والعتبات المقدسة ، وكذلك في الابنية الاثرية والتحف المحفوظة في المتاحف العالمية .

والبلور هو زجاج يحتوي في تركيبه على نسب متفاوتة من أكاسيد الرصاص ــ وهو المعروف باسم الكرستال ــ ومنه نوع طبيعي «الكوارتس». لقد صنع العرب البلور صناعة نفيسة ، واستعمل ــ ولايزال ــ في صناعة الاقداح والاواني والمناور (الثريات) الغالية الثمن . وقد اشتهرت النجف ببلورها الطبيعي ، وكان يطلق عليها اسم « در النجف » ومنه صنعوا العوينات أيضا ، والحلى وأدوات الزينة الاخرى .

ويذكر ان المعتصم في سامراء استقدم من كل بلد من يعمل عملا من الاعمال او يعالج مهنة ، وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف وما شابه ذلك من التحف الفنية .

الشموع

لم يستعمل النفط في الاضاءة أو الوقود ، مع ان العرب عرفوه جيدا وعرفوا خواصه وكذلك تصفيته وتكريره ، وكان النفط يستعمل في الطب .

كانت الاضاءة على نوعين ، اولاهما الاضاءة بالزيوت النباتية ، وهي مألوفة ومعروفة منذ العهود الموغلة في القدم . وقد جاء ذكر الزيت في القرآن الكريم « الله نور السماوات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار » سورة النور ، الآية ٣٥ ــ .

والنوع الثاني من الاضاءة كانت بالشموع ، وهي قديمة ايضا وكانت صناعة الشموع رائجة في بغداد وثمة قصة

طريفة حول الاضاءة بالشموع ، وهي قصة الشموع التي اوقدت في زواج الخليفة المأمون من بوران بنت الوزير الحسن بن سهل • وتعد ليلة الزفاف هذه من أبهى الليالي في التاريخ • وخلاصة ما جاء عن الشموع ، أنهم أوقدوا في تلك الليلة شموع العنبر والكافور ، وكان وزن الشمعة أربعين منا في تورٍ من الذهب ، فأنكر المأمون ذلك ، وقال : هذا سرف[٢٨] :

العطور

يحدثنا التاريخ عن ازدهار الزراعة في العصر العباسي • وكان العراق يدعى بأرض السواد ، لكثرة مزروعاته وبساتينه • ولم تقف الزراعة عند زراعة الحبوب والفواكه وما شابهها من المزروعات ، بل تعدتها الى زراعة الحدائق العامة منها أم الخاصة ، حيث كانت تزرع على نطاق واسع ، وتباع حاصلاتها في الاسواق التجارية • وكانت حصيلة ذلك أن توسعت صناعة استخراج العطور والزيوت العطرية المستخرجة من الورد والزنبق والبنفسج والياسمين وغيرها • وقد اشتهرت بغداد في هذه الصنعة ، وكانت عطورها تصدر الى المدن الاخرى • وكان في بغداد سوق تجاري كبير هو سوق « العطارين » ويقع فيما يلي « باب الغربة » من دار الخلافة ، بالمشرعة النازلة الى شاطىء دجلة • واشتهرت الكوفة في صناعة دهان الخِيري والبنفسج •

ويذكر ان الخليفة المتوكل قد حمى الورد ومنعه من الناس ، وقال لا يصلح للعامة ، فكان لا يرى الا في مجلسه ، وينسب اليه القول : أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين ، وكل منا أولى بصاحبه •

وذكر ابن النديم[٢٩] أكثر من عشرة كتب في الطيب والعطور كتبت في العصر العباسي ، ومنها ثلاثة كتب الى الفيلسوف العراقي « الكندي » •

التعليقات وأهم المراجع

١ ــ مما ورد في لسان العرب لابن منظور ، مادة (طبب) الطب : هو علاج الجسم والنفس . والمتطبب : الذي يتعاطى علم الطب . وقالوا تطبب له : سأل له الاطباء . وجمع القليل أطبة . والكثير : أطباء .
والطب والطبيب : الحاذق من الرجال ، الماهر بعمله . وكل حاذق بعمله : طبيب عند العرب .

٢ ــ للمزيد من المعلومات يراجع :

أ ــ مختصر تاريخ الطب العربي ، ج١ ، الدكتور كمال السامرائي بغداد ١٩٨٤ م .

ب ــ الطب عند العرب ، د. عبداللطيف البدري الموسوعة الصغيرة رقم ٨ ، بغداد ١٩٧٨ م .

جـ ــ حنين بن أسحاق ، د. يوسف حبي ، بغداد ١٩٧٤ م .

د ــ تاريخ الطب العراقي ، عبدالحميد العلوجي ، بغداد ١٩٦٧ م .

هـ ــ عيون الانباء في طبقات الاطباء ، لابن أبي أصيبعة ، بيروت ١٩٦٥ م .

٣ ــ مختصر ، ص ٣٨٠ .

٤ ــ طبقات الاطباء ، ٣٠٢

٥ ــ كتاب فردوس الحكمة ، ص ٨ ، تحقيق محمد زبير الصديقي ، برلين ١٩٢٨ م .

٦ ــ طبقات الاطباء ، ص ٢٥٨ .

٧ ــ الفهرست لابن النديم ، ص ٣٥٦ ، تحقيق رضا تجدد .

٨ ــ ص ٣٨١ .

٩ ــ بيمارستان كلمة غير عربية ، مكونة من مقطعين بيمار بمعنى مريض أو عليل أو مصاب ، وستان بمعنى مكان أو دار أو موضع ، فهي اذا دار المرضى ، أو موضع المرضى ويقول ابن أبي أصيبعة (ص ٤٧) المكان المعد لمداواة المرضى . ويذكر ان ابقراط هو اول من جدد واخترع واوجد البيمارستان وكانت البيمارستانات على نوعين .
النوع الاول وهي التي تنقل من مكان الى آخر ، بحسب الحاجة ، ومنها البيمارستانات التي تستخدم في الحروب . والنوع الثاني وهي البيمارستانات الثابتة .

١٠ـ أ ـ تاريخ الطب وآدابه وأعلامه ، ص ٣٣٩ ، د. أحمد النسطي ، ١٩٦٧ م .

ب ـ تاريخ البيمارستانات في الاسلام، د. أحمد عيسى، بيروت ١٩٨١ م .

١١ـ الخليفة المقتدر بالله (٢٨٢ ـ ٣٢٠ هـ = ٨٩٥ ـ ٩٣٢ م) بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه المكتفي بالله سنة ٢٩٥ هـ ، وخلع منها سنة ٢٩٦ هـ ، ثم أعيد ... والاعلام للزركلي ج٢ ، ١١٤) .

١٢ـ تاريخ الطب ، ص ٣٤٢ .

١٣ـ يقال صيدنة أو صيدلة . وربما جاءت كلمة صيدنة من خشب الصندل الطيب الرائحة ـ حسب قول البيروني ـ ومنه جاءت الكلمات :ـ

الصندلاني : الصيدلاني ، وهو العطار ونحوه من أصحاب العقاقير الطبية (ج صنادلة)

الصيدل : حجارة الفضة ، شبه بها حجارة العقاقير .

الصيدلة : مهنة الصيدلاني .

وعلم الصيدلة : يبحث فيه عن العقاقير وخصائصها وتركيب الادوية وما يتعلق بها .

الصيدلية : المكان الذي يباشر فيه الصيدلي عمله ويحفظ ما يمتلك من عقاقير وأدوية وغيرها (المعجم الوسيط)

الصيدلاني أو الصيدلي ، من يعد العطور والادوية ويبيعها . وهو العالم بخواص الادوية (ج صيادلة) .

(ويراجع كشف الظنون ١٠٨٥/٢ أيضا) .

اقرباذين أو قراباذين : لفظ سرياني ، والاصل يوناني ، ومعناه التركيب، أي تركيب الادوية المفردة وقوانينها .

١٤ـ طبقات الاطباء ، ص ٢١٥ .

١٥ـ اعلام العرب في الكيمياء ، د. فاضل الطائي ، ص ٢٢٩ ، نقلا عن كتاب الصيدنة للبيروني ، بغداد ١٩٨١ م .

١٦ـ أ ـ تاريخ العلم ، جابر الشكري ومحمود فياض ، بغداد ١٩٨١ م .

ب ـ المصطلح الكيميائي في التراث العربي ، جابر الشكري .

مجلة المجمع العلمي العراقي ج١ ، م٣١ ، ١٩٨٠ بغداد .

١٧ـ الفهرست ، ص ٣٠٣ .

١٨ـ لابن خلكان ، ج٢ ، ص ٤ .

١٩ـ كشف الظنون ، ٢ ، ١٥٣١ و ص ١٢٥٤ . منشورات مكتبة المثنى بغداد .

٢٠ـ كشف الظنون ، ٢ ص ٤٦٦ و ص ٥٩١ .
٢١ـ مقدمة ابن خلدون ، ص ٥٠٥ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
٢٢ـ الفهرست ، ص ٤٢٠ .
٢٣ـ اسماعيل باشا البغدادي ، ص ٢٤٩ .
٢٤ـ طبقات الاطباء ، ص ٤١٤ .
٢٥ـ لمحات بمآثر العراق العلمية ، جابر الشكري ، بغداد ١٩٨٥ م .
٢٦ـ معجم البلدان (بغداد) .
٢٧ـ صبح الاعشى ، ٢ ، ٤٨٢ .
٢٨ـ لابن خلكان ، ج٢ ص ٢٦٠ .
٢٩ـ الفهرست ص ٣٧٨ .

المحتــــويات

الجــزء الثالث

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ــ بغداد
(١٠٠٩) لسنة ١٩٨٨

دار الحرية للطباعة ــ بغداد
١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م